

تفسير ابن كثير

عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث ابن جابر واسمه محمد ابن عبد الملك به ورواه ابن سهل بن محمد الحساني حدثنا أبو جابر الحرثي حدثنا هشام بن الغازي الجرشي عن نافع عن ابن عمر قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري أن أبا بكر بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى وقد ورد في ذلك أحاديث أخر كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثني النخعي ومجاهد وعكرمة وأبي جعفر الباقر والزهرى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا: يوم الحج الأكبر هو يوم النحر واختاره ابن جرير وقد تقدم الأضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر وقال حماد بن سلمة عن سماك بن جبيرة وعبد الله بن شداد بن الهاد ونافع بن جبيرة بن مطعم والشعبي وإبراهيم هشيم وغيره عن الشيباني عن عبد الله ابن أبي أوفى وقال الأعمش عن عبد الله بن سنان قال: خطبنا المغيرة بن شعبه يوم الأضحى على بعير فقال: هذا يوم عن شعبه عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال: يوم الحج الأكبر يوم النحر وروى شعبه وغيره عن عبد الملك بن عمير به نحوه وهكذا رواه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة فجاء رجل فأخذ بلجام دابته فسأله عن الحج الأكبر فقال: هو يومك هذا خل سبيلها وقال عبدالرازق عن سفيان الأور سأل عليا رضي الله عنه عن يوم الحج الأكبر فقال: هو يوم النحر وقال شعبه عن الحكم سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن علي رضي الله عنه أنه أنه يوم النحر. قال هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن علي رضي الله عنه قال: يوم الحج الأكبر يوم النحر وقال أبو إسحق السبيعي عن الحارث المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خطبهم بعرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن هذا يوم الحج الأكبر. والقول الثاني: ابن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة. فقال هذا يوم الحج الأكبر وروي من وجه آخر عن ابن جرير عن محمد بن قيس عن بن الزبير ومجاهد وعكرمة وطاوس أنهم قالوا: يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر وقد ورد فيه حديث مرسل رواه ابن جرير وأبو حاتم وهكذا روي عن ابن عباس وعبد الله هو أفضل مني مائة ضعف عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول يوم الحج الأكبر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهكذا روي عن ابن عباس وعبد الله عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فأتيته فقلت إنى سألت عن أفضل المدينة فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال: أخبرك عمن عباد البصري عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: هذا يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر فلا يصومنه أحد. قال: فحججت بعد أبي فأتيت المدينة فسألت عليه وسلم؟ قال كل في ذلك. وقال عبدالرزاق أيضا عن ابن جرير عن عطاء قال: يوم الحج الأكبر يوم عرفة. وقال عمرو بن الوليد السهمي حدثنا شهاب بن يوم عرفة وقال عبدالرزاق عن معمر عن أبي إسحق: سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الأكبر قال: يوم عرفة فقلت أمن عندك أم من أصحاب محمد صلى الله وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا كلهم حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة فطفت أتتبع بها الفساطيط أقرأها عليهم فمن ثم أخال حسبتهم أنه يوم النحر ألا وهو علي فأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا فأتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسي أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحج وبعثني معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت إلي فقال: قم يا أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول: سألت عليا عن يوم الحج الأكبر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأجل المسمى. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا أبو زرعة وعبد الله بن راشد أخبرنا حيوة بن شريح أخبرنا ابن صخر أنه سمع مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس إنه لا يدخل الجنة الطريق فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ فقال بل مأمور ثم مضى فأقام أبو بكر للناس الحج إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له إلى مدته فخرج عليا رضي الله عنه على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم والعضباء حتى أدرك أبا بكر في القصة من سورة براءة وأذن في الناس يوم النحر ذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد كان بعث أبا بكر ليقم الحج للناس فقبل يا رسول الله: لو بعثت إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ثم دعا عليا فقال اذهب بهذه إسحق عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال: لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عامة هذا ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعده إلى مدته وقال محمد بن رجع أبو بكر قال: نزل في شيء؟ قال لا ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي فانطلق إلى أهل مكة فقام فيهم بأربع: لا يدخل مكة مشرك بعد أمرت بأربع فذكره وقال إسرائيل عن أبي إسحق عن زيد بن يثيغ قال: نزلت براءة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم أرسل عليا فأخذها فلما عهد فهو إلى مدته ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن أبي إسحق عن الحارث عن علي قال: وسلم حين أنزلت براءة بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم علي رضي الله عنه وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن ذكريا عن أبي إسحق عن يزيد بن يثيغ عن علي قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه عن سفيان بن عيينة وقال حسن صحيح كذا قال. ورواه شعبه عن أبي إسحق فقال زيد بن أثيل وهم فيه ورواه الثوري عن أبي إسحق عن بعض أصحابه عن ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعده إلى مدته ولا يحج المشركون بعد عامهم هذا ورواه الترمذي عن قلابة رجل من همدان: سألنا عليا بأي شيء بعثت؟ يعني يوم بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة قال: بعثت بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة فسأذهب بها أنا قال: انطلق فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك قال ثم وضع يده على فيه. وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن زيد بن يثيغ

تفسير ابن كثير

الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه ببراءة قال: يا نبي الله إني لست باللسن ولا بالخطيب قال: لا بد لي أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت قال: فإن كان ولا بد جاء مبينا في الرواية الأخرى وقال عبدالله أيضا حدثني أبو بكر حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط بن نصر عن سماك عن حنش عن علي رضي الله عنه أن رسول منك هذا إسناد فيه ضعف وليس المراد أن أبا بكر رضي الله عنه رجع من فوره بل بعد قضائه للمناسك التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله نزل في شيء؟ فقال: لا ولكن جبريل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل بكر فبعثه بها ليقراها على أهل مكة ثم دعاني فقال: أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم فلحقته بالجحفة فأخذت بن جابر عن سماك عن حنش عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي صلى الله عليه وسلم دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا عن حماد بن سلمة ثم قال: حسن غريب من حديث أنس رضي الله عنه وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدثنا محمد بن سليمان حدثنا لوين حدثنا محمد لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي فبعث بها مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورواه الترمذي في التفسير عن بNDAR عن عفان وعبد الصمد كلاهما جرير: حدثنا عفان حدثنا حماد عن سماك عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ببراءة مع أبي بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال ورواه شعبة عن مغيرة عن الشعبي به إلا أنه قال: ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهد إلى أربعة أشهر وذكر تمام الحديث قال ابن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهد إلى مدته ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك. رواه ابن جرير من غير وجه عن الشعبي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادي فكان إذا صحل ناديت فقلت بأي شيء كنتم تتادون؟ قال بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد البيت بعد عامنا هذا مشرك قال: فكنت أنادي حتى صحل صوتي. وقال الشعبي: حدثني محرز بن أبي هريرة عن أبيه قال: كنت مع علي بن أبي طالب رضي بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فإن أجله أو مدته إلى أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله ولا يحج هذا الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ببراءة فقال ما كنتم تتادون؟ قال كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن مغيرة عن الشعبي عن محرز بن أبي هريرة عن أبيه قال: كنت مع علي بن أبي طالب بعثه رسول كما هو أو قال على هيئته وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج كان سنة عمرة الجعرانة إنما هو عتاب بن أسيد فأما أبو بكر إنما كان أميراً سنة تسع. أبا بكر أمر أبو هريرة أن يؤذن ببراءة في حجة أبي بكر. قال أبو هريرة ثم أتبعنا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وأمره أن يؤذن ببراءة وأبو بكر على الموسم قال لما كان النبي صلى الله عليه وسلم زمن حنين اعتمر من الجعرانة ثم أمر أبا بكر على ذلك الحجة قال معمر: قال الزهري: وكان أبو هريرة يحدث أن هذا لفظ البخاري في كتاب الجهاد. وقال عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله براءة من الله ورسوله من أجل قول الناس الحج الأصغر فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرك. أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. ويوم الحج الأكبر يوم النحر وإنما قيل الأكبر ببراءة وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ورواه البخاري أيضا: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبدالرحمن عريان. قال حميد: ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤمنين الذين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت الآخرة بالمقامع والأغلال. قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني حميد بن عبدالرحمن أن أنكم غير معجزني الله بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيتته وبشر الذين كفروا بعذاب أليم أي في الدنيا بالخزي والنكال وفي ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال فإن تبتم أي مما أنتم فيه من الشرك والضلال فهو خير لكم وإن توليتم أي استمررتم على ما أنتم عليه فاعلموا الناس يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأظهرها وأكبرها جميعا أن الله بريء من المشركين ورسوله أي بريء منهم أيضا يقول تعالى وإعلام من الله ورسوله وتقدم وإنذار إلى

من الأمم ضلوا كما ضل هؤلاء قاتلهم الله وقال ابن عباس: لعنهم الله أني يؤفكون أي كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعبدون إلى الباطل؟. 30 فقال ذلك قولهم بأفواههم أي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افتراءهم واختلافهم يضاؤون أي يشابهون قول الذين كفروا من قبل أي من قبلهم بها فوجدوا ما جاء به صحيحا فقال بعض جهلتهم إنما صنع هذا لأنه ابن الله وأما ضلال النصارى في المسيح فظاهر. ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين قلما وكتب التوراة بإصبعه كلها فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء أخبروا بشأن عزيز فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال وقابلوه ثلاث مرات فرجع عزيز وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال يا بني إسرائيل قد جئكم بالتوراة فقال يا عزيز ما كنت كذابا فعمد فربط على إصبع من أصابعه هناك ركعتين فإنك ستلقى هناك شيئا فما أطعمك فكله فذهب ففعل ما أمر به فإذا الشيخ فقال له: افتح فمك ففتح فمه فألقى فيه شيئا كهينة الجرة العظيمة يا عزيز فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله قالت: فلم تبكي عليهم؟ فعرف أنه شيء قد وعظ به ثم قيل له اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه وصل مر على جبانة وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول وامطعماه واكاسياه فقال لها: ويحك من كان يطعمك قبل هذا؟ قالت الله قال: فإن الله حي لا يموت قالت: غلبت على بني إسرائيل فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم بقي العزيز يبكي على بني إسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيها فبينما هو ذات يوم إذ على الله تعالى فأما اليهود فقالوا في العزيز أنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وذكر السدي وغيره أن الشبهة التي حصلت لهم في ذلك أن العمالقة لما وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقاتلتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية

تفسير ابن كثير

أمرؤا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه أتبع وما حكم به نفذ لا إله إلا هو ولا رب سواه. 31 ورهبانهم أربابا من دون الله أنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرّموا وقال السدي استنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى وما وجهه استبشر ثم قال إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير اتخذوا أحبارهم فهل تعلم شيئًا أكبر من الله؟ ما يضرّك أضرّك أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم إلهًا غير الله؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق قال: فلقد رأيت حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عدي ما تقول؟ أضرّك أن يقال الله أكبر؟ وسلم وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال: فقلت إنهم لم يعبدوهم فقال بلى إنهم فتقدم عدي إلى المدينة وكان رئيسا في قومه طيبى وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدمه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعتقها فرجعت إلى أخيها فرغبت في الإسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة وقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير

هو الذي يستر الشيء ويغطيه ومنه سمي الليل كافرًا لأنه يستر الأشياء والزّارع كافرًا لأنه يغطى الحب في الأرض كما قال يعجب الكفار نباته. 32 رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد أن يتم ويظهر ولهذا قال تعالى مقابلا لهم فيما راموه وأرادوه ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والكافر الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم فمثّلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس أو نور القمر بنفخه وهذا لا سبيل إليه فكذلك ما أرسل به يقول تعالى يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب أن يطفئوا نور الله أي ما بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم من

شاء الله عز وجل ثم يبعث الله ريحا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم. 33 فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الآية أن ذلك تام قال إنه سيكون من ذلك ما بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها. وقال مسلم: حدثنا أبو معن زيد بن يزيد الرقاشي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن الأسود قال عدي: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز والذي بيده لتكون الثالثة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز قلت كسرى بن هرمز؟ قال نعم كسرى بن هرمز وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة؟ قلت لم أرها وقد سمعت بها قال فوالذي نفسي بيده ليرتد الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة بلى! قال فإن هذا لا يحل لك في دينك قال فلم يعد أن قالها فتواضعت لها قال أما إني أعلم ما الذي يمنك من الإسلام تقول إنما اتبعه ضعفة الناس تسلم فقلت إني من أهل دين قال أنا أعلم بدينك منك فقلت أنت أعلم بديني مني؟ قال نعم ألتست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت بن أبي عدي عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي حذيفة عن عدي بن حاتم سمعه يقول: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عدي أسلم بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام يعز عزيزا ويذل ذليلا إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإما يذلهم فيدينون لها وفي المسند أيضا حدثنا محمد مسلم حدثني ابن جابر سمعت سليم بن عامر قال: سمعت المقداد بن الأسود يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الأرض أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان كافرًا منهم الذل والصغار والجزية. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد سليم بن عامر عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليبغفن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر يقول إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها وإن عمالها في النار إلا من اتقى الله وأدى الأمانة. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا مسعود بن قبيصة أوقبيصة بن مسعود يقول: صلى هذا الحي من محارب الصبح فلما صلا قال شاب منهم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيلغ ملك أمتي ما زوى لي منها. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب سمعت شقيق بن حيان يحدث عن الدين كله أي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع ودين الحق هو الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة ليظهره على ثم قال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فالهدى

حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك لسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب. 34 عليه وسلم يقول إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك فأنكرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطئها وأزعمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها علي واحفظوا ما أقول لكم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: كان شداد بن أوس رضي الله عنه في سفر فنزل منزلا فقال لغلامه اثنتا بالسفرة نعبث بها ورواه أبو داود والحاكم في مستدركه وابن مردويه من حديث يحيى بن يعلى به وقال الحاكم صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. حديث آخر قال عمر ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بخير ما يكتز المرء المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته

تفسير ابن كثير

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وإنما فرض الموارث من أموال تبقى بعدكم قال فكتب ما لا يبقى بعده فقال عمر: أنا أفرج عنكم فانطلق عمر واتبه ثوبان فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية. فقال عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا يدع لولده حدثنا أبي حدثنا حميد بن مالك حدثنا يحيى بن يعلى المحاربي حدثنا أبي حدثنا غيلان بن جامع المحاربي عن عثمان بن أبي اليقظان عن جعفر بن أبي إياس وقال الترمذي حسن وحكى عن البخاري أن سالما لم يسمعه من ثوبان قلت: ولهذا رواه بعضهم عنه مرسلًا والله أعلم. حديث آخر قال ابن أبي حاتم: الله أي المال نتخذ؟ قال قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة تعين أحدكم على أمر الآخرة ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال: لما نزل في الذهب والفضة ما نزل قالوا فأى المال نتخذ؟ قال عمر فأنأ أعلم لكم ذلك. فأوضع على بعبير فأدركه وأنا في أثره فقال: يا رسول ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين على الآخرة. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن سالم بن أبي الجعد وحدثني صاحبي أنه انطلق مع عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله قولك تبا للذهب والفضة ماذا ندخر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا حدثنا شعبة حدثني سالم بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن أبي الهذيل حدثني صاحب لي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تبا للذهب والفضة قال قال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبي محمد بن جعفر صلى الله عليه وسلم وقالوا فأى مال نتخذ؟ فقال عمر رضي الله عنه أنا أعلم لكم ذلك فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأى المال نتخذ في قوله والذين يكتزون الذهب والفضة الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة يقولها ثلاثا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله كثيرة ولنورد منها هنا طرفا يدل على الباقي قال عبدالرازق: أخبرنا الثوري أخبرني أبو حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رضي الله عنه رضي الله عنه قال: أربعة آلاف فما دونها نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كنز وهذا غريب. وقد جاء في مدح التقلل من الذهب والفضة وذم التكثر منها أحاديث السيوف من الكنز. ما أحدثكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الثوري عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي وكذا قال عمر بن عبد العزيز وعراك ابن مالك نسخها قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية. وقال سعيد بن محمد بن زياد عن أبي أمامة أنه قال: حلية الأرض. وروى البخاري من حديث الزهري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر قال: هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال وقال عمر بن الخطاب نحوه أيما مال أدبت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكره به صاحبه وإن كان على وجه ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهرا لا تؤدى زكاته فهو كنز وقد روي هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة موقوفا ومرفوعا سوء ورهبانها وأما الكنز فقال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: هو المال الذي لا تؤدى زكاته وروى الثوري وغيره عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: عالة على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الأموال فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس كما قال ابن المبارك. وهل أفسد الدين إلا الملوك وأجبار النار ويوم القيامة لا ينصرون وقوله والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الآية هؤلاء هم القسم الثالث من رءوس الناس فإن الناس الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعونهم إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى فاطفأها الله بنور النبوة وسلبهم إياها وعوضهم والذل الصغار وباءوا بغضب من الله تعالى وقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله أي وهم مع أكلهم خرج وهديا وضرائب تجيء إليهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات سبيل الله وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك كما كان لأخبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم والروم قال فمن الناس إلا هؤلاء؟ والحاصل التحذير من التشبه بهم في أقوالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن عبادنا كان فيه شبه من النصارى وفي الحديث الصحيح لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة قالوا اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ وفي رواية فارس قسيسين ورهبانا والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من كما قال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت والرهبان عباد النصارى والقسيسون علماؤهم كما قال تعالى ذلك بأن منهم قال السدي الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى وهو كما قال فإن الأخبار هم علماء اليهود

على الدرهم ولكن يوسع جلده فيكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون سيف هذا كذاب متروك. 35 الثوري حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوضع الدينار على الدينار ولا الدرهم أحمر أو أبيض إلا جعل الله بكل قيراط صفحة من نار يكوى بها من قدمه إلى ذقنه وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن خدش حدثنا سيف بن محمد معاوية بن يحيى الأضرابلي حدثني أرتاة حدثنا أبو عامر الهوزني سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يموت وعنده في منزله ديناران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الفراءيسي حدثنا عن أبي أمامة صدى بن عجلان قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في منزله دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي رجل آخر فوجد دينارين أو درهمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان صلوا على صاحبكم وقد روى هذا من طرق أخر وقال قتادة عن شهر بن حوشب وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عبيدة عن يزيد بن الصرم قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: مات رجل من أهل الصفة وترك قال ما سألت فلا تمنع وما رزقت فلا تخبى قال: يا رسول الله كيف لي بذلك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ذاك وإلا فالنار إسناده ضعيف

تفسير ابن كثير

الرهاوي عن عطاء عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا قال: يا رسول الله كيف لي بذلك؟ الحافظ ابن عساكر بسنده إلى أبي بكر الشبلي في ترجمته عن محمد بن مهدي: حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن صدقة بن عبدالله عن طلحة بن زيد عن أبي فروة إن خليلي عهد إلي أن أئما ذهب أو فضة أو كى عليه فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله عز وجل ورواه عن يزيد عن همام به وزاد إفرارا. وقال فخرج عطاؤه ومعه جارية فجعلت تقضي حوائجه ففصلت معها سبعة فأمرها أن تشتري به فلوسا. قال قلت لو ادخرته لحاجة بيوتك وللضيف ينزل بك قال ذر على القول بهذا. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن عبدالله بن الصامت رضي الله عنه أنه كان مع أبي ذر عليه وسلم قال لأبي ذر ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبا يمر علي ثلاثة أيام وعندي منه شيئا إلا دينار أرصده لدين فهذا والله أعلم هو الذي حدا بأبي قال فأدبر فاتبعته حتى جلس إلى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم فقال إن هؤلاء لا يعلمون شيئا. وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رءوسهم فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئا ملأ من قريش إذ جاء رجل أخشن الثياب أخشن الجسد أخشن الوجه فقام عليهم فقال: بشر الكنازين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي به وهكذا روى على بن أبي طلحة عن ابن عباس أنها عامة وقال السدي هي في أهل القبلة وقال الأحنف بن قيس قدمت المدينة فبينما أنا في حلقة فيها ففرقها من يومه ثم بعث إليه الذي أتاه بها فقال أن معاوية إنما بعثني إلى غيرك فأخطأت فهاهنا الذهب فقال ويحك إنها خرجت ولكن إذا جاء مالي حاسبناك وأنزله بالزبد وحده وبها مات رضي الله عنه في خلافة عثمان وقد اختبره معاوية رضي الله عنه وهو عنده هل يوافق عمله قوله فبعث إليه بألف دينار ويغلظ في خلافه فنهاه معاوية فلم ينته فخشي أن يضر بالناس في هذا فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان وأن يأخذه إليه فاستقدمه عثمان إلى المدينة والله ما أدع ما كنت أقول قلت كان من مذهب أبي ذر رضي الله عنه تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال وكان يفتي بذلك ويحثهم عليه ويأمرهم به فكتب إلي عثمان أن أقبل إليه قال فأقبلت إليه فلما قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ فشكوت ذلك إلى عثمان فقال لي: تنح قريبا قلت من حديث عبيد بن القاسم عن حصين عن زيد بن وهب عن أبي ذر رضي الله عنه فذكره وزاد فارتفع في ذلك بيني وبينه القول فكتب إلى عثمان يشكوني والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم فقال معاوية: ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب قال: قلت إنها لفينا وفيهم. ورواه ابن جرير سعيد حدثنا جرير عن حصين عن زيد بن وهب قال: مررت على أبي ذر بالزبد فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنا بالشام فقرأت والذين يكتزون الذهب خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وذكر تمام الحديث وقال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره ثم يتبعها سائر جسده ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث يزيد عن سعيد به. وأصل هذا الحديث في الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الأعرج بعده كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه ويقول ويلك ما أنت؟ فيقول أنا كنزك الذي تركته بعدك ولا يزال يتبعه حتى يلقيه يده فيقضمها بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من ترك قال بلغني أن الكنز يتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول: أنا كنزك لا يدرك منه شيئا إلا أخذه. وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا كل دينار ودرهم على حدته وقد رواه ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا ولا يصح رفعه والله أعلم. وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود: والذي لا إله غيره لا يكوى عبد يكتز فيمس دينار دينارا ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده فيوضع كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة فيحمى عليها في نار جهنم وناهيك بحرما فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. قال سفيان عن الأعمش عن مسد أي تجمع من الحطب في النار وتلقي عليه ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشق عليه في الدنيا كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأموال على أربابها لهب لعنه الله جاهدا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرأته تعينه في ذلك كانت يوم القيامة عوناً على عذابه أيضا في جديها أي عنقها حبل من لأنفسكم ولهذا يقال من أحب شيئا وقدمه على طاعة الله عذب به وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال أثر عندهم من رضا الله عندهم عذبوا بها كما كان أبو لهم هذا الكلام تبكيها وتقريعا وتهكما كما في قوله ثم صبا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم أي هذا بذاك وهذا الذي كنتم تكتزون قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون أي يقال في الدوام لا لا يغتفر في الابتداء وهذا أمر مقرر وله نظائر كثيرة والله أعلم ولنذكر الأحاديث الواردة في ذلك. وقد حررنا ذلك في السيرة والله أعلم. 36 جماعة واستمر الحصار بالمجانيق وغيرها قريبا من أربعين يوما وكان ابتداءه في شهر حلال ودخل الشهر الحرام فاستمر فيه أياما ثم قفل عنهم لأنه يغتفر الحرب والنزال فعندما قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما تحصنوا بالطائف ذهب إليهم لينزلهم من حصونهم فنالوا من المسلمين وقتلوا الطائف واستصحابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام فإنه من تنمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف فإنهم هم الذين ابتدءوا القتال وجمعوا الرجال ودعوا إلى تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم الآية. وهكذا الجواب عن حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم كما قال تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص وقال حكم مستأنف ويكون من باب التهيج والتحريض أي كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضا لهم إذا حاربتموهم وقاتلوهم بنظير ما يفعلون المقررة في كل سنة لا أشهر التسيير على أحد القولين. وأما قوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة فيحتمل أنه منقطع عما قبله وأنه قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الآية وقال فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية وقد تقدم أنها الأربعة

تفسير ابن كثير

وأنه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام وقال الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات الطائف فعمد إلى الطائف فحاصرهم أربعين يوما وانصرف ولم يفتحها فثبت أنه حاصر في الشهر الحرام والقول الآخر أن ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام حاصر أهل الطائف في شهر حرام وهو ذو القعدة كما ثبت في الصحيحين أنه خرج إلى هوازن في شوال فلما كسرهم واستفاء أموالهم ورجع فلهم لجنوا إلى المشركين وظاهر السياق مشعر بأنه أمر بذلك أما ولو كان محرما في الشهر الحرام لأوشك أن يقيده بانسلاخها ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام هل هو منسوخ أو محكم على قولين أحدهما وهو الأشهر أنه منسوخ لأنه تعالى قال ههنا فلا تظلموا فيهن أنفسكم وأمر بقتال وقتالوا المشركين كافة أي جميعكم كما يقاتلونكم كافة أي جميعهم واعلموا أن الله مع المتقين وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال حراما كما فعل أهل الشرك فإنما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية وهذا القول اختيار ابن جرير. وقوله مسلم عن الحسن عن محمد بن الحنفية بأن لا تحرموهن كحرمتهن وقال محمد بن إسحاق فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي لا تجعلوا حراما حلالا ولا حلالها يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله. فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل وقال الثوري عن قيس بن من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الأرض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم واصطفى من الأيام خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها. وإن كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى وعظم حرمتاهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم وقال قتادة في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله إن عدة الشهور عند الله الآية فلا تظلموا فيهن أنفسكم في كلهن ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراما أو قتل ذا محرر وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال في الشهور كلها وقال نذقه من عذاب أليم وكذا الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام ولهذا تغلظ فيه الدية في مذهب الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وكذا في حق من قتل في الحرم أنفسكم أي في هذه الأشهر المحرمة لأنها أكد وأبلغ في الإثم من غيرها كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف لقوله تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم القيم أي هذا هو الشرع المستقيم من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم والحذو بها على ما سبق من كتاب الله الأول قال تعالى فلا تظلموا فيهن وحرم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتماد به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا وقوله ذلك الدين عن القتال وحرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشغلون بأداء المناسك وحرم بعده شهرا آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين ربعة وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد لأجل أداء مناسك الحج والعمرة فحرم قبل أشهر الحج شهرا وهو ذو القعدة لأنهم يقعدون فيه جمادى وشعبان لا كما تظنه ربعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم فبين صلى الله عليه وسلم أنه رجب مضر لا رجب ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وإنما أضافه إلى مضر ليبين صحة قولهم في رجب أنه الشهر الذي بين أيضا في الجاهلية تحرمه وهو الذي كان عليه جمهورهم إلا طائفة منهم يقال لهم البسل كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر تعمقا وتشديدا وأما قوله أرجى أن أعيش وإن يومي بأول أو بأهون أو جبار أو التالي دبار فإن أفقته فمؤنس أو عروبة أو شيار وقوله تعالى منها أربعة حرم فهذا مما كانت العرب لا تنتهاء العدد عنده وكانت العرب تسمى الأيام أول ثم أهون ثم جبار ثم دبار ثم مؤنس ثم العروبة ثم شيار قال الشاعر: من العرب العرباء العاربة المتقدمين: وأرابع والخميس يجمع على خمسة وأخامس ثم الجمعة بضم الميم وإسكانها وفتحها أيضا ويجمع على جمع وجماعات السبت مأخوذ من السبت وهو القطع على آحاد وأوحد ووحد ثم يوم الإثنين ويجمع على اثنين الثلاثاء يمد ويذكر ويؤنث ويجمع على ثلاثاوات وأثالث ثم الاربعاء بالمد ويجمع على أربعاوات ويجمع على ذوات القعدة الحجة بكسر الحاء قلت وفتحها سمي بذلك لإيقاعهم الحج فيه ويجمع على ذوات الحجة أسماء الأيام أولها الأحد ويجمع وشوال من شالت الإبل بأذنانها للطراق قال: ويجمع على شواول وشواويل وشوالات لقعدة بفتح القاف قلت وكسرها لقعودهم فيه عن القتال والترحال وأرمضة قال: وقول من قال أنه اسم من أسماء الله خطأ لا يعرج عليه ولا يلتفت إليه قلت: قد ورد في حديث ولكنه ضعيف وبينته في أول كتاب الصيام القبائل وتفرقها للغارة ويجمع على شعابين وشعابات ورمضان من شدة الرمضاء وهو الحر يقال رمضت الفصال إذا عطشت ويجمع على رمضان ورماضين يذكر ويؤنث فيقال جمادى الأولى والأول وجمادى الآخر والآخرة ورجب من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على أرجاب ورجاب وشعبان من تشعب ذات أندية لا يبصر العبد في ظلماتها الطنبا لا ينبج الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خرطومها الذنبا ويجمع على جماديات كحبارى وحباريات وقد وفي هذا نظر إذ كانت شهورهم منوطة بالأهلة فلا بد من دورانها فلعلهم سموه بذلك أول ما سمي عند جمود الماء في البرد كما قال الشاعر: وليلة من جمادى على أربعاء كنصيب وأنصاء وعلى أربعة كرجيف وأرغفة وربيع الآخر كالأول وجمادى سمي بذلك لجمود الماء فيه قال: وكانت الشهور في حسابهم لا تدور والأسفار يقال صفر المكان إذا خلا ويجمع على أصفار كجمل وأجمال وشهر ربيع الأول سمي بذلك لارتباعتهم فيه والارتباع الإقامة في عمارة الربيع ويجمع لأن العرب كانت تتقلب به فتحله عاما وتحرمه عاما قال ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم وصفر سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم حين يخرجون للقتال الدين السخاوي في جزء جمعه سماه المشهور في أسماء الأيام والشهور أن المحرم سمي بذلك لكونه شهرا محرما وعندي أنه سمي بذلك تأكيدا لتحريمه بعض السلف في جملة حديث أنه اتفق حج المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد وهو يوم النحر عام حجة الوداع والله أعلم. فصل ذكر الشيخ علم غير ذي الحجة وزعموا أن حجة التصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة وفي هذا نظر كما سنبينه إذا تكلمنا عن النسيء وأغرب منه ما رواه الطبراني عن اتفق أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنة في ذي الحجة وأن العرب قد كانت نسأت النسيء يحجون في كثير من السنين بل أكثرها في

تفسير ابن كثير

خلق السموات والأرض وقد قال بعض المفسرين والمتكلمين على هذا الحديث إن المراد بقوله قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض أنه تعالى إلى يوم القيامة وهكذا قال ههنا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض أي الأمر اليوم شرعا كما ابتدئ الله ذلك في كتابه يوم تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ولا نسيء ولا تبديل كما قال في تحريم مكة إن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض تقرير منه صلوات الله وسلامه عليه وتثبيت للأمر على ما جعله الله في أول الأمر من غير عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله منها أربعة حرم قال محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية في أوسط أيام التشريق أذود الناس عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة أو نحوه وقال حماد بن سلمة حدثني علي بن زيد عن أبي حمزة الرقاشي عن عمه وكانت له صحبة قال: كنت أخذنا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وروى ابن مردويه من حديث موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مثله فقال أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن حدثنا موسى بن عبيدة الربذي حدثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق رواه ابن عون وقره عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه وقال ابن جرير أيضا: حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا زيد بن حباب وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ورواه البزار عن محمد بن معمر به. ثم قال لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه وقد يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة ابن جرير: حدثنا معمر حدثنا روح حدثنا أشعث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الزمان قد استدار كهيئته له من بعض من سمعه رواه البخاري في التفسير وغيره. ومسلم من حديث أيوب عن محمد وهو ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه به وقد قال ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت؟ ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى أليست البلدة؟ قلنا بلى قال فإن دماءكم وأموالكم وأحسبه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. وستلقون أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة؟ قلنا بلى ثم قال أي بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة؟ قلنا بلى ثم قال أي شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أننا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ثم قال أي يوم هذا؟ قلنا الله محمد بن سيرين عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته فقال ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب أخبرنا

وذا الحجة ويحل المحرم عاما ويجعل مكانه صفر ويحرمه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحل ما حرم الله يعني ويحرم ما أحل الله. والله أعلم. 37
ثم ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الإسلام فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فقام فيهم خطيبا فحرم رجا وذا القعدة مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد ثم من بعد عباد ابنه قلع بن عباد ثم ابنه أمية بن قلع ثم ابنه عوف بن أمية فأحل منها ما حرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن المحرم وهو النسيء وقد تكلم الإمام محمد بن إسحاق على هذا في كتاب السيرة كلاما جيدا مفيدا حسنا فقال: كان أول من نسأ الشهور على العرب وإنما النسيء من الشيطان زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما فكانوا يحرمون المحرم عاما ويستحلون صفر ويستحلون بن دينار عن ابن عمر أنه قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة اجتمع إليه من شاء الله من المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال بعضها بالنسيء عن بعض والله أعلم وقال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح بن بشر بن سلمة الطبراني حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله الحديث أي إن الأمر في عدة الشهور وتحريم ما هو محرم منها على ما سبق في كتاب الله من العدد والتوالي لا كما تعتد به جهلة العرب من فصلهم تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو المحرم وتارة ينسئون إلى صفر أي يؤخرونه وقد قدمنا الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم إن الزمان قد استدار إلى آخرها فيحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله أي في تحريم أربعة أشهر من السنة إلا أنهم تارة يقدمون تحريم ربيع وربيع إلى آخر السنة بحالها على نظامها وعدتها وأسماء شهورها ثم في السنة الثانية يحرمون المحرم ويتركونه على تحريمه وبعده صفر وربيع وربيع ذكره من دوران السنة عليهم وحجهم في كل شهر عامين فإن النسيء حاصل بدون هذا فإنهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عاما يحرمون عوضه صفرا وبعده المشركين ورسوله الآية وإنما نوذي به في حجة أبي بكر فلم تكن في ذي الحجة لما قال تعالى يوم الحج الأكبر ولا يلزم من فعلهم النسيء هذا الذي أيضا وكيف تصح حجة أبي بكر وقد وقعت في ذي القعدة وأنى هذا؟ وقد قال الله تعالى وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من ذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وهذا الذي قاله مجاهد فيه نظر يحجون في كل شهر عامين حتى إذا وافق حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج فوافق ذا الحجة يسمون ذا القعدة شوالا ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا بمثل هذه الصفة فكانوا

تفسير ابن كثير

أخرى ثم يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه ثم يعودون فيسمون صفرا ثم يسمون رجب جمادى الآخر ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون شوالا رمضان ثم قال: وكان المشركون يسمون ذا الحجة المحرم وصفر وربيع وربيع وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة يحجون فيه مرة أيضا فقال عبدالرزاق: أنا معمر عن أبي نجیح عن مجاهد في قوله تعالى إنما النسيء زيادة في الكفر الآية قال فرض الله عز وجل الحج في ذي الحجة الذي يليه يحرمون خمسة أشهر فأين هذا من قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله وقد روي عن مجاهد صفة أخرى غريبة لا تغزوا في صفر حرموه مع المحرم هما محرمان فهذه صفة غريبة في النسيء وفيها نظر لأنهم في عام إنما يحرمون على هذا ثلاثة أشهر فقط وفي العام هو قالوا اخرجوا بنا قالوا له هذا المحرم قال نسئله العام هما العام صفران فإذا كان العام القابل قضينا جعلناهما محرمين قال ففعل ذلك فلما كان عام قابل قال قال هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس وكان في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام يلقي الرجل قاتل أبيه ولا يمد إليه يده فلما كان الله بتأخير هذا الشهر الحرام وروى عن أبي وائل والضحاك وقتادة نحو هذا وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله إنما النسيء زيادة في الكفر الآية. العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول إنا قد حرمانا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله قال: يعني الأربعة فيحلوا ما حرم من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم على حمار له فيقول أيها الناس: إني لا أعاب ولا أجاب ولا مرد لما أقول إنا قد حرمانا المحرم وأخرنا صفر. ثم يجيء إنما النسيء زيادة في الكفر يقول يتركون المحرم عاما وعاما يحرمونه وروى العوفي عن ابن عباس نحوه وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: كان رجل أبا ثمامة فينادي ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب ألا وإن صفر العام الأول العام حلال فيحله للناس فيحرم صفرا عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قول الله طلحة عن ابن عباس في قوله إنما النسيء زيادة في الكفر قال النسيء: أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي الموسم في كل عام وكان يكنى معد بأن قومي كرام الناس أن لهم كراما ألسنا الناسين على معد شهور الحل نجعلها حراما فأى الناس لم ندرك بوثر وأى الناس لم نعلك لجاما وقال علي بن أبي الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال ليواطئوا عدة ما حرم الله الأشهر الأربعة كما قال شاعرهم وهو عمير بن قيس المعروف بجذل الطعان: لقد علمت مدة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم فأخروه إلى صفر فيحلون الفاسدة وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله فإنهم كان فيهم من القوة الغضبية والشهامية ما استطاعوا به هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بأرائهم

لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول أف لك من دار إن كان كثير لقليل وإن كان قليل لكثير لقصير وإن كنا منك لفي غرور. 38 عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة قال: اثنتوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: أما فالدنيا ما مضى منها وما بقى منها عند الله قليل. وقال الثوري عن الأعمش في الآية فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل قال كزاد الراكب وقال بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يجزي بالجنة ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل قات يا أبا هريرة سمعت من إخواني بالبصرة أنك تقول سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة: حاتم حدثنا بشر بن مسلم بن عبد الحميد الحمصي بحمص حدثنا الربيع ابن روح حدثنا محمد بن خالد الوهبي حدثنا زياد يعني الجصاص عن أبي عثمان قال: صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدهم أصبعه هذه في اليم فلينظر بما ترجع؟ وأشار بالسبابة انفرد بإخراجه مسلم. وروى ابن أبي إلا قليلا كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله الآخرة أي ما لكم فعلتم هكذا رضا منكم بالدنيا بدلا من الآخرة ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا. ورغب في الآخرة فقال فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة أي إذا دعيتم إلى الجهاد في سبيل الله اثاقلتم في الأرض أي تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار أرضيتم بالحياة الدنيا من عليه وسلم في غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحماة القيظ فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيمد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهاد فتعين عليهم ذلك فلو تركوه لعوقبوا عليه وهذا له اتجاه والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. 39 وما كانوا المؤمنين لينفروا كافة فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة روى هذا عن ابن عباس وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم ورده ابن جرير وقال إنما هذا إن هذه الآية وقوله انفروا خفافا وثقالا وقوله وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله أنهم منسوخات بقوله تعالى شيئا أي ولا تضروا الله شيئا بتوليكم عن الجهاد ونكولكم وتثاقلكم عنه والله على كل شيء قدير أي قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم وقد قيل فكان عذابهم ويستبدل قوما غيركم أي لنصرة نبيه وإقامة دينه كما قال تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ولا تضروه الجهاد فقال لا تنفروا يعذبكم عذابا أليما قال ابن عباس: استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من العرب فتثاقلوا عنه فأمسك الله عنهم القطر ثم تواعد تعالى من ترك

عليهم من سواهم فهذا الذي يوفى له بدمته وعهده إلى مدته. ولهذا حرض تعالى على الوفاء بذلك فقال إن الله يحب المتقين أي الموفين بعهدهم. 4 ومن كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهدته إلى مدته وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده ولم يظهر على المسلمين أحدا أي يمالئ أربعة أشهر يسبح فيه الأرض يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء إلا من له عهد مؤقت فأجله إلى مدته المضروبة التي عاهد عليها وقد تقدمت الأحاديث هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت فأجله

تفسیر ابن کثیر

الله وقوله والله عزيز أي في انتقامه وانتصاره منيع الجنب لا يضام من لاذ ببابه واحتمى بالتمسك بخطابه حكيم في أقواله وأفعاله. 40
الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل
العليا قال ابن عباس: يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله هي لا إله إلا الله. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول
معه سكينه وهذا لا ينافي تجدد سكينه خاصة بتلك الحال ولهذا قال وأيده بجنود لم تروها أي الملائكة وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي
عليه أي على الرسول صلى الله عليه وسلم في أشهر القولين وقيل على أبي بكر وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تزل
تحت قدميه قال: فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما أخرجاه في الصحيحين ولهذا قال تعالى فأنزل الله سكينته عليه أي تأييده ونصره
أحمد حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا
إلى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبتته ويقول يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما كما قال الإمام
قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم فيخلص
نصره إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين أي عام الهجرة لما هم المشركين بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربا صحبه صديقه وصاحبه أبو بكر بن أبي
يقول تعالى إلا تنصروه أي تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى

محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وإله وسلم قال لرجل أسلم قال أجدني كارها قال أسلم ولو كنت كارها . 41

كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عليه وسلم تكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يردّه إلى منزله بما نال من أجر أو غنيمة ولهذا قال تعالى كتب عليكم القتال وهو لكم في الدنيا والآخرة لأنكم تغرمون في النفقة قليلا فيغنمكم الله أموال عدوكم في الدنيا مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة في سبيله وبذل المهج في مرضاته ومرضاة رسوله فقال واجهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون أي هذا خير الله خفافا وثقالا ألا إنه من يحبه الله يبتليه ثم يعيده الله فيبقىه وإنما يبتلي الله من عبادة من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله عز وجل. ثم رغب تعالى قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار فأقبلت إليه فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك قال: فرغ حاجبيه فقال يا بن أخي استنفرنا وقال ابن جرير: حدثني حيان بن زيد الشرعي قال: نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص قبل الأفسوس إلى الجراجمة فرأيت شيئا كبيرا هما على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فصل عنها من عظمه يريد الغزو فقلت له قد أعذر الله إليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا بقية حدثنا جرير حدثني عبدالرحمن بن ميسرة حدثني أبو راشد الحراني قال: وافيت المقدم بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وإله وسلم جاسا عاما واحدا قال وكان أبو أيوب يقول: قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا وقال ابن جرير: حدثني سعيد بن عمر السكوني حدثنا جرير: حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا أيوب عن محمد قال: شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا الآية اشتد على الناس فنسخها الله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله وقال ابن وضعيفا فجاءه رجل يومئذ زعموا أنه المقداد وكان عظيمًا سمينا فشكى إليه وسأله أن يأذن له فأبى فنزلت يومئذ انفروا خفافا وثقالا فلما نزلت هذه بقوله تعالى فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله وقال السدي قوله انفروا خفافا وثقالا يقول غنيا وفقيرا وقويا نفروا إليها خفافا وثقالا وركبانا ومشاة وهذا تفصيل في المسألة وقد روي عن ابن عباس ومحمد بن كعب وعطاء الخراساني وغيرهم أن هذه الآية منسوخة في الآية وهذا اختيار ابن جرير. وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي: إذا كان النفير إلى دروب الروم نفر الناس إليها خفافا وركبانا وإذا كان النفير إلى هذه السواحل أن يعذرهم دون أن ينفروا خفافا وثقالا أي على ما كان منهم. وقال الحسن بن أبي الحسن البصري أيضا في العسر واليسر وهذا كله من مقتضيات العموم وكذا قال قتادة وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد انفروا خفافا وثقالا قالوا: فإن فينا الثقيل وذو الحاجة والضيعة والشغل والتميسر به أمره فأنزل الله وأبى صالح وغيره قال الحكم بن عتيبة: مشاغيل وغير مشاغيل وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يقول انفروا نشاطا وغير نشاط انفروا خفافا وثقالا كهولا وشبانًا. وكذا قال عكرمة والضحاك ومقاتل بن حيان وغير واحد وقال مجاهد: شبانا وشيوخا وأغنياء ومساكين وكذا قال أبو وهكذا روي عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح والحسن البصري وسهيل بن عطية ومقاتل بن حيان والشعبي وزيد بن أسلم أنهم قالوا في تفسير هذه الآية أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك فأبى فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفونه فيها إلا بعد تسعة أيام فلم يتغير دفنوه فيها سبيل الله فقال: أرى ربنا استنفرنا شيوخا وشبانًا جهزوني يا بني فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى مات ومع عذر أحد ثم خرج إلى الشام فقاتل حتى قتل وفي رواية قرأ أبو طلحة سورة براءة فأتى على هذه الآية انفروا خفافا وثقالا واجهدوا بأموالكم وأنفسكم في معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر فقال انفروا خفافا وثقالا وقال علي بن زيد عن أنس عن أبي طلحة: كهولا وشبانًا ما سمع الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وحتم على المؤمنين في الخروج عن أبيه قال: زعم حضرمي أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليا وكبيرًا فيقول إني لا أثم فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا الآية أمر الله قال سفيان الثوري عن أبيه عن أبي الضحى مسلم بن صبيح: هذه الآية انفروا خفافا وثقالا أول ما نزل من سورة براءة وقال معتمر بن سليمان بالله أي لكم إذا رجعت إليهم لو استطعنا لخرجنا معكم أي لو لم يكن لنا أعداء لخرجنا معكم قال الله تعالى يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكانون. 42

تفسير ابن كثير

ابن عباس: غنيمة قريبة وسفرا قاصدا أي قريبا أيضا لاتبعوك أي لكانوا جاءوا معك لذلك ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة إلى الشام وسيحلفون عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقعدوا بعد ما استأذنوه في ذلك مظهرين أنهم ذوو أعداء ولم يكونوا كذلك فقال لو كان عرضا قريبا قال يقول تعالى موبخا للذين تخلفوا

وسلم فإن أذن لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا ولهذا قال تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا أي في إبداء الأعداء وتعلم الكاذبين . 43 لبعض شأنهم فائذن لمن شئت منهم الآية. وكذا روي عن عطاء الخراساني وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أناس قالوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة: عاتبه كما تسمعون ثم أنزل التي في سورة النور فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء فقال فإذا استأذنوك بن سليمان الرازي حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن عون قال: هل سمعتم بمعاتبه أحسن من هذا؟ نداء بالعفو قبل المعاتبه فقال عفا الله عنك لم أذنت قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو حصين

في القعود عن الغزو . الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لأنهم يرون الجهاد قربة ولما نديهم إليه بادروا وامتلوا . 44 مصريين على القعود عن الغزو وإن لم تأذن لهم فيه. ولهذا أخبر تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو أحد يؤمن بالله ورسوله فقال لا يستأذنك أي يقول تعالى هلا تركتهم لما استأذنوك فلم تأذن لأحد منهم في القعود لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب فإنهم قد كانوا

يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى وليست لهم قدم ثابتة في شيء فهم قوم حيارى هلكت لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا. 45 الآخر أي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم وارتابت قلوبهم أي شككت في صحة ما جئتهم به فهم في ريبهم يترددون أي يتحIRONون إنما يستأذنك أي في القعود ممن لا عذر له الذين لا يؤمنون بالله واليوم

أي أبغض أن يخرجوا معكم قدرا فثبطهم أي أخرهم وقيل اقعدوا مع القاعدين أي قدرا ثم بين تعالى وجه كراهيته لخروجهم مع المؤمنين. 46 يقول تعالى ولو أرادوا الخروج أي معك إلى الغزو لأعدوا له عدة أي لكانوا تأهبوا له ولكن كره الله انبعاثهم

منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما والآيات في هذا كثيرة. 47 علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتتولوا وهم معرضون وقال تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل زادوكم إلا خبالا فأخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ومع هذا ما خرجوا كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقال تعالى ولو تعالى عن تمام علمه فقال والله عليم بالظالمين فأخبر بأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ولهذا قال تعالى لو خرجوا فيكم ما بهم أن يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده وكان في جند قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم ثم أخبر محمد بن إسحاق كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبدالله بن أبي بن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرا في قومهم فثبطهم الله لعلمه لا يبقى له اختصاص بخروجهم معهم بل هذا عام في جميع الأحوال والمعنى الأول أظهر في المناسبة بالسياق وإليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين. وقال إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير. وقال مجاهد وزيد بن أسلم وابن جرير وفيكم سماعون. لهم أي عيون يسمعون لهم الأخبار وينقلونها إليهم. وهذا بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة وفيكم سماعون لهم أي مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم يستنصحوهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم فيؤدي فقال لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا أي لأنهم جناء مخذولون ولأوضعوا خالككم ييغونكم الفتنة أي ولأسرعوا السير والمشى

قد توجه فدخلوا في الإسلام ظاهرا ثم كلما أعز الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم ولهذا قال تعالى حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. 48 عليه وسلم المدينة رمتهم العرب عن قوس واحدة وحاربتهم يهود المدينة ومنافقوها فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته قال عبدالله بن أبي وأصحابه هذا أمر من قبل وقلوبنا لك الأمور أي لقد أعملوا فكرهو وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك وإخماده مدة طويلة وذلك أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعالى محرضا لنبيه عليه السلام على المنافقين لقد ابتغوا الفتنة

! ولكن سيدكم الفتى الجعد الأبيض بشر بن البراء بن معرور وقوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين أي لا محيد لهم عنها ولا محيص ولا مهرب. 49 الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من سيدكم يا بني سلمة؟ قالوا الجد بن قيس على أنا نبخله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأي دواء أدوا من البخل أعظم وهكذا روي عن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنها نزلت في الجد بن قيس وقد كان الجد بن قيس هذا من أشرف بني سلمة. وفي الصحيح أن رسول الآية أي إن كان إنما يخشى من نساء بني الأصفر وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففي الجد بن قيس نزلت هذه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني يا جد العام في جلد بني الأصفر؟ فقال يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرفت قومي ما رجل أشد عجبا بالنساء مني وإنني أخشى إن رأيت نساء وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن قتادة وغيرهم قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة هل لك بسبب الجواني من نساء الروم قال الله تعالى ألا في الفتنة سقطوا أي قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا كما قال محمد بن إسحاق عن الزهري وبزید بن رومان يقول تعالى: ومن المنافقين من يقول لك يا محمد ائذن لي في القعود ولا تفتني بالخروج معك

أمر الله ثم اختلف المفسرون في آية السيف هذه فقال الضحاك والسدي هي منسوخة بقوله تعالى فإما منا بعد وإما فداء وقال قتادة بالعكس. 5

تفسير ابن كثير

الآية. والرابع قتال الباغيين في قوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما عن الأخرى فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى من الدين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والسيف الثالث قتال المنافقين في قوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين إن السيف الثاني هو قتال أهل الكتاب لقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف سيف في المشركين من العرب قال الله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم هكذا رواه مختصرا وأظن العقد والميثاق وأذهب الشرط الأول وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إسحق بن موسى الأنصاري قال: قال سفيان بن عيينة قال علي بن أبي طالب: بعث وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال: أمره الله تعالى أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام ونقض ما كان سمي لهم من منذ نزلت براءة وانسلاخ الأشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أحد من المشركين وكل عقد وكل مدة وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية: لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة بن إبراهيم أنبأنا حكام بن سلمة حدثنا أبو جعفر الرازي به سواء وهذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم أنها نسخت كل عهد في آية أخرى فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ورواه ابن مردويه ورواه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة له. حدثنا إسحق آخر ما أنزل قال الله تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال: توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ثم قال والله عنه راض قال وقال أنس: هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيئا فارقها السنن إلا ابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به. وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدي حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ورواه البخاري في صحيحه وأهل عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واستقبلوا وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه. وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه قال: أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يرك فلا صلاة له. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أبي الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويطيعوا الصلاة ويؤتوا الزكاة الحديث وقال أبو إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ولهذا كثيرا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة وقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أمرت بعد الشهادتين الصلاة التي هي حق الله عز وجل وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين الكريمة وأمثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال وهي الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته ونبه بأعلاها على أدائها فإن أشرف أركان الإسلام قال فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية لهم. بل اقصدهم بالحصار في معاقبتهم وحصونهم والرصد في طرقهم ومسالكتهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام ولهذا فاقتلوهم وقوله وخذوهم أي وأسروهم إن شئتم قتلوا وإن شئتم أسرا وقوله واحصوهم واقعدوا لهم كل مرصد أي لا تكتفوا بمجرد وجدانكم أي من الأرض وهذا عام والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم أولى من مقدر ثم إن الأشهر الأربعة المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرى بعد في هذه السورة الكريمة وقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم انسلخ الأشهر الحرم أي إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمت عليكم فيها قتالهم وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم لأن عود العهد على مذكور وقتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها بقوله فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ثم قال فإذا الضحاك أيضا وفيه نظر والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال مجاهد وعمر بن شبيب ومحمد بن إسحاق الآية قاله أبو جعفر الباقر ولكن قال ابن جرير: آخر الأشهر الحرم في حقه الحرم وهذا الذي ذهب إليه حكاه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإليه ذهب في المراد بالأشهر الحرم ههنا ما هي فذهب ابن جرير إلى أنها المذكورة في قوله تعالى منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم

اختلف المفسرون

مما يسره ويسر أصحابه ساءهم ذلك وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل أي قد احترزنا من متابعتهم من قبل هذا ويتولوا وهم فرحون. 50 يعلم تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعداوة هؤلاء له لأنه مهما أصابه من حسنة أي فتح ونصر وظفر على الأعداء الله لنا أي نحن تحت مشيئته وقدره وهو مولانا أي سيدنا وملجؤنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل. 51 فأرشد الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوابهم في عداوتهم هذه التامة فقال قل أي: لهم لن يصيبنا إلا ما كتب الله بعذاب من عنده أو بأيدينا أي ننتظر بكم هذا أو هذا إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا بسبي أو قتل فتربصوا إنا معكم متربصون. 52 هل تربصون بنا أي تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنين شهادة أو ظفر بكم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم ونحن نتربص بكم أي ننتظر بكم أن يصيبكم يقول تعالى قل لهم يا محمد قل

وقوله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها أي مهما أنفقتهم من نفقة طائعين أو مكريين لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين. 53

تفسير ابن كثير

- اللَّهُ عليه وسلم أن الله لا يمل حتى تملوا وأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً فهذا لا يقبل الله من هؤلاء نفقة ولا عملاً لأنه إنما يتقبل من المتقين. 54
- ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى أي ليس لهم قدم صحيح ولا همة في العمل ولا ينفقون نفقة إلا وهم كارهون وقد أخبر الصادق المصدوق صلى
- ثم أخبر تعالى عن سبب ذلك وهو أنهم لا يتقبل منهم لأنهم كفروا بالله وبرسوله أي والأعمال إنما تصح بالإيمان
- أي ويريد أن يميتهم حين يميتهم على الكفر ليكون ذلك أنكى لهم وأشد لعذابهم. عياداً بالله من ذلك وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه. 55
- أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. واختار ابن جرير قول الحسن وهو القول القوي الحسن. وقوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون
- الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال الحسن البصري بزكاتها والنفقة منها في سبيل الله وقال قتادة هذا من المقدم والمؤخر تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا
- الدنيا لفتنتهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نساير لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقوله إنما يريد
- يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم كما قال تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة
- أنهم يحلفون بالله إنهم لمنكم يمينا مؤكدة وما هم منكم أي في نفس الأمر ولكنهم قوم يفرقون أي فهو الذي حملهم على الحلف. 56
- يخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن جزعهم وفرعهم وفرقهم وهلعهم
- فلذا كلما سر المسلمون ساءهم ذلك فهم يودون أن لا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمعون. 57
- إنما يخالطونكم كرها لا محبة وودوا أنهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة أحكام ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة
- أو مدخلا وهو السرب في الأرض والنفق قال ذلك في الثلاثة ابن عباس ومجاهد وقتادة لولوا إليه وهم يجمعون أي يسرعون في ذهابهم عنكم لأنهم
- لو يجدون ملجأ أي حصناً يتحصنون به وحرزاً يتحرزون به أو مغارات وهي التي في الجبال
- السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم شر قتلى تحت أديم السماء وذكر بقية الحديث ثم قال تعالى منها لهم على ما هو خير لهم من ذلك. 58
- اللَّهُ صلى الله عليه وإله وسلم وقد رآه مقفياً إنه يخرج من ضنطني هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين مروق
- لما اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين فقال له اعدل فإنك لم تعدل فقال لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ثم قال رسول
- أمنعكموه إنما أنا خازن وهذا الذي ذكره قتادة يشبه ما رواه الشيخان من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قصة ذي الخويصرة واسمه حرقوص
- خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفسي بيده ما أعطيكم شيئا ولا
- الله عليه وسلم ويليكم فمن ذا الذي يعدل عليك بعدي؟ ثم قال نبي الله أحذروا هذا وأشباهه فإن في أمتي أشباه هذا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم فإذا
- حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهاباً وفضة فقال يا محمد والله لمن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت فقال نبي الله صلى
- بالعدل فنزلت هذه الآية وقال قتادة في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات يقول ومنهم من يطعن عليك في الصدقات وذكر لنا أن رجلاً من أهل البادية
- ابن جريج: أخبرني داود بن أبي عاصم قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت قال ووراءه رجل من الأنصار فقال ما هذا
- مع هذا لا ينكرون للدين وإنما ينكرون لحظ أنفسهم ولهذا إن أعطوا من الزكاة رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخرون أي يغضبون لأنفسهم. قال
- تعالى ومنهم أي ومن المنافقين من يلمزك أي يعيب عليك في قسم الصدقات إذا فرقته ويتهمك في ذلك وهم المتهمون المأبونون وهم
- يقول
- الله وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وامتنال أو امره وترك زواجه وتصديق أخباره والاقتفاء بآثاره. 59
- الله راغبون فتضمنت هذه الآية الكريمة أدبا عظيماً وسراً شريفاً حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله وقالوا حسبنا
- فقال ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى
- ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم الله. 6
- أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب من الإمام أو نائبه أماناً أعطي أماناً مادام متردداً في دار الإسلام
- فأرسل إليه ابن مسعود فقال له إنك الآن لست في رسالة وأمر به فضربت عنقه لا رحمه الله ولعنه والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في
- عنقه. وقد قيض الله له ضرب العنق في إمارة ابن مسعود على الكوفة وكان يقال له ابن النواحة ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة
- على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أتشهد أن مسيلمة رسول الله؟ قال نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت
- يشاهده عند ملك ولا قيصر فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم ولهذا أيضاً لما قدم رسول مسيلمة الكذاب
- بن عمرو وغيرهم واحداً بعد واحد يترددون في القضية بينه وبين المشركين فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهرهم وما لم
- عليه وسلم يعطي الأمان لمن جاءه مسترشداً أو في رسالة كما جاء يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش منهم عروة بن مسعود ومكرز بن حفص وسهيل
- الآية قال: إنسان يأتيك ليسمع ما تقول وما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فتسمعه كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء ومن هذا كان رسول الله صلى الله
- ذلك بأنهم قوم لا يعلمون أي إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله في عبادته وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في تفسير هذه
- أي القرآن تقرأوه عليه وتذكر له شيئاً من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله ثم أبلغه مأمنه أي وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه

تفسير ابن كثير

وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم استجارك أي استأمنك فأجبه إلى طلبته حتى يسمع كلام الله يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه

وقسمه والله عليم حكيم أي عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباده حكيم فيما يقوله ويفعله ويشعره ويحكم به لا إله إلا هو ولا رب سواه. 60
الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني إلا في سبيل الله وابن السبيل أو جار فقير فيهدي لك أو يدعوك وقوله فريضة من الله أي حكما مقدرا بتقدير الله وفرضه عليه منها فأهدى لغني وقد رواه السفينان عن زيد بن أسلم عن عطاء مرسلا ولأبي داود عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: العامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غاز في سبيل الله أو مسكين تصدق كفايته في ذهابه وإيابه والدليل على ذلك الآية وما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث معمر بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه به على سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده وإن كان له مال وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفر من بلده وليس معه شيء فيعطى من مال الزكاة لهم في الديوان وعند الإمام أحمد والحسن وإسحاق والحج في سبيل الله للحديث وكذلك ابن السبيل وهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين اليوم فيدعو الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل الله ورحمته وأما في سبيل الله فممنهم الغزاة الذين لاحق يا رب أنت أعلم أنني أخذته فلم أكل ولم أشرب ولم أضيع ولكن أتى على يدي إما حرق وإما سرق وإما ضيعة فيقول الله. صدق عبيدي أنا أحق من قضى عنك صلى الله عليه وسلم يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول: يا بن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس؟ فيقول أحمد حدثنا عبد الصمد أنبأنا صدقة بن موسى عن أبي عمران الجوني عن قيس بن يزيد عن قاضي المصريين عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: قال رسول الله تصدقوا عليه فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لغرمائه خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك رواه مسلم وقال الإمام سحنا رواه مسلم وعن أبي سعيد قال أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قومه فيقولون لقد أصابت فلانا فاقفة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فما سواهن من المسألة سحت يأكلها صاحبها جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ورجل أصابته فاقفة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قرابة تأتينا الصدقة فنأمر لك بها قال ثم قال يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسه ورجل أصابته يدفع إليهم والأصل في هذا الباب حديث قبصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتييت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقم حتى أن تعين في ثمنها وأما الغارمون فهم أقسام فممنهم من تحمل حمالة أو ضمن ديناً فلزمه فأجحف بماله أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب فهؤلاء يقربني من الجنة ويباعدني من النار فقال أعتق النسمة وفك الرقبة فقال: يا رسول الله أليسوا واحدا؟ قال لا عتق النسمة أن تفرد بعقها وفك الرقبة الأداء والناكح الذي يريد العفاف رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود وفي المسند عن البراء بن عازب قال: جاء رجل فقال يا رسول الله دلني على عمل إلا ما كنتم تعملون وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله عونهم: الغازي في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الإعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة وأن الله يعتق بكل عضو منها عضواً من معتقها حتى الفرج بالفرج وما ذاك إلا لأن الجزء من جنس العمل وما تجزون بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك وإسحاق أي أن الرقاب أعم من أن يعطي المكاتب أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالاً وقد ورد في ثواب جبيل والنخعي والزهري وابن زيد أنهم المكاتبون وروي عن أبي موسى الأشعري نحوه وهو قول الشافعي والليث رضي الله عنهما. وقال ابن عباس والحسن لا بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج إليه فصرف إليهم. وأما الرقاب فروي عن الحسن البصري ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن أنهم لا يعطون بعده لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم في البلاد وأذل لهم رقاب العباد. وقال آخرون بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم تفصيل هذا في كتب الفروع والله أعلم. وهل تعطى المؤلفلة على الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيه خلاف فروي عن عمر وعامر والشعبي وجماعة ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ومنها من يعطى ليجبي الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ومحل صلى الله عليه وآله وسلم بذهبية في تربتها من اليمين فقسما بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس وعينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الخير وقال أنألفهم الإبل وقال إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم. وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن علياً بعث إلى النبي يونس عن الزهري به ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد الطلقاء وأشرفهم مائة من الإبل مائة من قال: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي ورواه مسلم والترمذي من حديث إلي بعد أن كان أبغض الناس إلي كما قال الإمام أحمد: حدثنا زكريا بن عدي أنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية يعطى ليسلم كما أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدها مشركا قال فلم يزل يعطيني حتى سار أحب الناس صلى الله عليه وسلم ليستعملهما على الصدقة فقال إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد إنما هي أوساخ الناس. وأما المؤلفلة قلوبهم فأقسام: منهم من الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم الصدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنه أنطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله ولا يسأل الناس شيئا رواه الشيخان. وأما العاملون عليها فهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطا على ذلك ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله صلى الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمررة والتمررتان قالوا فما المسكين يا رسول الله؟ قال الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه حاتم على جهالته لكنه في حكم المجهول وأما المساكين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف

تفسير ابن كثير

قال هم أهل الكتاب روى عنه عمر بن نافع سمعت أبي يقول ذلك قلت وهذا قول غريب جدا بتقدير صحة الإسناد فإن أبا بكر هذا وإن لم ينهى أبو رواه أحمد وأبو داود والنسائي بإسناد جيد قوي وقال ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل: أبو بكر العبسي قال: قرأ رضي الله عنه إنما الصدقات للفقراء أنهما أنيا النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه من الصدقة فقلب فيهما البصر فرأهما جليدين فقال إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب ولا لذي مرة سوى رواه أحمد وأبو داود والترمذي ولأحمد أيضا والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة مثله وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن رجلين أخبراه المساكين أهل الكتاب ولنذكر أحاديث تتعلق بكل الأصناف الثمانية فأما الفقراء فعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني الثوري يعني ولا يعطي الأعراب منها شيئا وكذا روى عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن ابن أبيزي وقال عكرمة لا تقولوا للفقراء المسلمين مساكين إنما يسأل ويطوف ويتبع الناس وقال قتادة الفقير من به زمانة والمساكين الصحيح الجسم وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم هم فقراء المهاجرين قال سفيان وروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وابن زيد واختار ابن جرير وغير واحد أن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئا والمساكين هو الذي عون عن محمد قال: قال عمر رضي الله عنه الفقير ليس بالذي لا مال له ولكن الفقير الأخلاق الكسب قال ابن عمر عليه الأخلاق المحارف عندنا والجمهور على خلافه ولشدة فاقتهم وحاجتهم وعن أبي حنيفة أن المسكين أسوأ حالا من الفقير وهو كما قال أحمد وقال ابن جرير: حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أنبأنا ابن لبيان المصرف لا لوجوب استيعابها ولوجوه الحجاج والمآخذ مكان غير هذا والله أعلم. وإنما قدم الفقراء ههنا على البقية لأنهم أحوج من غيرهم على المشهور منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون بن مهران قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم وعلى هذا فإنما ذكرت الأنصاف ههنا وجماعة والثاني أنه لا يجب استيعابها بل يجوز الدفع إلى واحد منها ويعطي جميع الصدقة مع وجود الباقيين وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف أعطيتك وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع لها أو إلى ما أمكن منها؟ على قولين أحدهما أنه يجب ذلك وهو قول الشافعي رجل فقال أعطني من الصدقة فقال له إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أصناف فإن كنت من تلك الأجزاء عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وفيه ضعف عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته فأتى أنه هو الذي قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ولم يكل قسمها إلى أحد غيره فجزأها لهؤلاء المذكورين كما رواه الإمام أبو داود في سننه من حديث لما ذكر تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النبي صلى الله عليه وسلم ولمزههم إياه في قسم الصدقات بين تعالى

للمؤمنين أي ويصدق المؤمنون ورحمة للذين آمنوا منكم وهو حجة على الكافرين ولهذا قال تعالى: والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم. 61 جنتاه وحلفنا له صدقنا روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال الله تعالى قل أذن خير لكم أي هو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب يؤمن بالله ويؤمن يقول تعالى ومن المنافقين قوم يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون هو أذن أي من قال له شيئا صدقه فينا ومن حدثه صدقه فإذا ما حملك على الذي قلت؟ فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صدق الصامت وكذب الكاذب فأنزل الله الآية. 62 فقال: والله إن ما يقول محمد لحق ولأنت أشر من الحمار. قال فسعى بهل الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال الآية قال ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وإن كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير. قال: فسمعها رجل من المسلمين قال قتادة في قوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم.

وكان في حد والله ورسوله في حد فإن له نار جهنم خالدا فيها أي مهانا معذبا وذلك الخزي العظيم أي وهذا هو الذل العظيم والشقاء الكبير. 63 وقوله تعالى ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله الآية أي ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله عز وجل أي شاقه وحاربه وخالفه أن لن يخرج الله أضغانهم إلى قوله ولتعرفنهم في لحن القول الآية ولهذا قال قتادة كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين. 64 قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون أي إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم كقوله تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال في هذه الآية قال مجاهد: يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا هذا وهذه الآية شبيهة بقوله

اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت قال فأصيب يوم اليمامة فما من أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره. 65 إلا نخوض ونلعب وقال عكرمة في تفسير هذا الآية كان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول اللهم إني أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر الجلود وتجب منها القلوب قصور الروم وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ما قالوا فقال علي بهؤلاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قال فبينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه فقالوا يظن هذا أن يفتح عنه في هذه الآية مخشي بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر وقال قتادة ولئن سألتهم على راحلته فجعل يقول وهو أخذ بحقها: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال مخشي بن حمير يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي فكان الذي عفا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه فقال ودیعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف لمقاتلكم هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن ياسر أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا في الحبال إرجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشي بن حمير والله لوددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإننا نغلب أن ينزل فينا قرآن

تفسير ابن كثير

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض أن تحبسون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأننا بكم غدا مقرنين جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حمير يسبيرون مع صلى الله عليه وآله وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون الآية. وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا. وقال ابن إسحاق وقد كان فقال عبدالله بن عمر أنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المسجد: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبدالله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل قراننا هؤلاء أرغب بطونا لا أكذب أسنا ولا وإن رجليه لتسفعان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم. وقال عبدالله بن وهب: وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب. فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون إلى قوله كانوا مجرمين القرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين ما أرى قراننا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا وأكذبنا أسنة وأجبننا عند اللقاء. فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو معشر المدني عن محمد بن كعب

إن نفع عن طائفة منكم نعذب طائفة أي لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم بأنهم كانوا مجرمين أي مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. 66 وقوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم أي بهذا المقال الذي استهزأتم به كقوله تعالى فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا إن المنافقين هم الفاسقين أي الخارجون من طريق الحق الداخلون في طريق الضلالة. 67 يأمرهم بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم أي على الإنفاق في سبيل الله نسوا الله أي نسوا ذكر الله فنسيهم أي عاملهم معاملة من نسيهم يقول تعالى منكرنا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء الذي ذكر عنهم خاديين فيها أي ماكنين فيها مخلصين هم الكفار هي حسبهم أي كفايتهم في العذاب ولعنهم الله أي طردهم أو بعدهم ولهم عذاب مقيم. 68 وقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم أي على هذا الصنيع الخلاق: الدين وخضتم كالذي خاضوا قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم؟ قال فهل الناس إلا هم؟ وهذا الحديث له شاهد في الصحيح. 69 أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم القرآن كالذين من قبلكم الآية. قال أبو هريرة: قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب قال فمن؟ وهكذا رواه أبو معشر عن بن مهاجر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من بعدهم لا أعلم إلا أنه قال والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه قال ابن جريج وأخبرني زياد بن سعد عن محمد بن زياد عمرو بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس في قوله كالذين من قبلكم الآية قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا حببنا أعمالهم أي بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب قال ابن جرير عن عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم وقوله بخلاقهم قال الحسن بأيديهم وقوله وخضتم كالذي خاضوا أي في الكذب والباطل وأولئك يقول تعالى أصاب هؤلاء من

حيث شاء ومنهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ثم هدهم الله بعد ذلك إلى الإسلام التام والله المحمود على جميع ما يقدره ويفعله. 7 فسموا الطلقاء وكانوا قريبا من ألفين ومن استمر على كفره وفر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه بالأمان والتسيير في الأرض أربعة أشهر يذهب صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من نواصبيهم ولله الحمد والمنة فأطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم قريش العهد ومالتوا لحلفاءهم وهم بنو بكر على خزاعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه معهم في الحرام أيضا فعند ذلك غزاهم رسول الله الله يحب المتقين وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والمسلمون. استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلى أن نقضت الآية فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم أي مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين فاستقيموا لهم إن إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعني يوم الحديبية كما قال تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوف أن يبلغ محله أشهر ثم بعد ذلك السيف المرهف أين ثقفوا فقال تعالى كيف يكون للمشركين عهد أي أمان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله بين تعالى حكمته في البراءة من المشركين ونظرته إليهم أربعة

بإرسال الرسل وإزاحة العلل ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق فصاروا إلى ما صاروا إليه من العذاب والدمار. 70 لم يسبقهم بها أحد من العالمين أنتهم رسلهم بالبينات أي بالحجج والدلائل القاطعات فما كان الله ليظلمهم أي يهلكه إياهم لأنه أقام عليهم الحجة وقيل أم قراهم وهي سدوم والغرض أن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله صلى الله عليه وسلم لوطا عليه السلام وإتيانهم الفاحشة التي أصابتهم الرجفة وعذاب يوم الظلة والمؤتفكات قوم لوط وقد كانوا يسكنون في مدائن وقال في الآية الأخرى والمؤتفكة أهوى أي الأمة المؤتفكة عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم وأهلك ملكهم نمرود بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه الله وأصحاب مدين وهم قوم شعيب عليه السلام وكيف

تفسير ابن كثير

بالريخ العقيم لما كذبوا هودا عليه السلام وتمادى كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا عليه السلام وعقروا الناقة وقوم إبراهيم كيف نصره الله قبلكم من الأمم المكذبة للرسول قوم نوح وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الأرض إلا من آمن بعبده ورسوله نوح عليه السلام وعاد كيف أهلكوا يقول تعالى واعظا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسول ألم يأتهم نبا الذين من قبلهم أي ألم تخبروا خبر من كان

وللمؤمنين حكيم في قسمته هذه الصفات لهؤلاء وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة فإن له الحكمة في جميع ما يفعله تبارك وتعالى. 71
الله ورسوله أي فيما أمر وترك ما عنه زجر أولئك سيرحهم الله من اتصف بهذه الصفات إن الله عزيز أي يعز من أطاعه فإن العزة لله ورسوله يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية. وقوله ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة أي يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه ويطيعون الجسد الواحد. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر وقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كقوله تعالى ولتكن منكم أمة كما جاء في الصحيح المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وفي الصحيح أيضا مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم كمثل لما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أي يتناصرون ويتعاضدون

أكبر. ورواه البزار في مسنده من حديث الثوري وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه صفة الجنة هذا عندي على شرط الصحيح والله أعلم. 72
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل هل تشتهون شيئا فأزيدكم؟ قالوا يا ربنا ما خير مما أعطيتنا؟ قال رضواني حديث مالك وقال أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي حدثنا الفضل الرجائي حدثنا الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكر عن جابر بن عبد الله قال: خلقك فيقول ألا أعطيك أفضل من ذلك؟ فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا. أخرجه من لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك فيقول هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من الإمام مالك رحمه الله عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل يقول إن شاء الله فقال القوم إن شاء الله رواه ابن ماجه وقوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم كما قال جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عليية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا عليه وسلم ألا هل من مشمر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا حظ لها هي ورب الكعبة نورا يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء بالليل والناس نيام ثم قال حديث غريب رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو الأشعري قاله أعلم وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها. فقام أعرابي فقال يا رسول الله لمن هي؟ فقال لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى مرفوعا نحوه وعن الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في فضة وملاطها المسك وحسبائها اللؤلؤ والياقوت وترايبها الزعفران من يدخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وروى عن ابن عمر أحمد من حديث سعد بن مجاهد الطائي عن أبي المدله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال لبننة ذهب ولبننة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله لي الوسيلة فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة رواه الطبراني وفي مسند الإمام حدثنا أحمد بن علي الأباري حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني حدثنا موسى بن أعين عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال: قال منزلة من الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنه إلا رجل واحد وأجود أن أكون أنا هو. وفي صحيح مسلم من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا صليتم علي فسلوا الله لي الوسيلة قيل يا رسول الله ما الوسيلة؟ فقال: أعلى درجة في الجنة لا ينالها له الوسيلة لقربه من العرش وهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة كما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن كعب عن الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في السماء أخرجه في الصحيحين ثم ليعلم أن أعلى منزلة في الجنة مكان يقال عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر مثله وللترمذي عن عبادة بن الصامت مثله وعن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وعند الطبراني والترمذي وابن ماجه من رواية زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضي الله إن في الجنة مائة درجة أعداها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألت الله فأسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط وأقام الصلاة وصام رمضان فإن حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو حبس في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا نخبر الناس؟ قال أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا أخرجه في الصحيحين وفيهما أيضا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله في جنة عدن وبه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا في السماء للمؤمن فيها الله عليه وسلم جنتان من ذهب آبيتها وما فيها وجنتان من فضة آبيتها وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه طيبة القرار كما جاء في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه قال: قال رسول الله صلى به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم في جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أي ماكتين فيها أبدا ومساكن طيبة أي حسنة البناء يخبر تعالى بما أعدّه للمؤمنين

تفسير ابن كثير

ومجاهد: مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم وقد يقال إنه لا منافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال والله أعلم. 73

وأذهب الفرق عنهم وقال الضحاك جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم وعن مقاتل والربيع مثله: وقال الحسن وقتادة في قوله جاهد الكفار والمنافقين قال بيده فإن لم يستطع فليكنه في وجهه. وقال ابن عباس أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وسيف للبلغاة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير وقال ابن مسعود ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وسيف للمنافقين جاهد الكفار والمنافقين أسياف: سيف للمشركون فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وسيف لكفار أهل الكتاب قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وأخبره

والنكال والهوان والصغار وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير أي ليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم لا يحصل لهم خيرا ولا يدفع عنهم شرا. 74

يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة أي وإن يستمروا على طريقهم يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا أي بالقتل والهيم والغم والآخرة أي بالعذاب بالله الآية وقوله عليه السلام ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرا فأغناه الله ثم دعاهم الله تبارك وتعالى إلى التوبة فقال فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن. وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب كقوله وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا الله أغناهم ببركته ويمن سعاده ولو تمت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاء به كما قال صلى الله عليه وسلم للأَنْصار ألم أجدكم ضاللا فهداكم الله بي؟ وكنتم وسلالة بن الحمام وهما من بني قينقاع أظهروا الإسلام. وقوله تعالى وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله أي وما للرسول عندهم ذنب إلا أن بن يزيد الطائي وأوس بن قيظي والحارث بن سويد وسعد بن زرارة وقيس بن فهد وسويد بن داعم بن الحبلي وقيس بن عمرو بن سهل وزيد بن اللصيت عن علي بن عبد العزيز عن الزبير بن بكار أنه قال: هم معتب بن قشير ووديعه بن ثابت وجد بن عبد الله بن نبتل بن الحارث من بني عمرو بن عوف والحارث وهم هؤلاء قد أطلعهم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره والله أعلم. وقد ترجم الطبراني في مسند حذيفة تسمية أصحاب العقبة ثم روى سراج من نار تظهر بين أكتافهم حتى ينجم في صدورهم. ولهذا كان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره أي من تعيين جماعة من المنافقين الله عليه وسلم أنه قال في أصحابي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط: ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذ وما رواه مسلم أيضا من حديث قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عباد عن عمار بن ياسر قال: أخبرني حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثه قالوا ما سمعنا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علمنا بما أراد القوم وقد كان في حرة يمشي فقال إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجد نخبر أنهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وعذر كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال أنشدكم بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم أخبره إذ سألك فقال كنا الطبراني قاله البيهقي ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم حدثنا زهير بن حرب حدثنا أبو أحمد الكوفي حدثنا الوليد بن جميع حدثنا أبو الطفيل قال: به صلوات الله وسلامه عليه وأمرهما أن يكتما عليهم وكذا روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق إلا أنه سمي جماعة منهم فالحه أعلم. وكذا قد حكى في معجم فرجع إليهم فحرب وجوه رواحهم ففزعوا ورجعوا مقبوحين وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة وعمار بأسمائهم وما كانوا هموا به من الفتك هو وحذيفة وعمار العقبة فقتلهم هؤلاء النفر الأزلون وهم مثلثون فأرادوا سلوك العقبة فأطلع الله على مرادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر حذيفة الأشهاد وهكذا روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحو هذا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يمشي الناس في بطن الوادي وصعد ما سمعنا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمنا ما أراد القوم فقال عمار أشهد أن الاثني عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال أربعة عشر رجلا فقال إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر قال فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا والله أرادوا أن ينفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فيطرحوه. قال فسأل عمار رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نشدتك بالله نزل ورجع عمار فقال يا عمار هل عرفت القوم؟ فقال لقد عرفت عامة الرواحل والقوم مثلثون قال هل تدري ما أرادوا؟ قال الله ورسوله أعلم قال الله عليه وسلم فأقبل عمار رضي الله عنه يضرب وجوه الرواحل فقال رسول الله لحذيفة قد قد حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما هبط أحد فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوقه عمار إذ أقبل رهط مثلثون على الرواحل فغشوا عمارا وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي الطفيل قال لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ العقبة فلا يأخذها رسول الله وما الدبيلة؟ قال شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك. وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يزيد أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع براس صاحبهم؟ قال لا أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمدا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم ثم قال اللهم ارمهم بالدبيلة قلنا يا قلنا لا قال أرادوا أن يزاحموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة فيلقوه منها قلنا يا رسول الله أفلا نبعث إلى عشارهم حتى يبعث إليك كل قوم فقال لنا رسول الله هل عرفتم القوم؟ قلنا لا يا رسول الله قد كانوا مثلثين ولكننا قد عرفنا الركاب قال هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة وهل تدرون ما أرادوا؟ أسوقه وعمار يقوده حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا بآثني عشر راكبا قد اعترضوه فيها قال فأنبهت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم فصرخ بهم فولوا مدبرين بن مرة عن أبي البخري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال كنت آخذا بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقود به وعمار يسوق الناقة أو أنا

تفسير ابن كثير

قال الضحاك ففيهم نزلت هذه الآية وذلك بين فيما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش عن عمرو وسلم وقد ورد أن نفرا من المنافقين هموا بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال السير وكانوا بضعة عشر رجلا عبدالله بن أبي هم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السدي نزلت في أناس أرادوا أن يتوجوا عبدالله بن أبي وإن لم يرض رسول الله صلى الله عليه وقوله وهموا بما لم ينالوا قيل أنزلت في الجلاس بن سويد وذلك أنه هم بقتل ابن امرأته حين قال لا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في فقال علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية. ظل شجرة فقال إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني الشيطان فإذا جاء فلا تكلموه. فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بن إسحق بن إبراهيم حدثنا عبدالله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في يقال له عمير بن سعد فأنكرها فحلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني أيوب الله يحلفون بالله ما قالوا الآية. وقال محمد بن إسحق كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس بن سويد بن الصامت فرفعها عليه رجل كان في حجره من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة أن أخلط بخطيئة أو تصيبني قارعة ما أخبرتك. قال فدعا الجلاس فقال يا جلاس أقلت الذي قاله مصعب؟ فحلف فأنزل وسلم بما قلت فأثيت النبي صلى الله عليه وسلم وخفت أن ينزل في القرآن أو تصيبني قارعة أو أن أخلط بخطيئة فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس قباء فقال الجلاس إن كان ما جاء به محمد حقا فنحن أشر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه أعلم من كلام ابن إسحاق نفسه لا كلام كعب بن مالك وقال عروة بن الزبير نزلت هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فزعموا أن الجلاس تاب فحسنت توبته ونزع فأحسن النزوع. هكذا جاء هذا مدرجا في الحديث متصلا به وكأنه والله ما قال ما قال عمير بن سعد ولقد كذب علي: فأنزل الله عز وجل فيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم إلى آخر الآية. فوقفه من الأخرى فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال الجلاس فلما بلغ ذلك الجلاس خرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فحلف بالله لن كان هذا الرجل صادقا فيما يقول لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد فقال والله يا جلاس إنك لأحب الناس إلي وأحسنهم عندي بلاء وأعزهم علي الجلاس بن سويد بن الصامت وكان على أم عمير بن سعد وكان عمير في حجره فلما نزل القرآن وذكرهم الله بما ذكر مما أنزل في المنافقين قال الجلاس والله ثم يكون ذنبا تستغفر الله منه وذكر الحديث بطوله إلى أن قال وكان ممن تخلف من المنافقين ونزل فيه القرآن منهم ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم جده قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذني قومي فقالوا إنك امرؤ شاعر فإن شئت أن تعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض العلة وأراد أن يذكر غيرها فذكرها والله أعلم قال الأموي في مغازيه: حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه عن ثم قال: قال ابن شهاب فذكر ما بعده عن موسى عن ابن شهاب والمشهور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق فلعل الراوي وهم في ذكر الآية بن إبراهيم بن عقبة إلى قوله هذا الذي أوفى الله له بإذنه ولعل ما بعده من قول موسى بن عقبة. وقد رواه محمد بن فليح عن موسى بن عقبة بإسناده القائل فأنزل الله هذه الآية تصديقا لزيد يعني قوله يحلفون بالله ما قالوا الآية. رواه البخاري في صحيحه عن إسماعيل بن أبي أويس عن إسماعيل لن كان صادقا فنحن شر من الحمير فقال زيد بن أرقم فهو والله صادق ولأنت شر من الحمار. ثم رفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجدده يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفى الله له بإذنه. قال وذلك حين سمع رجلا من المنافقين يقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وشك ابن الفضل في أبناء أبناء الأنصار قال ابن الفضل فسأل أنس بعض من كان عنده عن زيد بن أرقم فقال هو الذي رضي الله عنه يقول حزنتم على من أصيب بالحرّة من قومي فكتب إلي زيد بن أرقم وبلغه شدة حزني يذكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بالله ما قاله فأنزل الله فيه هذه الآية وروى إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة قال فحدثني عبدالله بن الفضل أنه سمع أنس بن مالك يأكله وقال: لن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فسأله فجعل يحلف أنه اقتتل رجلا من جهني وأنصاري فعلا الجهني على الأنصاري فقال عبدالله للأنصار ألا تنصروا أخاكم؟ والله ما مثله ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك وقوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم قال قتادة نزلت في عبدالله بن أبي وذلك فقال: اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان. 75 أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك؟ فقبض ولم يقبلها فلما ولي عثمان رضي الله عنه أتاه فاقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها. فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال: يا الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله وموضعي من الأنصار الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني. فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبض صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحسو على رأسه التراب فقال له رسول قال وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فأنزل الله عز وجل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية. فقرأه فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل

تفسير ابن كثير

أن نأخذ هذا منك فقال بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي له فأخذها منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني كتابكما حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا؟ انطلقا من المسلمين رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما ثعلبة يا ويح ثعلبة وأنزل الله جل ثناؤه خذ من أموالهم صدقة الآية. ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة عن الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة؟ فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال: يا ويح ثعلبة يا ويح ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحي حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحي عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت. قال والذي بعثك بالحق لن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت أن عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن جرير ههنا وابن أبي حاتم من حديث معن بن رفاعة عن علي بن زيد عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية من ذلك. وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصري أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب والأنصاري وقد ورد فيه حديث وليكون من الصالحين فما وفي بما قال ولا صدق فيما ادعى فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة. عياذا بالله يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لن أغناه من فضله ليصدقن من ماله

فقال: اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان. 76
أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك؟ فقبض ولم يقبلها فلما ولي عثمان رضي الله عنه أتاه فاقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها. فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال: يا الله صلى الله عليه وإله وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله وموضعي من الأنصار الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني. فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وإله وسلم أن يقبض صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحسو على رأسه التراب فقال له رسول قال وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فأخبره بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فأنزل الله عز وجل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن. الآية. كتابكما فقرأه فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال يا ويح ثعلبة نريد أن نأخذ هذا منك فقال بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي له فأخذها منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا؟ الصدقة من المسلمين رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذوا ثعلبة يا ويح ثعلبة وأنزل الله جل ثناؤه خذ من أموالهم صدقة الآية. ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة؟ فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال يا ويح جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحي حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحي عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت. قال والذي بعثك بالحق لن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت معاوية عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا قال فقال رسول الله صلى الله عليه حديث رواه ابن جرير ههنا وابن أبي حاتم من حديث معان بن رفاعة عن علي بن زيد عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بالله من ذلك وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصري أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب والأنصاري وقد ورد فيه ماله وليكون من الصالحين فما وفي بما قال ولا صدق فيما ادعى فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة. عياذا يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لن أغناه من فضله ليصدقن من

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان وله شواهد كثيرة والله أعلم. 77

وقوله تعالى بما أخلفوا الله ما وعده الآية. أي أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم كما في الصحيحين

تفسير ابن كثير

تصدقوا منها وشكروا عليها فإن الله أعلم بهم من أنفسهم لأنه تعالى علام الغيوب أي يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما بطن. 78 وقوله ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم الآية. يخبر تعالى أنه يعلم السر وأخفى وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهرها أنه إن حصل لهم أموال الجزاء من جنس العمل فعاملهم معاملة من سخر منهم انتصارا للمؤمنين في الدنيا وأعد للمنافقين في الآخرة عذابا أليما لأن الجزاء من جنس العمل. 79 أبي عقيل حباب ويقال عبدالرحمن بن عبدالله بن ثعلبة وقوله فيسخرهم منهم سخر الله منهم هذا من باب المقابلة على صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين لأن وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين. الآيتين. وكذا رواه الطبراني من حديث زيد بن الحباب به وقال اسم فانقلب بأحدهما إلى أهلي يتبلغون به وجئت بالآخر أتقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتيته فأخبرته فقال انثري في الصدقة قال فسخر القوم ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن موسى عن عبيد حدثني خالد بن يسار عن ابن أبي عقيل عن أبيه قال بت أجر الجرير على ظهري على صاعين من تمر الآية. ثم رواه عن أبي كامل عن أبي عوانة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه مراسلا قال قال ولم يسنده أحد إلا طالوت وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا؟ فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرهم منهم من تمر فقال يا رسول الله أصبت صاعين من تمر صاع أقرضه لربي وصاع لعيالي قال فلمزه المنافقون وقالوا ما أعطوا الذي أعطى ابن عوف إلا رياء وقالوا أقرضهما ربي وألفين لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بارك الله فيك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تصدقوا فإنني أريد أن أبعث بعثا قال فجاء عبدالرحمن بن عوف فقال يا رسول الله عندي أربعة آلاف ألفين فتضحكوا به فقالوا إن الله لغني عن صاع أبي عقيل وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا طلوت بن عباد حدثنا أبو عونة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي تمر فلمزوها وقالوا ما هذا إلا رياء وكان الذي تصدق بجهد أبي عقيل أخو بني أنيف الأراشي حليف بن عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رغب في الصدقة وحض عليها فقال عبدالرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف وقام عاصم بن عدي وتصدق بمائة وسق من وقال ابن إسحق كان من المطوعين من المؤمنين في الصدقات عبد عبدالرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف درهم وعاصم بن عدي أخو بني العجلان وذلك المسكين الذي جاء بالصاع من التمر فقال تعالى في كتابه الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية. وهكذا روى عن مجاهد وغير واحد وفيما أعطيت ولمزه المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبدالرحمن عطيته إلا رياء وهم كاذبون إنما كان به متطوعا فأنزل الله عز وجل وعذر صاحبه ما فعلت؟ قال نعم مالي ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربي وأما أربعة آلاف فلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بارك الله لك فيما أمسكت له عبدالرحمن بن عوف فإن عندي مائة أوقية من الذهب في الصدقات فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمجنون أنت؟ قال ليس بي جنون قال أفعلت بن عوف قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل بقي أحد من أهل الصدقات؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق أحد غيرك فقال الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينثره في الصدقات فسخر منه رجال وقالوا إن الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعون بصاعك من شيء ثم إن عبدالرحمن آخرهم بصاع من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول عن هذا الصاع. وقال العوفي عن ابن عباس إن رسول الله خرج إلى الناس يوما فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبدالرحمن بما جاء به إلا رياء وقالوا إن الله ورسوله لغنيان في العيش المجهد في العبادة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال جاء عبدالرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى رسول الله قالوا إلا من يا رسول الله؟ قال إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ثم قال قد أفلح المزهة المجهد ثلاثا. المزهة خير منه. قال فسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كذبت بل هو خير منك ومنها ثلاث مرات ثم قال ويل لأصحاب المئين من الإبل ثلاثا أدم ببعير ساقه لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها. فقال يا رسول الله أصدقة؟ قال نعم قال دونك هذه الناقة قال فلمزه رجل فقال هذا يتصدق بهذه والله لهي عمامتي لوأ أو لوئين وأنا أريد أن أتصدق بهما فأدركني ما يدرك ابن آدم فعقدت على عمامتي. فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلا أشد منه سوادا ولا أصغر منه ولا بالبقيع فقال: حدثني أبي أو عمي أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبقيع وهو يقول من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة قال فحللت من الآية. وفي رواه مسلم أيضا في صحيحه من حديث شعبة به وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد الجريري عن أبي السليل قال: وقف علينا رجل في مجلسنا على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغني عن صدقة هذا. فنزلت الذين يلمزون المطوعين حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو النعمان البصري حدثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا هذا مراء وإن جاء بشيء يسير قالوا إن الله لغني عن صدقة هذا. كما روى البخاري وهذا أيضا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبيهم ولمن هم في جميع الأحوال

قوله جبريل ميكائيل إسرافيل كأنه يقول لا يرقبون الله والقول الأول أظهر وأشهر وعليه الأكثر. وعن مجاهد أيضا الإل العهد. وقال قتادة الإل الحلف. 8 لا يرقبون الله ولا غيره وقال ابن جرير: حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سليمان عن أبي مجلز في قوله تعالى لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة مثل بن ثابت رضي الله عنه: وجدناهم كاذبا إليهم وذو الإل والعهد لا يكذب وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرقبون في مؤمن إلا: قال إلا الله وفي رواية عن ابن عباس: الآل القرابة والذمة العهد وكذا قال الضحاك والسدي كما قال تميم بن مقبل: أفسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الإل وأعراق الرحم وقال حسان صلى الله عليه وسلم ولأنهم لو ظهوروا على المسلمين وأدبلوا عليهم لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم إلا ولا ذمة قال علي بن أبي طلحة وعكرمة والعوفي

تفسير ابن كثير

يقول تعالى محرضا للمؤمنين على معاداتهم والتبري منهم ومبيناً أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى وكفرهم برسول الله

لهم سبعين مرة ولأستغفروا لهم سبعين وسبعين وكذا روي عن عروة بن الزبير ومجاهد بن جبير وقتادة بن دعامه ورواه ابن جرير بأسانيد. 80
عبدالله بن عبد الله إن الحباب اسم شيطان فانطلق معه حتى شاهده وألبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له أتصلي عليه؟ فقال: إن الله قال إن تستغفر
صلى الله عليه وسلم فقال إن أبي قد احتضر وأحب أن تحضره وتصلي عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله قال بل أنت
لعل الله أن يغفر لهم فقال الله من شدة غضبه سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم الآية وقال الشعبي لما ثقل عبدالله بن أبي انطلق ابنه إلى النبي
العوفي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفروا لهم أكثر من سبعين مرة
لهم لأن العرب في أساليب كلاهما تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها وقيل بل لها مفهوم كما روى
عليه وسلم بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للاستغفار وأنه لو استغفروا لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد قيل إن السبعين إنما ذكرت حسماً لمادة الاستغفار
يخبر تعالى نبيه صلى الله

كالمستجير من الرمضاء بالنار وقال الآخر: عمرك بالحمية أفنيته خوفاً من البارد والحار كان أولى لك أن تتقني من المعاصي حذر النار 81
لو كانوا يفقهون أي لو أنهم يفقهون ويفقهون لنفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر ليتقوا به من حر جهنم الذي هو أضعاف هذا ولكنهم كما قال الآخر:
الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب وقال تعالى في هذه الآية الكريمة قل نار جهنم أشد حراً
الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق وقال تعالى إن
والله أعلم والأحاديث والآثار النبوية في هذا كثيرة وقال الله تعالى في كتابه العزيز كلا إنها لظى نزاعة للشوى وقال تعالى يصب من فوق رؤوسهم
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذاباً رجل يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه وهذا إسناد جيد قوي رجاله على شرط مسلم
إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن ابن عجلان سمعت أبي عن أبي
يحيى بن أبي كثير حدثنا زهير بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يرى أن أحداً من أهل النار أشد عذاباً منه وإنه أهونهم عذاباً . أخرجه في الصحيحين من حديث الأعمش وقال مسلم أيضاً حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لمن له نعلان وشراكان من نار جهنم يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل لا
مائة ألف أو يزيدون وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لا تحترق المسجد ومن فيه غريب. وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير
حسان عن محمد بن شبيب عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان في هذا المسجد
لو أن شرارة بالمشرق أي من نار جهنم لوجد حرها من المغرب . وروى الحافظ أبو يعلى عن إسحاق بن أبي إسرائيل عن أبي عبيدة الحداد عن هشام بن
حتى اسودت فهي سوداء كالليل لا يضيء لهيبها . وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث تمام بن نجيح وقد اختلف فيه عن الحسن عن أنس رفعه
عن أنس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم نارا وقودها الناس والحجارة قال أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى احمرت وألف عام
محمد بن الحسين بن مكرم عن عبيد الله بن سعيد عن عمه عن شريك وهو ابن عبدالله النخعي به وروى أيضاً ابن مردويه من رواية مبارك بن فضالة عن ثابت
اسودت فهي سوداء كالليل المظلم ثم قال الترمذي لا أعلم أحداً رفعه غير يحيى. كذا قال وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه عن إبراهيم بن محمد عن
عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد الله على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى
وقد روى الإمام أبو عيسى الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس الدوري وعن يحيى بن أبي بكير عن شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله
وسلم قال إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت في البحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد . وهذا أيضاً إسناد صحيح
وستين جزءاً أخرجه في الصحيحين من حديث مالك به وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
صلى الله عليه وسلم قال. نار بني آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم فقالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال فضلت عليها بتسعة
إليها بمخالفتكم أشد حراً مما فررت منه من الحر بل أشد حراً من النار كما قال الإمام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله
شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلماذا قالوا لا تنفروا في الحر قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم نار جهنم التي تصيرون
وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا أي بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في
يقول تعالى ذاماً للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وفرحوا ببقودهم بعد خروجه

عطاشاً ونحن اليوم عطاش فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. فيدعون أربعين سنة لا يجيبهم ثم يجيبهم إنكم ما كنتم فييأسون من كل خير. 82
الدنيا هل تجدون اليوم من تستغيثون به؟ قال فيرفعون أصواتهم يا أهل الجنة يا معشر الآباء والأمهات والأولاد خرجنا من القبور عطاشاً وكنا طول الموقف
قال. إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زماناً ثم بكوا القيح زماناً قال فتقول لهم الخزنة يا معشر الأشقياء تركتم البكاء في الدار المرحوم فيها أهلها في
الأعمش عن يزيد الرقاشي به وقال الحافظ أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن العباس حدثنا حماد الجزري عن زيد بن رفيع رفعه
حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفناً أُرْجيت فيها لجرت. ورواه ابن ماجه من حديث
بن زيد حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون

تفسیر ابن کثیر

وعون العقيلي وزيد بن أسلم وقال الحافظ أبو يعلي الموصلي حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن أبي خدّاش حدثنا محمد بن جبير عن ابن المبارك عن عمران قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدا وكذا قال أبو رزين والحسن وقتادة والربيع بن خثيم ثم قال تعالى جل جلاله متوعدا هؤلاء المنافقين على صنيعهم هذا فليضحكوا قليلا. الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الدنيا

وهذا لا يستقيم لأن جمع النساء لا يكون بالياء والنون ولو أريد النساء لقال فاقعدوا مع الخوالم أو الخالفات ورجح قول ابن عباس رضي الله عنهما. 83
الآية وقوله تعالى فاقعدوا مع الخالفين قال ابن عباس أي الرجال الذين تخلفوا عن الغزاة وقال قتادة فاقعدوا مع الخالفين أي مع النساء قال ابن جرير
به أول مرة. الآية. فإن جزاء السيئة بعدها كما أن ثواب الحسنة الحسنة بعدها كقوله في عمرة الحديبية سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغامم لتأخذوها.
أبدا ولن تقتاتلوا معي عدوا أي تعزيزا لهم وعقوبة ثم علل ذلك بقوله إنكم رضيتم بالقعود أول مرة وهذا كقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا
أي ردك الله من غزوتك هذه إلى طائفة منهم قال قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج أي معك إلى غزوة أخرى فقل لن تخرجوا معي
يقول تعالى أمرا لرسوله عليه الصلاة والسلام فإن رجعت الله

[illegible]

تفسير ابن كثير

لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه: ومشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى أيامه ؟ قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت عليه قال أخر عني يا عمر إني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم الآية. عليه فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أعلى عدو الله عبدالله بن أبي القائل يوم كذا وكذا وكذا يعدد عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما توفي عبدالله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عن عبيد الله به وقد روى من حديث عمر بن الخطاب نفسه أيضا بنحو من هذا فقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني الزهري عن ابن عمر العمري به. وقال فضلى عليه وصلينا معه وأنزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية. وهكذا رواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة حماد بن أسامة به. ثم رواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر عن أنس بن عياض عن عبيد الله وهو على السبعين قال إنه منافق. قال فضلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل آية ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خيرني الله فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيده رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عبدالله بن أبي جاء ابنه عبدالله بن أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام الآية في عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين كما قال البخاري: حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: لما توفي منهم إذا مات وأن لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وإن كان سبب نزول أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصلي على أحد

أي ويريد أن يميتهم حين يميتهم على الكفر ليكون ذلك أنكى لهم وأشد لعذابهم. عياذا بالله من ذلك وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه. 85 أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. واختار ابن جرير قول الحسن وهو القول القوي الحسن. وقوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال الحسن البصري بزكاتها والنفقة منها في سبيل الله وقال قتادة هذا من المقدم والمؤخر تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال أychسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقوله إنما يريد يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم كما قال تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم الآية. 86 وفي الحرب أشباه النساء الفوارك؟ وقال تعالى في الآية الأخرى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد. أي علت ألسنتهم بالكلام الحد القوي في الأمن وفي الحرب أجبن شيء وكما قال الشاعر: في السلم أعيار أجفا وغلظة كان أمن كانوا أكثر الناس كلاما كما قال تعالى عنهم في الآية الأخرى فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين. ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف بعد خروج الجيش فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس وإذا يقول تعالى منكرا وذاما للمتخلفين عن الجهاد الناكليين عنه مع القدرة عليه ووجود السعة والطول واستأذنوا الرسول في القعود نكولهم عن الجهاد والخروج مع الرسول في سبيل الله فهم لا يفقهون أي لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه ولا ما فيه مضرة لهم فيجتنبوه. 87 وقوله وطبع على قلوبهم أي بسبب

آمنوا معه جاهدوا إلى آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم وقال وأولئك لهم الخيرات أي في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات العلى. 88 لما ذكر تعالى ذنب المنافقين وبين ثناءه على المؤمنين وما لهم في آخرتهم فقال لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا إلى آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم وقال وأولئك لهم الخيرات أي في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات العلى. 89 لما ذكر تعالى ذنب المنافقين وبين ثناءه على المؤمنين وما لهم في آخرتهم فقال لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا إلى آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم فقال وأولئك لهم الخيرات أي في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات العلى. 90 ثمنا قليلا يعني أنهم اعتاضوا عن اتباع آيات الله بما التهاوا به من أمور الدنيا الخسيسة فصدوا عن سبيله أي منعوا المؤمنين من من اتباع الحق. 9 يقول تعالى ذما للمشركين وحثا للمؤمنين على قتالهم اشتروا بآيات الله

كذبوا الله ورسوله أي وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار ثم أوعدهم بالعذاب الأليم فقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم. 90 بني غفار جاءوا فاعتذروا فلم يعذرهم الله وكذا قال الحسن وقتادة ومحمد بن إسحاق والقول الأول أظهر والله أعلم لما قدمنا من قوله بعده وقعد الذين الآية لأنه قال بعد هذا وقعد الذين كذبوا الله ورسوله أي لم يأتوا فيعتذروا وقال ابن جريج عن مجاهد وجاء المعذرون من الأعراب قال نفر من وكذا روى ابن عيينة عن حميد عن مجاهد سواء قال ابن إسحاق وبلغني أنهم نفر من بني غفار خفاف بن إيماء بن رخصة وهذا القول هو الأظهر في معنى القدرة على الخروج وهم من أحباء العرب ممن حول المدينة. قال الضحاك عن ابن عباس إنه كان يقرأ وجاء المعذرون بالتخفيف ويقول هم أهل العذر ثم بين تعالى حال ذوي الأعدار في ترك الجهاد الذين جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم لقد خلفتم بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا ولا سلكتم طريقا إلا شركوكم في الأجر حبسهم المرض. ورواه مسلم وابن ماجه من طرق عن الأعمش به. 91

تفسير ابن كثير

قالوا وهم بالمدينة؟ قال نعم حسبهم العذر وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية. وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا ولا سرتهم سيرا إلا وهم معكم ما أنفقتهم من نفقة ولا قطعتم واديا ولا نلتهم من عدو نبلا وقد شركوكم في الأجر. ثم قرأ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ما ينفقون وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن الأودي حدثنا وكيع عن الربيع عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما بن سارية الفزاري فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا إلا يجدوا الحمام بن الجموح أخو بني سلمة وعبدالله بن المغفل المزني وبعض الناس يقول بل هو عبدالله ابن عمرو المزني وحرمي بن عبدالله أخو بني واقف وعياض نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير وعليه بن زيد أخو بني حارثة وأبو ليلى عبدالرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن ابن عمرو والمزني وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك ثم إن رجلا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤون وهم سبعة بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبدالرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلى ومن بنى المعلى فضل الله ومن بني سلمة عمرو بن عتبة وعبدالله في قوله ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم نزلت في بني مكرم من مزينة وقال محمد بن كعب كانوا سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عوف ومن نفقة ولا محملا. فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه وقال ليس على الضعفاء إلى قوله فهم لا يعلمون وقال مجاهد ابن مغفل بن مقرن المزني فقالوا يا رسول الله أحملنا فقال لهم والله لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبيكون وعز عليهم أن يجلسوا عند الجهاد ولا يجدون وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبدالله أمرنا بالقتال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه إذا جاء أعمى فقال كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت ليس على الضعفاء الآية. عن ابن فروة عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أكتب براءة فإني لو اضع القلم على أذني إذ ورفعوا أيديهم فسقوا وقال قتادة نزلت هذه الآية في عائد بن عمرو المزني حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي حدثنا ابن جابر أستم مقرين بالإساءة؟ قالوا اللهم نعم اللهم أنا نسمعك تقول ما على المحسنين من سبيل اللهم وقد أقررنا بالإساءة فاغفر لنا وارحمنا واسقنا ورفع يديه بدأ بالذي للآخرة ثم تفرغ للذي للدنيا وقال الأوزاعي خرج الناس إلى الاستسقاء فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر: الله عنه قال: قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن الناصح لله؟ قال: الذي يؤثر حق الله على حق الناس وإذا حدث له أمران أو بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة وهم محسنون في حالهم هذا ولهذا قال ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم. وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي ثمامة رضي في سبيل الله أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ولم يرفجوا بالناس ولم يشبطوهم الذي لا يستطيع معه الجلال في الجهاد ومنه العمى والعرج ونحوهما ولهذا بدأ به ومنها ما هو عارض بسبب مرض عن له في بدنه شغله عن الخروج ثم بين تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف في التركيب

لقد خلفتم بالمدينة رجلا ما قطعتم واديا ولا سلكتم طريقا إلا شركوكم في الأجر حسبهم المرض. ورواه مسلم وابن ماجه من طرق عن الأعمش به. 92 قالوا وهم بالمدينة؟ قال نعم حسبهم العذر وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية. وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا ولا سرتهم سيرا إلا وهم معكم ما أنفقتهم من نفقة ولا قطعتم واديا ولا نلتهم من عدو نبلا وقد شركوكم في الأجر. ثم قرأ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ما ينفقون وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن الأودي حدثنا وكيع عن الربيع عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما بن سارية الفزاري فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا إلا يجدوا الحمام بن الجموح أخو بني سلمة وعبدالله بن المغفل المزني وبعض الناس يقول بل هو عبدالله ابن عمرو المزني وحرمي بن عبدالله أخو بني واقف وعياض نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير وعليه بن زيد أخو بني حارثة وأبو ليلى عبدالرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن ابن عمرو والمزني وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك ثم إن رجلا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤون وهم سبعة بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبدالرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلى ومن بنى المعلى فضل الله ومن بني سلمة عمرو بن عتبة وعبدالله في قوله ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم نزلت في بني مكرم من مزينة وقال محمد بن كعب كانوا سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عوف ومن نفقة ولا محملا. فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه وقال ليس على الضعفاء إلى قوله فهم لا يعلمون وقال مجاهد ابن مغفل بن مقرن المزني فقالوا يا رسول الله أحملنا فقال لهم والله لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبيكون وعز عليهم أن يجلسوا عند الجهاد ولا يجدون وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبدالله أمرنا بالقتال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه إذا جاء أعمى فقال كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت ليس على الضعفاء الآية. عن ابن فروة عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أكتب براءة فإني لو اضع القلم على أذني إذ ورفعوا أيديهم فسقوا وقال قتادة نزلت هذه الآية في عائد بن عمرو المزني حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي حدثنا ابن جابر أستم مقرين بالإساءة؟ قالوا اللهم نعم اللهم أنا نسمعك تقول ما على المحسنين من سبيل اللهم وقد أقررنا بالإساءة فاغفر لنا وارحمنا واسقنا ورفع يديه

تفسير ابن كثير

بدأ بالذي للآخرة ثم تفرغ للذي للدنيا وقال الأوزاعي خرج الناس إلى الاستسقاء فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر: الله عنه قال: قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن الناصح لله؟ قال: الذي يؤثر حق الله على حق الناس وإذا حدث له أمران أو بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة وهم محسنون في حالهم هذا ولهذا قال ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم. وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي ثمامة رضي في سبيل الله أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ولم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم الذي لا يستطيع معه الجلاء في الجهاد ومنه العمى والعرج ونحوهما ولهذا بدأ به ومنها ما هو عارض بسبب مرض عن له في بدنه شغله عن الخروج ثم بين تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف في التركيب على الذين يستأذنون في القعود وهم أغنياء وأنهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرحال وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون. 93 ثم رد تعالى الملامة

أعمالكم للناس في الدنيا ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون أي فيخبركم بأعمالكم خيرها وشرها ويجزيكم عليها. 94 إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم أي لن نصدقكم قد نبأنا الله من أخباركم أي قد أعلمنا الله أحوالكم وسيرى الله عملكم ورسوله أي سيظهر أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون فأعرضوا عنهم احتقارا لهم إنهم رجس أي خبت نجس بواطنهم واعتقاداتهم ومأواهم في آخرتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون أي من الآثام والخطايا. 95 ثم أخبر عنهم أنهم يحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم الله وطاعة رسوله فإن الفسق هو الخروج ومنه سميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها للإفساد ويقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها. 96 وأخبر أنهم إن رضوا عنهم بحلفهم لهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي الخارجين عن طاعة عليم بمن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم حكيم فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والإيمان والكفر والنفاق لا يسئل عما يفعل لعلمه وحكمته. 97 ما نقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة وقال ابن نمير من قلبك الرحمة. وقوله والله عليم حكيم أي وابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ قالوا نعم قالوا لكنا والله الأعراب لما في طباع الأعراب من الجفاء. حديث الأعرابي في تقبيل الولد قال حديث مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قال حدثنا أبو أسامة لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقيفي أو أنصاري أو دوسي. لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن مكة والطائف والمدينة واليمن فهم أطفأ أخلاقا من من قلبك إلا رجلا نوحى إليهم من أهل القرى ولما أهدى ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه أضعافها حتى رضي قال نعرفه إلا من حديث الثوري ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولا وإنما كانت البعثة من أهل القرى كما قال تعالى وما أرسلنا البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حسن غريب لا الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبي موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سكن ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال فقال زيد بن صوحان صدق الله الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله. وقال وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند فقال الأعرابي والله إن حديثك ليعجبني وإن يدك لترييني فقال زيد ما يريبك من يدي إنها الشمال؟ فقال الأعرابي والله وأشد وأجدر أي أخرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله كما قال الأعمش عن إبراهيم قال: جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه أخبر تعالى أن في الأعراب كفارا ومنافقين ومؤمنين وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم دائرة السوء أي هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم والله سميع عليم أي سميع لدعاء عباده عليم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان. 98 تعالى أن منهم من يتخذ ما ينفق أي في سبيل الله مغرما أي غرامة وخسارة ويتربص بكم الدوائر أي ينتظر بكم الحوادث والآفات عليهم وأخبر

قربة يتقربون بها عند الله ويبتغون دعاء الرسول لهم ألا إنها قربة لهم أي ألا إن ذلك حاصل لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم. 99 يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول هذا هو القسم الممدوح من الأعراب وهم الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله وقوله ومن الأعراب من

سورة 10

الكتاب الحكيم وقال الحسن التوراة والزبور وقال قتادة تلك آيات الكتاب قال الكتب التي كانت قبل القرآن. وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه. 1 في قوله تعالى الرأي أنا الله أرى. وكذلك قال الضحاك وغيره تلك آيات الكتاب الحكيم أي هذه آيات القرآن المحكم المبين وقال مجاهد الر تلك آيات أما الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم الكلام عليها في أوائل سورة البقرة وقال أبو الضحى عن ابن عباس

تفسير ابن كثير

كما يلهمون النفس وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تزايد نعم الله عليهم فتكرر وتعاد وتزداد فليس لها انقضاء ولا أمد فلا إله إلا هو ولا رب سواه. 10
بسببها وأنه المحمود في الأولى والآخرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة في جميع الأحوال ولهذا جاء في الحديث إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد ابتداء تنزيله حيث يقول تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب الحمد لله الذي خلق السموات والأرض إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول لله رب العالمين هذا فيه دلالة على أنه تعالى هو المحمود أبدا المعبود على طول المدى ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره وفي ابتداء كتابه وعند إلا قليلا سلاما سلاما وقوله سلام قولا من رب رحيم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم الآية وقوله وآخر دعواهم أن الحمد أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال سبحانه اللهم وهذه الآية فيها شبه من قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام الآية. وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما اللهم قال فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم مع كل خادم صحيفة من ذهب فيها طعام ليس في الأخرى قال فيأكل منهم كلهن وقال سفيان الثوري: إذا حمدوا الله ربهم فذلك قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقال مقاتل بن حيان: إذا أراد أهل الجنة أن يدعوا بالطعام قال أحدهم سبحانه الطير يشتهونه قالوا سبحانه اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما يشتهونه فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام قال فإذا أكلوا فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أي هذا حال أهل الجنة. قال ابن جريج أخبر أن قوله دعواهم فيها سبحانه اللهم قال إذا مر بهم دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم

ويجعل الرجس وهو الخبال والضلال علي الذين لا يعقلون أي حجج الله وأدلتها وهو العادل في كل ذلك في هداية من هدى وإضلال من ضل. 100
ولهذا قال تعالى وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله

والأرضية والرسول بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لا يؤمنون كقوله إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية. 101
سفهم ويجري بها برفق بتسخير القدير لا إله إلا هو ولا رب سواه. وقوله وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون أي وأي شيء تغني الآيات السماوية الأشكال والألوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب وما في البحر من العجائب والأمواج وهو مع هذا مسخر مذل للسالكين يحمل وزينتها وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها وأخرج فيها من أفانين الثمار والزرع والأزهار وصنوف النبات وما ذرأ فيها من دواب مختلفة والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما وإبلاج أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا ثم يقصر هذا ويطول هذا وارتفاع السماء واتساعها وحسنها تعالى عبادته إلى التفكير في آلائه وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الأبصار مما في السموات من كواكب نيرات ثوابت وسيارات يرشد

خلوا من قبلهم من الأمم الماضية المكذبة لرسولهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلا والذين آمنوا أي ونهلك المكذبين بالرسول. 102
أي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النعمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين

وكما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي. 103
كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين أي حقا أوجب الله على نفسه الكريمة كقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة

الله حقا فأنا لا أعبدها فادعوها فلتضرنني فإنها لا تضر ولا تنفع وإنما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وأمرت أن أكون من المؤمنين. 104
فأنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله وحده لا شريك له وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم ثم إليه مرجعكم فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من صفة ما جئتمكم به من الدين الحنيف الذي أوحاه الله إلي

العبادة لله وحده حنيفا أي منحرفا عن الشرك ولهذا قال ولا تكونن من المشركين وهو معطوف على قوله وأمرت أن أكون من المؤمنين. 105
وقوله وأن أقم وجهك للدين حنيفا الآية أي أخلص

لا يوجد تفسير لهذه الآية 106

أبي هريرة مرفوعا بمثله سواء وقوله وهو الغفور الرحيم أي لمن تاب إليه وتوكل عليه ولو من أي ذنب كان حتى من الشرك به فإنه يتوب عليه. 107
يصيب بها من يشاء من عباده وأسأله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم ثم رواه من طريق الليث عن عيسى بن موسى عن صفوان عن رجل من أشجع عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات ربكم فإن لله نفحات من رحمته العبادة وحده لا شريك له روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة صفوان بن سليم من طريق عبد الله بن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عيسى بن موسى وقوله وإن يمسسك الله بضر الآية فيه بيان لأن الخير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد فهو الذي يستحق ضل عنه وإنما يرجع وبال ذلك عليه وما أنا عليكم بوكيل أي وما أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين وإنما أنا نذير لكم والهداية على الله تعالى. 108
وسلم أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فيه فمن اهتدى به واتبعه فإنما يعود نفع ذلك الإتيان على نفسه ومن يقول تعالى أمرا لرسوله صلى الله عليه

إليك واصبر على مخالفة من خالفك من الناس حتى يحكم الله أي يفتح بينك وبينهم وهو خير الحاكمين أي خير الفاتحين بعدله وحكمته. 109
وقوله واتبع ما يوحى إليك واصبر أي تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه

تفسير ابن كثير

الآية هو قول الإنسان لولده أو ماله إذا غضب عليه: اللهم لا تبارك فيه والعنه. فلو يعجل لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب لهم في الخير لأهلكهم. 11 أحد فيه وهذا كقوله تعالى ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير الآية. وقال مجاهد في تفسير هذه الآية ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فيها إجابة فيستجيب لكم ورواه أبو داود من حديث حاتم بن إسماعيل به. وقال البزار وتفرد به عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري لم يشاركه بن الوليد حدثنا جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على أنفسكم لا تدعوا على أولادكم لا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا حاتم بن إسماعيل حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو جزرة عن عبادة الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم الآية أي لو استجاب لهم كل ما دعوه به في ذلك لأهلكهم ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك كما جاء في الحديث الذي لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفًا ورحمة كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم أو لأولادهم بالخير والبركة والنماء ولهذا قال ولو يعجل الله للناس بعبادته أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم وأنه يعلم منهم عدم القصد بالشر إلى إرادة ذلك فلماذا يخبر تعالى عن حلمه ولطفه

المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له: إن أصابته ضراء فصبر كأن خيرا له وإن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. 12 والساد والتوفيق والرشاد فإنه مستثنى من ذلك كقوله تعالى إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عجا لأمر من ذلك شيء مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ثم ذم تعالى من هذه صفته وطريقته فقال كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون فأما من رزقه الله الهداية الله في كشفها ورفعها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه وفي جميع أحواله فإذا فرج الله شدته وكشف كربته أعرض ونأى بجانبه وذهب كأنه ما كان به إذا مسه الشر وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض أي كثير وهما في معنى واحد وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها وأكثر الدعاء عند ذلك فدعا يخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه

أخبر تعالى عما أحل بالقرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات والحجج الواضحات. 13

يا ابن أم عمر فانظر كيف تعمل؟ وأما قوله فإني لا أخاف في الله لومة لائم فيما شاء الله وأما قوله شهيد فأني لعمر الشهادة والناس مطيفون به؟ 14 لا يخاف في الله لومة لائم وأما الثالثة فإنه شهيد. قال: فقال يقول الله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون فقد استخلفت الله صلى الله عليه وسلم نفسه فقض عليه الرؤيا حتى إذا بلغ ذرع الناس إلى المنبر بهذه الثلاث الأذرع قال: أما إحداهن فإنه كان خليفة وأما الثانية فإنه رؤيا لا أرب لنا فيها فلما استخلف عمر قال: يا عوف رؤياك؟ قال وهل لك في رؤياي من حاجة أو لم تنتهرني؟ قال ويحك إني كرهت أن تتع لخليفة رسول من السماء فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعيد فانتشط أبو بكر ثم ذرع الناس حول المنبر ففضل عمر بثلاثة أذرع حول المنبر فقال عمر: دعنا من حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة بهذا أنبأنا حماد عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عوف بن مالك قال لأبي بكر: رأيت فيما يرى النائم كأن سببا دلي خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فنادى كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء وقال ابن جرير: حدثني المثنى رسولا لينظر طاعتهم له واتباعهم رسوله وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدنيا حلوة ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم وأرسل إليهم

من تلقاء نفسي أي ليس هذا إلي إنما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ عن الله إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. 15 قالوا له أنت بقرآن غير هذا أي رد هذا وجننا بغيره من نمط آخر أو بدله إلى وضع آخر قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل ما يكون لي أن أبدله يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش الجاحدين المعرضين عنه أنهم إذا قرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وحجته الواضحة وأمانته وقد كانت مدة مقامه عليه السلام بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة وعن سعيد بن المسيب ثلاثا وأربعين سنة والصحيح المشهور الأول. 16 أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة: بعث الله فينا رسولا نعرف صدقه ونسبه أبو سفيان فقلت لا وكان أبو سفيان إذ ذاك رأس الكفرة وزعيم المشركين ومع هذا اعترف بالحق والفضل ما شهدت به الأعداء فقال له هرقل: فقد أعرف ملك الروم أبا سفيان ومن معه فيما سألهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم قال هرقل لأبي سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال علي شينا تغصوني به ولهذا قال: فقد لبث فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون أي أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل ولهذا لما سأل هرقل أني لست أتقوله من عندي ولا أفتريته أنكم عاجزون عن معارضته وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله عز وجل لا تنتقدون عليهم في صحة ما جاءهم به. قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به أي هذا إنما جئكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيتته وإرادته والدليل على ثم قال محتجا

من كذب بالحق الذي جاءت به الرسل وقامت عليه الحجج لا أحد أظلم منه كما جاء في الحديث أعتى الناس على الله رجل قتل نبيا أو قتله نبي. 17 إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله وقال في هذه الآية الكريمة ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون وكذلك بأولي البصائر والنهي وأصحاب العقول السليمة المستقيمة والحجا ولهذا قال الله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح أي أعلم أنك تكذب. فإذا كان هذا من مشرك في حال شركه لم يشتبه عليه حال محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه وحال مسيلمة لعنه الله وكذبه فكيف

تفسير ابن كثير

ثم قال وأنا قد أنزل علي مثله فقال وما هو؟ فقال: يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر وسائرك حفر نقر. كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم هذه المدة؟ فقال: لقد سمعت أصحابه يقرءون سورة عظيمة قصيرة فقال: وما هي فقال والعصر إن الإنسان لفي خسر إلى آخر السورة ففكر مسيلمة ساعة وكان صديقا له في الجاهلية وكان عمرو لم يسلم بعد فقال له مسيلمة ويحك يا عمرو ماذا أنزل على صاحبكم يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم في فلما فرغوا قال لهم الصديق رضي الله عنه ويحكم أين كان يذهب بعقولكم؟ والله إن هذا لم يخرج من إل وذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة ذلك فأبى عليهم إلا أن يقرءوا شيئا منه ليسمعه من لم يسمعه من الناس فيعرفوا فضل ما هم عليه من الهدى والعلم فقرءوا عليه من هذا الذي ذكرناه وأشباهه دين الله راغبين فسألهم الصديق خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنه أن يقرءوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة لعنه الله فسألوه أن يعفيهم من بها إلا على وجه السخرية والاستهزاء ولهذا أرغم الله أنفه وشرب يوم الحديقة حتفه ومزق شمله ولعنه صحبه وأهله. وقدموا على الصديق تأبين وجاءوا في والعاجنات عجنا والخابزات خبزا واللاقمات لقما إهالة وسمنا إن قريش قوم يعتدون. إلى غير ذلك من الخرافات والهذيان التي يأنف الصبيان أن يلفظوا أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا. وقوله خلده الله في نار جهنم وقد فعل: الفيل وما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل وقوله أبعد الله عن رحمته: وبين قول مسيلمة قبحه الله ولعنه: يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين. وقوله قبحه الله: لقد أنعم الله على الحبلى إذ القبيحة وقرآنه الذي يخلد به في النار يوم الحسرة والفضيحة وكم من فرق بين قوله تعالى الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم إلى آخرها مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر وأما مسيلمة فمن شاهده من ذوي البصائر علم أمره لا محالة بأقواله الركيكة التي ليست بفصيحة وأفعاله غير الحسنة بل فاكتفى هذا الرجل بمجرد هذا وقد أيقن بصدقه صلوات الله وسلامه عليه بما رأى وشاهد من الدلائل الدالة عليه وقال حسان بن ثابت: لو لم تكن فيه آيات والحج والصيام ويحلف عند كل واحدة هذه اليمين ويحلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: صدقت والذي بعثك بالحق لا أزيد على ذلك ولا أنقص قال الله قال: فبالذي رفع هذه السماء ونصب هذه الجبال وسطح هذه الأرض آله أرسلك إلى الناس كلهم؟ قال اللهم نعم ثم سأله عن الصلاة والزكاة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال له: من رفع هذه السماء؟ قال الله قال ومن نصب هذه الجبال؟ قال الله قال ومن سطح هذه الأرض؟ وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة بسلام ولما قدم وفد ضمام بن ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه بني سعد بن بكر الناس فكنت فيمن انجفل فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب قال فكان أول ما سمعته يقول يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام محمد صلى الله عليه وسلم وكذب مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي قال عبدالله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى وبين نصف الليل في حندس الظلماء فمن شيم كل منهما وأفعاله وكلامه يستدل من له بصيرة على صدق أو كاذبا فلا بد أن الله ينصب عليه من الأدلة على بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس فإن الفرق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين مسيلمة الكذاب يكن كذلك فليس أحد أكبر جرما ولا أعظم ظلما من هذا ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغبياء فكيف يشتبه حال هذا بالأنبياء؟ فإنه من قال هذه المقالة صادقا يقول تعالى لا أحد أظلم ولا أعنى ولا أشد إجراما ممن افترى على الله كذبا وتقول على الله وزعم أن الله أرسله ولم جرير: معناه أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟ ثم نزه نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم فقال سبحانه وتعالى عما يشركون. 18 ولا تنفع ولا تملك شيئا ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبدا ولهذا قال تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض وقال ابن ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله فأخبر تعالى أنها لا تضر تعالى أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعنت الكافرين. 19 وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك الآية أي لولا ما تقدم من الله ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان فبعث الله الرسل بآياته وبيناته ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث الناس كائن بعد أن لم يكن وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام. قال هذا لساحر مبین أي مع أنا بعثنا إليهم رسولا منهم رجلا من جنسهم بشيرا ونذيرا قال الكافرون إن هذا لساحر مبین أي ظاهرهم الكاذبون في ذلك. 2 العليا إليك وخلقنا لأولنا في طاعة الله تابع وقول ذي الرمة: لكم قدم لا ينكر الناس إنها مع الحسب العادي طمت على البحر وقوله تعالى قال الكافرون إن بن حيان وقال قتادة سلف صدق عند ربهم واختار ابن جرير قول مجاهد أن الأعمال الصالحة التي قدموها كما يقال له قدم في الإسلام كقول حسان: لنا القدم صدق عند ربهم قال الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسيبهم قال: ومحمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وكذا قال زيد بن أسلم ومقاتل أجرا حسنا بما قدموا وكذا قال الضحاك والربيع بن أنس وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهذا كقوله تعالى لينذر بأسا شديدا الآية. وقال مجاهد أن لهم قدم في قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق يقول سبقت لهم السعادة في الذكر الأول وقال العوفي عن ابن عباس أن لهم قدم صدق عند ربهم يقول بشرا مثل محمد قال فأُنزل الله عز وجل أكان للناس عجا الآية. وقوله أن لهم قدم صدق عند ربهم اختلفوا فيه فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال الضحاك عن ابن عباس لما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله لقومهما أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وقال تعالى مخبرا عن كفار قريش أنهم قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب يقول تعالى منكرا على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر كما أخبر تعالى عن القرون الماضية من قولهم أبشر يهودنا وقال هود وصالح وقوله أكان للناس عجا الآية.

تفسير ابن كثير

إلى ما سألوه لأنه لا فائده في جوابهم لأنه دأب على تعنتهم وعنادهم لكثرة فجورهم وفسادهم ولهذا قال فانتظروا إني معكم من المنتظرين. 20
السماء ساقط الآية وقال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين فمثل هؤلاء أقل من أن يجابوا
قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله الآية ولما فيهم من المكابرة كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الآية وقوله تعالى وإن يروا كسفا من
إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية الآية وقوله تعالى ولو أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء
علم الله منهم أنهم سألوا ذلك استرشادا وتبنيता لأجابههم ولكن علم أنهم إنما يسألون عنادا وتعنتا فتركهم فيما رابهم وعلم أنهم لا يؤمن منهم أحد كقوله تعالى
أشار بحضرتهم إلى القمر ليلة إبداره فانشق اثنتان فرقة من وراء الجبل وفرقة من دونه. وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية مما سألوا وما لم يسألوا ولو
أي إن كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتهم فانتظروا حكم الله في وفيكم. هذا مع أنهم قد شاهدوا من آياته صلي الله عليه وسلم أعظم مما سألوا حين
الله تعالى عليه وآله وسلم إلى الجواب عما سألوا فقل إنما الغيب لله أي الأمر كله لله وهو يعلم العواقب في الأمور فانتظروا إني معكم من المنتظرين
سألوا فإن آمنوا وإلا عذبوا وبين إنظارهم اختار إنظارهم كما حلم عنهم غير مرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولهذا قال تعالى إرشادا لنبيه صلى
يقول تعالى: إن سنتي في خلقي أي إذا أتيتهم ما سألوا فإن آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة. ولهذا لما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين إعطائهم ما
من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وكقوله وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الآية.
مكانها بساتين وأنهارا أو نحو ذلك مما الله عليه قادر ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله كما قال تعالى: تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري
الكفرة المكذبون المعاندون: لولا أنزل على محمد آية من ربه يعنون كما أعطى الله ثمود الناقة أو أن يحول لهم الصفا ذهابا أو يزيح عنهم جبال مكة ويجعل
أي ويقول هؤلاء

والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله ويحصونه عليه ثم يعرضون على عالم الغيب والشهادة فيجازيه على الجليل والحقير والنقيير والقطيمير. 21
بالكوكب وقوله قل الله أسرع مكرًا أي أشد استدراجا وإمهالا حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعذب وإنما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرة منه
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن
الله صلي الله عليه وسلم صلي بهم الصبح على أثر سماء كانت من الليل أي مطر ثم قال هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال قال
ونحو ذلك إذا لهم مكر في آياتنا قال مجاهد استهزاء وتكذيب كقوله وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما الآية وفي الصحيح أن رسول
يخبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم كالرخاء بعد الشدة والخصب بعد الجذب والمطر بعد القحط

الله مخلصين له الدين لمن أنجيتنا من هذه أي هذه الحال لنكونن من الشاكرين أي لا نشرك بك أحدا ولنفردنك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء. 22
بالدعاء والابتهال كقوله تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا وقال ههنا دعوا
الموج من كل مكان أي اغتلم البحر عليهم وظنوا أنهم أحيط بهم أي هلكوا دعوا الله مخلصين له الدين أي لا يدعون معه صنما ولا وثنا بل يفردون
في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها أي بسرعة سيرهم رافقين فبينما هم كذلك إذ جاءتها أي تلك السفن ريح عاصف أي شديدة وجاءهم
ثم أخبر تعالى أنه هو الذي يسيركم في البر والبحر أي يحفظكم ويكلؤكم بحراسته حتى إذا كنتم

أي مصيركم ومآلكم فنبنكم أي فنخبركم بجميع أعمالكم ونوفيكهم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. 23
يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم وقوله متاع الحياة الدنيا أي إنما لكم متاع في الحياة الدنيا الدنيئة الحقيرة ثم إلينا مرجعكم
أي إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحدا غيركم كما جاء في الحديث ما من ذنب أجدر من أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما
إذا هم يبعثون في الأرض بغير الحق أي كأن لم يكن من ذلك شيء كأن لم يدعنا إلى ضرر مسه ثم قال تعالى يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم
ههنا قال تعالى فلما أنجاهم أي من تلك الورطة

عباس بن عبد الله بن عباس: هكذا يقرؤها ابن عباس فأرسلوا إلى ابن عباس فقال: هكذا أقرأني أبي بن كعب وهذه قراءة غريبة وكأنها زيدت للتفسير. 24
يعني ابن الحكم يقرأ على المنبر: وإزيت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكهم إلا بذنوب أهلها قال: قد قرئتها وليست في المصحف فقال
جرير: حدثني الحارث حدثنا عبدالعزيز حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت مروان
به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا وكذا في سورة الزمر والحديد يضرب الله بذلك مثل الحياة الدنيا. وقال ابن
الله تعالى مثل الدنيا بنات الأرض في غير ما آية من كتابه العزيز فقال في سورة الكهف واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط
في زوال الدنيا من أهلها سريعا مع اغترارهم بها وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها وتفلتها عنهم فإن من طبعها الهرب ممن طلبها والطلب لمن هرب منها وقد ضرب
فأصبحوا في دراهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ثم قال تعالى كذلك نفصل الآيات أي نبين الحجج والأدلة لقوم يتفكرون فيعتبرون بهذا المثل
نعيم قط؟ فيقول لا ويؤتى بأشد الناس عذابا في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة ثم يقال له هل رأيت بؤسا قط؟ فيقول لا وقال تعالى إخبارا عن المهلكين
لم تنعم وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن. ولهذا جاء في الحديث يؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال له هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك
أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا أي يابسًا بعد الخضرة والنضارة كأن لم تغن بالأمس أي كأنها ما كانت حينما قبل ذلك وقال قتادة: كأن لم تغن كأن
قادرون عليها أي على جذائها وحصادها فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأبيست أوراقها وأتلفت ثمارها ولهذا قال تعالى أتاها

تفسير ابن كثير

زخرفها أي زينتها الفانية وازينت أي حسنت بما خرج في ربها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان وظن أهلها الذين زرعوها وغرسوها أنهم الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها وما تأكل الأنعام من آب وقضب وغير ذلك حتى إذا أخذت الأرض ضرب تبارك وتعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من

ما قل وكفى خير مما كثر وأهلي قال وأنزل في قوله يا أيها الناس هلموا إلى ربكم والله يدعو إلى دار السلام الآية. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. 25 رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم إن دخل الإسلام ومن دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها رواه ابن جرير وقال قتادة: حدثني خليل العصري عن أبي الدرداء مرفوعاً قال: قال ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فآله الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول فمن أجاب أحدهما لصاحبه اضرب له مثلاً فقال: اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك إنما مثلك ومثل أمك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مأدبة بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول والمأدبة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا حديث مرسل وقد جاء متصلاً من حديث الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن جابر دخل الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد والله السيد والدار الإسلام قلبك ولتسمع أذنك فنامت عيني وعقل قلبي وسمعت أذني ثم قيل لي مثلي ومثل ما جئت كمثل سيد بني داراً ثم صنع مأدبة وأرسل داعياً فمن أجاب الداعي والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم قال أيوب عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لي لتنم عينك وليعقل لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها رغب في الجنة ودعا إليها وسماها دار السلام أي من الآفات والنقائص والتكبات فقال

تعالى في حقهم فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا أي نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم جعلنا الله منهم بفضلهم ورحمته آمين. 26 المحشر كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من الفترة والفجرة ولا ذلة أي هوان وصغار أي لا يحصل لهم إهانة في الباطن ولا في الظاهر بل هم كما قال والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل ورواه ابن أبي حاتم أيضاً من حديث زهير به. وقوله تعالى ولا يرهق وجوههم فتر أي قتال وسواد في عرصات سمع أبا العالية حدثنا أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسن الحسنى الجنة قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر إلى وجه الرحمن عز وجل وقال أيضاً: حدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمر بن أبي سلمة سمعت زهيراً عن الهجيمي به وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جرير عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في إن الله وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل رواه أيضاً ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر الهذلي عن أبي تميم أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم مسلم وجماعة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة به وقال ابن جرير: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني شبيب عن أبان بن أبي تميم الهجيمي الجنة ويجرنا من النار؟ قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم وهكذا رواه الجنة الجنة وأهل النار النار نادى نادى يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عفان أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف بفضلهم ورحمته وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن والحوار والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم بل وقوله وزيادة هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضاً ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: الحسن في الدار الآخرة كقوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة الآية. 27 وجوههم في الدار الآخرة كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ولا واق يقبهم العذاب كقوله تعالى يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر وقوله كأنما أغشيت وجوههم الآية إخبار عن سواد تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رءوسهم الآيات. وقوله ما لهم من الله من عاصم أي مانع على ذلك وترهقهم أي تعثرهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها كما قال وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل الآية وقال تعالى ولا عن حال السعداء الذين يضاعف لهم الحسنات ويزدادون على ذلك عطف بذكر حال الأشقياء فذكر تعالى عدله فيهم وأنه يجازيهم على السيئة بمثلها لا يزيدهم لما أخبر تعالى

دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء الآية وقوله في هذه الآية إخباراً عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم. 28 بعبادتهم الآية وقوله إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن

تفسير ابن كثير

إخبارا عما يأمر به المشركين وأوثانهم يوم القيامة مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم الآية أنهم أنكروا عبادتهم وتبرءوا منهم كقوله كلا سيكفرون إلى الله تعالى أن يأتي لفصل القضاء ويريحنا من مقامنا هذا وفي الحديث الآخر نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس وقال الله تعالى في الآية الكريمة يتفرقون وفي الآية الأخرى يومئذ يصعدون أي يصيرون صاعدين وهذا يكون إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ولهذا قيل ذلك يستشفع المؤمنون أشركوا الآية أي الزموا أنتم وهم مكانا معينا امتازوا فيه عن مقام المؤمنين كقوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون وقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ ويوم نحشرهم أي أهل الأرض كلهم من جن وإنس وبر وفاجر كقوله وحشرناهم فلم تغادرهم أحدا ثم نقول للذين

رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والمشركون أنواع وأقسام قد ذكرهم الله في كتابه وبين أحوالهم وأقوالهم ورد عليهم فيما هم فيه أثم رد. 29 الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقال واسأل من أرسلنا قبلك من كتبه أمرا لعبادته وحده لا شريك له ناهيا عن عبادة ما سواه كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى أراد به تبرا منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه وقد تركوا عبادة الحي القيوم السميع البصير القادر على كل شيء العليم بكل شيء وقد أرسل رسله وأنزل رضىنا منكم بذلك وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئا ولم يأمرهم بذلك ولا رضى به ولا أي ما كنا نشعر بها ولا نعلم بها وإنما كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم والله شهيد بيننا وبينكم أنا ما دعوناكم إلى عبادتنا ولا أمرناكم بها ولا

من خلقهم ليقولن الله وقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها. 3 بالعبادة وحده لا شريك له أفلا تذكرون أي أيها المشركون في أمركم تعبدون مع الله إله غيره وأنتم تعلمون أنه المتفرد بالخلق كقوله تعالى ولئن سألتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وقوله ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون أي أفردوه أبي حاتم وقوله ما من شفيع إلا من بعد إذنه كقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم خلق السموات والأرض الآية لقيهم ركب عظيم لا يرون إلا أنهم من العرب فقالوا لهم من أنتم؟ قالوا من الجن خرجنا من المدينة أخرجتنا هذه الآية رواه ابن الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وقال الدراوردي عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة أنه قال حين نزلت هذه الآية إن ربكم الله الذي الكبير عن الصغير في الجبال والبحار والعرمان والقفار وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها الآية وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات يدبر أمر الخلائق لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا يشغله شأن عن شأن ولا تغلظه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا يلهيه تدبير حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت سعدا الطائي يقول: العرش ياقوتة حمراء وقال وهب بن منبه خلقه الله من نوره وهذا غريب وقوله يدبر الأمر أي كآلف سنة مما تعدون كما سيأتي بيانه ثم استوى على العرش والعرش أعظم المخلوقات وسقفها قال ابن أبي حاتم: حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا أبو أسامة يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام قيل كهذه الأيام وقيل كل يوم

وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وضل عنهم أي ذهب عن المشركين ما كانوا يفترون أي ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه. 30 القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت... الحديث وقوله وردوا إلى الله مولا لهم الحق أي ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل فصلها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمت من خير وشر وفسرها بعضهم بحديث لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسييا وقد قرأ بعضهم هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وفسرها بعضهم بالقراءة وفسرها نفس وتعلم ما سلف من عملها من خير وشر كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقال تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر وقال تعالى ونخرج له يوم أي في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل

له خاضعون لديه فيسقولون الله أي وهم يعلمون ذلك ويعترفون به فقل أفلا تتقون أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بأرائكم وجهلكم. 31 يفعل وهم يسئلون يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن فالملك كله العلوي والسفلي وما فيهما من ملائكة وإنس وجان فقيرون إليه عبيد عامة لذلك كله وقوله ومن يدبر الأمر أي من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يسئل عما الآية وقوله ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي أي بقدرته العظيمة ومنته العميمة وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك وأن الآية ولو شاء لذهب بها ولسلبك إياها كقوله تعالى قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار الآية وقال قل رأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم أله مع الله؟ فيسقولون الله أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه وقوله أمن يملك السمع والأبصار أي الذي وهبكم هذه القوة السامعة والقوة الباصرة أي من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر فيشق الأرض شقا بقدرته ومشينته فيخرج منها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحائق غلبا وفاكهة وأبا يحتج تعالى على المشركين باعترافيهم بوحديته وربوبيته على وحدانية وإلهيته فقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض

لا شريك له فأنى تصرفون أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء. 32 اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة فماذا بعد الحق إلا الضلال أي فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد الآية أي فهذا الذي

وحده الذي بعث رسله بتوحيده فلماذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكني النار كقوله قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. 33

تفسير ابن كثير

على الذين فسقوا الآية أي كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وقوله كذلك حقت كلمة ربك

الخلق خلقا جديدا قل الله هو الذي يفعل هذا ويستقل به وحده لا شريك له فأني توفكون أي فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل. 34
يبدأ الخلق ثم يعيده أي من بدأ خلق هذه السموات والأرض ثم ينشيء ما فيهما من الخلائق ويفرق أجرام السموات والأرض ويبدلها بفناء ما فيهما ثم يعيد وهذا إبطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره وعبدوا من الأصنام والأنداد قل هل من شركائكم من

وعدلتهم هذا بهذا وعبدتم هذا وهذا؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة؟ 35
ما تحتون والله خلقكم وما تعملون إلى غير ذلك من الآيات وقوله فما لكم كيف تحكمون أي ما بالكم أن يذهب بعقولكم كيف سويتهم بين الله وبين خلقه إلى شيء إلا أن يهدي لعماءه وبكمه كما قال تعالى إخبارا عن إبراهيم أنه قال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقال لقومه أتعبدون الله الذي لا إله إلا هو أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي إلا أن يهدي أي أفيترك العبد الذي يهدي إلى الحق ويبصر بعد العمى أم الذي لا يهدي من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أي أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضال وإنما يهدي الحيارى والضلال ويقلب القلوب من الغي إلى الرشد قل هل من شركائكم

أي توهم وتخيل وذلك لا يغني عنهم شيئا إن الله عليهم بما يفعلون تهديد لهم ووعد شديد لأنه تعالى أخبر أنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء. 36
ثم بين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلا ولا برهانا وإنما هو ظن منهم

بن أبي طالب فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وفصل ما بينكم أي خبر عما سلف وعما سيأتي وحكم فيما بين الناس بالشرع الذي يحبه الله ويرضاه. 37
فيه من رب العالمين أي وبيان الأحكام والحلال والحرام بياناً شافياً كافياً حقا لا مرية فيه من الله رب العالمين كما تقدم في حديث الحارث الأعور عن علي ولكن تصديق الذي بين يديه أي من الكتب المتقدمة ومهيمننا عليه ومبيننا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل وقوله وتفصيل الكتاب لا ريب لا يشبه كلام المخلوقين ولهذا قال تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله أي مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله ولا يشبه هذا كلام البشر على المعاني العزيزة الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله فكلامه هذا بيان لإعجاز القرآن وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله

قال ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا. 38
بإذن الله ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله. ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الله وأن هذا لا يستطيع لبشر إلا بإذن الله وكذلك عيسى عليه السلام بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى وأفهمهم له وأتبعهم له وأشهرهم له انقيادا كما عرف السحرة لعلمهم بفنون السحر أن هذا الذي فعله موسى عليه السلام لا يصدر إلا عن مؤيد مسدد مرسل من جاءهم من الله ما لا قبل لأحد به ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته وجزالته وطلاوته وإفادته وبراعته فكانوا أعلم الناس به لا يستطيعون ذلك أبدا فقال فإن لم تفعلوا فاتقوا النار الآية هذا وقد كانت الفصاحة من سجايهم وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب ولكن يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وكذا في سورة البقرة وهي مدنية تحداهم بسورة منه وأخبر أنهم أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ثم تنازل إلى سورة فقال في هذه السورة أم اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال في أول سورة هود دعواهم أنه من عند محمد فليعارضوه بنظير ما جاء به وحده وليستعينوا بمن شاءوا وأخبر أنهم لا يقدرُونَ على ذلك ولا سبيل لهم إليه فقال تعالى قل لئن هذا القرآن واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من إنس وجان وهذا هو المقام الثالث في التحدي فإنه تعالى تحداهم ودعاهم إن كانوا صادقين في في أن هذا من عند الله وقلتم كذبا مبينا إن هذا من عند محمد فمحمد بشر مثلكم وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن فأتوا أنتم بسورة مثله أي من جنس وقوله أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين أي إن ادعيتهم وافتريتهم وشككتهم

كيف كان عاقبة الظالمين أي فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلما وعلا وكفرا وعنادا وجهلا فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم. 39
يأتهم تأويله أي ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلا وسفها كذلك كذب الذين من قبلهم أي من الأمم السالفة فانظر وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله يقول بل كذب هؤلاء بالقرآن ولم يفهموه ولا عرفوه ولما

وحميم وظل من يحوم هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن. 4
أي بالعدل والجزاء الأوفى والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون أي بسبب كفرهم يعذبون يوم القيامة بأنواع العذاب من سموم كما بدأه ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط يخبر تعالى أن إليه مرجع الخلائق يوم القيامة لا يترك منهم أحدا حتى يعيده
يستحق الهداية فيهديه ومن يستحق الضلالة فيضلّه وهو العادل الذي لا يجور بل يعطي كلا ما يستحقه تبارك وتعالى وتقدس وتنزه لا إله إلا هو. 40

تفسير ابن كثير

- من يؤمن بهذا القرآن ويتبتكح ويتنتفع بما أرسلت به ومنهم من لا يؤمن به بل يموت على ذلك ويبعث عليه وربك أعلم بالمفسدين أي وهو أعلم بمن وقوله ومنهم من يؤمن به الآية أي ومن هؤلاء الذين بعثت إليهم يا محمد
- يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون إلى آخرها وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الآية. 41
- يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وإن كذبك هؤلاء المشركون فتبرأ منهم ومن عملهم فقل لي عملي ولكم عملكم كقوله تعالى قل وفي هذا كفاية عظيمة ولكن ليس ذلك إليك ولا إليهم فإنك لا تقدر على إسماع الأصم وهو الأطرش فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء إلا أن يشاء الله. 42
- وقوله ومنهم من يستمعون إليك أي يسمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم والأحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة في القلوب والأديان والأبدان صما وقلوبا غلغا وأضل به عن الإيمان آخرين فهو الحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لعلمه وحكمته وعدله. 43
- وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا الآية ثم أخبر تعالى أنه لا يظلم أحدا شيئا وإن كان قد هدى به من هدى وبصر به من العمى وفتح به أعينا عميا وآدانا كما ينظر غيرهم ولا يحصل لهم من الهداية شيء كما يحصل لغيرهم بل المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار وهؤلاء الكفار ينظرون إليك بعين الاحتقار إليك أي ينظرون إليك وإلى ما أعطاك الله من التؤدة والسمت الحسن والخلق العظيم والدلالة الظاهرة على نبوءتك لأولي البصائر والنهي وهؤلاء ينظرون ومنهم من ينظر
- آخره يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه رواه مسلم بطوله. 44
- ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل يا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا إلى أن قال في ولهذا قال تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون وفي الحديث عن أبي
- لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ولا خسارة أعظم من خسارة من فرق بينه وبين أحبته يوم الحسرة والندامة. 45
- أنساب بينهم الآية وقال تعالى ولا يسأل حميم حميما الآيات وقوله قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين كقوله تعالى ويل للمكذبين تعلمون وقوله يتعارفون بينهم أي يعرف الأبناء والأبء والقربات بعضهم لبعض كما كانوا في الدنيا ولكن كل مشغول بنفسه فإذا نفخ في الصور فلا الحياة الدنيا في الدار الآخرة كقوله قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة الآيتين وهذا كله دليل على استقصار يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وقال تعالى يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما الساعة وحصرهم من أجدانهم إلى عرصات القيامة ويوم يحشرهم الآية كقوله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وكقوله كأنهم يقول تعالى مذكرا للناس قيام
- ورواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن عقبة بن مكرم عن يونس بن بكير عن زياد بن المنذر عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد به نحوه. 46
- فقال رجل: يا رسول الله عرض عليك من خلق فكيف من لم يخلق؟ فقال صوروا لي في الطين حتى أني لأعرف بالإنسان منهم من أحكم بصاحبه حدثنا داود بن الجارود عن أبي السليل عن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي أمتي البارحة لدى هذه الحجرة أولها وآخرها فإلينا مرجعهم أي مصيرهم ومنقلبهم والله شهيد على أفعالهم بعدك وقد قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا أبو بكر الحنفي يقول تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم وإما نرينك بعض الذي نعدهم أي ننتقم منهم في حياتك لتقر عينك منهم أو نتوفينك
- الآخرون السابقون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق فأتمته إنما حازت قصب السبق بشرف رسولها صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين. 47
- كانت آخر الأمم في الخلق إلا أنها أول الأمم يوم القيامة يفصل بينهم ويقضي لهم كما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نحن أمة تعرض على الله بحضرة رسولها وكتاب أعمالها من خير وشر موضوع شاهد عليهم وحفظتهم من الملائكة شهود أيضا أمة بعد أمة وهذه الأمة الشريفة وإن ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قال مجاهد يعني يوم القيامة قضي بينهم بالقسط الآية كقوله تعالى وأشرق الأرض بنور ربها الآية فكل وقوله
- مشفقون منها ويعلمون أنها الحق أي كائنة لا محالة وواقعة وإن لم يعلموا وقتها عينا ولهذا أرشد تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى جوابهم. 48
- عن كفر هؤلاء المشركين في استعجالهم العذاب وسؤالهم عن وقته قبل التعيين مما لا فائدة لهم فيه كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا يقول تعالى مخبرا
- فإذا انقضى أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون كقوله ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها الآية ثم أخبر أن عذاب الله سيأتيهم بغتة. 49
- الله عليه فأنا عبده ورسوله إليكم وقد أخبرتكم بمجيء الساعة وأنها كائنة ولم يطلعني على وقتها ولكن لكل أمة أجل أي لكل قرن مدة من العمر مقدرة فقال قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الآية أي لا أقول إلا ما علمني ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يطلعني
- عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم وقوله نفصل الآيات أي نبين الحجج والأدلة لقوم يعلمون. 5
- وحجة بالغة كقوله تعالى وما خلقتنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وقال تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم

تفسير ابن كثير

السنين والحساب فبالشمس تعرف الأيام وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام ما خلق الله ذلك إلا بالحق أي لم يخلقه عبثا بل له حكمة عظيمة في ذلك الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقوله تعالى والشمس والقمر حسبانا الآية وقوله في هذه الآية الكريمة وقدره أي القمر منازل لتعلموا عدد في النقص حتى يرجع إلى حالته الأولى في تمام شهر كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا جعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقدر القمر منازل فأول ما يبدو صغيرا ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل إبداره ثم يشرع الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وجعل شعاع القمر نورا هذا فن وهذا فن آخر ففاوت بينهما لنلا يشتبها يخبر تعالى عما خلق من الآيات

فقال قل أرايتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا أي ليلا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون 50

بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون. 51
أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون يعني أنهم إذا جاءهم العذاب قالوا ربنا أبصرنا وسمعنا الآية وقال تعالى فلما رأوا نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون 52
ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد أي يوم القيامة يقال لهم هذا تبيكتا وتقريعا كقوله يوم يدعون إلى لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم وفي التغاين زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير. 53
له كن فيكون وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيتان أخريان يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد في سورة سبأ وقال الذين كفروا ترابا قل إي وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين أي ليس صيورتكم ترابا بمعجز الله عن إعادتكم كما بدأكم من العدم فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول يقول تعالى ويستخبرونك أحق هو أي الميعاد والقيامة من الأجداث بعد صيرورة الأجسام القيامة يود الكافر لو افتدى من عذاب الله بملء الأرض ذهبا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط أي بالحق وهم لا يظلمون. 54
ثم أخبر تعالى أنه إذا قامت

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأن وعده حق كائن لا محالة. 55

وأنه يحيي ويميت وإليه مرجعهم وأنه القادر على ذلك العليم بما تفرق من الأجسام وتمزق في سائر أقطار الأرض والبحار والقفار. 56
بما فيه كقوله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء الآية. 57
الشبه والشكوك وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس وهدى ورحمة أي يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم أي زاجر عن الفواحش وشفاء لما في الصدور أي من يقول تعالى ممثنا على

الله وبرحمته الآية وهذا مما يجمعون وقد أسنده الحافظ أبو القاسم الطبراني فرواه عن أبي زرعة الدمشقي عن حيوة بن شريح عن بقية فذكره. 58
أكثر من ذلك فجعل عمر يقول: الحمد لله تعالى ويقول مولا هذا والله من فضل الله ورحمته فقال عمر: كذبت ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى قل بفضل عن صفوان بن عمرو: سمعت أيفع بن عبد الله الكلاعي يقول لما قدم خراج العراق إلى عمر رضي الله عنه خرج عمر ومولى له فجعل عمر يعد الإبل فإذا هي خير مما يجمعون أي من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الداهية لا محالة كما قال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية وذكر بسنده عن بقية بن الوليد وقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا أي بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا فإنه أولى ما يفرحون به هو وقد أنكر الله تعالى على من حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء التي لا مستند لها ولا دليل عليها ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة. 59
الزعراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الأحوص وعن بهز بن أسد عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير عن أبي الأحوص به وهذا حديث جيد قوي الإسناد قال نعم قال فإن ما أتاك الله لك حل ساعد الله أشد من ساعدك وموسي الله أحد من موساك وذكر تمام الحديث ثم رواه عن سفيان بن عيينة عن أبي عليك وقال هل تنتج إبلك صحاحا أذناها فتعتمد إلى موسي فتقطع أذناها فتقول هذه بحر وتشق جلودها وتقول هذه صرم وتحرمها عليك وعلى أهلك وأنا رث الهيئة فقال هل لك مال؟ قلت نعم. قال من أي المال؟ قال قلت من كل المال من الإبل والرقيق والخيول والغنم فقال إذا أتاك الله مالا فليرحم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق سمعت أبا الأحوص وهو عوف بن مالك بن نضلة يحدث عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين فيما كانوا يحلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصايا كقوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا الآيات وقال الإمام أحمد: قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم: نزلت إنكارا على

في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب أي العقول: وقال ههنا لآيات لقوم يتقون أي عقاب الله وسخطه وعذابه. 6
انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون وقال أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض وقال إن الآية وقوله وما خلق الله في السموات والأرض أي من الآيات الدالة على عظمته تعالى كما قال وكأين من آية في السموات والأرض الآية وقوله قل

تفسير ابن كثير

عنه شيئا كقوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا وقال لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر الآية. وقال تعالى فالحق الإصباح وجعل الليل سكنا إن في اختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب وإذا ذهب هذا جاء هذا لا يتأخر

ها أنا ذا فانظر إلي ثم يقول من فضلي عليك أن أعتقك من النار وأبيحك جنتي وأزيرك ملائكتي وأسلم عليك بنفسي فيدخل هو ومن معه الجنة. 60

إليك وعزتك لقد أسهرت ليلي وأظلمات نهارتي شوقا إليك وحبا لك فيقول تبارك وتعالى: عبدي إنما عملت حبا لي وشوقا إلي فبتجلى له الرب جل جلاله ويقول من النار ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي فيدخل ومن معه الجنة. ثم يؤتي برجل من الصنف الثالث فيقول عبدي لماذا عملت؟ فيقول رب حبا لك وشوقا ويحمومها وما أعددت لأعدائك وأهل معصيتك فيها فأسهرت ليلي وأظلمات نهارتي خوفا منها فيقول عبدي إنما عملت ذلك. خوفا من ناري فإني قد أعتقتك فيدخل ومن معه الجنة قال ثم يؤتي برجل من الصنف الثاني فيقول عبدي لماذا عملت؟ فيقول يا رب خلقت نارا وخلقت أغلالها وسعيرها وسمومها شوقا إليها قال فيقول الله تعالى عبدي إنما عملت للجنة هذه الجنة فادخلها ومن فضلي عليك قد أعتقتك من النار ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي عبدي لماذا عملت؟ فيقول يا رب خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها فأسهرت ليلي وأظلمات نهارتي فضل على الناس قال إذا كان يوم القيامة يؤتي بأهل ولاية الله عز وجل فيقومون بين يدي الله عز وجل ثلاثة أصناف فيؤتي برجل من الصنف الأول فيقول: في تفسير هذه الآية: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا رباح حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا موسى بن الصباح في قوله عز وجل إن الله لذو على أنفسهم فيجعلون بعضا حلالا وبعضا حراما. وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم. وقال ابن أبي حاتم خلقه من المنافع في الدنيا ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم ولكن أكثرهم لا يشكرون بل يحرمون ما أنعم الله به عليهم ويضيقون إن الله لذو فضل على الناس قال ابن جرير في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا قلت ويحتمل أن يكون المراد لذو فضل على الناس فيما أباح لهم مما وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة أي ما ظنهم أن يصنع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة وقوله

نحن مشاهدون لكم راءون سامعون ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك 61

ولهذا قال تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه أي إذ تأخذون في ذلك الشيء هذه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة كما قال تعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم الآية وقال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها الآية وإذا كان هذا علمه بحركات في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب السارحة في قوله وما الأرض ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين كقوله وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة وأوان ولحظة وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في يخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يعلم

أحمد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان بن أبي صالح عن رجل عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم. 62

لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفزع الناس ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والحديث مطول وقال الإمام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تتصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا في الله يضع الله بن الخطاب والله أعلم وفي حديث الإمام أحمد عن أبي النضر عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وهذا أيضا إسناد جيد إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم رواه أيضا أبو داود من حديث جرير عن عمارة ابن الققعاع عن قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبههم؟ قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس زرعة عن عمرو بن جرير البجلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء رءوا ذكر الله ثم قال البزار وقد روى عن سعيد مرسلًا وقال ابن جرير حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا أبو فضيل حدثنا أبي عن عمارة بن الققعاع عن أبي يعقوب بن عبد الله الأشعري وهو القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله من أولياء الله؟ قال الذين من السلف أولياء الله الذين إذا رءوا ذكر الله وقد ورد هذا في حديث مرفوع كما قال البزار حدثنا علي بن حرب الرازي حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا وليا فلا خوف عليهم أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ولا هم يحزنون على ما وراءهم في الدنيا وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم فكل من كان تقيا كان لله

هو الفوز العظيم وقوله لا تبدل لكلمات الله أي هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة ذلك هو الفوز العظيم. 63

توعدون وقال تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك فخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء وأما بشراهم في الآخرة فكما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم البراء رضي الله عنه أن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب فقالوا أخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب غير غضبان بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وفي حديث

تفسير ابن كثير

بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا وابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير ويحيى بن أبي كثير وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم أنهم فسروا ذلك بالرؤيا الصالحة وقيل المراد بذلك عن سباع بن ثابت عن أم كرز الكعبية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وهكذا روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وسلم الرؤيا الحسنة هي البشرى يراها المسلم أو ترى له وقال ابن جرير حدثني أحمد بن حماد الدولابي حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه هكذا رواه من هذه الطريق موقوفا وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ثم رواه عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة أنه قال: الرؤيا الحسنة بشرى من الله وهي من المبشرات هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي في الآخرة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وقال أيضا ابن جرير حدثني محمد بن أبي حاتم المؤدب حدثنا عمار بن محمد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي حدثه عن عبدالرحمن بن جبر عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن فلينفث عن يساره ثلاثا وليكبر ولا يخبر بها أحدا. لم يخرجوه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب حدثني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع قال الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزء من تسعة وأربعين جزءا من النبوة فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا الناس عليه ويثنون عليه به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم وقال أحمد أيضا حدثنا حسن يعني الأشيب النبوة وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا بهز حدثنا حماد حدثنا أبو عمران عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر أنه قال يا رسول الله الرجل يعمل العمل ويحمده الآخرة فقد عرفنا بشرى الآخرة الجنة فما بشرى الدنيا؟ قال الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي جزء من أربعة وأربعين جزءا أو سبعين جزءا من بن خالد بن صفوان عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي عنها نبي الله فقال مثل ذلك ما سألتني عنها أحد قبلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن في المنام أو ترى له ثم رواه من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب أتى رجل عبادة بن الصامت فقال آية في كتاب الله أسألك عنها قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال عبادة ما سألتني عنها أحد قبلك سألت عن هذه الآية فذكره وقال ابن جرير حدثني أبو حميد الحمصي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عمر بن عمرو بن عبدالأخموشي عن حميد بن عبدالله المزني قال: الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير فذكره ورواه علي بن المبارك عن يحيى عن أبي سلمة قال: نبئنا عن عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتي أو قال أحد قبلك تلك الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران القطان عن يحيى بن أبي كثير به ورواه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد وكانوا يتفقون لهم البشرى فذكر نحوه سواء وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى عن أبي سلمة عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ابن جرير حدثني المثني حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح قال: سمعت أبا الدرداء سئل عن هذه الآية الذين آمنوا الجنة ثم رواه ابن جرير عن سفيان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر أنه سأل أبا الدرداء عن هذه الآية فذكر نحوه ما تقدم ثم قال عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشراه في الحياة الدنيا وبشراه في الآخرة عن أبي الدرداء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال: لقد سألت عن شيء ما سمعت أحدا سأل الصالحة يراها المسلم أو ترى له وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال الرؤيا

هو الفوز العظيم وقوله لا تبدل لكلمات الله أي هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة ذلك هو الفوز العظيم. 64
توعدون وقال تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك فخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء وأما بشراهم في الآخرة فكما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم البراء رضي الله عنه أن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب فقالوا أخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب غير غضبان بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وفي حديث بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا وابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير ويحيى بن أبي كثير وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم أنهم فسروا ذلك بالرؤيا الصالحة وقيل المراد بذلك سباع بن ثابت عن أم كرز الكعبية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وهكذا روى عن ابن مسعود وأبي هريرة الرؤيا الحسنة هي البشرى يراها المسلم أو ترى له وقال ابن جرير حدثني أحمد بن حماد الدولابي حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه عن رواه من هذه الطريق موقوفا وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رواه عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة أنه قال: الرؤيا الحسنة بشرى من الله وهي من المبشرات هكذا النبي صلى الله عليه وسلم لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي في الآخرة الجنة

تفسير ابن كثير

سنة وأربعين جزءا من النبوة. وقال أيضا ابن جرير حدثني محمد بن أبي حاتم المؤدب حدثنا عمار بن محمد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن عبدالرحمن بن جبر عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزءا من يساره ثلاثا وليكبر ولا يخبر بها أحدا. لم يخرجوه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب حدثني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزءا من تسعة وأربعين جزءا من النبوة فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه فلينفث حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن عبدالرحمن بن جبيرة عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا قال الناس عليه ويثنون عليه به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم وقال أحمد أيضا حدثنا حسن يعني الأشيب النبوة وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حماد حدثنا أبو عمران عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر أنه قال يا رسول الله الرجل يعمل العمل ويحمده الآخرة فقد عرفنا بشرى الآخرة الجنة فما بشرى الدنيا؟ قال الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي جزء من أربعة وأربعين جزءا أو سبعين جزءا من بن خالد بن صفوان عن عباد بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي عنها نبي الله فقال مثل ذلك ما سألتني عنها أحد قبلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن في المنام أو ترى له ثم رواه من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب أتى رجل عباد بن الصامت فقال آية في كتاب الله أسألك عنها قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال عباد ما سألتني عنها أحد قبلك سألت عن هذه الآية فذكره وقال ابن جرير حدثني أبو حميد الحمصي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عمر بن عمرو بن عبدالأخموشي عن حميد بن عبدالله المزني قال: الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير فذكره ورواه علي بن المبارك عن يحيى عن أبي سلمة قال: نبئنا عن عباد بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتي أو قال أحد قبلك تلك الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران القطان عن يحيى بن أبي كثير به ورواه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد وكانوا يتقون لهم البشرى فذكر نحوه سواء وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى عن أبي سلمة عن عباد بن الصامت أنه سأل رسول الله ابن جرير حدثني المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح قال: سمعت أبا الدرداء سئل عن هذه الآية الذين آمنوا الجنة ثم رواه ابن جرير عن سفيان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر أنه سأل أبا الدرداء عن هذه الآية فذكر نحوه ما تقدم ثم قال عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشره في الحياة الدنيا وبشره في الآخرة عن أبي الدرداء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال: لقد سألت عن شيء ما سمعت أحدا سأل الصالحة يراها المسلم أو ترى له وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال الرؤيا

واستعن بالله عليهم وتوكل عليه فإن العزة لله جميعا أي جميعها له ولرسوله وللمؤمنين هو السميع العليم أي السميع لأقوال عباده العليم بأحوالهم. 65 يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قول هؤلاء المشركين

المشركين يعبدون الأصنام وهي لا تملك شيئا لا ضرا ولا نفعا ولا دليل لهم على عبادتها بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخبرهم وكذبهم وإفكهم. 66 ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض وأن

ومصالحهم إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون أي يسمعون هذه الحجج والأدلة فيعتبرون بها ويستدلون على عظمتها خالقها ومقدرها ومسيرها. 67 ثم أخبر أنه الذي جعل لعباده الليل ليسكنوا فيه أي يستريحون من نصيبهم وكلهم وحركاتهم والنهار مبصرا أي مضيئا لمعاشهم وسعيهم وأسفارهم ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا. 68 أكيد وتهديد شديد كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن شيء مملوك له عبد له إن عندكم من سلطان بهذا أي ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان أتقولون على الله ما لا تعلمون إنكار ووعيد هو الغني أي تقدس عن ذلك هو الغني عن كل ما سواه وكل شيء فقير إليه له ما في السموات وما في الأرض أي فكيف يكون له ولد مما خلق وكل يقول تعالى منكرا على من ادعى أن له ولدا سبحانه

زعم أن له ولدا بأنهم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة فأما في الدنيا فإنهم إذا استدرجهم وأملى لهم متعهم قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ. 69 ثم توعد تعالى الكاذبين عليه المفتريين ممن

إليها نفوسهم. قال الحسن: والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها والشرعية فلا يأترون بها. 7 يخبر الله تعالى عن حال الأشقياء الذين كفروا بقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقائه شيئا ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأن

ثم نذيقهم العذاب الشديد أي الموجه المؤلم بما كانوا يكفرون أي بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم على الله فيما ادعوه من الإفك والزور. 70 متاع في الدنيا أي مدة قريبة ثم إلينا مرجعهم أي يوم القيامة

كما قال هود لقومه إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم الآية. 71

تفسير ابن كثير

تزعمون أنكم محقون فاقضوا إلي ولا تنظرون أي ولا تؤخروني ساعة واحدة أي مهما قدرتم فافعلوا فإني لا أباليكم ولا أخاف منكم لأنكم لستم على شيء أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله من صنم ووثن ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبسا بل افصلوا حالكم معي فإن كنتم بآيات الله أي بحججه وبراهينه فعلى الله توكلت أي فإني لا أبالي ولا أكف عنكم سواء عظم عليكم أو لا فأجمعوا أمركم وشركاءكم أي فاجتمعوا أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم أي عظم عليكم مقامي أي فيكم بين أظهركم وتذكيري إياكم أي على كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك نبأ نوح أي خبره مع قومه الذين كذبوه كيف أهلكهم الله ودمرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم ليحذر هؤلاء يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه واتل عليهم أي أخبرهم واقصص عليهم

علات وديننا واحد. أي وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت شرائعنا وذلك معنى قوله أولاد علات وهم الإخوة من أمهات شتى والأب واحد. 72 ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين أي من هذه الأمة ولهذا قال في الحديث الثابت عنه نحن معاصر الأنبياء أولاد وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون وقال خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم إن صلاتي ونسكي رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين. وقال تعالى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا وقال تعالى بالصالحين وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين وقال السحرة ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقالت بلقيس مسلمون وقال يوسف رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني تعالى عن إبراهيم الخليل إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصي بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم وتعددت مناهلهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال ابن عباس سبيلا وسنة فهذا نوح يقول وأمرت أن أكون من المسلمين وقال وأمرت أن أكون من المسلمين أي وأنا ممثله ما أمرت به من الإسلام لله عز وجل والإسلام هو دين الأنبياء جميعا من أولهم إلى آخرهم وإن تنوعت شرائعهم فإن توليتهم أي كذبتم وأدبرتم عن الطاعة فما سألتكم من أجر أي لم أطلب منكم على نصحي إياكم شيئا إن أجرى إلا على الله خلافت أي في الأرض وأغرقتا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين أي يا محمد كيف أنجين المؤمنين وأهلكنا المكذبين. 73 وقوله تعالى فكذبوه فنجيناه ومن معه أي على دينه في الفلك وهي السفينة وجعلناهم

الأنبياء والمرسلين فإنه إذا كان قد أصاب من كذب بتلك الرسل ما ذكره الله تعالى من العذاب والنكال فماذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك؟. 74 عشرة قرون كلهم على الإسلام وقال تعالى وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح الآية وفي هذا إنذار عظيم لمشركي العرب الذين كذبوا سيد الرسل وخاتم الأصنام فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح المكذبة للرسل وأنجى من آمن بهم وذلك من بعد نوح عليه السلام فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام على الإسلام إلى أن أحدث الناس عبادة تكذيبهم المتقدم هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم ممن بعدهم ويختم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم والمراد أن الله تعالى أهلك الأمم ما أرسلوا إليهم كقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم الآية. وقوله كذلك نطبع على قلوب المعتدين أي كما طبع الله على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب والأدلة والبراهين على صدق ما جاءهم به فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل أي فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسلهم بسبب تكذيبهم إياهم أو يقول تعالى ثم بعثنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات أي بالحجج

وملئه أي قومه بآياتنا أي حججنا وبراهيننا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين أي استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له وكانوا قوما مجرمين. 75 يقول تعالى ثم بعثنا من بعد تلك الرسل موسى وهارون إلى فرعون

مبين كأنهم قبحهم الله أقسموا على ذلك وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا الآية. 76 فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر

قال لهم موسى منكرنا عليهم اتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلق الساحرون. 77

والعناد والمكابرة حتى أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد وأغرقهم في صبيحة واحدة أجمعين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. 78 له شيء ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من الله وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها وصمم فرعون وملؤه قبحهم الله على التكذيب بذلك كله والجحد بعينه التي لا تنام ولم تزل المحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يد موسى شيئا بعد شيء ومرة بعد مرة مما يبهر العقول ويدهش الألباب ما لا يقوم له وتجههم على الله وعتا وبغى وأهان حزب الإيمان من بني إسرائيل والله تعالى يحفظ رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون ويحوطهما بعنايته ويحرسهما تعالى وليس له وزير سوى أخيه هارون عليه السلام فتمرد فرعون واستكبر وأخذته الحمية والنفس الخبيثة الأبية وقوى رأسه وتولى بركنه وادعى ما ليس ورزقه النبوة والرسالة والتكليم وبعثه إليه ليدعوه إلى الله تعالى ليعبده ويرجع إليه هذا ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسلطان فجاءه برسالة الله حذر من موسى كل الحذر فسخره القدر أن ربي هذا الذي يحذر منه على فراشه ومائدته بمنزلة الولد ثم ترعرع وعقد الله له سببا أخرجه من بين أظهرهم في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين. وكثيرا ما يذكر الله تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كتابه العزيز لأنها من أعجب القصص فإن فرعون قالوا أجنثنا لتلفتنا أي تشيننا عما وجدنا عليهم آباءنا أي الدين الذي كانوا عليه وتكون لكما أي لك ولهارون الكبرياء أي العظمة والرياسة

تفسير ابن كثير

أنه يستنصر بالسحار على رسول الله صلى الله عليه وسلم عالم الأسرار فخاب وخسر الجنة واستوجب النار وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم. 79 يحصل له من ذلك المرام وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون فظن فرعون أن فرعون لعنه الله أراد أن يبهرج على الناس ويعارض ما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين بزخارف السحرة والمشعوذين فانعكس عليه النظام ولم ذكر الله سبحانه قصة السحرة مع موسى عليه السلام في سورة الأعراف وقد تقدم الكلام عليها هناك وفي هذه السورة وفي سورة طه وفي الشعراء وذلك فإن مأواهم يوم معادهم النار جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر. 8 فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى. 80 موسى أن تكون البداءة منهم ليرى الناس ما صنعوا ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم. ولهذا لما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم قال لهم ذلك لأنهم لما اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فأراد وإنما

ثم يصب على رأس المسحور الآية التي من سورة يونس فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين. 81 يعني الدشتكي أخبرنا أبو جعفر الرازي عن ليث وهو ابن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى تقرأ فيه إناء فيه ماء سيبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا عبد الرحمن فعند ذلك قال موسى لما ألقوا ما جئتم به السحر إن الله

كره المجرمون والآية الأخرى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون إلى آخر أربع آيات وقوله إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى. 82 ويحق الله الحق بكلماته ولو

وإقامة المضاف إليه مقامه فقد أبعاد وإن كان ابن جرير قد حكاه عن بعض النحاة. ومما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن بقوله تعالى. 83 لكنه كان طاويا إلى فرعون متصلا به متعلقا بحباله ومن قال إن الضمير في قوله وملئهم عائد إلى فرعون وعظم الملك من أجل اتباعه أو بحذف آل فرعون وملئهم أي وأشرف قومهم أن يفتنهم ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الإيمان سوى قارون فإنه كان من قوم موسى فبغى عليهم عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى وهم بنو إسرائيل على خوف من فرعون فرعون حذر كل الحذر فلم يجد عنه شيئا ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى وقالوا أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا قال عسى ربكم أن يهلكوا واستبشروا به وقد كانوا يعرفون نعتة وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه ولهذا لما بلغ هذا على أقرب المذكورين وفي هذا نظر لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى عليه السلام أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات أبائهم واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون لعود الضمير قوله فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه يقول بني إسرائيل وعن ابن عباس والضحاك وقتادة الذرية القليل وقال مجاهد في قوله إلا ذرية من قومه قال هم أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في خوفا شديدا. قال العوفي عن ابن عباس فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم قال فإن الذرية التي آمنت لموسى من منه ومن ملئه أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر لأن فرعون لعنه الله كان جبارا عنيدا مسرفا في التمرد والعتو وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منه عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات إلا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى

إله إلا هو فاتخذة وكيلا وأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة إياك نعبد وإياك نستعين وقد امتثل بنو إسرائيل ذلك. 84 حسبه وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل كقوله تعالى فاعبده وتوكل عليه قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا رب المشرق والمغرب لا إسرائيل يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين أي فإن الله كاف من توكل عليه أليس الله بكاف عبده ومن يتوكل على الله فهو يقول تعالى مخبرا عن موسى أنه قال لبني

سلطنا عليهم فيفتنوا بنا وقال عبدالرزاق أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تسلطهم علينا فيفتنونا. 85 مجلز وأبي الضحى وقال ابن أبي نجيح وغيره عن مجاهد لا تعذبنا بأيدي آل فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا ولا أي لا تظفرهم بنا وتسلطهم علينا فيظنوا إنهم إنما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل فيفتنوا بذلك هكذا روى عن أبي

وقوله ونجنا برحمتك أي خلصنا برحمة منك وإحسان من القوم الكافرين أي الذين كفروا الحق وستره ونحن قد آمنا بك وتوكلنا عليك. 86

يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلية الكعبة يصلون فيها سرا وكذا قال قتادة والضحاك وقال سعيد بن جببر واجعلوا بيوتكم قبلة أي يقابل بعضها بعضا. 87 بيوتهم وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقال مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة أمروا أن عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله تعالى لهم أن يصلوا في

تفسير ابن كثير

أمر صلى أخرجه أبو داود ولهذا قال تعالى في هذه الآية واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين أي بالثواب والنصر القريب وقال العوفي وضيقوا عليهم أمروا بكثرة الصلاة كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه مجاهد وأبو مالك والربيع بن أنس والضحاك وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وأبوه زيد بن أسلم وكان هذا والله أعلم لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه أمروا أن يتخذوها مساجد وقال الثوري أيضا عن ابن منصور عن إبراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمرُوا أن يصلوا في بيوتهم وكذا قال واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فقال الثوري وغيره عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس واجعلوا بيوتكم قبلة قال بني إسرائيل من فرعون وقومه وكيفية خلاصهم منهم وذلك أن الله تعالى أمر موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يتبوءا أي يتخذوا لقومها بمصر بيوتا يذكر تعالى سبب إنجائه

إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ولهذا استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام فيهم هذه الدعوة التي أمن عليها أخوه هارون. 88 لله ولدينه على فرعون وملائه الذين تبين له أنهم لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء كما دعا نوح عليه السلام فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا حجارة وقوله واشدد على قلوبهم قال ابن عباس أي اطبع عليها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضبا عمر يا أبا حمزة أي شيء الطمس؟ قال: عادت أموالهم كلها حجارة فقال عمر بن عبدالعزيز لفلان له اثنتي بكيس فجاءه بكيس فإذا فيه حمص وبيض قد حول على عمر بن عبدالعزيز حتى بلغ وقال موسى ربنا إنك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا إلى قوله ربنا اطمس على أموالهم الآية. فقال حجارة وقال ابن أبي حاتم حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا يحيى بن أبي بكير عن أبي معشر حدثني محمد بن قيس أن محمد بن كعب قرأ سورة يونس وأبو العالية والربيع بن أنس جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت وقال قتادة بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي جعل سكرهم من خلقك ليظن من أغويته أنك إنما أعطيتهم هذا لحبك إياهم واعتنائك بهم ربنا اطمس على أموالهم قال ابن عباس ومجاهد أي أهلكها وقال الضحاك تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم استدراجا منك لهم كقوله تعالى لنفتنهم فيه وقرأ آخرون ليضلوا بضم الياء أي ليفتنن بما أعطيتهم من شئت وملأه زينة أي من أثاث الدنيا ومتاعها وأموالا أي جزيلة كثيرة في هذه الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك بفتح الياء أي أعطيتهم ذلك وأنت عليه السلام على فرعون وملئه لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلما وعلا وتكبرا وعتوا قال ربنا إنك أتيت فرعون هذا إخبار من الله تعالى عما دعا به موسى

لأمري وهي ألاستقامة قال ابن جريج يقولون إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة وقال محمد بن كعب وعلي بن الحسين أربعين يوما. 89 وهارون أمن وقال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما الآية. أي كما أجيبت دعوتكما فاستقيما على أمري قال ابن جريج عن ابن عباس فاستقيما فامضيا أي قد أجبنا كما فيما سألتما من تدمير آل فرعون. وقد يحتج بهذه الآية من يقول إن تأمين المأموم على قراءة الفاتحة ينزل منزلة قراءتها لأن موسى دعا فقال تعالى قد أجيبت دعوتكما قال أبو العالية وأبو صالح وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس دعا موسى وأمن هارون

ربهم بإيمانهم والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلزم صاحبه ويلاذه حتى يقذفه في النار وروي نحوه عن قتادة مرسله قاله أعلم. 9 قام من قبره يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت؟ فيقول أنا عملك فيجعل له نوره من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله تعالى يهديهم كما قال مجاهد في قوله يهديهم ربهم بإيمانهم قال يكون لهم نورا يمشون به وقال ابن جريج في الآية يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة إذا سببية فتقديره أي بسبب إيمانهم في الدنيا يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم حتى يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة. ويحتمل أن تكون للإستعانة هذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وامتلأوا ما أمروا به فعملوا الصالحات بأنه سيهديهم بإيمانهم يحتمل أن تكون الباء ههنا

بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون. 90 فرعون وغشيتة سكرات الموت فقال وهو كذلك أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فأمن حيث لا ينفعه الإيمان فلما رأوا وهم أولهم بالخروج منه أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد وجعلت الأمواج ترفعهم وتخضعهم وتراكت الأمواج فوق وقال لهم ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منا فاقتحموا كلهم عن آخرهم وميكايل في ساقته لا يترك منهم أحدا إلا ألحقه بهم فلما استوسقوا فيه وتكاملوا وديق حائل فمر إلى جانب حصان فرعون فحمحم إليها واقتحم جبريل البحر فاقتحم الحصان وراءه ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئا فتجلد لأمرانه بقية الألوان فلما رأى ذلك هاله وأحجم وهاب وهم بالرجوع وهيهات ولات حين مناص نفذ القدر واستجيبت الدعوة. وجاء جبريل عليه السلام على فرس لئلا يظنوا أنهم هلكوا وجاوزت بنو إسرائيل البحر فلما خرج آخرهم منه انتهى فرعون وجنوده إلى حافته من الناحية الأخرى وهو في مائة ألف أدهم سوى وأمر الله الريح فنشفت أرضه فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى وتخرق الماء بين الطرق كهينة الشبايب ليرى كل قوم الآخرين اتسع فأمره الله تعالى أن يضرب البحر بعصاه فضربه فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل العظيم وصار اثني عشر طريقا لكل سبط واحد أصحاب موسى عليه السلام عليه في السؤال كيف المخلص مما نحن فيه؟ فيقول إني أمرت أن أسلك ههنا كلا إن معي ربي سيهدين فعند ما ضاق الأمر الشمس فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون وذلك أنهم لما انتهوا إلى ساحل البحر وفرعون وراءهم ولم يبق إلا أن يقاتل الجمعان وألح فركب وراءهم في أبهة عظيمة وجيوش هائلة لما يريد الله تعالى بهم ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته فلحقوهم وقت شروق سوى الذرية وقد كانوا استعاروا من القبط حليا كثيرا فخرجوا به معهم فاشتد حنق فرعون عليهم فأرسل في المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليمة

تفسير ابن كثير

يذكر تعالى كيفية إغراقه فرعون وجنوده فإن بني إسرائيل لما خرجوا من مصر في صحبة موسى عليه السلام وهم فيما قيل ستمائة ألف مقاتل

ثقات وقد أرسل هذا الحديث جماعة من السلف قتادة وإبراهيم التيمي وميمون بن مهران ونقل عن الضحاك بن قيس أنه خطب بهذا للناس فإله أعلم. 91
الحال في فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له يعني فرعون. كثير بن زاذان هذا قال ابن معين لا أعرفه وقال أبو زرعة وأبو حاتم مجهول وباقي رجاله
كثير بن زاذان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل يا محمد لو رأيتني وأنا أغطه وأدس من
سفيان بن وكيع عن أبي خالد به موقوفا وقد روى من حديث أبي هريرة أيضا فقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة هو ابن أبي سعيد عن
الذي أمنت به بنو إسرائيل قال فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحال بجناحيه فيضرب به وجهه فيرمسه وكذا رواه ابن جرير عن
أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لما أغرق الله فرعون أشار بأصبعه ورفع صوته أمنت أنه لا إله إلا
بن عبد الله بن يعلى السقفي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رفعه أحدهما فكان الآخر لم يرفع فإله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا
عطاء وعدي عن سعيد عن ابن عباس رفعه أحدهما فكان الآخر لم يرفع فإله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر
أيضا من غير وجه عن شعبة به فذكر مثله وقال الترمذي حسن غريب صحيح ووقع في رواية عند ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن
عليه وسلم قال لي جبريل لو رأيتني وأنا أخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضا وابن جرير
حديث حسن وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله
من حال البحر فدسسته في فيه مخافة أن تناله الرحمة. رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم في تفاسيرهم من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذي
عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل قال لي جبريل لو رأيتني وقد أخذت
صلي الله عليه وسلم ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن
أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وهذا الذي حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في حاله ذلك من أسرار الغيب التي أعلم الله بها رسوله
وقد عصيت قبل أي أهدأ الوقت تقول وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه وكنت من المفسدين أي في الأرض الذين أضلوا الناس وجعلناهم
ولهذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال الآن

اليوم الذي تصومونه فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أتمم أحق بموسى منهم فصوموه. 92
حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا
خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون أي لا يتعظون بها ولا يعتبرون بها وقد كان إهلاكهم يوم عاشوراء كما قال البخاري حدثنا محمد بن بشار
آية أي لتكون لبني إسرائيل دليلا على موتك وهلاكك وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده وأنه لا يقوم لغضبه شيء ولهذا قرأ بعضهم لتكون لمن
بن شداد سوبا صحيحا أي لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه وقال أبو صخر بدرعك. وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها كما تقدم والله أعلم وقوله لتكون لمن خلفك
موته وهلاكه ولهذا قال تعالى فاليوم ننجيك أي نرفعك على نشز من الأرض ببدنك قال مجاهد بجسدك وقال الحسن بجسم لا روح فيه وقال عبد الله
شكوا في موت فرعون فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سوبا بلا روح وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع ليتحققوا
وقوله فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية قال ابن عباس وغيره من السلف إن بعض بني إسرائيل

مستدركه بهذا اللفظ وهو في السنن والمسانيد ولهذا قال الله تعالى إن ربك يقضي بينهم أي يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. 93
الأمة على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار. قيل من هم يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي. رواه الحاكم في
الله لهم وأزال عنهم اللبس وقد ورد في الحديث إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه
طبعا وشرعا وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم أي ما اختلفوا في شيء من المسائل إلا من بعد ما جاءهم العلم أي ولم يكن لهم أن يختلفوا وقد بين
على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولله الحمد والمنة وقوله ورزقناهم من الطيبات أي الحلال من الرزق الطيب النافع المستطاب
الكبيرة وصنفوا له القوانين وبسط هذا يطول. والغرض أن يدهم لم تزل على هذه البلاد إلى أن انتزعها منهم الصحابة رضي الله عنهم وكان فتح بيت المقدس
وصلوا إلى الشرق وصوروا الكنائس وأحلوا لحم الخنزير وغير ذلك مما أحدثوه من الفروع في دينهم والأصول ووضعوا له الأمانة الحقيرة التي يسمونها
مدينة قسطنطينية والقمامة وبيت لحم وكنائس ببلاد بيت المقدس ومدن حوران كبصرى وغيرها من البلدان بناءات هائلة محكمة وعبدوا الصليب من حينئذ
القليل من الرهبان فاتخذوا لهم الصوامع في البراري والمهامه والقفار واستحوذت يد النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم وبنى هذا الملك المذكور
في ذلك الزمان واشتهر على ما فيه من تبديل وتغيير وتحريف ووضع وكذب ومخالفة لدين المسيح ولم يبق على دين المسيح على الحقيقة منهم إلا
له الأساقفة منهم قوانين وشرعية بدعوا وأحدثوها فبنى لهم الكنائس والبيع الكبار والصغار والصوامع والهياكل والمعابد والقلايات وانتشر دين النصرانية
ثلثمائة سنة دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان في دين النصرانية وكان فيلسوفا قبل ذلك فدخل في دين النصارى قيل تقية وقيل حيلة ليفسده فوضعت
الحواريين بمشيئة الله وقدره فأخذه فصلبوه واعتقدوا أنه هو وما قتلوه بقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ثم بعد المسيح عليه السلام بنحو
السلام بملوك اليونان وكانت تحت أحكامهم ووشوا عندهم وأوحوا إليهم أن هذا يفسد عليكم الرعايا فبعثوا من يقبض عليه فرفعه الله إليه وشبه لهم بعض
ملوك اليونان فكانت تحت أحكامهم مدة طويلة وبعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام في تلك المدة فاستعانت اليهود قبهم الله على معاداة عيسى عليه

تفسير ابن كثير

وخرجوا بعدهما مع يوشع بن نون ففتح الله عليهم بيت المقدس واستقرت أيديهم عليها إلى أن أخذها منهم بختنصر حينما من الدهر ثم عادت إليهم ثم أخذها بيت المقدس وكان فيه قوم من العمالة فنكل بنو إسرائيل عن قتالهم فشردهم الله تعالى في التيه أربعين سنة ومات فيه هارون ثم موسى عليهما السلام من جنات وعيون الآيات ولكن استمروا مع موسى عليه السلام طالين إلى بلاد بيت المقدس وهي بلاد الخليل عليه السلام فاستمر موسى بمن معه طالبا فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقال في الآية الأخرى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل وقال كم تركوا وأورثنا القوم الذي كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه فإن الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية على بلاد مصر بكمالها كما قال الله تعالى يخبر تعالى عما أنعم به على بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية وقوله مبوأ صدق قيل هو بلاد

والإنجيل الآية. ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم. 94 عليه وسلم موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل . وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جببر والحسن البصري وهذا فيه تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم صلي الله قال قتادة بن دعامة بلغنا أن رسول الله صلي

والإنجيل الآية. ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم. 95 عليه وسلم موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل . وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جببر والحسن البصري وهذا فيه تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم صلي الله قال قتادة بن دعامة بلغنا أن رسول الله صلي

كما قال تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون. 96 ينفع نفسا إيمانها ولهذا لما دعا موسى عليه السلام على فرعون وملئه قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ولهذا قال تعالى إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم أي لا يؤمنون إيماناً ينفعهم بل حين لا

كما قال تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون. 97 ينفع نفسا إيمانها ولهذا لما دعا موسى عليه السلام على فرعون وملئه قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ولهذا قال تعالى إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم أي لا يؤمنون إيماناً ينفعهم بل حين لا

يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا إله إلا أنت قال فكشف عنهم العذاب وتمايم القصة سيأتي مفصلا في سورة الصافات إن شاء الله. 98 نزل بهم العذاب جعل يدور على رؤسهم كقطع الليل المظلم فمشوا إلى رجل من علمائهم فقالوا علمنا دعاء ندعوا به لعل الله أن يكشف عنا العذاب فقال قولوا روي عن ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جببر وغير واحد من السلف وكان ابن مسعود يقرؤها فهلا كانت قرية آمنت وقال أبو عمران عن أبي الجلد قال لما

الله منه الصدق من قلوبهم التوبة والندامة على ما مضى منهم كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم قال قتادة وذكر أن قوم يونس بنينوى الموصلى وكذا فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم كذب الله في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا إلى الله أربعين ليلة فلما عرف من العذاب الأخرى وهذا هو الظاهر والله أعلم. وقال قتادة في تفسير هذه الآية لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت إلا قوم يونس لما

كما هو مقيد في هذه الآية. والثاني فيها لقوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فأمنا فمعتناهم إلى حين فأطلق عليهم الإيمان والإيمان منقذ واختلف المفسرون هل كشف عنهم العذاب الأخرى مع الدنيوي أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط ؟ على قولين: أحدهما إنما كان ذلك في الحياة الدنيا فعندها رحمهم الله وكشف عنهم العذاب وأخروا كما قال تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين

جأروا إلى الله واستغاثوا به وتضرعوا له واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم قوم يونس وهم أهل نينوى وما كان إيمانهم إلا خوفا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعد ما عاينوا أسبابه وخرج رسولهم من بين أظهرهم فعندها ثم ذكر كثرة أمتة صلوات الله وسلامه عليه كثرة سدت الخافقين الشرقي والغربي والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا

على الأنبياء فجعل النبي يمر ومعه الفئام من الناس والنبي يمر معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد ثم ذكر كثرة أتباع موسى عليه السلام مجنون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون وفي الحديث الصحيح عرض قومه أو أكثرهم كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو يقول تعالى فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه

لست عليهم بمصيطن إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى هو الفعال لما يريد الهادي من يشاء المضل لمن يشاء لعلمه وحكمته وعدله. 99 ولكن الله يهدي من يشاء لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين إنك لا تهدي من أحببت فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب فذكر إنما أنت مذكر حتى يكونوا مؤمنين أي ليس ذلك عليك ولا إليك بل الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ليس عليك هداهم

تفسير ابن كثير

الجنة والناس أجمعين وقال تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهذا قال تعالى أفانت تكره الناس أي تلزمهم وتلجنهم فيما يفعله تعالى كقوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من يقول تعالى ولو شاء ربك يا محمد لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جنتهم به فآمنوا كلهم ولكن له حكمة

سورة 11

ما روى عن مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير ومعنى قوله من لدن حكيم خبير أي من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه خبير بعواقب الأمور. 1
وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا وأما قوله أحكمت آياته ثم فصلت أي هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى هذا معنى كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي عنه أن أبا بكر قال يا رسول الله ما شيبك؟ قال هود والواقعة. عمرو بن ثابت متروك وأبو إسحاق لم يدرك ابن مسعود والله أعلم. بسم الله الرحمن الرحيم في معجمه الكبير حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق الرابشي حدثنا عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق عن عبد الله بن مسعود رضي الله في الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت وفي رواية هود وأخواتها وقد روى من حديث ابن مسعود نحوه فقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني بن الحسن حدثنا سعيد بن سلام حدثنا عمر بن محمد عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبنتي هود وأخواتها: شيبنتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت. وفي رواية هود وأخواتها. وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا حجاج حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال قال أبو بكر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شيبك؟ قال شيبنتي هود والواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وقال أبو عيسى الترمذي سورة هود: قال الحافظ أبو يعلى حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن عكرمة قال:

نعمة بعد نقمة ليقولن ذهب السيئات عني أي يقول ما ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء إنه لفرح فخور أي فرح بما في يده بطر فخور على غيره. 10 وهكذا إن أصابته

مع أمهم وكيف أهلك الكافرين ونجي المؤمنين قال ذلك من أنباء القرى أي أخبارهم نقصه عليك منها قائم أي عامر وحصيد أي هالك. 100 لما ذكر تعالى خبر الأنبياء وما جرى لهم

تتبيب قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير تخسير وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم إنما كان باتباعهم تلك الآلهة فلماذا خسروا في الدنيا والآخرة. 101 بهم فما أغنت عنهم آلهتهم أوثانهم التي يعبدونها ويدعونها من دون الله من شيء ما نفعوهم ولا أنقذوهم لما جاء أمر الله بإهلاكهم وما زادوهم غير وما ظلمناهم أي إذ أهلكناهم ولكن ظلموا أنفسهم بتكذيبهم رسلنا وكفرهم

وسلم إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة الآية. 102 الظالمة المكذبة لرسولنا كذلك نفعل بأشباههم إن أخذه أليم شديد وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه يقول تعالى وكما أهلكنا أولئك القرون

الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها. 103 ذلك يوم مجموع له الناس أي أولهم وآخرهم كقوله وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وذلك يوم مشهود أي عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه موعودنا في الآخرة إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا وفي الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وقال تعالى فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين الآية وقوله يقول تعالى إن في إهلاكنا الكافرين وإنجائنا المؤمنين لآية أي عظة واعتبارا على صدق

انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم قامت الساعة ولهذا قال وما تؤخره إلا لأجل معدود أي لمدة مؤقتة لا يزداد عليها ولا ينتقص منها. 104 وقوله وما تؤخره إلا لأجل معدود أي ما تؤخر إقامة القيامة إلا لأنه قد سبقت كلمة الله في وجود أناس معدودين من ذرية آدم وضرب مدة معينة إذا

لم يفرغ منه؟ فقال على شيء قد فرغ منه يا عمر وجرت به الأقلام ولكن كل ميسر لما خلق له ثم بين تعالى حال الأشقياء وحال السعداء فقال: 105 ابن عمر عن عمر قال: لما نزلت فمنهم شقي وسعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله علام نعمل؟ علي شيء قد فرغ منه أم على شيء في الجنة وفريق في السعير وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: ثنا موسى بن حسان ثنا عبدالملك بن عمرو ثنا سليمان أبو سفيان ثنا عبدالله بن دينار عن

تفسير ابن كثير

ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وقوله فمنهم شقي وسعيد أي فمن أهل الجمع شقي ومنهم سعيد كما قال فريق أحد إلا بإذن الله كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقال وخشعت الأصوات للرحمن الآية. وفي الصحيحين من حديث الشفاعة يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه أي يوم يأتي يوم القيامة لا يتكلم

وشهيق قال ابن عباس: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر أي تنفسهم زفير وأخذهم النفس شهيق لما هم فيه من العذاب عياذا بالله من ذلك. 106 يقول تعالى لهم فيها زفير

أمامة صدي بن عجلان الباهلي ولكن سنده ضعيف والله أعلم. وقال قتادة: الله أعلم بثناياه وقال السدي هي منسوخة بقوله خالدين فيها أبدا. 107 من التابعين وعن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة في أقوال غريبة وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير عن أبي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو وجابر وأبي سعيد من الصحابة وعن أبي مجلز والشعبي وغيرهما في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الآية الكريمة. وقد روي في تفسيرها المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ولا يبق بعد ذلك في أصحاب الكبار ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط وقال يوما من الدهر لا إله إلا الله كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة والحسن أيضا أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبیین والمؤمنين حتي يشفعون كثيرا منها الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في كتابه واختار هو ما نقله عن خالد بن معدان والضحاك وقاتدة وابن سنان ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة حكاهما الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه زاد المسير وغيره من علماء التفسير ونقل ما دامت الأرض أرضا والسماء سماء. وقوله إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد كقوله النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قوله ما دامت السموات والأرض قال: لكل جنة سماء وأرض وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: البصري في قوله ما دامت السموات والأرض قال: يقول سماء غير هذه السماء وأرض غير هذه فما دامت تلك السماء وتلك الأرض. وقال ابن أبي حاتم: ذكر بما دامت السموات والأرض الجنس لأنه لا بد في عالم الآخرة من سموات وأرض كما قال تعالى يوم تبدل الأرض غير والأرض والسموات ولهذا قال الحسن لأت العير بأذناها. يعنون بذلك كله أبدا فحاطبهم جل ثناؤه وبما يتعارفونه بينهم فقال خالدين فيها ما دامت السموات والأرض قلت: ويحتمل أن المراد العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدا قالت هذا دائم دوام السموات والأرض وكذلك يقولون هو باق ما اختلف الليل والنهار وما سمر أبناء سمر وما خالدين فيها ما دامت السموات والأرض قال الإمام أبو جعفر بن جرير: من عادة

الجنة إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا. 108 بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وفي الصحيح أيضا فيقال يا أهل فعال لما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله عطاء غير مجذوذ وقد جاء في الصحيحين يؤتى أو شيء بل حتم له بالدوام وعدم الانقطاع كما بين هناك أن عذاب أهل النار في النار دائما مردود إلى مشيئة وأنه بعدله وحكمته عذبهم ولهذا قال إن ربك منها وعقب ذلك بقوله عطاء غير مجذوذ أي مقطوع قاله مجاهد وابن عباس وأبو العالية وغير واحد لئلا يتوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاع أو لبس عليهم دائما ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس. وقال الضحاك والحسن البصري: هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار ثم أخرجوا السموات والأرض إلا ما شاء ربك معنى الاستثناء ههنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمرا واجبا بذاته بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة يقول تعالى وأما الذين سعدوا وهم أتباع الرسل ففي الجنة أي فمأواهم الجنة خالدين فيها أي ماكثين فيها أبدا ما دامت

وإنما لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ما وعدوا من خير أو شر. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: لموفوهم من العذاب نصيبهم غير منقوص. 109 فيعذبهم عذابا لا يعذبه احدا وإن كان لهم حسنات فقد وفاهم الله إياها في الدنيا قبل الآخرة قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس وجهل وضلال فإنهم إنما يعبدون ما يعبد آباؤهم من قبل أي ليس لهم مستند فيما هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات وسيجزئهم الله على ذلك أتم الجزاء يقول تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء المشركون إنه باطل

والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال تعالى إن الإنسان خلق هلوعا الآيات. 11 الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له: إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وليس ذلك لأحد غير المؤمن ولهذا قال الله تعالى لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياهم وفي الصحيحين والذي نفسي بيده لا يقضي أي في الرخاء والعافية أولئك لهم مغفرة أي بما يصيبهم من الضراء وأجر كبير بما أسلفوه في زمن الرخاء كما جاء في الحديث والذي نفسي بيده قال الله تعالى إلا الذين صبروا أي على الشدائد والمكاره وعملوا الصالحات

لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون ثم أخبر تعالى أنه سيجمع الأولين والآخرين من الأمم ويجزيهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 110 إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فإنه قد قال في الآية الأخرى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان

تفسير ابن كثير

من ريك لقضى بينهم قال ابن جرير: لولا ما تقدم من تأجيله العذاب إلى أجل معلوم لقضى الله بينهم ويحتمل أن يكون المراد بالكلمة أنه لا يعذب أحدا فاختلف الناس فيه فمن مؤمن به ومن كافر به فلك بمن سلف من الأنبياء قبلك يا محمد أسوة فلا يغيظنك تكذيبهم لك ولا يهمنك ذلك ولولا كلمة سبقت ثم ذكر تعالى أنه أتى موسى الكتاب

- وحقيقتها صغيرها وكبيرها وفي هذه الآية قراءات كثيرة يرجع معناها إلى هذا الذي ذكرناه كما في قوله تعالى وإن كل لما جميع لدينا محضرون. 111 فقال وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير أي عليم بأعمالهم جميعا جليلها ونهى عن الطغيان وهو البغي إنه مصرعة حتى ولو كان على مشرك وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد فلا يغفل عن شيء ولا يخفي عليه شيء. 112 يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد رضيت بأعمالهم فتمسككم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون أي ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم ولا ناصر يخلصكم من عذابه. 113 وقال أبو العالية لا ترضوا بأعمالهم وقال ابن جرير عن ابن عباس: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا وهذا القول حسن أي لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد وقوله ولا تركزوا إلى الذين ظلموا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: لا تدهنوا وقال العوفي عن ابن عباس: هو الركون إلى الشرك.
- رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال بلى قال فإن هذا يأتي على ذلك تفرد به من هذا الوجه مستور. 114 بشر بن آدم وزيد بن أكرم قال: حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا مستور بن عباد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله ما تركت من حاجة ولا داجة فقال ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات عثمان بن عبد الرحمن يقال له الوقاصي فيه ضعف. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا ولد سعد بن أبي وقاص عن الزهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طلست لا إله إلا الله؟ قال هي أفضل الحسنات وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا هذيل بن إبراهيم الجماني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الزهري عن عن شمر بن عطية عن أشياخه عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أوصني قال إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها قال قلت يا رسول الله أمن الحسنات الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب عن ميمون بن أبي شبيب عن أبي ذر أن رسول للذاكرين وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ثم صلى الصلوات الخمس تحات خطاياها كما يتحات هذا الورق وقال وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل أن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى تحات ورقة ثم قال: يا أبا عثمان ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت ولم تفعله؟ قال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء الأمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا علي بن زيد عن أبي عثمان قال: كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة فأخذ منها غصنا يابساً فهزه حتى كيوم ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله على رسول الله وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وقال صلى الله عليه وسلم قال أين هذا الرجل القائل أقم في حد الله؟ قال أنا ذا قال أتممت الوضوء وصليت معنا أنفا؟ قال نعم. قال فإنك من خطيتك يقول أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أقم في حد الله مرة أو اثنتين فأعرض عنه رسول الله ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ النبي عبد الله بن أحمد بن سيبويه حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثني عمرو بن الحارث حدثني عبد الله بن سالم عن الزبيدي عن سليم بن عامر أنه سمع أبا أمامة وسلم فأخبره بما صنع فقال له استغفر ربك وصل أربع ركعات قال وتلا عليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية وقال ابن جرير: حدثني الله عليه وسلم بالمطر فوجد المرأة جالسة على غدير فدفع في صدرها وجلس بين رجليها فصار ذكره مثل الهدبة فقام نادما حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ذكر امرأة وهو جالس مع رسول الله فاستأذنه لحاجة فأذن له فذهب يطلبها فلم يجدها فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابن جرير عن طريق عن عبد الملك بن عمير به. وقال عبد الرزاق: حدثنا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة أن رجلا من أصحاب ثم قم فصل فأنزل الله عز وجل هذه الآية يعني قوله وأقم الصلاة طرفي النهار فقال معاذ أهي له خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال بل للمسلمين عامة من امرأة لا تحل له فلم يدع شيئا يصيبه الرجل من امرأته إلا قد أصابه منها غير أنه لم يجامعها؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وضوءا حسنا بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل أنه كان قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال: يا رسول الله ما تقول في رجل أصاب للناس عامة؟ قال للناس عامة وقال الحافظ أبو الحسن الدار قطني: حدثنا الحسين بن سهل المحاملي حدثنا يوسف بن موسى حدثنا جرير عن عبد الملك فقرأ علي رسول الله وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال إنسان: يا رسول الله له خاصة أم سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ حتى ظننت أني من أهل النار حتى تمنيت أني أسلمت ساعتئذ فأطرق رسول الله ساعة فنزل جبريل فقال أبو اليسر فجئت أبا بكر فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحدا قال فلم أصبر حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أخلفت رجلا غازيا في فقلت إن في البيت تمرا أجود من هذا فدخلت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت عمر فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحدا فلم أصبر حتى أتيت بن جرير من حديث قيس بن الربيع عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري قال: أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرا الله لي خاصة أم للناس عامة؟ فضرب يعني عمر صدره بيده وقال لا ولا نعمة عين بل للناس عامة فقال رسول الله صدق عمر وروى الإمام أبو جعفر ذلك قال فلعلها مغيبة في سبيل الله ونزل القرآن وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات إلى آخر الآية: فقال يا رسول

تفسیر ابن کثیر

الله؟ قال أجل قال فانت أبا بكر فسله. قال فأتاه فسأله فقال لعلها مغيبة في سبيل الله؟ فقال مثل قول عمر. ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مثل يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رجلا أتى عمر فقال: إن امرأة جاءت تباعه فأدخلتها الدولج فأصبت منها ما دون الجماع فقال ويحك لعلها مغيبة في سبيل البغدادي أنه أبو اليسر كعب بن عمرو وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس وعفان قالا: حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن علي بن زيد قال عفان: أنبأنا علي بن زيد عن للذاكرين فدعاه رسول الله فقرأها عليه. وعن ابن عباس أنه عمرو بن غزية الأنصاري التمار وقال مقاتل هو أبو نفيل عامر بن قيس الأنصاري وذكر الخطيب أهله إلا أنني لم أواقعه فلم يدر رسول الله ما يجيبه حتى نزلت هذه الآية وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان فلان ابن معتب رجلا من الأنصار فقال: يا رسول الله دخلت علي امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من خلف ظهره إلا كان زاده إلي النار إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب يامن جاره بوائقه قال قلنا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا حراما فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه الدنيا من يحب ولا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى عن مرة الهمداني عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي رواية عمر: يا رسول الله أله وحده أم للناس كافة؟ قال بل للناس كافة وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبان بن إسحق عن الصباح بن محمد ثم قال ردوه علي فردوه عليه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال معاذ: وفي ذلك فافعل بي ما شئت فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فذهب الرجل. فقال عمر لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه فأتبعه رسول الله بصره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أنني لم أجامعها قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طرق عن سماك بن حرب أنه سمع إبراهيم بن يزيد يحدث عن علقمة والأسود عن ابن مسعود قال: جاء رجل عن يزيد بن زريع بنحوه ورواه مسلم وأحمد وأهل السنن إلا أبا داود من طرق عن أبي عثمان النهدي واسمه عبدالرحمن بن مل به. ورواه الإمام أحمد ومسلم إن الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال لجميع أمتي كلهم هكذا رواه في كتاب الصلاة وأخرجه في التفسير عن مسدد أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الصلوات كفارات لما بينهن فإن الله قال إن الحسنات يذهبن السيئات. وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبي عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت كان يحدث أن أبا أيوب الأنصاري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة وقال أبو جعفر بن لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عباس عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد أن أبا رهم السمي زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات يمحو الله بهن الذنوب والخطايا وقال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو الطاهر وهو ابن سعيد قالا حدثنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر بن إسحاق مولى أنه قال أرايتم لو أن باب أحدكم نهرا غمرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيئا؟ قالوا: لا يا رسول الله قال كذلك الصلوات الخمس فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام الله عليه وسلم يتوضأ وضوئي هذا ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما بينه وبين صلاة الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينه مولى عثمان يقول: جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا عثمان بماء في إناء أظنة سيكون فيه قدر مد فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله صلى ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وروى الإمام أحمد وأبو جعفر بن جرير من حديث أبي عقيل زهرة بن معبد أنه سمع الحارث بن عفان أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال من توضأ وضوئي هذا بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان قال: كنت إذا سمعت من رسول الله حديثا نفعتني الله بما شاء أن ينفعني منه وإذا حدثني عنه أحد استحلفته فإذا حلف لي صدقته وحدثني أبو بكر وصدق أبو يذهبن السيئات يقول إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصلاة قبل غروبها وفي أثناء الليل قام عليه وعلي الأمة ثم نسخ في حق الأمة وثبت وجوبه عليه ثم نسخ عنه أيضا في قول والله أعلم. وقوله إن الحسنات والعشاء وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان. صلاة قبل طلوع الشمس المغرب والعشاء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما زلفا الليل المغرب والعشاء وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والضحاك إنها صلاة المغرب من الليل قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم: يعني صلاة العشاء وقال الحسن في رواية ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عنه وزلفا من الليل يعني زيد بن أسلم وقال الحسن في رواية وقتادة والضحاك وغيرهم هي الصبح والعصر وقال مجاهد: هي الصبح في أول النهار والظهر والعصر مرة أخرى وزلفا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وأقم الصلاة طرفي النهار قال يعني الصبح والمغرب وكذا قال الحسن وعبدالرحمن بن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله؟ قال بلى قال فإن هذا يأتي على ذلك تفرد به من هذا الوجه مستور. 115

تفسير ابن كثير

بشر بن آدم وزيد بن أكرم قالوا: حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا مستور بن عباد عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله ما تركت من حاجة ولا داجة فقال ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات عثمان بن عبد الرحمن يقال له الوقاصي فيه ضعف. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا ولد سعد بن أبي وقاص عن الزهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طلست لا إله إلا الله؟ قال هي أفضل الحسنات وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا هذيل بن إبراهيم الجماني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الزهري عن عن شمر بن عطية عن أشياخه عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أوصني قال إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها قال قلت يا رسول الله أمن الحسنات الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالف الناس بخلق حسن وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالف الناس بخلق حسن وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب عن ميمون بن أبي شبيب عن أبي ذر أن رسول للذاكرين وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ثم صلى الصلوات الخمس تحات خطايا كما يتحات هذا الورق وقال وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل أن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى تحت ورقة ثم قال: يا أبا عثمان ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت ولم تفعله؟ قال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء الأمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا علي بن زيد عن أبي عثمان قال: كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة فأخذ منها غصناً يابساً فهزه حتى كيوم ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله على رسول الله وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وقال صلى الله عليه وسلم قال أين هذا الرجل القائل أقم في حد الله؟ قال أنا ذا قال أتممت الوضوء وصليت معنا أنفاً؟ قال نعم. قال فإنك من خطيتك يقول أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أقم في حد الله مرة أو اثنتين فأعرض عنه رسول الله ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ النبي عبد الله بن أحمد بن سيبويه حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثني عمرو بن الحارث حدثني عبد الله بن سالم عن الزبيدي عن سليم بن عامر أنه سمع أبا أمامة وسلم فأخبره بما صنع فقال له استغفر ربك وصل أربع ركعات قال وتلا عليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل الآية وقال ابن جرير: حدثني الله عليه وسلم بالمطر فوجد المرأة جالسة على غدير فدفع في صدرها وجلس بين رجلها فصار ذكره مثل الهدبة فقام نادماً حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم ذكر امرأة وهو جالس مع رسول الله فاستأذنه لحاجة فأذن له فذهب يطلبها فلم يجدها فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابن جرير عن طريق عن عبد الملك بن عمير به. وقال عبد الرزاق: حدثنا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة أن رجلاً من أصحاب ثم قم فصل فأنزل الله عز وجل هذه الآية يعني قوله وأقم الصلاة طرفي النهار فقال معاذ أهي له خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال بل للمسلمين عامة من امرأة لا تحل له فلم يدع شيئاً يصيبه الرجل من امرأته إلا قد أصابه منها غير أنه لم يجامعها؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وضوءاً حسناً بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل أنه كان قاعداً عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال: يا رسول الله ما تقول في رجل أصاب للناس عامة؟ قال للناس عامة وقال الحافظ أبو الحسن الدار قطني: حدثنا الحسين بن سهل المحاملي حدثنا يوسف بن موسى حدثنا جرير عن عبد الملك فقرأ علي رسول الله وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال إنسان: يا رسول الله له خاصة أم سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ حتى ظننت أنني من أهل النار حتى تمنيت أني أسلمت ساعته فأتى رسول الله ساعة فنزل جبريل فقال أبو اليسر فجننت أبا بكر فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحداً قال فلم أصبر حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أخلفت رجلاً غازیاً في فقلت إن في البيت تمرأ أجود من هذا فدخلت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت عمر فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحداً فلم أصبر حتى أتيت بن جرير من حديث قيس بن الربيع عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري قال: أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرأ الله لي خاصة أم للناس عامة؟ فضرب يعني عمر صدره بيده وقال لا ولا نعمة عين بل للناس عامة فقال رسول الله صدق عمر وروى الإمام أبو جعفر ذلك قال فلعلها مغيبة في سبيل الله ونزل القرآن وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات إلى آخر الآية: فقال يا رسول الله؟ قال أجل قال فأتى أبا بكر فسأله فقال لعلها مغيبة في سبيل الله؟ فقال مثل قول عمر. ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مثل يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رجلاً أتى عمر فقال: إن امرأة جاءت تباعه فأدخلتها الدولج فأصبت منها ما دون الجماع فقال ويحك لعلها مغيبة في سبيل البغدادي أنه أبو اليسر كعب بن عمرو وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس وعفان قالوا: حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن علي بن زيد قال عفان: أنبأنا علي بن زيد عن للذاكرين فدعاه رسول الله فقرأها عليه. وعن ابن عباس أنه عمرو بن غزية الأنصاري التمار وقال مقاتل هو أبو نفيل عامر بن قيس الأنصاري وذكر الخطيب أهله إلا أنني لم أواقعها فلم يدر رسول الله ما يجيبه حتى نزلت هذه الآية وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان فلان ابن معتب رجلاً من الأنصار فقال: يا رسول الله دخلت علي امرأة فملت منها ما ينال الرجل من خلف ظهره إلا كان زاده إلي النار إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب يأمن جاره بوائقه قال قلنا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه الدنيا من يحب ولا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي رواية عمر: يا رسول الله أله وحده أم للناس كافة؟ قال بل للناس كافة وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبان بن إسحق عن الصباح بن محمد

تفسير ابن كثير

ثم قال ردوه علي فردوه عليه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال معاذ: وفي ذلك فافعل بي ما شئت فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فذهب الرجل. فقال عمر لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه فأتبعه رسول الله بصره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أنني لم أجامعها قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طرق عن سماك بن حرب أنه سمع إبراهيم بن يزيد يحدث عن علقمة والأسود عن ابن مسعود قال: جاء رجل عن يزيد بن زريع بنحوه ورواه مسلم وأحمد وأهل السنن إلا أبا داود من طرق عن أبي عثمان النهدي واسمه عبدالرحمن بن مل به. ورواه الإمام أحمد ومسلم إن الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال لجميع أمتي كلهم هكذا رواه في كتاب الصلاة وأخرجه في التفسير عن مسدد أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الصلوات كفارات لما بينهن فإن الله قال إن الحسنات يذهبن السيئات. وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبي عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت كان يحدث أن أبا أيوب الأنصاري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة وقال أبو جعفر بن لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن عباس عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد أن أبا رهم السمعي زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات يمحو الله بهن الذنوب والخطايا وقال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو الطاهر وهو ابن سعيد قال حدثنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر بن إسحاق مولى أنه قال أرايتم لو أن باب أحدكم نهرا غمرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيئا؟ قالوا: لا يا رسول الله قال كذلك الصلوات الخمس فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينه وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام الله عليه وسلم يتوضأ وضوئي هذا ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما بينه وبين صلاة الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينه مولى عثمان يقول: جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا عثمان بماء في إناء أظنه سيكون فيه قدر مد فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله صلى ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وروى الإمام أحمد وأبو جعفر بن جرير من حديث أبي عقيل زهرة بن معبد أنه سمع الحارث بن عفان أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال من توضأ وضوئي هذا بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان قال: كنت إذا سمعت من رسول الله حديثا نفعتني الله بما شاء أن ينفعني منه وإذا حدثني عنه أحد استحلفته فإذا حلف لي صدقته وحدثني أبو بكر وصدق أبو يذهبن السيئات يقول إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصلاة قبل غروبها وفي أثناء الليل قام عليه وعلي الأمة ثم نسخ في حق الأمة وثبت وجوبه عليه ثم نسخ عنه أيضا في قول والله أعلم. وقوله إن الحسنات والعشاء وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان. صلاة قبل طلوع الشمس المغرب والعشاء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما زلفا الليل المغرب والعشاء وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والضحاك إنها صلاة المغرب من الليل قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم: يعني صلاة العشاء وقال الحسن في رواية ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عنه وزلفا من الليل يعني زيد بن أسلم وقال الحسن في رواية وقتادة والضحاك وغيرهم هي الصبح والعصر وقال مجاهد: هي الصبح في أول النهار والظهر والعصر مرة أخرى وزلفا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وأقم الصلاة طرفي النهار قال يعني الصبح والمغرب وكذا قال الحسن وعبدالرحمن بن

ظلموا ما أترفوا فيه أي استمروا على ما هم عليه من المعاصي والمنكرات ولم يلتفتوا إلى إنكار أو لك حتى فجأهم العذاب وكانوا مجرمين. 116

يعمهم الله بعقاب ولهذا قال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم وقوله واتبع الذين منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وفي الحديث إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمته ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما قال تعالى ولتكن ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض وقوله إلا قليلا أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرا وهم الذين يقول تعالى فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير

يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين كما قال تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم وقال وما ريك بظلام العبيد. 117

ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها ولم

ومذاهبهم وآرائهم وقال عكرمة: مختلفين في الهدى. وقال الحسن البصري: مختلفين في الرزق يسخر بعضهم بعضا. والمشهور الصحيح الأول. 118

ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا وقوله ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك أي ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات ملهم ونحلهم يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان أو كفر كما قال تعالى ولو شاء

فضل حتى ينشئ الله لها خلقا يسكن فضل الجنة وأما النار فلا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع عليها رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك. 119

تفسير ابن كثير

فقال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء وقال للنار أنت عذابي أنتقم بك ممن أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فأما الجنة فلا يزال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ومنهم من يستحق النار وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين الجن والإنس وله الحجة البالغة والحكمة التامة. وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يخبر تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره لعلمه التام وحكمته النافذة أن ممن خلقه من يستحق الجنة وقد اختار هذا القول ابن جرير وأبو عبيد الفراء وعن مالك فيما روي عنه من التفسير ولذلك خلقهم قال للرحمة وقال قوم للاختلاف وقوله وتمت أبي رباح والأعمش وقال ابن وهب سألت مالكا عن قوله تعالى ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال فريق في الجنة وفريق في السعير شتى إلا من رحم ربك فمن رحم ربك غير مختلف فقيل له لذلك خلقهم قال خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لعذابه وكذا قال عطاء بن الاختلاف خلقهم كما قال الحسن البصري في رواية عنه في قوله ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال الناس مختلفون على أديان يخلقهم للعذاب وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة ويرجع معني هذا القول إلى قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقيل بل المراد وللرحمة من رحم ربك ولذلك خلقهم قال لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة كما قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: للرحمة خلقهم ولم رجلين اختصما إليه فأكثرنا فقال طائوس اختلفتما وأكثرتما فقال أحد الرجلين لذلك خلقنا فقال طائوس كذبت فقال أليس الله يقول ولا يزالون مختلفين إلا طلحة عن ابن عباس: خلقهم فريقين كقوله فمنهم شقي وسعيد وقيل للرحمة خلقهم قال ابن وهب: أخبرني مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن طائوس أن وأهل معصيته أهل فرقة وإن أجمعت ديارهم وأبدانهم وقوله ولذلك خلقهم قال الحسن البصري في رواية عنه وللإختلاف خلقهم وقال مكي بن أبي يزالون مختلفين يعني اليهود والنصارى والمجوس إلا من رحم ربك يعني الحنيفة وقال قتادة: أهل رحمة الله أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة وقال عطاء ولا طرق يشد بعضها بعضا إن اليهود اختلفت على إحدى وسبعين فرقة وأن النصارى اختلفت على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين وخاتم الرسل والأنبياء فاتبعوه وصدقوه ووازره فازوا بسعادة الدنيا والآخرة لأنهم الفرقة الناجية كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من إلا من رحم ربك أي إلا المرحومين من أتباع الرسل الذين تمسكوا بما أمروا به من الذين أخبرتهم به رسل الله إليهم ولم يزل ذلك دأبهم حتى كان النبي وقوله

به صدرك أن يقولوا أي لقولهم ذلك فإنما أنت نذير ولك أسوة بإخوانك من الرسل قبلك فإنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل. 12
الله عز وجل آتاء الليل وأطراف النهار كما قال تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون الآية وقال ههنا فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق رجلا مسحورا. فأمر الله تعالى رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه وأرشده إلى أن لا يضيق بذلك منهم صدره ولا يصدنه ذلك ولا يثنيه عن دعائهم إلى ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا يقول تعالى مسليا لرسوله الله صلى الله عليه وسلم عما كان يتعنت به المشركون فيما كانوا يقولونه عن الرسول كما أخبر تعالى عنهم في قوله وقالوا وكيف أنجاهم الله والمؤمنين بهم وأهلك الكافرين جاءك فيها قصص حق ونبا صدق وموعظة يرتدع بها الكافرون وذكرى يتذكر بها المؤمنون. 120
السورة قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة من السلف وعن الحسن في رواية عنه وقتادة في هذه الدنيا والصحيح في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء أعداء الكافرين كل هذا مما ثبت به فؤادك أي قلبك يا محمد ليكون لك بمن مضى من إخوانك المرسلين أسوة وقوله وجاءك في هذه الحق أي هذه المتقدمين من قبلك مع أمهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل يقول تعالى وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل

للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه على وجه التهديد اعملوا على مكانتكم أي على طريقتكم ومنهجكم إنا عاملون أي على طريقتنا ومنهجنا. 121
يقول تعالى أمرا رسوله أن يقول

له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون وقد أنجز الله لرسوله وعده ونصره وأيده وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم. 122
وانتظروا إنا منتظرون أي فستعلمون من تكون

بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن رباح عن كعب قال خاتمة التوراة خاتمة هود. آخر تفسير سورة هود عليه السلام ولله الحمد والمنة. 123
وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن جعفر عليه فإنه كاف من توكل عليه وأتاب إليه وقوله وما ربك بغافل عما تعملون أي ليس يخفى عليه ما عليه مكذوبك يا محمد بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم يخبر تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض وأنه إليه المرجع والمآب وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب فله الخلق والأمر فأمر تعالى بعبادته والتوكل كلام الرب تعالى لا يشبه كلام المخلوقين كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات. وذاته لا يشبهها شيء تعالى وتقدس وتنزه لا إله إلا هو ولا رب سواه. 13
ثم بين تعالى إعجاز القرآن وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ولا بعشر سور مثله ولا بسورة من مثله لأن

ما دعوتهم إليه فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك وأن هذا الكلام منزل من عند الله متضمن علمه وأمره ونهيه وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون. 14

تفسير ابن كثير

ثم قال تعالى فإن لم يستجيبوا لكم أي فإن لم يأتوا بمعارضة

الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وقد ورد في الحديث المرفوع نحو من هذا. 15 في اليهود والنصارى وقال مجاهد وغيره: نزلت في أهل الرياء وقال قتادة من كانت الدنيا همه ونيتته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى وحبط عمله الذي كان يعمل له لئلا يثاب في الآخرة من الخاسرين. وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وغير واحد وقال أنس بن مالك والحسن: نزلت نقيرا يقول من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمل إلا التماس الدنيا يقول الله تعالى: أو فيه الذي التمس في الدنيا من المثابة قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنهم لا يظلمون

درجات وأكبر تفضيلا. وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب. 16 وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها

وقال تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وقال تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين. 17 فيه من رب العالمين وقال تعالى ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون كقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين قال من الملل كلها وقوله فلا تك في مريه منه إنه الحق من ربك الآية أي القرآن حق من الله لا مرية ولا شك فيه قال تعالى ألم تنزيل الكتاب لا ريب وقال وقلمنا سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وجدت له تصديقا في القرآن حتي وجدت هذه الآية ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار فجعلت أقول أين مصداقه في كتاب الله؟ السخيتاني عن سعيد بن جبير قال: كنت لا أسمع بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم علي وجهه إلا وجدت مصداقه أو قال تصديقه في القرآن فبلغني عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار وقال أيوب تعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله اختلاف أولانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن كما قال تعالى لأندركم به ومن بلغ وقال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول إليكم جميعا وقال ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده أي ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركهم وكافرهم وأهل الكتاب وغيرهم ومن سائر طوائف بني آدم علي من الله بهم فمن آمن بها حق الإيمان قادة ذلك إلى الإيمان بالقرآن ولهذا قال تعالى أولئك يؤمنون به ثم قال تعالى متوعدا لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه ومن قبله كتاب موسى أي ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة إماما ورحمة أي أنزل الله تعالى إلي تلك الأمة إماما لهم وقدوة يقتدون بها ورحمة علي بيته من ربه ويتلوه شاهد منه وهو القرآن بلغه جبريل إلي النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلي أمته ثم قال تعالى هو الحق وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة وما يشهد من حيث الجملة والتفاصيل تؤخذ من الشريعة والفطرة تصدقها وتؤمن بها لهذا قال تعالى أفمن كان لأن كلا من جبريل ومحمد صلوات الله عليهما بلغ رسالة الله تعالى فجبريل إلي محمد ومحمد إلي الأمة وقيل هو علي وهو ضعيف لا يثبت له قائل ولأول قوله تعالى ويتلوه شاهد منه أنه جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه والحسن وقتادة هو محمد صلى الله عليه وسلم وكلاهما قريب في المعني محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين لهذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية والضحاك وإبراهيم النخعي والسدي وغير واحد في باق علي هذه الفطرة وقوله ويتلوه شاهد منه أي وجاءه شاهد من الله وهو ما أوحاه إلي الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وفي المسند والسنن كل مولود يولد علي هذه الملة حتي يعرب عنه لسانه الحديث فالمؤمن عياض بن حماد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم مولود يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ الحديث وفي صحيح مسلم عن هو كما قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر عليها الآية وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يخبر تعالى عن حال المؤمنين الذين هم علي فطرة الله تعالى التي فطر عليها عبادة من الاعتراف له بأنه لا إلا

والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الآية. أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث قتادة. 18 ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكفار ؟ قال سمعته يقول إن الله عز وجل يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أنتعرف ذنب كذا؟ أنتعرف ذنب كذا؟ أنتعرف قتادة عن صفوان بن محرز قال: كنت أخذا بيد ابن عمر إذا عرض له رجل قال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوي يوم القيامة في الدار الآخرة علي رءوس الخلائق من الملائكة والرسول والأنبياء وسائر البشر والجنان كما قال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالأ أخبرنا همام حدثنا يبين تعالى حال المفتريين عليه وفضيحتهم

الجنة ويبغونها عوجا أي ويريدون أن يكون طريقهم عوجا غير معتدلة وهم بالآخرة هم كافرون أي جاحدون بها مكذبون بوقوعها وكونها. 19 وقوله الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أي يردون الناس عن اتباع الحق وسلوك طريق الهدى الموصلة إلى الله عز وجل ويجنبونها

تفسير ابن كثير

فقال يا معشر قريش أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا تصبحكم أستم مصدقي ؟ فقالوا ما جربنا عليك كذبا قال فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. 2
وبشير بالثواب إن أطيعتموه كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الصفا فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب فاجتمعوا
وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله إنني لكم منه نذير وبشير أي إنني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه
الله أي نزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له كقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون
ألا تعبدوا إلا

ولهذا يعذبون على كل أمر تركوه وعلى كل نهى ارتكبوه ولهذا كان أصح الأقوال أنهم مكلفون بفروع الشرائع أمرها ونهيها بالنسبة إلى الدار الآخرة. 20
النار كقوله وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الآية
لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم بل كانوا صما عن سماع الحق عميا عن اتباعه كما أخبر تعالى عنهم حين دخولهم
الصحيحين إن الله ليملي للظالم حتي إذا أخذ لم يفله ولهذا قال تعالى يضاعف لهم العذاب الآية. أي يضاعف عليهم العذاب وذلك أن الله تعالى جعل
أي بل كانوا تحت قهره وغلبته وفي قبضته وسلطانه وهو قادر على الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار وفي
أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء

من ناصرين وقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب إلى غير ذلك من الآيات الدالة على خسارهم ودمارهم. 21
الخليل لقومه إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكن
الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال
وضل عنهم أي ذهب عنهم ما كانوا يفترون من دون الله من الأنداد والأصنام فلم تجد عنهم شيئا بل ضرهم كل الضرر كما قال تعالى إذا حشر
أي خسروا أنفسهم لأنهم أدخلوا نارا حامية فهم معذبون فيما لا يفتر عنهم من عذابها طرفة عين كما قال تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا
الحدور العين بطعام من غسليين وعن القصور العالية بالهاوية وعن قرب الرحمن ورؤيته بغضب الديان وعقوبته فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون. 22
في الدار الآخرة لأنهم استبدلوا الدركات عن الدرجات واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن وعن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم وظل من يحوموم وعن
ولهذا قال لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون يخبر تعالى عن مألهم أنهم أخسر الناس صفقة

ولا يهرمون ولا يمرضون ولا ينامون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخضون إن هو إلا رشح مسك يعرقون ثم ضرب تعالى مثل الكافرين والمؤمنين. 23
والحسان الخيرات والفواكه المتنوعات والمأكلات المشتهيات والمشارب المستلذات والنظر إلى خالق الأرض والسموات وهم في ذلك خالدون لا يموتون
قولا وفعلا من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات وبهذا ورثوا الجنات المشتملة على الغرف العاليات والسرر المصفوفات والقطوف الدانيات والفرش المرتفعات
لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة

ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير. 24
أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وكقوله وما يستوي الأممي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحور وما يستوي الأحياء
وبين الشبهة فلا يروج عليه باطل فهل يستوي هذا وهذا؟ أفلا تذكرون أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء كما قال في الآية الأخرى لا يستوي
ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم الآية وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشر سميع للحجة يفرق بينها
والأصم وهؤلاء كالْبصير والسميع فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا والآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به
فقال مثل الفريقين أي الذين وصفهم أولا بالشقاء والمؤمنين بالسعادة فأولئك كالْأعمى

بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه إنني لكم نذير مبين أي ظاهر النذارة لكم من عذاب الله إن أنتم عبدتم غير الله. 25
يخبر تعالى عن نوح عليه السلام وكان أول رسول

لا تعبدوا إلا الله وقوله إنني أخاف عليكم عذاب يوم أليم أي إن استمررتم على ما أنتم عليه عذبكم الله عذابا أليما موجعا شاقا في الدار الآخرة. 26
ولهذا قال أن

لا يسمعون ولا يبصرون بل هم في ريبهم يترددون في ظلمات الجهل يعمهون وهم الأفاكون الكاذبون الأقلون الأزدلون وهم في الآخرة هم الأخسرون. 27
يتلثم أي ما تردد ولا تروى لأنه رأى أمرا جليا عظيما واضحا فبادر إليه وسارع. وقوله وما نرى لكم علينا من فضل هم لا يرون ذلك لأنهم عمي عن الحق
إنما جاءوا بأمر جلي واضح. وقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر فإنه لم
للرأي ولا للفكر مجال بل لا بد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء بل لا يفكر ههنا إلا غبي أو عيي والرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قال بل ضعفاؤهم. فقال هرقل هم أتباع الرسل وقولهم بادي الرأي ليس بمذمة ولا عيب لأن الحق إذا وضح لا يبقى
وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم قال له فيما قال:
غالبا أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس. والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته كما قال تعالى وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا

تفسير ابن كثير

سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل بل الحق الذي لا شك فيه أن اتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء ثم الواقع الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه وهو دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه فإن الحق في نفسه صحيح ولا حال لما دخلتم في دينكم هذا بل نظنكم كاذبين أي فيما تدعونه لكم من البر والصلاح والعبادة والسعادة في الدار الآخرة إذ صرتم إليها هذا اعتراض وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي في أول بادئ وما نرى لكم علينا من فضل يقولون ما رأينا لكم علينا فضيلة في خلق ولا خلق ولا رزق وأشباههم ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن ترو منهم ولا فكر ولا نظر بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك ولهذا قالوا من الكافرين منهم ما نراك إلا بشرا مثلنا أي لست بملك ولكنك بشر فكيف أوحى إليك من دوننا ثم ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا كالباعة والحاكة فقال المملأ الذين كفروا من قومه والمملأ هم السادة والكبراء

عليكم أي خفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ولا عرفتم قدرها بل بادرتم إلى تكذيبها وردها أنلزمكموها أي نغصبكم بقبولها وأنتم لها كارهون. 28
عما رد به نوح على قومه في ذلك رأيتم إن كنت على بينة من ربي أي على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم فعميت يقول تعالى مخبرا

منكم إنما أبتغي الأجر من الله عز وجل وما أنا بطارد الذين آمنوا كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه احتشاما ونفاضة منهم أن يجلسوا معهم. 29
يقول لقومه لا أسألكم على نصحي لكم ما لا أجرة أخذها

وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسله فإن العذاب يناله يوم القيامة لا محالة. 3
بقيت له عشر حسنات وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول هلك من غلب آحاده على أعشاره وقوله قوله ويؤت كل ذي فضل فضله قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فإن عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا الله إلا أجزت بها حتى ما تجعل في امرأتك وقال ابن جرير حدثني المسيب بن شريك عن أبي بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود رضي الله عنه في ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الآية. وقد جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجهه على ذلك يمتعكم متاعا حسنا أي في الدنيا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله أي في الدار الآخرة قاله قتادة كقوله من عمل صالحا من متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله أي وأمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى الله عز وجل فيما تستقبلونه وأن تستمروا وقوله وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم

يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية. وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين الآية. 30
كما سأل أمثالهم خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلسا خاصا فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين في أنفسهم فإن كانوا مؤمنين باطنا كما هو الظاهر من حالهم فلهم جزاء الحسنى ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا لكان ظالما قاتلا ما لا علم له به. 31
بملك من الملائكة بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات ولا أقول عن هؤلاء الذين تحقروهم وتزدرونهم إنهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم الله أعلم بما من لقيه من شريف ووضيع فمن استجاب له فقد نجا ويخبرهم أنه لا قدرة له على التصرف في خزائن الله ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه وليس هو في أنفسهم إنني إذا لمن الظالمين يخبرهم أنه رسول من الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له بإذن الله له في ذلك ولا يسألهم على ذلك أجرا بل هو يدعو ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيتهم الله خيرا الله أعلم بما

أي حاججتنا فأكثر من ذلك ونحن لا نتبعك فأتنا بما تعدنا أي من النعمة والعذاب ادع علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به إن كنت من الصادقين. 32
يقول تعالى مخبرا عن استعجال قوم نوح نعمة الله وعذابه وسخطه والبلاء موكل بالمنطق. قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا

أي إنما الذي يعاقبكم ويعجلها لكم الله الذي لا يعجزه شيء. 33

هو ربكم وإليه ترجعون أي هو مالك أزمة الأمور المتصرف الحاكم العادل الذي لا يجوز له الخلق وله الأمر وهو المبدئ المعيد مالك الدنيا والآخرة. 34
أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم أي شيء يجدي عليكم إبلاغي لكم وإنذاري إياكم ونصحي إن كان الله يريد أن يغويكم أي إغواءكم ودماركم ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن

افتريته فعلي إجرامي أي فإثم ذلك علي وأنا بريء مما تجرمون أي ليس ذلك مفتعلا ولا مفترى لأنني أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه. 35
في وسط هذه القصة مؤكدا لها مقرر لها يقول تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون افتري هذا وافتعله من عنده قل إن هذا كلام معترض

ديارا فدعا ربه أني مغلوب فانتصر فعند ذلك أوحى الله إليه أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تحزن عليهم ولا يهملك أمرهم. 36
إلى نوح لما استعجل قومه نعمة الله بهم وعذابه لهم فدعا عليهم نوح دعوته التي قال الله تعالى مخبرا عنه أنه قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين يخبر تعالى أنه أوحى

تفسير ابن كثير

البيوت قال: فقلنا يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا؟ قال كيف يتبعكم من لا رزق له؟ قال: فقال له عد بإذن الله فعاد ترابا. 37 فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد غرقت قال فطوقها الخصرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟ قال بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت قال ثم بعث الحمامة السفينة يقرضها وحبالها أوحى الله إليه أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فقال له عيسى عليه السلام فلما كثر روث الدواب أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فلما وقع الفأر بجوف نوح؟ قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الإنس وطبقة فيها الطير التراب عن رأسه قد شاب قال له عيسى عليه السلام أهكذا هلك؟ قال لا. ولكني مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شئت قال حدثنا عن سفينة من ذلك التراب بكفه فقال أندرون ما هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب حام بن نوح قال فضرب الكتيب بعصاه قال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفذ بن عباس أنه قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها قال فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب من تراب فأخذ كفا في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير أثرا غريبا من حديث علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن عبد الله قالوا كلهم وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعا ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفل للدواب والوحوش والوسطى للإنس والعليا للطيور وكان بابها الحسن طولها ستمائة ذراع وعرضها ثلثمائة وعنه مع ابن عباس طولها ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة وقيل طولها ألفا ذراع وعرضها مائة ذراع فإله أعلم وعرضها خمسين ذراعا وأن يطلي باطنها وظاهرها بالقار وأن يجعل لها جؤجؤا أزورا يشق الماء وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين وعن مائة سنة أخرى وقيل في أربعين سنة والله أعلم. وذكر محمد بن إسحاق عن التوراة أن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج وأن يجعل طولها ثمانين ذراعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون فقال بعض السلف أمره الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه ويبيسه فكان ذلك في مائة سنة ونجرتها في واصنع الفلك يعني السفينة بأعيننا أي بمرأى منا ووحينا أي تعليمنا لك ما تصنع

ملا من قومه سخروا منه أي يهزءون به ومكذبون بما يتوعدهم به من الغرق قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم الآية. وعيد شديد وتهديد أكيد. 38 وقوله ويصنع الفلك وكلما مر عليه

من يأتيه عذاب يخزيه أي يهينه في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم أي دائم مستمر أبدا. 39

أي وهو القادر على ما يشاء من إحسانه إلى أوليائه وانتقامه من أعدائه وإعادة الخلائق يوم القيامة وهذا مقام الترهيب كما أن الأول مقام ترغيب. 4 إلى الله مرجعكم أي معادكم يوم القيامة وهو على كل شيء قدير

في السفينة وهذا فيه نظر بل الظاهر أنها هلكت لأنها كانت على دين قومها فأصابها ما أصابهم كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها والله أعلم وأحكم. 40 نفسا وقيل كانوا عشرة وقيل إنما كان نوح وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث وكنانته الأربع نساء هؤلاء الثلاثة وامرأة يافث وقيل بل امرأة نوح كانت معهم نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفسا منهم نساءهم وعن كعب الأحبار كانوا اثنين وسبعين ممن لم يؤمن بالله فكان منهم ابنه يافث الذي انعزل وحده وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله وقوله ومن آمن أي من قومك وما آمن معه إلا قليل أي فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها. وقوله وأهلك إلا من سبق عليه القول أي واحمل فيها أهلك وهم أهل بيته وقربته إلا من سبق عليه القول منهم الأسد؟ فسلط الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا الفأرة فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحى الله إلى الأسد فعطس عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف تظمن المواشي ومعها أن يحملوا معهم الأسد حتى ألقيت عليه الحمى. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني هشام بن سعد يقول له نوح عليه السلام: مالك ويحك ادخل فينهض ولا يقدر فقال ادخل وإن كان إبليس معك فدخل في السفينة وذكر بعض السلف أنهم لم يستطيعوا كان أول من أدخل من الطيور الدرة وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار فتعلق إبليس بذنبه وجعل يريد أن ينهض فيثقله إبليس وهو متعلق بذنبه فجعل الله نوحا عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين من صنف المخلوقات ذوات الأرواح قيل وغيرها من النباتات اثنين ذكرا وأنثى فقيل أظهر وقال مجاهد والشعبي كان هذا التنور بالكوفة وعن ابن عباس عيين بالهند وعن قتادة عيين بالجزيرة يقال لها عين الوردة وهذه أقوال غريبة فحينئذ أمر صارت تفور ماء وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه التنور فلق الصبح وتووير الفجر وهو ضياؤه وإشراقه والأول جزاء لمن كان كفر وأما قوله وفار التنور فعن ابن عباس التنور وجه الأرض أي صارت الأرض عيونا تفور حتى فار الماء من التناوير التي هي مكان النار يفتقر بل هو كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا هذه موعدة من الله تعالى لنوح عليه السلام إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة والهتان الذي لا يقلع ولا

لغفور رحيم وقال وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين رحمته وانتقامه. 41 لغفور رحيم وقوله إن ربي لغفور رحيم مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين بإغراقهم أجمعين فذكر أنه غفور رحيم كقوله إن ربك لسريع العقاب وإنه عليه وسلم قال أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا بسم الله الملك وما قدروا الله حق قدره الآية. بسم الله مجريها ومرساها إن ربي

تفسير ابن كثير

بن يحيى الساجي حدثنا محمد بن موسى الجري قال حدثنا عبد الحميد بن الحسن الهلالي عن نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله كما سيأتي في سورة الزخرف إن شاء الله وبه الثقة وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا إبراهيم بن هشام البغوي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي وحدثنا زكريا الدابة كما قال تعالى والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره الآية وجاءت السنة بالحث على ذلك والندب إليه لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ولهذا تستحب التسمية في ابتداء الأمور عند الركوب على السفينة وعلى يكون منتهى سيرها وهو رسوها وقرأ أبو رجاء العطاردي بسم الله مجريها ومرسيها وقال الله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد عن نوح عليه السلام انه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها أي بسم الله يكون جريها على وجه الماء وبسم الله يقول تعالى إخبارا

نوح ابنه الآية هذا هو الابن الرابع واسمه يام وكان كافرا دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون. 42 لكم تذكرة وتعيها أذن واعية وقال تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقوله ونادي وهذه السفينة جارية على وجه الماء سائرة بإذن الله وتحت كنفه وعنايته وحراسته وامتنانه كما قال تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها أي السفينة سائرة بهم علي وجه الماء الذي قد طبقت جميع الأرض حتى طفت على رؤوس الجبال وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعا وقيل بثمانين ميلا وقوله وهي تجري بهم في موج كالجبال

شيء يعصم اليوم من أمر الله وقيل إن عاصما بمعنى معصوم كما يقال طاعم وكاس بمعنى مطعوم ومكسو وحال بينهما الموج فكان من المغرقين. 43 لا يبلغ إلى رؤوس الجبال وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق فقال لها أبوه نوح عليه السلام لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم أي ليس له مركبا من زجاج وهذا من الإسرائيليات والله أعلم بصحته والذي نص عليه القرآن أنه قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء اعتقد بجهله أن الطوفان قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء وقيل إنه اتخذ

الله منهم أحدا لرحم أم الصبي. وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روى عن كعب الأحبار ومجاهد بن جبير قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا. 44 حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعتها بيديها فغرقا فلو رحم سفينة في البر فكيف تجري ؟ قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت إلى الجبل ألف سنة إلا خمسين عاما يعني وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل النبي صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم أم الصبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نوح عليه السلام مكث في قومه موسى الزمعي عن قائد مولى عبيد الله بن أبي رافع بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرته أن رحمة الله فإنهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير والحرث أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما من حديث يعقوب بن أهله فليتقم بقية يومه وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شاهد في الصحيح وقوله وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا وخسارا لهم وبعدا من صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم. فصام وقال لأصحابه من كان أصبح منكم صائما فليتم صومه ومن كان أصاب من غداء وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكرا لله عز وجل: فقال النبي أبي هريرة قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال ما هذا الصوم ؟ قالوا هذا اليوم الذي نجى الله فيه موسى ابن جرير وأنهم صاموا يومهم ذلك والله أعلم. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن فساروا مائه وخمسين يوما واستقرت بهم على الجودي شهرا وكان خروجهم من السفينة في عاشوراء من المحرم وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه السلام يعبر عنهم. وقال كعب الأحبار: إن السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل أن تستقر على الجودي وقال قتادة وغيره ركبوا في عاشر شهر رجب فابتنى قرية وسماها ثمانين فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداها اللسان العربي فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأنته بورق الزيتون فلطخت رجليها بالطين فعرف نوح عليه السلام أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودي يوما وإن الله وجه السفينة إلى مكة فطافت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب نوح أرسى من ههنا. وقال علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلهم وأنهم كانوا فيها مائة وخمسين بن سالم قال رأيت زرين حبيش يصلي في الزاوية حين يدخل من أبواب كندة على يمينك فسألته إنك لكثير الصلاة ههنا يوم الجمعة قال بلغني أن سفينة رمادا. وقال الضحاك: الجودي جبل بالموصل وقال بعضهم هو الطور وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا محمد بن عبيد عن توبة قد أبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة عبدة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت من الغرق وتناولت وتواضع هو لله عز وجل فلم يغرق وأرسى عليه سفينة نوح عليه السلام وقال قتادة استوت عليه شهرا حتى نزلوا منها قال قتادة: من أهل الأرض قاطبة ممن كفر بالله لم يبق منهم ديار واستوت السفينة بمن فيها على الجودي قال مجاهد وهو جبل بالجزيرة تشامت الجبال يومئذ السفينة أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها وأمر السماء أن تقلع عن المطر وغيض الماء أي شرع في النقص وقضي الأمر أي فرغ يخبر تعالى أنه لما أغرق أهل الأرض كلهم إلا أصحاب

تفسير ابن كثير

عن حال ولده الذي غرق قال رب إن ابني من أهلي أي وقد وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحق الذي لا يخلف فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين ؟. 45 هذا سؤال استعلام وكشف من نوح عليه السلام

قط. وكذا روى عن مجاهد أيضا وعكرما والضحاك وميمون بن مهران وثابت بن الحجاج وهو اختيار أبي جعفر بن جرير وهو الصواب الذي لا شك فيه. 46 عمار الذهبي أنه سأل سعيد بن جبيرة عن ذلك فقال: كان ابن نوح إن الله لا يكذب. قال تعالى ونادى نوح ابنه قال: وقال بعض العلماء ما فجرت امرأة نبي قال أما إنه لم يكن بالزنا ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون وكانت هذه تدل على الأضياف ثم قرأ إنه عمل غير صالح قال ابن عبيدة وأخبرني أيضا أنا الثوري عن ابن عبيدة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قبة قال سمعت ابن عباس سئل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله فخانتاهما إنه عمل غير صالح أعاده أحمد أيضا في مسنده أم سلمة هي أم المؤمنين والظاهر والله أعلم أنها أسماء بنت يزيد فإنها تكنى بذلك أيضا وقال عبدالرزاق الرحيم وقال أحمد أيضا حدثنا وكيع حدثنا هارون النحوي عن ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها إنه عمل غير صالح وسمعت يقول يا عبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ الحروف إنه عمل عملا غير صالح والخيانة تكون على غير باب وقد ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بذلك فقال الإمام أحمد. وهو عند الله عظيم. وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وغيره عن عكرمة عن ابن عباس قال: هو ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية قال عكرمة في بعض امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم إلى قوله إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا الله عليه وسلم وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ولهذا قال تعالى إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل لا محيد عنه فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة ولهذا غضب الله علي الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي صلى ابن عباس وغير واحد من السلف ما زنت امرأة نبي قط قال: وقوله إنه ليس من أهلك أي الذين وعدتكم نجاتهم وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي احتج بهاتين الآيتين وبعضهم يقول ابن امرأته وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن أو أراد أنه نسب إليه مجازا لكونه كان ربيبا عنده فآله أعلم. وقال مجاهد والحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج واحتج بعضهم بقوله إنه عمل غير صالح ويقولوه فخانتاهما فممن قاله الحسن البصري وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه وإنما كان ابن زنية ويحكي القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته عن من آمن من أهلك ولهذا قال وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوح عليه السلام قال يا نوح إنه ليس من أهلك أي الذين وعدت إنجاءهم لأنني إنما وعدتك بنجاة

قط. وكذا روى عن مجاهد أيضا وعكرما والضحاك وميمون بن مهران وثابت بن الحجاج وهو اختيار أبي جعفر بن جرير وهو الصواب الذي لا شك فيه. 47 عمار الذهبي أنه سأل سعيد بن جبيرة عن ذلك فقال: كان ابن نوح إن الله لا يكذب. قال تعالى ونادى نوح ابنه قال: وقال بعض العلماء ما فجرت امرأة نبي قال أما إنه لم يكن بالزنا ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون وكانت هذه تدل على الأضياف ثم قرأ إنه عمل غير صالح قال ابن عبيدة وأخبرني أيضا أنا الثوري عن ابن عبيدة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قبة قال سمعت ابن عباس سئل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله فخانتاهما إنه عمل غير صالح أعاده أحمد أيضا في مسنده أم سلمة هي أم المؤمنين والظاهر والله أعلم أنها أسماء بنت يزيد فإنها تكنى بذلك أيضا وقال عبدالرزاق الرحيم وقال أحمد أيضا حدثنا وكيع حدثنا هارون النحوي عن ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها إنه عمل غير صالح وسمعت يقول يا عبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ الحروف إنه عمل عملا غير صالح والخيانة تكون على غير باب وقد ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بذلك فقال الإمام أحمد. وهو عند الله عظيم. وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وغيره عن عكرمة عن ابن عباس قال: هو ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية قال عكرمة في بعض امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم إلى قوله إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا الله عليه وسلم وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ولهذا قال تعالى إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل لا محيد عنه فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة ولهذا غضب الله علي الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي صلى ابن عباس وغير واحد من السلف ما زنت امرأة نبي قط قال: وقوله إنه ليس من أهلك أي الذين وعدتكم نجاتهم وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي احتج بهاتين الآيتين وبعضهم يقول ابن امرأته وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن أو أراد أنه نسب إليه مجازا لكونه كان ربيبا عنده فآله أعلم. وقال مجاهد والحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج واحتج بعضهم بقوله إنه عمل غير صالح ويقولوه فخانتاهما فممن قاله الحسن البصري وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه وإنما كان ابن زنية ويحكي القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته عن من آمن من أهلك ولهذا قال وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوح عليه السلام قال يا نوح إنه ليس من أهلك أي الذين وعدت إنجاءهم لأنني إنما وعدتكم بنجاة

برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في ست وعشرين ليلة منه قيل يا نوح اهبط بسلام منا الآية. 48

تفسير ابن كثير

فعلم نوح أن الأرض قد برزت فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنتين سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتون فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما صنع الماء فلم يرجع إليه فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم تجد لرجليها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها ثم مضى في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه في أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤوس الجبال فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التي ركب وأبواب السماء يقول الله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك الآية. فجعل الماء ينقص ويغيض ويدير وكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة كافر وكافرة إلى يوم القيامة وقال محمد بن إسحاق لما أراد الله أن يكف الطوفان أرسل ريحا على وجه الأرض فسكن الماء وانسدت يناابيع الأرض الغمر الأكبر وعلى كل مؤمن من ذريته إلى يوم القيامة كما قال محمد بن كعب دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وكذلك في العذاب والمتاع كل يخبر تعالى عما قيل لنوح عليه السلام حين أرست السفينة على الجودي من السلام عليه وعلى من معه من المؤمنين

رسلا والذين آمنوا الآية. وقال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون الآية. وقال تعالى فاصبر إن العاقبة للمتقين. 49 قومك وأذاهم لك فإننا سننصرك ونحوطك بعنايتنا ونجعل العاقبة لك ولأتبعك في الدنيا والآخرة كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم إنا لننصر حتى يقول من يكذبك إنك تعلمتها منه بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك فاصبر على تكذيب من كذبك من وجهها كأنك شاهدتها نوحيا إليك أي نعلمك بها وحيا منا إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها يقول تعالى لنبيه صلي الله عليه وسلم هذه القصة وأشباهها من أنباء الغيب يعني من أخبار الغيوب السالفة نوحيا إليك على لقله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون وقرأ ابن عباس ألا إنهم تثنوني صدورهم يرفع الصدور على الفاعلية وهو قريب المعنى. 5 القيامة وقال عبد الله بن شداد: كان أحدهم إذا مر برسول الله صلي الله عليه وسلم ثنى عنه صدره وغطى رأسه فأُنزل الله ذلك وعود الضمير إلى الله أولى فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم والسرائر وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة: فلا تكتنن الله ما في قلوبكم ليخفى ومهما يكتنن الله يعلم يؤخر فيوضع في كتاب ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل يعلم ما يسرون من القول وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور أي يعلم ما تكن صدورهم من النيات والضمائر والحسن وغيرهم أي أنهم كانوا يثنون صدورهم إذا قالوا شيئا أو عملوه فيظنون أنهم يستخفون من الله بذلك فأخبرهم الله تعالى أنهم حين يستغشون ابن عباس يستغشون يغطون رؤوسهم وقال ابن عباس في رواية أخرى في تفسير هذه الآية يعني به الشك في الله وعمل السيئات وكذا روى عن مجاهد الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال قرأ ابن عباس ألا إنهم تثنوني صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال البخاري: وقال غيره عن وفي لفظ آخر له قال ابن عباس أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم ثم قال: حدثنا صدورهم الآية فقلت يا أبا العباس ما تثنوني صدورهم؟ قال الرجل كان يجامع امرأته فيستحي أو يتخلى فيستحي فنزلت ألا إنهم تثنوني صدورهم يستقبلوا السماء بفروجهم وحال وقاعهم فأُنزل الله هذه الآية روى البخاري من طريق ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس قرأ ألا إنهم تثنوني قال ابن عباس كانوا يكرهون أن

تعالى و لقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا أمرا لهم بعبادة الله وحده لا شريك له ناهيا لهم عن الأوثان التي افتروها واختلقوا لها أسماء الآلهة. 50

يقول

أجرة على هذا النصح والبلاغ من الله إنما يبغي ثوابه من الله الذي فطره أفلا تعقلون من يدعوكم إلي ما يصلحكم في الدنيا والآخرة من غير أجرة. 51 وأخبرهم أنه لا يريد منهم

يرسل السماء عليكم مدرارا وفي الحديث من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب. 52 أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة وبالتوبة عما يستقبلون ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه ولهذا قال ثم

بينة أي بحجة وبرهان على ما تدعيه وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك أي بمجرد قولك اتركوهم نتركهم وما نحن لك بمؤمنين بمصدقين. 53 يخبر تعالى أنهم قالوا لنبيهم ما جئتنا

عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه يقول إني بريء من جميع الأنداد والأصنام. 54 إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء يقولون ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في

فكيدوني جميعا أي أنتم وآلهتكم إن كانت حقا ثم لا تنظرون أي طرفة عين. 55

يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له الذي بيده الملك وله التصرف وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه فلا إله إلا هو ولا رب سواه. 56 ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر ولا توالي ولا تعادي وإنما مستقيم قال فيأخذ بنواصي عباده فيلقن المؤمن حتى يكون له أشفق من الوالد لولده ويقول ما غرك بربك الكريم وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة

تفسير ابن كثير

- صراط مستقيم قال الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبيه عن عبد الكلاعي أنه قال في قوله تعالى ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط وقوله إنني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها أي تحت قهره وسلطانه وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه فإنه على بل يعود وبال ذلك عليكم إن ربي على كل شيء حفيظ أي شاهد وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم ويجزيهم عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 57
- عليكم الحجة بإبلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها ويستخلف ربي قوما غيركم يعبدونه وحده لا يشركون به ولا يبالون بكم فإنكم لا تضرونه بكفركم يقول لهم هود فإن تولوا عما جئتمكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له فقد قامت
- ولما جاء أمرنا وهو الريح العقيم فأهلكهم الله عن آخرهم ونجى هودا وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه. 58
- به فعاد كفروا بهود فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل واتبعوا أمر كل جبار عنيد تركوا اتباع رسولهم الرشيد واتبعوا أمر كل جبار عنيد. 59
- وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسل الله وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان
- مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. 60
- عن جميع ذلك كقوله وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون وقوله وعنده عن ابن عباس والضحاك وجماعة وذكر ابن أبي حاتم أقوال المفسرين ههنا كما ذكره عند تلك الآية فإله أعلم وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين ويعلم مستقرها أي حيث تأوى ومستودعها حيث تموت وعن مجاهد مستقرها في الرحم. ومستودعها في الصلب كالتي في الأنعام وكذا روى يعلم مستقرها ومستودعها أي يعلم أين ينتهي سيرها في الأرض وأين تأوى إليه من وكرها وهو مستودعها. وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها بحريها وبريها وأنه
- كلما ذكروا وينادي عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ألا إن عادا كفروا ربهم الآية قال السدي ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا على لسانه. 60
- فلهذا أتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين
- ثم توبوا إليه فيما تستقبلونه إن ربي قريب مجيب كما قال تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان الآية. 61
- هو أنشأكم من الأرض أي ابتداء خلقكم منها خلق منها أباكم آدم واستعمركم فيها أي جعلكم عمارا تعمرونها وتستغلونها فاستغفروه لسالف ذنوبكم إلى تمود وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة وكانوا بعد عاد فبعث الله منهم أخاهم صالحا فأمرهم بعبادة الله وحده ولهذا قال يقول تعالى و لقد أرسلنا
- نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت أتنهانا أن نعبد ما يعبد آبائنا وما كان عليه أسلافنا وإننا لفي شك مما تدعوك إليه مريب أي شك كثير. 62
- يذكر تعالى ما كان من الكلام بين صالح عليه السلام وبين قومه وما كان عليه قومه من الجهل والعناد في قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أي كنا
- رحمة فمن ينصروني من الله إن عصيته وتركت دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده فلو تركته لما نفعتموني ولما زدتموني غير تخسير أي خسارة. 63
- قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي فيما أرسلني به إليكم على يقين وبرهان وآتاني منه
- ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 64
- وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم
- كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع
- وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجلا قبل قومهم وأصبح تمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة
- ومكرنا مكرنا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطؤوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه
- إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإننا لصادقون ومكروا مكرنا
- فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا
- صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه ففقدوه مع أمه فإله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون
- جبل منبعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في
- قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغا واحدة تحذر سقيا ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق سقيا وهو فصيلها حتى أتى
- مصدع فرماها بهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عزيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فسفرت عن وجهها لقدر وزمرته وشد عليها
- على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدر بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على
- الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاعتهم
- أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدر بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة من تمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم
- يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك
- فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها إلى ذلك ودعت عزيزة بنت غنم قدر بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا

تفسير ابن كثير

وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقت فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقى بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال فعقروا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها يوما وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملؤن ما شاء من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى ونبتهم أن الماء قسمة بينهم فينا عزيزا وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعت بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها له مهوش بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصبة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشرف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال بقية أشرف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهمس وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنيتها بين جنبيها كما سألو فأعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشرةا تمخض فأخذ عليهم صالح العهد والمواثيق لئن أجابهم الله قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئتمكم به وكانوا هم الذين سألو صالحا أن يأتيهم بأية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية أي قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أحمدهم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم يبينكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعبادكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبدالعزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبدالصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عائر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عائر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء

ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 65 وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجلا قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة ومكرنا مكرنا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه

تفسير ابن كثير

إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرا فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه ففقدوه مع أمه فآله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغا واحدة تحذر سقبتها ثم طعن في لبتها فنحراها وانطلق سقبتها وهو فصيلها حتى أتى مصدع فرماها بسهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاعوهم أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقت فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقى بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال ففقدوا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه ففقدوها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقال وآتيناه ثمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها يوما وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملؤن ما شاء من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى ونبتهم أن الماء قسمة بينهم فينا عزيزا وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعت بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها له مهوش بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصابة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشرف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال بقية أشرف ثمود أن يؤمنوا فصددهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهمس وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنبها بين جنبها كما سألوها فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض فأخذ عليهم صالح العهد والمواثيق لئن أجابهم الله قد جاءتك حجة من الله على صدق ما جئتمكم به وكانوا هم الذين سألوها صالحا أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينيها بأنفسهم لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قد جاءتك بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية أي قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أحمدهم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ففتوا عن أمر ربهم ففقدوها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما ففقدوها فأخذتهم معمر عن عبدالله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم يئبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعاب بعبادكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبدالعزيز بن مسلم حدثنا عبدالله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا

تفسير ابن كثير

البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عائر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عائر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 66 وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجيبا قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرًا فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه ففقدوه مع أمه فآله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغبة واحدة تحذر سقبتها ثم طعن في لبتها فنحراها وانطلق سقبتها وهو فصيلها حتى أتى مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاوعتهم أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مخرج فاستغويا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مخرج بن المحيا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقت فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقى بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال فعقروا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه ففقدوها فقدم عليهم ربههم بذنبهم فسواها وقال وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها يوما وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملؤن ما شاء من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى ونبتهم أن الماء قسمة بينهم فينا عزيزا وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعت بين أظهرهم مدة تشرب من بنرها له مهوش بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصبة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشرف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال بقية أشرف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهمس وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنيها بين جنيها كما سألوها فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشرةا فآخذ عليهم صالح اليهود والمواثيق لنن أجابهم الله قد جاءتك حجة من الله على صدق ما جئتك به وكانوا هم الذين سألوها أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عيونها بأنفسهم لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قد جاءتك بينة من ربك هذه ناقة الله لكم آية أي قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه

تفسير ابن كثير

قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أحمدهم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم يبنئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعذبكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنأدى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبدالعزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها ثمود ففعلوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهراقوا القدور وعلفوا العجيين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبدالصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عاثر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء

ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 67 وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجلا قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة ومكرنا مكرنا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بني الله فأرسل الله سبحانه إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيتهن وأهلتهن ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهلته وإننا لصادقون ومكروا مكرنا فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه فعقروه مع أمه فآله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغبة واحدة تحذر سقبتها ثم طعن في لبنتها فنحراها وانطلق سقبتها وهو فصيلها حتى أتى مصدع فرماها بسهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهها فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاعوهم أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقت فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقى بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال فعقروا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقال وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها

تفسير ابن كثير

يوما وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملؤن ما شاء من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى ونبتهم أن الماء قسمة بينهم فينا عزيزا وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعت بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها له مهوش بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصابة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشراف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنجاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصددهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهمس وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنيها بين جنيها كما سألوها فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشرةا تمخض فأخذ عليهم صالح العهد والمواثيق لئن أجابهم الله قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئتمكم به وكانوا هم الذين سألوها صالحا أن يأتيهم بأية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية أي قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أخدم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم ففعلوها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما ففعلوها فأخذتهم معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعذبكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعبج منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنأدى في الناس الصلاة جامعة قال فأتي رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون السعدي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبدالعزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها ثمود ففعلوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومسكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبدالصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومسكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عاث بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عاث وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة. 68 وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عيادا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتعجلا قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة ومكرنا مكرنا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية. فلما عزموا على ذلك وتواطؤوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه إن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرًا فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه ففعلوه مع أمه فآله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يا رب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرجت ساقطة إلى الأرض ورغت رغاء واحدة تحذر سقبتها ثم طعن في لبثها فنحراها وانطلق سقبتها وهو فصيلها حتى أتى مصدع فرماها بسهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عذبة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهها فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء وقد كمن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاعتهم

تفسير ابن كثير

أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهياد ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقى بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بها وقال فعقروا الناقة فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا كل شرب محتضر وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها يوما وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملؤن ما شاء من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى ونبتهم أن الماء قسمة بينهم فينا عزيزا وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها له مهوش بن عثمة بن الدميل رحمه الله. وكانت عصبة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا لأصبح صالح خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشرف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال بقية أشرف ثمود أن يؤمنوا فصددهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر بن جلهمس وكان جندع بن عمرو بن عم له شهاب بن تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنيها بين جنبيها كما سألوها فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم وموآثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشرةا فآخذ عليهم صالح العهد والمواثيق لئن أجابهم الله قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئتمكم به وكانوا هم الذين سألوها صالحا أن يأتهم بأية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم لا إله إلا أنا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية أي قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. قوله تعالى وإلى ثمود أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا قال يا صيحة أحمدهم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصاب ما أصاب فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح عن أنفسهم شيئا لم يخرجهم أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا أنبتكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم يبنئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعذبكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله؟ قال أفلا في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول من غير وجه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين أيضا حدثنا عفان حدثنا عبدالعزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا علي القوم الذين عذبوا وقال إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد تشرب منها ثمود فجعنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس علي تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبدالصمد حدثنا صخر بن جويرية كانوا أحياء من العرب العاربة قيل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عائر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عائر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء

واحد كما قال في الآية الأخرى فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون وقد تضمنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيرة. 69 حنيذ أي ذهب سريعا فأتاهم بالضيافة وهو عجل فتى البقر حنيذ: مشوي على الرضف وهي الحجارة المحماة. هذا معنى ما روي عن ابن عباس وقتادة وغير

تفسير ابن كثير

في قوم لوط قالوا سلاما قال سلام أي عليكم قال علماء البيان: هذا أحسن مما حيوه به لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام فما لبث أن جاء بعجل وهم الملائكة إبراهيم بالبشرى قبل تبشره بإسحاق وقيل بهلاك قوم لوط ويشهد للأول قوله تعالى ولما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشرى يجادلنا يقول تعالى ولقد جاءت رسلنا

واحدة وقولهم إن هذا إلا سحر مبين أي يقولون كفرا وعنادا ما نصدقك على وقوع البعث وما يذكر ذلك إلا من سحرته فهو يتبعك على ما تقول. 7 الذي هو بالنسبة إلى القدرة أهون من البداءة كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين أن الله سيبعثهم بعد مماتهم كما بدأهم مع أنهم يعملون أن الله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض كما قال تعالى ولئن على شريعة رسول الله فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين حبط وبطل. وقوله ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت الآية. يقول تعالى ولئن الآية وقوله ليلوكم أي ليختبركم أيكم أحسن عملا ولم يقل أكثر عملا بل أحسن عملا ولا يكون العمل حسنا حتى يكون خالصا لله عز وجل أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم وقال تعالى ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون به شيئا ولم يخلق ذلك عبثا كقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وقال تعالى أفحسبتم على أي شيء كان الماء؟ قال على متن الريح وقوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا أي خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا والعلم والرحمة والنعمة الفعال لما يريد وقال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة قال: سئل ابن عباس عن قول الله وكان عرشه على الماء وكان عرشه على الماء فكان كما وصف نفسه تعالى إذ ليس إلا الماء وعليه العرش وعلى العرش ذو الجلال والإكرام والعزة والسلطان والملك والقدرة والحلم إسماعيل بن أبي خالد سمعت سعدا الطائي يقول: العرش ياقوتة حمراء وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام فلما خلق السموات والأرض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفًا تحت العرش وهو البحر المسجور. وقال ابن عباس إنما سمي العرش عرشا لارتفاعه وقال وقال قتادة في قوله وكان عرشه على الماء ينبئكم كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض وقال الربيع بن أنس وكان عرشه على الماء به وقال الترمذي هذا حديث حسن وقال مجاهد وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئا وكذا قال وهب بن منبه وضمرة وقاتدة وابن جرير وغير واحد قال كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك. وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجه في السنن من حديث يزيد بن هارون عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدي عن عمه أبي رزين واسمه لقيط بن عامر بن المنتفق العجلي قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ والأرض فإنه لم يبعث ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنفق أنفق عليك. وقال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أفرايتم ما أنفق منذ خلق السموات الماء وقال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على وفي رواية غيره وفي رواية معه وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن كان بعدي وهذا الحديث مخرج في صحيح البخاري ومسلم بالفاظ كثيرة فمنها قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء. قال: فأتاني آت فقال يا عمران انحلت ناقتك من عقاليها قال فخرجت في إثرها فلا أدري ما يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطينا قال اقبلوا بالبشرى يا أهل اليمن قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال كان الله قبل كل شيء حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبلوا بالبشرى يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأن عرشه كان على الماء قيل ذلك كما قال الإمام أحمد: فلا يلتفت إلى ذلك والله أعلم. وقال وهب بن منبه: إنما ضحكت لما بشرت بإسحاق وهذا مخالف لهذا السياق فإن البشارة صريحة مرتبة على ضحكها. 70 أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط وقول الكلبي: إنها إنما ضحكت لما رأت من الروح إبراهيم ضعفا ووجدا وإن كان ابن جرير قد رواها بسنده إليهما وهم في غفلة وقوله ومن وراء إسحاق يعقوب قال العوفي عن ابن عباس: فضحكت أي حاضت وقول محمد بن قيس إنها إنما ضحكت من أنها ظننت سارة استبشارا بهلاكهم لكثرة فسادهم وغلظ كفرهم وعنادهم فلماذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس وقال قتادة ضحكت وعجبت أن قوما يأتيهم العذاب حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار وقوله تعالى إخبارا عن الملائكة قالوا لا تخف أي قالوا لا تخف منا إنا ملائكة أرسلنا إلى قوم لوط لنهلكهم فضحكت وميكائيل وإسرافيل ورؤفائيل قال نوح بن قيس فزعم نوح بن أبي شداد أنهم لما دخلوا على إبراهيم فقرب إليهم العجل مسحه جبريل بجناحه فقام يدرج طعاما! وقال ابن حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا نصر بن علي حدثنا نوح بن قيس عن عثمان بن محيص في ضيف إبراهيم قال: كانوا أربعة: جبريل وأوجس منهم خيفة فلما نظرت سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت: عجا لأضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم وهم لا يأكلون وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال حق لهذا أن يتخذ ربه خليلا فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم يقول فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم قراءة ابن مسعود فلما قرب إليه قال ألا تأكلون قالوا يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاما إلا بئمن قال فإن لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه؟ قال تذكرون اسم الله على أوله إلى أهله فجاء بعجل سمين فذبحه ثم شواه في الرضف وأتاهم به ففقد معهم وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول وامراته قائمة وهو جالس في

تفسير ابن كثير

منهم خيفة قال السدي: لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشي في صور رجال شبان حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه فلما رأهم أجلبهم فراغ وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه فلماذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم وأوجس وقوله فلما رأى أيديهم لا تصل إليهم نكرهم تنكرهم وأوجس منهم خيفة

وأصح وأبينه ولله الحمد قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا الآية حكى قولها في هذه الآية كما حكى فعلها في الآية الأخرى. 71 له بعد يعقوب الموعود بوجوده ووعد الله حق لا خلف فيه فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه فتعين أن يكون هو إسماعيل وهذا من أحسن الاستدلال أن الذبيح إنما هو إسماعيل وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق لأنه وقعت البشارة به وأنه سيوله له يعقوب فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق إله واحد ونحن له مسلمون ومن ههنا استدل من استدل بهذه الآية على ومن وراء إسحاق يعقوب أي بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل فإن يعقوب ولد إسحاق كما قال في آية البقرة أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فبشرناها بإسحاق

وأنا عجوز وفي الذاريات فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب. 72 فإنها قالت يا ويلتى أألد

صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. 73 وأقواله محمود مجيد في صفاته وذاته ولهذا ثبت في الصحيحين أنهم قالوا: قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال قولوا اللهم وإن كنت عجوزا عقيما وبعلك شيخا كبيرا فإن الله على ما يشاء قدير رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد أي هو الحميد في جميع أفعاله قالوا أتعجب من أمر الله أي قالت الملائكة لها لا تعجبي من أمر الله فإنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فلا تعجبي من هذا

من هذا زاد ابن إسحاق أفرايتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا لا قال: فإن كان فيها لوط يدفع به عنهم العذاب قالوا نحن أعلم بمن فيها الآية. 74 إبراهيم عليه السلام عند ذلك إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته الآية فسكت عنهم واطمأنت نفسه وقال قتادة وغيره قريبا أفتهلون قرية فيها أربعون مؤمنا؟ قالوا لا قال ثلاثون؟ قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا. قال رأيتمكم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا لا فقال جبريل ومن معه قالوا له إنا مهلكوا أهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن؟ قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا لا قال وهو ما أوجس من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا وبشروه بعد ذلك بالولد وأخبروه بهلاك قوم لوط أخذ يقول كما قال سعيد بن جبير في الآية: قال لما جاءه يخبر تعالى عن إبراهيم لحليم أواه منيب مدح لإبراهيم بهذه الصفات الجميلة وقد تقدم تفسيرها. 75

أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك الآية أي أنه قد نفذ فيهم القضاء وحقت عليهم الكلمة بالهلاك وحلول البأس الذي لا يرد عن القوم المجرمين. 76 وقوله تعالى يا إبراهيم

نهو أن يضيف رجلا فقالوا خل عنا فلنضيف الرجال فجاء بهم فلم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته فخرجت امرأته فأخبرت قومها فجاءوا يهرعون إليه. 77 حتى أتيتكم وفرقت عليهم من قومها فأتت أباهما فقالت: يا ابتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك وكان قومه السدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط فبلغوا نهر سدوم نصف النهار ولقوا بنت لوط تستقي فقالوا يا جارية هل من منزل؟ فقالت مكانكم بلد أخبت من هؤلاء ثم مشي قليلا ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات قال قتادة: وقد كانوا أمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبينهم بذلك. وقال أرض له فتضيفوه فاستحيا منهم فانطلق أمامهم وقال لهم في أثناء الطريق كالمعرض لهم بأن ينصرفوا عنه أنه والله يا هؤلاء ما أعلم على وجه الأرض أهل بسوء وقال هذا يوم عصيب قال ابن عباس وغير واحد: شديد بلاؤه وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم ويشق عليه ذلك وذكر قتادة أنهم أتوه وهو في شبان حسان الوجوه ابتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة فسأه شأنهم وضاعت نفسه بسببهم وخشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم أحد من قومه فينالهم لوط هذه الليلة فانطلقوا من عنده فأتوا لوطا عليه السلام وهو علي ما قيل في أرض له وقيل في منزله ووردوا عليه وهم في أجمل صورة تكون على هيئة يخبر تعالى عن قدوم رسله من الملائكة بعد ما أعلموا إبراهيم بهلاكهم وفارقوه وأخبروه بإهلاك الله قوم

ولا تخزون في ضيفي أي اقبلوا ما أمركم به من الاقتصار على نساكنكم أليس منكم رجل رشيد أي فيه خير يقبل ما أمره به ويترك ما أنهائه عنه. 78 أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وكذا روي عن الربيع بن أنس وقاتدة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم وقوله فاتقوا الله ابن جريج: أمرهم أن يتزوجوا النساء ولم يعرض عليهم سفاحا وقال سعيد بن جبير: يعني نساءهم هن بناته وهو أب لهم ويقال في بعض القراءات النبي وقال في هذه الآية الكريمة هؤلاء بناتي هن أظهر لكم قال مجاهد: لم يكن بناته لكن كن من أمته وكل نبي أبو أمته. وكذا روي عن قتادة وغير واحد وقال وقوله في الآية الأخرى قالوا أو لم ننكح عن العالمين أي ألم ننكح عن ضيافة الرجال قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين لعمر كإنهم لفى سكرتهم يعمهون إلي ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة كما قال لهم في الآية الأخرى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون من سجيتهن حتى أخذوا وهم علي ذلك الحال وقوله قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أظهر لكم يرشدهم إلى نساكنهم فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد فأرشدهم

تفسير ابن كثير

وقوله يهرعون إليه أي يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك وقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات أي لم يزل هذا نريد أي ليس لنا غرض إلا في الذكور وأنت تعلم ذلك فأني حاجة في تكرار القول علينا في ذلك ؟ قال السدي وإنك لتعلم ما نريد إنما نريد الرجال. 79 قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق أي إنك لتعلم أن نساءك لا أرب لنا فيهن ولا نشتهيهن وإنك لتعلم ما أمتي وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة كقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وكقوله من أهل الكتاب أمة قائمة الآية. 8 ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار وأما أمة الاتباع فهم المصدقون للرسل كما قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وفي الصحيح فأقول أممي يظلمون والمراد من الأمة ههنا الذين يبعث فيهم الرسول مؤمنهم وكافرهم كما في صحيح مسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي وقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا إنهم قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون وتستعمل في الجماعة كقوله ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون وتستعمل في الإمام المقتدى به كقوله إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وتستعمل في الملة والدين كقوله أخبارا عن المشركين تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة فيراد بها الأمد كقوله في هذه الآية إلى أمة معدودة وقوله في يوسف وقال الذي نجا منها واذكر بعد أمة مدة مضروبة ليقولن تكذيبا واستعجالا: ما يحبس أي يؤخر هذا العذاب عنا فإن سجاياهم قد ألقت التكذيب والشك فلم يبق لهم محيص عنه ولا محيد. والأمة أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة الآية. يقول تعالى ولنن أخرنا العذاب والمؤاخاة عن هؤلاء المشركين إلى أجل معدود وأمد محصور وأوعدناهم إلى وقوله ولئن

يعنى الله عز وجل فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليهم وأنهم لا وصول لهم إليه. 80 من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد نبيه لوط عليه السلام إن لوطا توعدهم بقوله لو أن لي بكم قوة الآية أي لكنت نكلت بكم وفعلت بكم الأفاعيل بنفسي وعشيرتي ولهذا ورد في الحديث يقول تعالى مخبرا

عميا لا يعرفون الطريق ثم أمر لوط فاحتمل بأهله في ليلته قال فأسر بأهلك بقطع من الليل وروي عن محمد بن كعب وقتادة والسدي نحو هذا. 81 ربك لن يصلوا إليك امض يا لوط عن الباب ودعني وإياهم فتنحى لوط عن الباب فخرج إليهم فنشر جناحه فضر به وجوههم ضربه شخ أعينهم فصاروا وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك حبك مثل المرجان وهو اللؤلؤ كأنه الثلج ورجلاه إلي الخضة فقال يا لوط إنا رسل الملك فلز بالباب يقول فشد واستأذن جبريل في عقوبتهم فأذن الله له فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء فنشر جناحه ولجبريل جناحان منهم فهرعوا يسارعون إلى الباب فعالجهم لوط على الباب فدافعوه طويلا وهو داخل وهم خارج يناشدهم الله ويقول هؤلاء بناتي هن أظهر لكم فقام عجوز السوء فصعدت فلوحت بثوبها فأثاها الفساق يهرعون سراعا قالوا ما عندك؟ قالت ضيف لوط قوما ما رأيت قط أحسن وجوها منهم ولا أطيب ريحا ما يعمل أهل هذه القرية؟ ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شرا منهم فقال جبريل للملائكة احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب فلما دخلوا ذهب عجوزه الله فالتفت جبريل إلى الملائكة فقال: احفظوها هاتان اثنتان فلما انتهى إلى باب الدار بكى حياء منهم وشفقة عليهم فقال: إن قومي أشر خلق الله؟ أما تعلمون معهم ساعة فلما توسط القرية وأشفق عليهم واستحيا منهم قال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ ما أعلم على وجه الأرض أشر منهم إن قومي أشر خلق القرية؟ ما أعلم على وجه الأرض شرا منهم أين أذهب بكم؟ إلى قومي وهم أشر خلق الله؟ فالتفت جبريل إلى الملائكة فقال احفظوها هذه واحدة ثم مشى عليهم لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ذكر ما يعمل قومه من الشر فمشى معهم ساعة ثم التفت إليهم فقال أما تعلمون ما يعمل أهل هذه الكتاب أجله انتهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل في أرض له فدعاهم إلى الضيافة فقالوا إنا ضيوفك الليلة وكان الله قد عهد إلى جبريل ألا يعذبهم حتى يشهد الآية وقال معمر عن قتادة عن حذيفة بن اليمان قال: كان إبراهيم عليه السلام يأتي قوم لوط فيقول أنهاكم الله أن تعرضوا لعقوبته فلم يطيعوه حتى إذا بلغ السلام فضر به وجوههم بجناحه فطمس أعينهم فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق كما قال تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر من كل جانب ولوط واقف على الباب يدافعهم وينهاهم عما هم فيه وهم لا يقبلون منه بل يتوعدونه ويتهدون به فعند ذلك خرج عليهم جبريل عليه تبشيرا له لأنه قال لهم أهلكوهم الساعة فقالوا إن موعدهم الصبح أليس الصبح ب قريب. هذا وقوم لوط وقوف على الباب عكوف قد جاءوا يهرعون إليه فجوزوا الرفع والنصب وذكر هؤلاء أنها خرجت معهم وأنها لما سمعت الوجبة التفتت وقالت: واقوماها فجاءها حجر من السماء فقتلها ثم قربوا له هلاك قومه ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك لأنه مثبت فوجب نصبه عندهم وقال آخرون من القراء والنحاة هو استثناء من قوله ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك تلك الأصوات المزعجة ولكن استمروا ذاهبين إلا امرأتك قال الأكثرون هو استثناء من المثبت وهو قوله فأسر بأهلك تقديره إلا امرأتك وكذلك قرأها لن يصلوا إليك وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل وأن يتبع أدبارهم أي يكون ساقا لأهله ولا يلتفت منكم أحد أي إذا سمعت ما نزل بهم ولا تهولنكم قالوا يا لوط إنا رسل ربك

به الأبطال سجيناً وقوله منضود قال بعضهم: منضودة في السماء أي معدة لذلك وقال آخرون منضود أي يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم. 82 بعضهم مشوية وقال البخاري سجيل: الشديد الكبير سجيل وسجين اللام والنون أختان وقال تميم بن مقبل: ورحله يضربون البيض صاحبة ضربا تواصت

تفسير ابن كثير

قاله ابن عباس وغيره وقال بعضهم: أي من سنك وهو الحجر وكل وهو الطين وقد قال في الآية الأخرى حجارة من طين أي مستحجرة قوية شديدة وقال عند طلوع الشمس جعلنا عليها وهي سدوم سافلها كقوله فغشاها ما غشى أي أمطرنا عليها حجارة من سجيل وهي بالفارسية حجارة من طين يقول تعالى فلما جاء أمرنا وكان ذلك

عملا بهذا الحديث وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه يلقي من شارق ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. 83
عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وذهب الإمام الشافعي في قول عنه وجماعة من العلماء إلى أن اللائط يقتل سواء كان محصنا أو غير محصن الظالمين ببعيد أي وما هذه النعمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه وقد ورد في الحديث المروي في السنن عن ابن عباس مرفوعا من وجدتموه يعمل فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله فذلك قوله عز وجل وأمطرنا عليهم أي في القرى حجارة من سجيل هكذا قال السدي وقوله وما هي من فذلك قوله والمؤتفكة أهوى ومن لم يمت حتى سقط للأرض أمطر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة ومن كان منهم شادا في الأرض يتبعهم في القرى قوم لوط نزل جبريل فاقتلع الأرض من سبع أرضين فحملها حتى بلغ بها السماء حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ثم قلبها فقتلهم ثم أتبعها الله بالحجارة يقول الله تعالى جعلنا عليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات. وقال السدي: لما أصبح وصعبة وصعود وغمرة ودوحاء احتملها جبريل بجناحه ثم صعد بها حتى أن أهل السماء الدنيا ليسمعون نايحة كلابها وأصوات دجاجها ثم كفأها على وجهها بعضها على بعض فجعل عليها سافلها ثم أتبعها حجارة من سجيل. وقال محمد بن كعب القرظي: كانت قرى قوم لوط خمس قرى: سدوم وهي العظمى جوف جناحه ثم صعد بها إلى السماء الدنيا حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب وكانوا أربعة آلاف ألف ثم قلبها فأرسلها إلى الأرض منكوسة ودمدم عليه السلام لما أصبح نشر جناحه فانتسف بها أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها فضمها في جناحه فحواها وطواها في ثلاث قرى الكبرى منها سدوم قال وبلغنا أن إبراهيم عليه السلام كان يشرف على سدوم ويقول سدوم يوم هالك. وفي رواية عن قتادة وغيره: بلغنا أن جبريل حتى سمع أهل السماء ضواغي كلابهم ثم دمر بعضها على بعض ثم أتبع شذاذ القوم صخرا قال: وذكر لنا أنهم كانوا أربع قرى في كل قرية مائة ألف وفي رواية على حوافي جناحه الأيمن قال: ولما قلبها كان أول ما سقط منها شرقاتها. وقال قتادة: بلغنا أن جبريل أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى جو السماء أحد وقال مجاهد: أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها وكان حملهم يكون عند الناس يتحدث إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس فدمره فتتبعهم الحجارة من سائر البلاد حتى أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق منهم الذي ينزل عليه وقال قتادة وعكرمة مسومة مطوقة بها نضح من حمرة وذكروا أنها نزلت على أهل البلد وعلى المتفرقين في القرى مما حولها فبينما أحدهم وقوله مسومة أي معلمة مختومة عليها أسماء أصحابها كل حجر مكتوب عليه اسم

بخير أي في معيشتكم ورزقكم وإني أخاف أن تسلبوا ما أنتم فيه بانتهاكم محارم الله وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط أي في الدار الآخرة. 84
شعبيا وكان من أشرفهم نسبا ولهذا قال أخاهم شعبيا يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وينهاهم عن التططيف في المكيال والميزان إني أراكم يقول تعالى ولقد أرسلنا إلى مدين وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريبا من معان. بلادا تعرف بهم يقال لها مدين فأرسل الله إليهم والميزان إذا أعطوا الناس ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط أخذين ومعطين ونهاهم عن العثو في الأرض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق. 85
ينهاهم أولا عن نقص المكيال

أعجبك كثرة الخبيث الآية وقوله وما أنا عليكم بحفيظ أي برقيب ولا حفيظ أي افعلوا ذلك لله عز وجل لا تفعلوه ليراكم الناس بل لله عز وجل. 86
من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس قال وقد روي هذا عن ابن عباس قلت ويشبهه قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو من الله خير لكم وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: الهلاك في العذاب والبقية في الرحمة وقال أبو جعفر بن جرير بقية الله خير لكم أي ما يفضل لكم عباس: رزق الله خير لكم وقال الحسن رزق الله خير من بخسكم الناس وقال الربيع بن أنس وصية الله خير لكم وقال مجاهد طاعة الله وقال قتادة حظكم وقوله بقية الله خير لكم قال ابن

قال ابن عباس وميمون بن مهران وابن جريج وأسلم وابن جرير: يقولون ذلك أعداء الله على سبيل الاستهزاء قبحهم الله ولعنهم عن رحمته وقد فعل. 87
أي والله إن صلاته لتأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم وقال الثوري في قوله أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء فنترك التططيف عن قولك وهي أموالنا نفعل فيها ما نريد قال الحسن في قوله أصولك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا يقولون له على سبيل التهكم قبحهم الله أصلاتك قال الأعمش أي قراءتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أي الأوثان والأصنام

كتب عمر بن عبدالعزيز فيها الأمر والنهي فيكتب في آخرها وما كنت من ذلك إلا كما قال العبد الصالح وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. 88
ما حفظت وصية العبد الصالح إذا وما أريد أن أخالفكم إلي ما نهاكم عنه وقال عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن أبي سليمان الضبي قال: كانت تجيئنا عروة عن الحسن العرني عن يحيى بن البزار عن مسروق قال: جاءت امرأة إلي ابن مسعود فقالت تنهي عن الواصلة؟ قال نعم قالت: فعله بعض نساءك فقال: ومعناه والله أعلم مهما بلغكم عني من خير فأنا أولاكم به ومهما يكن من مكروه فأنا أبعدهم منه وما أريد أن أخالفكم إلي ما نهاكم عنه وقال قتادة عن صحيح وقد أخرج مسلم بهذا السند حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم أفتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك

تفسير ابن كثير

وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعارهم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه إسناده الأنصاري قال: سمعت أبا حميد وأبا أسيد يقولان عنه صلى الله عليه وسلم إنه قال إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم عن جيرانه من هذا القبيل الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر حدثنا سليمان بن بلال عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن الملك بن سعيد بن سويد دعوة لا يفلحون بعدها أبدا فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي فهمها فقال قد قالوها أو قائلها منهم والله لو فعلت لكان علي وما كان عليهم خلوا ليقولون إنك تنهي عن الشيء وتستخلي به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقول قال: فجعلت أعرض بينهما كلاما مخافة أن يسمعها فيدعو علي قومي رجل من قومي إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال يا محمد علام تحبس جيرانني؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أن ناسا وقال أيضا: حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ناسا من قومي في تهمة فحبسهم فجاء أنك لتأمر بالأمر وتخالف إلي غيره قال فقال أو قد قالوها: أي قائلهم ولئن فعلت ما ذاك إلا علي وما عليهم من ذلك من شيء أرسلوا له جيرانه الناس يزعمون أنك لتأمرنا بالأمر وتخالف إلي غيره وجعلت أجره وهو يتكلم فقال رسول الله ما تقول؟ فقال إنك والله لئن فعلت ذلك إن الناس ليزعمون أخذا جيرانني فانطلق إليه فإنه قد كلمك وعرفك فانطلقت معه فقال: دع لي جيرانني فقد كانوا أسلموا فأعرض عنه فقام مغضبا فقال: أما والله لئن فعلت إن الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو قزعة سويد بن حجير الباهلي عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن أخاه مالكا قال: يا معاوية إن محمدا إصلاحكم جهدي وطاقتي وما توفيقي أي في إصابة الحق فيما أريده إلا بالله عليه توكلت في جميع أموري وإليه أنيب أي أرجع قاله مجاهد قال في قوله وما أريد أن أخالفكم إلي ما أنهاكم عنه يقول لم أكن أنهاكم عن أمر وارتيكه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت أي فيما أمركم وأنهاكم إنما أريد الحلال ويحتمل الأمرين وقال الثوري وما أريد أن أخالفكم إلي ما أنهاكم عنه أي لا أنهاكم عن الشيء وأخالف أنا في السر فافعله خفيه عنكم كما قال قتادة يقول لهم أرايتم يا قوم إن كنت علي بينة من ربي أي علي بصيرة فيما أدعوا إليه ورزقني منه رزقا حسنا قيل أرد النبوة وقيل أرد الرزق

أصابه وقوله وما قوم لوط منكم ببعيد قيل المراد في الزمان قال قتادة: يعني إنما هلكوا بين أيديكم بالأمس وقيل في المكان ويحتمل الأمران. 89 فقال يا قوم لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح يا قوم لا تقتلوني إنكم إن قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين عيينة حدثني عبدالملك بن أبي سليمان عن ابن أبي ليلى الكندي قال: كنت مع مولاي أمسك دابته وقد أحاط الناس بعثمان بن عفان إذ أشرف علينا من داره في الضلال والكفر فيصيبكم من العذاب وما أصابهم وقال ابن أبي حاتم: حدثنا ابن عوف الحمصي حدثنا أبو المغيرة عبدالقدوس بن الحجاج حدثنا ابن أبي هود وقوم صالح وقوم لوط ومن النعمة والعذاب وقال قتادة ويا قوم لا يجر منكم شقاقي يقول ويحملنكم فراقني وقال السدي: عدواني علي أن تماردوا لهم ويا قوم لا يجر منكم شقاقي أي لا تحملنكم عدواني وبغضي علي الإصرار علي ما أنتم عليه من الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وقوم يقول

أنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل وكفر وجحود لماضي الحال كأنه لم ير خيرا ولم يرج بعد ذلك فرجا. 90 يخبر تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة إلا من رحم الله من عباده المؤمنين

واستغفروا ربكم من سالف الذنوب ثم توبوا إليه فما تستقبلونه من الأعمال السيئة وقوله إن ربي رحيم ودود أي لمن تاب. 91 علي دينك ولولا رهطك لرجمناك أي قومك لولا معزتهم علينا لرجمناك قيل بالحجارة وقيل لسببناك وما أنت علينا بعزير أي ليس عندنا لك معزة. 92 ضرير البصر. وقال الثوري: كان يقال له خطيب الأنبياء. قال السدي وإنا لنراك فينا ضعيفا قال أنت واحد وقال أبو روق يعنون ذليلا لأن عشيرتك ليسوا يقولون يا شعيب ما نفقة ما نفهم كثيرا من قولك وإنا لنراك فينا ضعيفا قال سعيد بن جبير والثوري: وكان

كتاب الله وراءكم ظهريا أي نبذتموه خلفكم ولا تطيعونه ولا تعظمونه وإن ربي بما تعلمون محيط أي هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيك. 92 قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله يقول أتركوني لأجل قومي ولا تتركوني إعظاما لجناح الرب تبارك وتعالى أن تنالوا نبيه بمساءة وقد أخذتم إني عامل علي طريقتي سوف تعملون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب أي مني ومنكم وارتقبوا أي أنتظروا إني معكم رقيب. 93 لما ينس نبي الله شعيب من استجابهم له قال يا قوم أعملوا علي مكانتكم أي طريقتكم وهذا تهديد شديد

من السماء إن كنت من الصادقين قال فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم وهذا من الأسرار الدقيقة ولله الحمد والمنة كثيرا دائما. 94 بها وأرادوا إخراج نبيهم منها وههنا لما أساءوا الأدب في مقالاتهم عل نبيهم ذكر الصحة التي استلبت منهم وأخذتهم وفي الشعراء لما قالو فاسقط علينا كسفا كل سياق ما يناسبه ففي الأعراف لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معكم من قريتنا ناسب أن يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بهم وذكر أنها أنه أتممت صحة وفي الأعراف رجفة وفي الشعراء عذاب يوم الظلة وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلهم وأنما ذكر في ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائمين وقوله جائمين أي هامدين لا حراك قال الله تعالى

في دارهم قبل ذلك ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وكانوا جيرانهم قريبا منهم في الدار وشبيها بهم في الكفر وقطع الطرق وكانوا عربا مثلهم. 95 وقوله كأن لم يغنوا فيها أي يعيشوا

يقول تعالى مخبرا عن إرسال موسى بآياته ودلالاته الباهرة. 96

وبيلا وقال تعالى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذ الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى. 97
القيامة إلى نار جهنم فأوردتهم إياها وشربوا من حياض رداها وله في ذلك الحظ الأوفر من العذاب الأكبر كما قال تعالى فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً
أمر فرعون برشيد أي ليس فيه رشد ولا هدى وإنما هو جهل وضلال وكفر وعناد وكما أنهم اتبعوه في الدنيا وكان مقدمهم ورئيسهم كذلك هو يقدمهم يوم
إلى فرعون ملك القبط وملائه فاتبعوا أمر فرعون أي منهجه ومسلكه وطريقته في الغي وما

أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرؤ القيس حامل لواء شعراء الجاهلية إلى النار. 98
عن الكفرة أنهم يقولون في النار ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب الآتية وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم حدثنا
النار وبئس الورد المورد وكذلك شأن المتبوعين يكونون موفورين في العذاب يوم القيامة كما قال تعالى لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقال تعالى إخباراً
وقال تعالى يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم

هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين وقال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. 99
بئس الردف المرفود قال لعنة الدنيا والآخرة وكذا قال الضحاك وقتادة وهو كقوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في
على عذاب النار لعنة في الدنيا ويوم القيامة بئس الردف المرفود قال مجاهد: زيدوا لعنة يوم القيامة فتلك لعنتان وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
وقوله وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة الآية أي أتبعناهم زيادة

سورة 12

سورة البقرة وقوله تلك آيات الكتاب أي هذه آيات الكتاب وهو القرآن المبين أي الواضح الجلي الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرهما ويبينها. 1
أسلموا لموافقتهما ما عندهم وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. بسم الله الرحمن الرحيم أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول
الله عليه وسلم فذكر نحوه وهو منكر سائر طريقه وروى البيهقي في الدلائل أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه السورة
به رمن طريق شبابة عن محمد بن عبد الواحد النضري عن علي بن زيد بن جدعان وعن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب عن النبي صلى
أن لا يحسد مسلماً وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف إسناده بالكلية وقد ساقه الحافظ ابن عساكر متابعاً من طريق القاسم بن الحكم عن هارون بن كثير
الله صلى الله عليه وسلم علموا أرفاكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها أو علمها أهله أو ما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه من القوة
ويقال سليم المدائني وهو متروك عن هارون بن كثير وقد نص على جهالته أبو حاتم عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول
سورة يوسف روى الثعلبي وغيره من طريق سلام بن سليم

وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين فقد احتملوا أمراً عظيماً. رواه ابن أبي حاتم عن طريق سلمة بن الفضل عنه. 10
حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه على كبر سنه ورقة عظمه مع مكانه من الله فيمن أحبه طفلاً صغيراً وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه
على أمر عظيم من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل وخطره عند الله مع
من المسافرين فتستريحوا منه بهذا ولا حاجة إلى قتله إن كنتم فاعلين أي إن كنتم عازمين على ما تقولون. قال محمد بن إسحاق بن يسار: لقد اجتمعوا
الله عنه بمقالة روبيل فيه وإشارته عليهم بأن يلقوه في غيابة الجب وهو أسفله. قال قتادة: وهي بئر بيت المقدس يلتقطه بعض السيارة أي المارة
ولم يكن لهم سبيل إلى قتله لأن الله تعالى كان يريد منه أمراً لا بد من إمضائه وإتمامه من الإيحاء إليه بالنبوة ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها فصرفهم
إسحاق: وكان أكبرهم واسمه روبيل. وقال السدي الذي قال ذلك يهوذا وقال مجاهد هو شمعون لا تقتلوا يوسف أي لا تصلوا في عداوته وبغضه إلى قتله
قال قائل منهم قال قتادة ومحمد بن

الله بن سداد اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ست وثمانون إنساناً صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وخرجوا منها وهم ستمائة ألف ونيف. 100
وسبعون ألفاً وقال أبو إسحاق عن مسروق دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون بين رجل وامرأة فالله أعلم وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي عن عبد
الله إليه وقال أبو إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنساناً وخرجوا منها وهم ستمائة ألف
عشرة سنة قال وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها وأن يعقوب عليه السلام بقي مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ثم قبضه
سنة فمات وله عشرون ومائه وقال قتادة كان بينهما خمس وثلثون سنة وقال محمد بن إسحاق: ذكر والله أعلم أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانين
ثلاث وثمانون سنة وقال مبارك بن فضالة عن الحسن ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة فغاب عن أبيه ثمانين سنة وما من بعد ذلك ثلاثاً وعشرين
أن التقيا ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديه وما على وجه الأرض عبد أحب إلى الله من يعقوب وقال هشيم عن يونس عن الحسن
ينتهي أقص الرؤيا رواه ابن جرير وقال أيضاً حدثنا عمر بن علي حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا هشام عن الحسن قال كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى
أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده قال أبو عثمان النهدي عن سليمان كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة قال عبد الله بن شداد وإليها

تفسير ابن كثير

أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء أي إذا أراد أمرا قبيحاً له أسباباً وقدره ويسره إنه هو العليم بمصالح عباده الحكيم في العربات من أرض فلسطين من غور الشام قال وبعض يقول كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حسمي وكانوا أصحاب بادية وشاء وإبل من بعد نعم الله عليه وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو أي البادية قال ابن جريج وغيره كانوا أهل بادية وماشية وقال كانوا يسكنون قال تعالى هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله أي يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا به من خير وشر وقوله قد جعلها ربي حقاً أي صحيحة صدقاً يذكر له سجداً فعندها قال يوسف يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً أي هذا ما آتاه إليه الأمر فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر كما عهد بالإسلام فسجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت والغرض أن هذا كان جائزاً في شريعتهم ولهذا خروا لأحد لأموت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها وفي حديث آخر: أن سلمان لقي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا معاذ؟ فقال إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله فقال لو كنت أمراً أحداً أن يسجد مختص بجناب الرب سبحانه وتعالى هذا مضمون قول قتادة وغيره وفي الحديث أن معاوية قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول سائفاً في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم هذا في هذه الملة وجعل السجود وكانوا أحد عشر رجلاً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل أي التي كان قصها على أبيه من قبل إني رأيت أحد عشر كوكباً الآية وقد كان هذا أبويه على العرش قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني السرير أي أجلسهما معه على سريريه وخروا له سجداً أي سجد له أبواه وإخوته الباقون وجاء بكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم وقوله ورفع

يعقوب عليه السلام لما حضره الموت أوصى إلى يوسف بأن يدفن عند إبراهيم وإسحاق فما مات صبره وأرسله إلى الشام دفن عندهما عليه السلام. 101
تعالى قد عفا عما صنعوا وأنه قد اعتقد موافقتهم من بعدك على النبوة هذا الأثر موقوف عن أنس ويزيد الرقاشي وصالح المري ضعيفان جداً وذكر السدي أن إذا كان على رأس العشرين نزل جبريل عليه السلام على يعقوب عليه السلام فقال إن الله تعالى قد بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك وأن الله فاستقبل القبلة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفهما أذله خاشعين قال فدعا وأمن يوسف فلم اجب فيهم عشرين سنة قال صالح المري يخيفهم قال حتي يا بني؟ قالوا نريد أن تدعو الله لنا فإذا جاءك الوحي من الله بأنه قد عفا عنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا وإلا فلا قرّة عين في الدنيا لنا أبداً قال فقام الشيخ إليك وما كان منا إلى أخينا يوسف؟ قال بلى قالوا أو لستما قد غفرتما لنا؟ قال بلى قالوا فإن عفوكما لا يغني عنا شيئاً إن كان الله لم يعف عنا قال فما تريدون لم تأتكم لأمر مثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط حتى حركوه والأنبياء عليهم السلام أرحم البرية فقال ما لكم يا بني؟ قالوا ألسنت قد علمت ما كان منا قال فيغريكم عفوهما عنكم فكيف لكم بربكم؟ فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه قاعد قالوا يا أبانا إنا أتيناك لأمر إن الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله بعينه خلا ولده نجياً فقال بعضهم لبعض ألسنت قد علمتم ما صنعتم وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف؟ قالوا بلى عليهم وعفا عنهم وغفر لهم ذنوبهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن صالح المري عن يزيد الرقاع عن أنس بن مالك قال والبلابل والأمور الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون قال أبو جعفر بن جرير: وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا استغفروا لهم أبوه فتاب الله له مع أمير خراسان ما جرى قال: اللهم توفني إليك وفي الحديث إن الرجل ليمر بالقبر أي في زمان الدجال فيقول يا ليتني مكانك لما يرى من الفتن والزلازل لما رأى أن الأمور لا تجتمع له ولا يزداد الأمر إلا شدة فقال: اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئمتوني وقال البخاري رحمه الله لما وقعت له تلك الفتنة وجرى الفتن ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر خلافته عمرو بن عاصم عن كثير بن قتادة عن محمود بن لبيد مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت خير للمؤمن من والترمذي في قصة المنام والدماء الذي فيه وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة أنا عبد العزيز بن محمد عن ومخرجا وأنطق الصبي في المهد بأنه عبد الله ورسوله فكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث معاذ الذي رواه الإمام أحمد وقد حملت ووضعت وقد قالوا يا مريم لقد جننت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت أملك بغيا فجعل الله لها من ذلك الحال فرجا لما جاءها المخاض وهو الطلق إلى جذع النخلة يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً لما علمت من أن الناس يقذفونها بالفاحشة لأنها لم تكن ذات زوج سؤال الموت كما قال الله تعالى إخباراً عن السحرة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهدهم بالقتل قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين وقالت مريم بعمله فإنه إذا مات أحدكم انقطع عنه عمله لأنه لا يزيد المؤمن عمله إلا خيراً تفرد به أحمد وهذا فيما إذا كان الضرب خاصاً به وأما إذا كان فتنة في الدين فيجوز هو مسلم بن جبير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولا يدع به من قبل أن يأتيه إلا أن يكون قد وثق مرات ثم قال يا سعد إن كنت خلقت للجنة فما طال من عمرك وحسن من عملك فهو خير لك وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس وسلم فذكرنا ورققنا فبكى سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء وقال يا ليتني مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا سعد أعندي تتمني الموت؟ فردد ذلك ثلاث خيراً لي وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: جلسنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا الموت بضر نزل به إن كان محسناً فيزداد وإن كان مسيئاً فلعله يستعقب ولكن ليقول اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة نزل به فإن كان ولا بد متمنياً الموت فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي وأخرجاه في الصحيحين وعندهما لا يتمنين رحمه الله حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضر

تفسير ابن كثير

ولوادي ولمن دخل بيتي مؤمنا ويحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك وهو ظاهر سياق قول قتادة ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا قال الإمام أحمد بن حنبل وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس أنه أول نبي دعا بذلك وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام كما أن نوحا أو من قال رب اغفر لي وأقر عينه وهو يومئذ مغفور في الدنيا وملكها ونضارتها اشتاق إلى الصالحين قبله وكان ابن عباس يقول ما تمن نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام وألحقنا بالصالحين ويحتمل أنه سأل ذلك منجزا وكان ذلك سائغا في ملتهم كما قال قتادة قوله توفي مسلما وألحقني بالصالحين لما جمع الله شمله إذا جاء أجله وانقضى عمره لا أنه سأل ذلك منجزا كما يقول الداعي لغيره أمتك الله على الإسلام ويقول الداعي اللهم أحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول اللهم في الرفيق الأعلى ثلاثا ويحتمل أن سأل الوفاة على الإسلام واللاحق بالصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه قاله الضحاك وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوانه من النبيين والمرسلين هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وأخويه وما من الله به عليه من النبوة والملك سأل ربه عز وجل كما وقال وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله كقوله إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين إلى غير ذلك من الآيات. 102

أطلعه على أنباء ما قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ومع هذا ما آمن أكثر الناس ولهذا قال وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين أهل مدين تتلو عليهم آياتنا الآية وقال ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي أنما أنا نذير مبين يقول تعالى إنه رسوله وإنه قد آتينا وقال تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر الآية إلى قوله وما كنت بجانب الطور إذ نادينا الآية وقال وما كنت ثاويا في لهم إذ أجمعوا أمرهم أي على إلقائه في الجب وهم يمكرون به ولكننا أعلمناك به وحيا إليك وإنزالا عليك كقوله وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم من أخبار الغيوب السابقة نوح به إليك ونعلمك به يا محمد لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك وما كنت لديهم حاضرا عندهم ولا مشاهدا لما قص عليه نبا أخوة يوسف وكيف رفعه الله عليهم وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم مع ما أرادوا به من السوء والهلاك والإعدام هذا وأماله يا محمد يقول تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم

وقال وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله كقوله إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين إلى غير ذلك من الآيات. 103

أطلعه على أنباء ما قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ومع هذا ما آمن أكثر الناس ولهذا قال وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين أهل مدين تتلو عليهم آياتنا الآية وقال ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي أنما أنا نذير مبين يقول تعالى إنه رسوله وإنه قد آتينا وقال تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر الآية إلى قوله وما كنت بجانب الطور إذ نادينا الآية وقال وما كنت ثاويا في لهم إذ أجمعوا أمرهم أي على إلقائه في الجب وهم يمكرون به ولكننا أعلمناك به وحيا إليك وإنزالا عليك كقوله وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم من أخبار الغيوب السابقة نوح به إليك ونعلمك به يا محمد لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك وما كنت لديهم حاضرا عندهم ولا مشاهدا لما قص عليه نبا أخوة يوسف وكيف رفعه الله عليهم وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم مع ما أرادوا به من السوء والهلاك والإعدام هذا وأماله يا محمد يقول تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم

أي من جعالة ولا أجرة بل تفعله ابتغاء وجه الله ونصحا لخلقه إن هو إلا ذكر للعالمين أي يتذكرون به ويهتدون وينجون به في الدنيا والآخرة. 104

وقوله وما تسألهم عليه من أجر أي ما تسألهم يا محمد على هذا النصح والدعاء إلى الخير والرشد من أجر

الطعوم والروائح والألوان والصفات فسبحان الواحد الأحد خالق أنواع المخلوقات المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية للأسماء والصفات وغير ذلك. 105

وحدات وجنات ورجال راسيات وبحار زائرات وأماج متلاطمت وقفار شاسعات وكم من أحياء وأموات وحيوان ونبات وثمرات متشابهة ومختلفات في توحيدها بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت وسيارات وأفلاك دائرات والجميع مسخرات وكم في الأرض من قطع متجاورات يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله ودلائل

بكر الصديق قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول فذكر هذا الدعاء وزاد في آخره وأن أقترن على نفسي سواء أو أجره إلى مسلم. 106

بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه رواه أبو داود والنسائي وصححه وزاد الإمام أحمد لى رواية له من حديث ليث من أبي سليم عن مجاهد عن أبي أوفى إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي قل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بالإمام أحمد والترمذي وصححه والنسائي من حديث يعلى بن عطاء سمعت عمرو بن عاصم سمعت أبا هريرة قال أبو بكر الصديق يا رسول الله علمني شيئا قال: قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأن أعلم وأستغفر لك لا أعلم قال الدارقطني يحيى بن أبي كثير هذا يقال له أبو النضر متروك الحديث وقد روى قال: فقال أبو بكر يا رسول الله فكيف النجاة والمخرج من ذلك؟ فقال ألا أخبرك بشيء إذا قلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره؟ قال بلى يا رسول الله عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك أخفى من ديبب النمل على الصفا قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفر لك لا أعلم وقد رواه الحافظ أبو القاسم البغوي عن شيبان بن فروي عن يحيى بن أبي كثير عن الثوري إلا من دعا مع الله إله آخر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فيكم أخفى من ديبب النمل ثم قال ألا أدلكم على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره؟

تفسير ابن كثير

صلي الله عليه وسلم أو قال حدثني أبو بكر الصديق عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال الشرك أخفى فيكم من ديبب النمل فقال أبو بكر وهل الشرك ذلك هو الصديق كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي من حديث عبد العزيز بن مسلم عن ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن معقل بن يسار قال شهدت النبي أخفى من ديبب النمل يا رسول الله؟ قال قالوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه وقد روى من وجه آخر وفيه أن السائل في خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم فقال يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديبب النمل فقال له من شاء الله أو يقول فكيف نتقيه وهو أخفى من ديبب النمل فقام عبد الله بن حرب وقيس بن المضارب فقالا والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون قال بل أخرج مما قلت بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي عن أبي علي رجل من بني كاهل قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه فقد أشرك قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال أن يقول أحدهم اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله حسن أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا ابن هبيرة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من ردت الطيرة عن حاجته عندهم جزاء؟ وقد رواه إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمرو عن قتاده عن محمود بن لبيد به وقال الإمام أحمد حدثنا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون حدثنا ليث عن يزيد يعني ابن الهادي عن عمرو بن محمود بن لبيد أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا فيه ينادي مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الإمام أحمد وقال أحمد حدثنا يونس غيري تركته وشركه رواه مسلم وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي بن عامر قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من علق تميمة فقد أشرك وفي رواية من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودعة الله له وعن شيئا فقال أتعلق شيئا وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من تعلق شيئا وكل إليه ورواه النسائي عن أبي هريرة وفي مسند الإمام أحمد من حديث عقبة حديث آخر رواه الإمام أحمد عن وكيع عن ابن أبي ليلى عن عيسى بن عبد الرحمن قال دخلت على عبد الله بن حكيم وهو مريض نعوذ فليل له لو تعلقت كف عنها إنما كان يكفك أن تقولي كما قال النبي صلي الله عليه وسلم أذهب البأس رب الناس اشف وأنت الشاف لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وفي له لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنك أختلف إلى فلان اليهودي يرقىها فكان إذا رقاها سكنت؟ فقال إنما ذاك من الشيطان كأن ينخسها بيده فإذا رقاها رقي لي فيه فأخذه فقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول إن الرقى والتمائم والتولية شرك قالت: قلت فتتحنج وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير قالت فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطا فقال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت خيط امرأة عبد الله بن مسعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تتحنج وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه قالت لأنه جاء ذات يوم الله يذبه بالتوكل ورواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى الجزار عن ابن أخي زينب عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم إن الرقى والتمائم والتولة شرك وفي لفظ لهما الطيرة شرك وما منا إلا ولكن بالله إلا وهم مشركون وفي الحديث من حلف بغير الله فقد أشرك رواه الترمذي وحسنه من رواية ابن عمر وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وغيره كما روى حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة قال: دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيرا فقطعه أو انتزعه ثم قال وما يؤمن أكثرهم المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا وثم شرك آخر خفي لا يشعر به غالبا فاعله البصري في قوله وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون قال ذلك المنافق يعمل إذا عمل رياء الناس وهو مشرك بعمله ذلك يعني قوله تعالى إن هو الشرك الأعظم يعبد مع الله غيره كما في الصحيحين عن ابن مسعود قلت يا رسول الله: أي الذنب أعظم؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك وقال الحسن إذا قالوا لبيك لا شريك لك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قد قد أي حسب حسب لا تريدوا على هذا وقال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم وهذا بن زيد بن أسلم وفي الصحيحين: أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وفي صحيح مسلم أنهم كانوا من خلق السموات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا الله وهم مشركون به وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن وقوله وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون قال ابن عباس: من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم:

أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . 107 أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم وقوله أفأمن أهل القرى عذاب الله الآية: أي أفأمن هؤلاء المشركون بالله أن يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون كقوله تعالى أفأمن الذين مكروا أن يخسف الله بهم الأرض وقوله أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من

ذلك كله علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا . 108 وأنزه الله وأحلّه وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو عدل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة أو وزير أو مشير تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عن وبقين وبرهان وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلي الله عليه وسلم على بصيرة وبقين وبرهان عقلي وشرعي وقوله وسبحان الله أي له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك

تفسير ابن كثير

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الجن والإنس أمرا

و بارحة الأولى ويوم الخميس قال الشاعر أتمدح فقعسا وتذم عبسا ألا الله أمك من هجين ولو أقوت عليك ديار عبس عرفت الذل عرفان اليقين 109
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وأضاف الدار إلى الآخرة فقال ولددار الآخرة كما يقال صلاة الأولى ومسجد الجامع وعام أول
في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة وهي خير لهم من الدنيا بكثير كقوله إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد
رأوا أن الله قد أهلك الكافرين ونجى المؤمنين وهذه كانت سنته تعالى في خلقه ولهذا قال تعالى ولددار الآخرة خير للذين اتقوا أي وكما نجينا المؤمنين
أي أي من الأمم المكذبة للرسول كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها الآية فإذا استمعوا خبر ذلك
لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم وقوله أفلم يسيروا في الأرض يعني هؤلاء المكذبين لك يا محمد في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الأعمش هو عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي
أن لا أذهب هبة إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقيفي أو دوسي وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب
الآخر أن رجلا من الأعراب أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة فلم يزل يعطيه ويزيده حتى رضي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت
في البوادي ولهذا قال تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا الآية وقال قتادة في قوله من أهل القرى لأنهم أعلم وأحل من أهل العصور وفي الحديث
أجفى الناس طباعا وأخلاقا وهذا هو المعهود المعروف أن أهل المدن أرق طباعا وألطف من أهل بواديهم وأهل الريف والسواد أقرب حالا من الذين يسكنون
نساء وأهلكنا المسرفين وقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل الآية وقوله من أهل القرى المراد بالقرى المدن لا أنهم من أهل البوادي الذين هم من
إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق الآية وقوله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن
وما أرسلنا من قبلك إلا رجال الآية أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم وهذا القول من ابن عباس يعتضد بقوله تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا
فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدقة فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام فهي صديقة بنعي القرآن وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله
كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام
بمجرده أم لا؟ الذي عليهم أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهن صديقات
هذا أن يكن نبيات بذلك فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لا شك فيه ويبقى الكلام معه في أن هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة
يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي وأركعي مع الراكعين وهذا القدر حاصل لهن ولكن لا يلزم من
إسحاق يعقوب وبقوله وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية وبأن الملك جاء إلى مريم وبشرها بعيسى عليه السلام وبقوله تعالى إذ قالت الملائكة
بني آدم وحى تشريع وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نبيات واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ومن وراء
يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسلا من الرجال لا من النساء وهذا قول جمهور العلماء كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة إن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات
عاقبة الذين من قبلهم ولددار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون

فقالوا ما بالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون وهذه توطئة ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له. 11

لما تواطئوا على أخذه وطرحه في البئر كما أشار به عليهم أخوهم الكبير روبييل جاءوا أباهم يعقوب عليه السلام

عائشة على من فسرهما بذلك وانتصر لها ابن جرير ووجه المشهور عن الجمهور وزيف القول الآخر بالكلية ورده وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه والله أعلم. 110
من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كذبوا بالتخفيف فهاتان الروايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس وقد أنكرت ذلك
الحسين حدثنا محمد بن فضيل عن محمش بن زياد الضبي عن تميم بن حزم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه الآية حتى إذا استبأس الرسل
ومنهم من يعيده إلى الكافرين منهم أي وظن الكفار أن الرسل قد كذبوا مخففة فيما وعدوا به من النصر وأما ابن مسعود فقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا
وظنوا أنهم قد كذبوا بفتح الذال رواه ابن جرير إلا أن بعض من فسرهما كذلك يعيد الضمير في قوله وظنوا أنهم قد كذبوا إلى أتباع الرسل من المؤمنين
كما فرجت عني وهكذا روى من غير وجه عن سعيد بن جبيرة عن جبير بن جبريل وغير واحد من السلف حتى أن مجاهدا قرأها
كان قليلا ثم روى ابن جرير أيضا من وجه آخر أن مسلما بن يسار سأل سعيد بن جبيرة عن ذلك فأجابه بهذا الجواب فقام إلى سعيد فاعتنقه وقال فرج الله عنك
أن يصدقوهم وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا فقال الضحاك بن مزاحم ما رأيت كاليوم قط رجل يدعى إلى علم فيتلكأ لو رحلت إلى اليمن في هذه
هذا الحرف فإني إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة حتى إذا استبأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال نعم حتى إذا استبأس الرسل من قومهم
عارم أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد حدثنا شعيب حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة الجزري قال: سأل فتى من قريش سعيد بن جبيرة قال أخبرنا أبا عبد الله كف
عن سعيد بن جبيرة وعمران بن الحارث السلمي وعبد الرحمن بن معاوية وعلي بن أبي طلحة والعوفاي عن ابن عباس بمثله وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا
أنهم قد كذبوا قال لما أيسر الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر على ذلك فنجي من نشاء وكذا روى
وابن مسعود رضي الله عنهما مخالفا لما رواه آخرون عنهما أما ابن عباس فروى الأعمش عن مسلم عن ابن عباس في قوله حتى إذا استبأس الرسل وظنوا
عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله أنه قرأ حتى إذا استبأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا مخففة قال عبد الله هو الذي تكره وهذا عن ابن عباس
أتباعهم إسناده صحيح أيضا والقراءة الثانية بالخفيف واختلفوا في تفسيرها فقال ابن عباس ما تقدم وعن ابن مسعود فيما رواه سفيان الثوري عن الأعمش

تفسير ابن كثير

كذبوا فقال القاسم أخبره عني أني سمعت عائسة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقوله حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا تقول كذبتم بن بلال عن يحيى بن سعيد قال: جاء إنسان إلى القاسم بن محمد فقال إن محمد بن كعب القرظي قرأ هذه الآية حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا عروة كانت عائسة تقرئها وظنوا أنهم قد كذبوا مثقلة من التكذيب وقال ابن أبي حاتم أن يونس بن عبد الأعلى قراءة أنا ابن وهب أخبرني سليمان الله عليه وسلم من شيء إلا قد علم أنه سيكون حتى مات ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم قال ابن أبي مليكة في متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب قال ابن جريج وقال ابن أبي مليكة وأخبرني عروة عن عائسة أنها خالفت ذلك وأبنته وقالت ما وعد الله محمدا صلي عباس قرأها وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال عبد الله هو ابن أبي مليكة ثم قال لي ابن عباس كانوا بشرا ثم تلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اليمان أنبأنا شعبة عن الزهري قال أخبرنا عروة فقلت لها لعلها قد كذبوا مخفة؟ قالت معاذ الله انتهى ما ذكره وقال ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن ابن البلاء واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك حدثنا أبو وظنوا أنهم قد كذبوا قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بريها قلت فما هذه الآية؟ قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم الرسل قال: قلت أكذبوا أم كذبوا؟ قالت عائسة كذبوا قلت فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن؟ قالت أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك فقلت لها الله حدثنا إبراهيم بن سعد بن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير عن عائسة أنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى حتى إذا استيأس نصر الله الآية وفي قوله كذبوا قراءتان إحداهما بالتشديد قد كذبوا وكذلك كانت عائسة رضي الله عنها تقرئها قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إلى ذلك كقوله تعالى زلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله

بالريح المبيضة وجوههم الناضرة ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة آخر تفسير سورة يوسف عليه السلام ولله الحمد والمنة وبه المستعان. 111 ومن الضلال إلى السداد ويبتغون بها الرحمة من رب العباد في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة يوم يفوز عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات فلهذا كانت هدى ورحمة لقوم يؤمنون تهتدي به فلزمهم من الغي إلى الرشاد والواجبات والمتسحبات والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات والأخبار عن الأمور الجلية وعن الغيوب المستقبلة المجملية والتفصيلية والإخبار فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير وتفصيل كل شيء من تحليل وتحريم ومحسوب ومكروه وغير ذلك من الأمر بالطاعات أن يفترى من دون الله أي يكذب ويخلق ولكن تصديق الذي بين يديه أي من الكتب المنزلة من السماء هو يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع في خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين عبرة لأولي الألباب وهي العقول ما كان حديثا يفترى أي وما كان لهذا القرآن يقول تعالى لقد كان

ويلعب قال ابن عباس: يسعى وينشط. وكذا قال قتادة والضحاك والسدي وغيرهم وإنما له لحاظون يقولون ونحن نحفظه ونحوطه من أجلك. 12 أي ابعته معنا غدا نرتع ونلعب وقرأ بعضهم بالياء يرتع ورعيكم فيأتيه ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون فأخذوا من فمه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه وقالوا مجيبين له عنها في الساعة الراهنة. 13 النبوة والكمال في الخلق والخلق صلوات الله وسلامه عليه. وقوله وإخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون يقول وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم الصحراء إنى ليحزنني أن تذهبوا به أي يشق علي مفارقتة مدة ذهابكم به إلى أن يرجع وذلك لفرط محبته له لما يتسوم فيه من الخير العظيم وشماله يقول تعالى مخبرا عن نبيه يعقوب أنه قال لبنيه في جواب ما سألو من إرسال يوسف معهم إلى الرعي في

لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون يقولون لئن عدا عليه الذئب فأكله بيننا. ونحن جماعة وأنا إذا لهالكون عاجزون. 14

كذب قال فقال بعضهم لبعض إن هذا الجاهم لبخبره بخبركم قال ابن عباس فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون. 15 يقال له يوسف يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب قال ثم نقره فطن قال فأتيتكم أباكم فقلتم إن الذئب أكله وجئتم على قميصه بدم لما دخل إخوة يوسف عليه فعرّفهم وهم له منكرون قال جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال: إنه ليخبرني هذا الجاهم أنه كان لكم أخ من أبيكم في حقلهم ولا يعرفونك ولا يستشعرون بك كما قال ابن جريج: حدثني الحارث ثنا عبد العزيز ثنا صدقة بن عباد الأسدي عن أبيه سمعت ابن عباس يقول: بما فعلوا معك من هذا الصنيع. وقوله وهم لا يشعرون قال مجاهد وقتادة وهم لا يشعرون بإيحاء الله إليه وقال ابن عباس ستنبئهم بصنيعهم هذا الحال الضيق تطيبا لقلبه وتبئنا له إنك لا تحزن مما أنت فيه فإن لك من ذلك فرجا ومخرجا حسنا وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجتك وستخبرهم وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون يقول تعالى ذاكرا لطفه ورحمته وعائدته لم انزاله اليسر في حال العسر أنه أوحى إلى يوسف في ذلك البئر ضربوا على يديه ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة فسقط في الماء فغمره فصعد إلى صخرة تكون في وسطه يقال لها الراغوفة فقام فوقها وقوله ضرب ونحوه ثم جاءوا به إلى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه فكان إذا لجأ إلى واحد منهم لطمه وشتمه وإذا تشبث بحافات وذكر السدي وغيره أنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له إلا إن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه والفعل من أخذوه من عند أبيه فيه يظهره له إكراما له وبسطا وشرحا لصدوره وإدخاله للسرور عليه فيقال إن يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه إليه وقبله ودعا له.

تفسير ابن كثير

عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب هذا فيه تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل ذلك الجب وقد يقول تعالى فلما ذهب به إخوته من

غيابة الجب ثم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل ليكون ومظهرون الأسف والجزع على يوسف ويتغممون لأبيهم وقالوا معتردين عما وقع فيما زعموا. 16 يقول تعالى مخبرا عن الذي اعتمد إخوة يوسف بعد ما ألقوه في

فكيف وأنت تتهمنا في ذلك لأنك خشيت أن يأكله الذئب فأكله الذئب فأنت معذور في تكذيبك لنا لغرابة ما وقع وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا. 17 عليه وقوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين تلطف عظيم في تقرير ما يحاولونه يقولون ونحن نعلم أنك لا تصدقنا والحالة هذه لو كنا عندك صادقين إنا ذهبنا نستبق أي نترامى وتركتنا يوسف عند متاعنا أي ثيابنا وأمتعنا فأكله الذئب وهو الذي كان قد جزع منه وحذر

ههنا حديث عائشة في الإفك حتى ذكر قولها والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف فصر جميل والله المستعان على ما تصفون . 18 فيه وهذا مرسل. وقال عبد الرزاق قال الثوري عن بعض أصحابه أنه قال: ثلاث من الصبر: أن لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ولا تزكي نفسك. وذكر البخاري فيه. وروى هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي حيلة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصر جميل فقال صبر لا شكوى وجاءوا على قميصه بدم كذب قال لو أكله السبع لخرق القميص وكذا قال الشعبي والحسن وقتادة وغير واحد وقال مجاهد: الصبر الجميل الذي لا جزع يفرجه الله بعونه ولطفه والله المستعان على ما تصفون أي على ما تذكرون من الكذب والمحال. وقال الثوري عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصر جميل أي فسأصبر صبراً جميلاً على هذا الأمر الذي اتفقت عليه حتى موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب وقد أصابه من دمه ولكنه نسوا أن يخرقوه فلماذا لم يرجع هذا الصنيع على نبي الله يعقوب. بل قال لهم معرضاً الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من المكيدة وهو أنهم عمدوا إلى سخلة فيما ذكره مجاهد والسدي وغير واحد فذبوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها أي مكذوب مفتري وهذا من

عالم بأذي قومك لك وأنا قادر على الإنكار عليهم ولكني سأملئ لهم ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته. 19 سابق فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين وفي هذا تعريض لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم لإعلام له بأني غلام يباع بفاعة إخوته وقوله والله عليم بما يعملون أي عليم بما يفعله إخوة يوسف ومشترهوه وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه ولكن له حكمة وقدر يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته واختار البيع فذكره إخوته لوارد القوم فنادى أصحابه يا بشرى هذا الماء مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره. قاله مجاهد والسدي وابن جرير هذا قول وقال العوفي عن ابن عباس قوله وأسروه بضاعة يعني إخوة منه وتفسرها القراءة الأخرى يا بشرى والله أعلم. وقوله وأسروه بضاعة أي وأسره الواردون من بقية السيارة وقالوا اشتريناه وتبضعناه من أصحاب البشرى إلى نفسه وحذف ياء الإضافة وهو يريد بها كما تقول العرب يا نفس اصبري يا غلام أقبل بحذف حرف الإضافة ويجوز الكسر حينئذ والرفع وهذا لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس والله أعلم. وإنما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الأخرى ويكون قد أضاف هذا غلام وقرأ بعض القراء يا بشرى فزعم السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى بدلوه معلماً له أنه أصاب غلاماً وهذا القول من السدي غريب لأنه تلك البئر وأرسلوا واردهم هو الذي يتطلب لهم الماء فلما جاء ذلك البئر وأدلى بدلوه فيها تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجته واستبشر به وقال يا بشرى أبو بكر بن عياش وقال محمد بن إسحاق لما ألقاه إخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك ينظرون ماذا يصنع وما يصنع به فساق الله له سيارة فنزلوا قريباً من يقول تعالى مخبراً عما جرى ليوسف حين ألقاه إخوته وتركوه في ذلك الجب وحيدا فريدا فمكث عليه السلام في البئر ثلاثة أيام فيما قاله

علي أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه. 2 وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس فلماذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات

وقال مجاهد لما باعوه جعلوا يتبعونهم ويقولون لهم استوثقوا منه لا يأبى حتى وقفوه بمصر فقال: من يبتاعني وليبشر؟ فاشتراه الملك وكان مسلماً. 20 درهما وقال محمد بن إسحاق وعكرمة أربعون درهما وقال الضحاك في قوله وكانوا فيه من الزاهدين وذلك أنهم لم يعلموا نبوته منزلته عند الله عز وجل عنه باعوه بعشرين درهما وكذا قال ابن عباس ونوف البكالي والسدي وقتادة وعطية العوفي وزاد اقتسموها درهمين درهمين وقال مجاهد: اثنان وعشرون المراد هنا بالبخس الناقص أو الزيوف أو كلاهما أي إنهم إخوته وقد باعوه ومع هذا بأنقص الأثمان ولهذا قال دراهم معدودة فعن ابن مسعود رضي الله عنه معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على كل حال وعلى كل أحد لأنه نبي ابن نبي ابن خليل الرحمن فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم إنما من هذا أن الضمير في شروه إنما هو لإخوته. وقيل المراد بقوله بخس الحرام وقيل الظلم وهذا وإن كان كذلك لكن ليس هو المراد هنا لأن هذا لأن قوله وكانوا فيه من الزاهدين إنما أراد إخوته لا أولئك السيارة لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه فترجح شئ لأجابوا. قال ابن عباس ومجاهد والضحاك إن الضمير في قوله وشروه عائد على إخوة يوسف وقال قتادة: بل هو عائد على السيارة والأول أقوى كما قال تعالى فلا يخاف بخساً ولا رهقاً أي اعتاض عنه إخوته بثمن دون قليل ومع ذلك كانوا فيه من الزاهدين أي ليس لهم رغبة فيه بل لو سئلوه بلا يقول تعالى: وباعه إخوته بثمن قليل. قال مجاهد وعكرمة: والبخس هو النقص

تفسير ابن كثير

في قوله والله غالب علي أمره أي فعال لما يشاء وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول لا يدرون حكمته في خلقه وتلطفه وفعله لما يريد. 21 قال مجاهد والسدي: هو تعبير الرؤيا والله غالب على أمره أي إذا أراد شيئا فلا رد ولا يمانع ولا يخالف بل هو الغالب لما سواه. قال سعيد بن جبير عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. يقول تعالى: كما أنقذنا يوسف من إخوته كذلك مكنا ليوسف في الأرض يعني بلاد مصر ولنعلمه من تأويل الأحاديث قال: أفرس الناس ثلاثه: عزيز مصر حين قال لامراته أكرمي مثواه والمرأة التي قالت لأبيها يا أبت استأجره الآية وأبو بكر الصديق حين استخلف عن ابن عباس: كان الذي باعه بمصر مالك بن دعر بن قريب بن عنقا بن مديان بن إبراهيم فالله أعلم وقال أبو إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود أنه بن الوليد رجل من العماليق قال: واسم امرأته راعيل بنت رعايل وقال غيره اسمها زليخا وقال محمد بن إسحاق أيضا عن محمد بن السائب عن أبي صالح حدثنا العوفي عن ابن عباس وكان اسمه قطفير وقال محمد بن إسحاق: اسمه أطفير بن رويح وهو العزيز وكان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ الريان وأوصى أهله به وتوسم فيه الخير والصلاح فقال لامراته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير الأحاديث والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون يخبر تعالى بألطافه بيوسف عليه السلام أنه قيض له الذي اشتراه من مصر حتى اعنى به وأكرمه يقول تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل

السدي ثلاثون سنة وقال سعيد بن جبير ثمانية عشر سنة وقال الإمام مالك وربيع بن زيد بن أسلم والشعبي الأشد الحلم وقيل غير ذلك والله أعلم. 22 ومجاهد وقتادة: ثلاث وثلاثون سنة وعن ابن عباس بضع وثلاثون وقال الضحاك عشرون وقال الحسن أربعون سنة وقال عكرمة خمس وعشرون سنة وقال الأقوام وكذلك نجزي المحسنين أي إنه كان محسنا في عمله عاملا بطاعة الله تعالى وقد اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده فقال ابن عباس وقوله ولما بلغ أي يوسف عليه السلام أشده أي استكمل عقله وتم خلقه آتيناها حكما وعلمنا يعني النبوة أنه حباه بها بين أولئك

عبيد معمر بن المثنى هيت لا تتنى ولا تجمع ولا تؤنث بل يخاطب الجميع بلفظ واحد فيقال هيت لك وهيت لكم وهيت لكما وهيت لكن وهيت لهن. 23 بن عباس حدثنا شعبة عن شقيق عن ابن مسعود قال: هيت لك بنصب الهاء والتاء ولا تهزم وقال آخرون هيت لك بكسر الهاء واسكان الياء وضم التاء قال أبو وائل قال: قال عبد الله هيت لك فقال له مسروق إن ناسا يقرؤونها هيت لك فقال دعوني فإني أقرأ كما علمت أحب إلي وقال أيضا: حدثني المثنى حدثنا آدم فقال يا أبا عبد الرحمن ناسا يقرؤونها هيت قال عبد الله: أن أقرأها كما علمت أحب إلي وقال ابن جرير: حدثني ابن وكيع حدثنا ابن عينة عن منصور عن أبي وائل قال: قال ابن مسعود وقد سمع القراء متقاربين فاقروا كما علمتم وإياكم والتنطع والاختلاف وإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال ثم قرأ عبد الله هيت لك هيت بفتح الهاء وضم التاء وأنشد قول الشاعر: ليس قومي بالأبدين إذا ما قال داع من العشرة هيت قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري عن الأعمش عن أبي ابن جرير: وكان أبو عمرو والكسائي ينكران هذه القراءة وقرأ عبد الله بن إسحاق هيت بفتح الهاء وكسر التاء وهي غريبة وقرأ آخرون منهم عامة أهل المدينة القائل هنت بالأمر اهيه هنة وممن روي عنه هذه القراءة ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو وائل وعكرمة وقتادة وكلهم يفسرها بمعنى تهيأت لك قال العراق إذا أمينا إن العراق وأهله عنق إليك فهيت هيتا يقول فتعال واقترب وقرأ ذلك آخرون هنت لك بكسر الهاء والهمز وضم التاء بمعنى تهيأت لك من قول من أهل حوران فذكر أنها لغتهم عرفها واستشهد الإمام ابن جرير على هذه القراءة بقول الشاعر لعلني بن أبي طالب رضي الله عنه: أبلغ أمير المؤمنين أذى بن سلام وكان الكسائي يحب هذه القراءة يعني هيت لك ويقول لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز ومعناها تعال وقال أبو عبيدة: سألت شيخا عالما حدثنا قرّة بن عيسى حدثنا النضر بن علي الجزري عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله هيت لك قال هلم لك قال: هي بالحوارية وقال أبو عبيد القاسم تدعوه بها وقال البخاري وقال عكرمة: هيت لك أي هلم لك بالحوارية وهكذا ذكره معلقا وقد أسنده الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن سهل الواسطي والحصن وقتادة قال عمرو بن عبيد عن الحسن وهى كلمة بالسريانية أي عليك وقال السدي: هيت لك أي هلم لك وهي بالقبطية قال مجاهد: في لغة عربية ومجاهد وغير واحد: معناها أنها تدعوه إلى نفسها وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس: هيت لك تقول هلم لك. وكذا قال زرير حبيش وعكرمة ذلك مجاهد والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم وقد اختلف القراء في قوله هيت لك فقراه كثيرون بفتح الهاء وإسكان الياء وفتح التاء قال ابن عباس وكانوا يطلقون الرب على السيد الكبير أي إن بعلك ربي أحسن مثواي أي منزلي وأحسن إلي فلا أقبله بالفاحشة في أهله إنه لا يفلح الظالمون قال ذلك على أن تجملت له وغلقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها وقالت هيت لك فامتنع من ذلك أشد الامتناع و قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه أي حاولته على نفسه ودعته إليها وذلك أنها أحبته حبا شديدا لجماله وحسنه وبهائه فحملها يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف

السوء والفحشاء في جميع أموره إنه من عبادنا المخلصين أي من المجتبيين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار صلوات الله وسلامه عليه. 24 تعيين شيء من ذلك فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أي كما أربنا برهانا صرفه عما كان فيه كذلك نقيه الله تزجره عما كان هم به وجائز أن يكون صورة يعقوب وجائز أن يكون صورة الملك وجائز أن يكون ما رآه مكتوبا من الزجر عن ذلك ولا حجة قاطعة على وزاد آية رابعة ولا تقربوا الزنا وقال الأوزاعي: رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك قال ابن جرير: والصواب أن يقال إنه رأى آية من آيات لحافظين الآية وقوله وما تكون في شأن الآية وقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت قال نافع: سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي كعب وقال عبد الله بن وهب: أخبرني نافع بن يزيد عن أبي صخر قال: سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رآه يوسف ثلاث آيات من كتاب الله إن عليكم رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت فإذا كتاب في حائط البيت لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وكذا رواه أبو معشر المدني عن محمد بن

تفسير ابن كثير

عن بعضهم إنما هو خيال قطفير سده حين دنا من الباب وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي مودود سمعت من محمد بن كعب القرظي قال على أصبعه بغمه وقيل عنه في رواية فضرِب في صدر يوسف وقال العوفي عن ابن عباس: رأى خيال الملك يعني سيده وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاه عباس وسعيد ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة وأبي صالح والضحاك ومحمد بن إسحاق وغيرهم رأى صورة أبيه يعقوب عاضا هم بها لولا أن رأى برهان ربه أي فلم يهم بها وفي هذا القول نظر من حيث العربية حكاه ابن جرير وغيره وأما البرهان الذي رآه ففيه أقوال أيضا فعن ابن فإنما تركها من جراني فإن عملها فاكتبوها بمثلها وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة هذا منها وقيل هم بضرِبها وقيل تمنّاها زوجة وقيل صلي الله عليه وسلم يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها وإن هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة النفس حكاه البغوي عن بعض أهل التحقيق ثم أورد البغوي ههنا حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله المقام وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وطائفة من السلف في ذلك ما رواه ابن جرير وغيره والله أعلم وقيل المراد بهم بها خطرات حديث اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا

25 إلا أن يسجن أي يحبس أو عذاب أليم أي يضرب ضربا شديدا موجعا فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رمته به من الخيانة. 25 زوجها عند الباب فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها وقالت لزوجها متصلة وقاذفة يوسف بدائها ما جزاء من أراد بأهلك سوء أي فاحشة إلى البيت فلحقته في أثناء ذلك فأمسكت بقميصه من ورائه فقدته قدا فظيعا يقال إنه سقط عنه واستمر يوسف هاربا ذاهبا وهي في إثره فألفيا سيدها وهو يخبر تعالى عن حالهما حين خرجا يستبقا إلى الباب يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع

قبل أي من قدامه فصدقت هي أي في قولها إنه راودها عن نفسها لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه دفعته في صدره فقدت قميصه فيصح ما قالت. 26 وقال بارا صادقا هي راودتني عن نفسي وذكر أنها اتبعته تجذبه إليها حتى قدت قميصه وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم وقال الليث بن أبي سليم عن مجاهد أن من أمر الله تعالى ولم يكن إنسيا وهذا قول غريب. 27 وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف ورواه غيره عن حماد بن سلمة عن عطاء بن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت بن محمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال تكلم أربعة بن يساف والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صبيا في الدار واختاره ابن جرير وقد ورد فيه حديث مرفوع فقال ابن جرير: حدثنا الحسن بنت أخت الملك الريان بن الوليد وقال العوفي عن ابن عباس في قوله وشهد شاهد من أهلها قال كان صبيا في المهد وكذا روي عن أبي هريرة وهلال ومحمد بن إسحاق وغيرهم: إنه كان رجلا وقال زيد بن أسلم والسدي: كان ابن عمها وقال ابن عباس كان من خاصة الملك وقد ذكر ابن إسحاق أن زليخا كانت من أهلها قال ذو الحية وقال الثوري عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس: كان من خاصة الملك وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي اختلفوا في هذا الشاهد هل هو صغير أو كبير؟ على قولين لعلماء السلف فقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وشهد شاهد وذلك يكون كما وقع لما هرب منها وتطلبت أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها فقدت قميصه من ورائه وقد

أي إن هذا البهت واللطخ الذي لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن إن كيدكن عظيم ثم قال أما ليوسف عليه السلام بكتمان ما وقع. 28 وقوله فلما رأى قميصه قد من دبر أي لما تحقق زوجها صدق يوسف وكذبها فيما قذفته ورمته به قال إنه من كيدكن رأت مالا صبر لها عنه فقال لها: استغفري لذنبك أي الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو بريء منه إنك كنت من الخاطئين. 29 يوسف أعرض عن هذا أي اضرب عن هذا صفحا أي فلا تذكره لأحد واستغفري لذنبك يقول لامراته وقد كان لين العريكة سهلا أو أنه عذرهما لأنها عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت الأنصاري عن عمر بن الخطاب بنحوه وروي أبو داود في المراسيل من حديث أبي قلابة عن عمر نحوه والله أعلم. 3 قالوا: والله ما نكتب منه شيئا أبدا فخرجا بصلاصفتهم فحفر لها فلم يألوا أن يعمقا ودفناها فكان آخر العهد منها. وهكذا روى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد هوكوا وتهوكوا حتي محا آخره حرفا حرفا قال عمر رضي الله عنه: فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الأمة الله عليه وسلم فإذا هو يتلون فتحيرت من الفرق فما استطعت أن أجز منه حرفا فلما رأى الذي بي رفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما فيمحوه بريقه وهو يقول أرغب عن الشيء رجاء أن أكون جنت رسول الله ببعض ما يحب فلما أتيت به قال اجلس اقرأ علي فقرأت ساعة ثم نظرت إلى وجه رسول الله صلي هل أنت مكتبي مما تقول ؟ قال نعم فأتيت بأديم فأخذ يملئ علي حتى كتبت في الأكرع فلما رجعت قلت يا نبي الله وأخبرته قال انتي به فانطلقت لعلكما كتبتما منه شيئا ؟ فقالا: لا قال سأحدثكما: انطلقت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتيت خيبر فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبني فقلت: المؤمنيين ازدنا فيها رغبة وإن نهانا عنها رفضناها فلما قدما عليه قال إنا بأرض أهل الكتاب وإنا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودك أفأخذ منه أو نترك ؟ فقال الله عنه فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص وكانا قد اكتتبا من اليهود صلاصة فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين يقولون: إن رضيها لنا أمير عمرو بن الحارث حدثنا عبد الله بن سالم الأشعري عن الزبيدي حدثنا سليم بن عامر أن جبير بن نفيير حدثهم أن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر رضي آخر فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي: أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثني غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن إسحاق هو أبو شيبه الواسطي وقد ضعفوه وشيخه قال البخاري: لا يصح حديثه قلت وقد روي له شاهد من وجه

تفسير ابن كثير

دينا وبك رسولا ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصرا من حديث عبدالرحمن بن إسحاق به وهذا حديث جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصار ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهوكوا ولا بغرنكم المتهوكون قال عمر: فقلت فقلت رضيته بالله ربا وبالإسلام الأنصار أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم؟ السلاح السلاح فجاءوا حتي أهدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إني قد أتيت قال قلت يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علما إلي علمنا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي احمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت فجلس بين يديه فقال انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا في يدك يا عمر؟ فامحه بالحميم والصوف الأبيض ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأتهكنك عقوبة ثم قال: اجلس لمن الغافلين فقرأها عليه ثلاثا وضربه ثلاثا فقال له الرجل ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال قال مرني بأمرك أتبعه قال: انطلق عمر اجلس فجلس فقرأ عليه بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلنا قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص إلي فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدى؟ قال نعم قال وأنت النازل بالسوس؟ قال نعم فضربه بقناة معه قال: فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال له علي بن مسهر عن عبدالرحمن بن إسحاق عن خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة قال: كنت جالسا عند عمر إذ أتني برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس ثم اتبعتموه وتركتموني لصللتكم إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير حدثنا فقال عمر: رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد رسولا قال فسري عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى من التوراة ألا أعرضها عليكم؟ قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن ثابت فقلت له ألا تري ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فغضب وقال أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوه عن شيء فيخبروكم أنبأنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه علي ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة علي مدح القرآن وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما رواه الإمام أحمد: حدثنا شريح بن النعمان قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص الآية فأرادوا الحديث فدلهم علي أحسن الحديث وأرادوا القصص فدلهم علي أحسن القصص. ثم ملوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص فأنزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلنا عن المسعودي عن عون بن عبد الله قال: مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا: يا رسول الله حدثنا فأنزل الله نزل أحسن الحديث الله نزل أحسن الحديث والآية وذكر الحديث ورواه الحاكم من حديث إسحاق بن راهويه عن عمرو بن محمد القرشي المنقري به وروي ابن جرير بسنده علينا؟ فأنزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين إلي قوله لعلكم تعقلون ثم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل قيس عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: أنزل علي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قال فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت أحسن القصص ورواه من وجه آخر عن عمرو بن قيس مرسل. وقال أيضا حدثنا محمد بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد أنبأنا خالد الصفار عن عمرو بن الأودي: حدثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو هو ابن قيس الملائي عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فنزلت نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن بسبب إحيائنا إليك هذا القرآن وقد ورد في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن ولهذا قال نحن نقص عليك

الحب القاتل والشغف دون ذلك والشغاف حجاب القلب إنا لنراها في ضلال مبين أي في صنعها هذا من حبهاتها ومراودتها إياه عن نفسه. 30 نفسه أي تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها قد شغفها حبا أي قد وصل حبه إلى شغاف قلبها وهو غلافه قال الضحاك عن ابن عباس: الشغف تحدث به الناس وقال نسوة في المدينة مثل نساء الكراء والأمراء ينكرن على امرأة العزيز وهو الوزير ويعين ذلك عليها امرأة العزيز تراود فتاها عن يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة وهي مصر حتى

فلهذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته حاش لله قال مجاهد وغير واحد معاذ الله ما هذا بشرا وقرأ بعضهم ما هذا بشري أي بمشترى بشراء. 31 من حسن آدم عليه السلام فإن الله خلق آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله وكان يوسف قد أعطى شطر حسنه نصفين فأعطي يوسف وأمه سارة نصف الحسن والنصف الآخر بين سائر الخلق وقال الإمام أبو القاسم السهيلي: معناه أن يوسف عليه السلام كان على النصف أهل الدنيا وأعطى الناس الثلثين أو قال أعطى يوسف وأمه الثلثين والناس الثلث وقال سفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي قال: قسم الحسن وقالت المرأة إذا أتته لحاجة غطى وجهه مخافة أن تفتن به ورواه الحسن البصري مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الأخوص عن عبد الله بن مسعود قال: أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن وقال أبو إسحاق أيضا عن أبي الأخوص عن عبد الله قال: كان وجه يوسف مثل البرق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف وأمه شطر الحسن وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الحديث الصحيح في حديث الإسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال فإذا هو قد أعطى شطر الحسن وقال قلن لها: وما نرى عليك من لوم بعد هذا الذي رأينا لأنهن لم يرين في البشر شبيهه ولا قريبا منه فإنه عليه السلام كان قد أعطى شطر الحسن كما ثبت ذلك في

تفسير ابن كثير

في أيديهم فلما أحسسن بالألم جعلن يولولن فقالت أنتن من نظرة واحدة فعلتن هذا فكيف ألام أنا؟ فقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ثم لکن فی النظر إلى يوسف؟ قلن نعم فبعثت إليه تأمره أن اخرج إليهن فلما رأيته جعلن يقطعن أيديهن ثم أمرته أن يرجع ليرينه مقبلا ومدبرا فرجع وهن يحزنن أيديهن حتى ألقينها فإله أعلم وقد ذكر غير واحد أنها قالت لهن بعد ما أكلن وطابت أنفسهن مم وضعت بين أيديهن أترجا وآتت كل واحدة منهن سكيناً هل قدره وجعلن يقطعن أيديهن دهشة برؤيته وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين والمراد أنهن حزنن أيديهن بها قاله غير واحد وعن مجاهد وقتادة: قطعن احتيالهن على رؤيته وقالت اخرج عليهن وذلك أنها كانت قد خبأته في مكان آخر فلما خرج و رأيته أكبرنه أي أعظمته أي أجعلن شأنه وأجللن فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه ولهذا قال تعالى وآتت كل واحدة منهن سكيناً وكان هذا مكيدة منها ومقابلة لهن في إيهن أي دعتهن إلى منزلها لتضيفهن وأعتدت لهن متكأ قال ابن عباس وسعيد بن جبیر ومجاهد والحسن والسدي وغيرهم: هو المجلس المعد قال بعضهم بقولهن ذهب الحب بها وقال محمد بن إسحاق بل بلغهن حسن يوسف فأحببن أن يريه فقلن ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته فعند ذلك أرسلت فلما سمعت بمكرهن

مع هذا الجمال ثم قالت تتوعده ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فعند ذلك استعاذ يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن. 32 يحب لجماله وكماله ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي فامتنع قال بعضهم لما رأين جماله الظاهر أخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن وهي العفة إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه تقول هذا معتذرة إليهن بأن هذا حقيق أن

بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. 33 إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل تصدق السجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيده وهى امرأة عزيز مصر وهى مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار الجاهلين فاستجاب له ربه الآية وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا في وكتلي إلى نفسي فليس لي منها قدرة ولا أملك لها ضرا ولا نفعاً إلا بحولك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلني إلى نفسي أصب إليهن وأكن من وقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه أي من الفاحشة وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن أي إن

بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. 34 إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل تصدق السجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيده وهى امرأة عزيز مصر وهى مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار الجاهلين فاستجاب له ربه الآية وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا في وكتلي إلى نفسي فليس لي منها قدرة ولا أملك لها ضرا ولا نفعاً إلا بحولك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلني إلى نفسي أصب إليهن وأكن من وقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه أي من الفاحشة وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن أي إن

فلما تقرر ذلك خرج وهو نقي العرض صلوات الله عليه وسلامه وذكر السدي أنهم إنما سجنوه لئلا يشيع ما كان منها في حقه وببراً عرضه فيفضحها. 35 إيهما أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك ولهذا لما طلبه الملك الكبير في آخر المدة امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة إلى حين أي إلى مدة وذلك بعد ما عرفوا براءته وظهرت الآيات وهي الأدلة على صدقه في عفته ونزاهته وكأنهم والله أعلم إنما سجنوه لما شاع الحديث يقول تعالى: ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه

وابن حميد قال: حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود قال: ما رأى صاحباً يوسف شيئا إنما كانا تحالما ليحجرا عليه. 36 أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله الآية والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه أنهما رأيا مناما وطلبا تعبيره وقال ابن جرير: حدثنا وكيع حيلة من عنب فنبئت فخرج فيها عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال: تمكث في السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خمرًا وقال الآخر وهو الخباز: إني وقال الضحاك في قوله إني أراني أعصر خمرًا يعني عنبًا قال وأهل عمان يسمون العنب خمرًا وقال عكرمة: قال له إني رأيت فيما يرى النائم أني غرست إني أراني أعصر عنبًا ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن يزيد بن هارون عن شريك عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود أنه قرأها أعصر عنبًا امرأة العزيز فكذلك فقالوا والله ما نستطيع إلا ذلك ثم إنهما رأيا مناما فرأى الساقى أنه يعصر خمرًا يعني عنبًا وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود حبا زائدا قال بارك الله فيكما إنه ما أحبني أحد إلا دخل علي من محبته ضرر أحببني عمتي فدخل علي الضرر بسببها وأحبني أبي فأوذيت بسببه وأحببني التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن تألفا به وأحباها حبا شديداً وقال له: والله لقد أحببتك وشرا به وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث وحسن السميت وكثرة العبادة صلوات الله عليه وسلامه ومعرفة خبازه قال محمد بن إسحاق: كان اسم الذي على الشراب نبواً والآخر مجلت قال السدي: كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالا على سمه في طعامه

قال قتادة: كان أحدهما ساقى الملك والآخر

علم فعلم وهذا أمر غريب ثم قال وهذا إنما هو من تعليم الله إياي لأني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر فلا يرجون ثوابا ولا عقابا في المعاد. 37
أجد في كتاب الله حين قال للرجلين لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قال إذا جاءكم الطعام حلوا أو مرا اعتاف عند ذلك ثم قال ابن عباس: إنما حدثنا محمد بن يزيد شيخ له ثنا رشدين عن الحسن بن ثوبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما أدري لعل يوسف عليه السلام كان يعتاف وهو كذلك لأني ترزقانه في يومكما إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما وكذا قال السدي وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء من حلم فإنه عارف بتفسيره ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه ولهذا قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا فبأتكما بتأويله قال مجاهد يقول لا يأتيكما طعام يخبرهما يوسف عليه أنهما رأيا في منامهما

والله لمن شاء لاعتته عند الحجر ما ذكر الله جدا ولا جدة قال الله تعالى يعني إخبارا عن يوسف واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب. 38
وأحلوا قومهم دار البوار وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يجعل الجد أبا ويقول به وعلى الناس إذ جعلنا دعاة لهم إلى ذلك ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم بل بدلوا نعمة الله كفرا شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس هذا التوحيد وهو الإقرار بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذلك من فضل الله علينا أي أوحاه إلينا وأمرنا عن طريق الضالين فإن الله يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلم ويجعله إماما يقتدى به في الخير وداعب إلى سبيل الرشاد ما كان لنا أن نشرك بالله من الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب الآية يقول هجرت طريق

له وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدونها قومهما فقال أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار أي الذي دل كل شيء لعز جلاله وعظمته سلطانه. 39
ثم إن يوسف عليه السلام أقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك

جابر أن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكواكب التي رآها يوسف ما أسماؤها وأنه أجابه ثم قال تفرد به الحكم بن ظهير وقد ضعفه الأربعة. 4
والقمر أمه تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري وقد ضعفه الأئمة وتركه الأكثرون وقال الجوزجاني ساقط وهو صاحب حديث حسن ثم ذكر الحديث المروي عن وزاد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآها يوسف قصها على أبيه يعقوب فقال له أبوه هذا أمر متشئت يجمعه الله من بعد قال والشمس أبوه الحديث الحافظان أبو يعلى الموصلي وأبو بكر البزار في مسندهما وابن أبي حاتم في تفسيره أما أبو يعلى فرواه عن أربعة من شيوخه عن الحكم بن ظهير به ذو الفرع والضيء والنور فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها. ورواه البيهقي في الدلائل من حديث سعيد بن منصور عن الحكم بن ظهير وقد روى هذا إليه فقال هل أنت مؤمن إذا أخبرتك بأسمائها؟ قال نعم قال جريان والطارق والديال وذو الكنفات وقابس ووثاب وعمودان والفيلق والمصبح والضروح فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة فلم يجبه بشيء ونزل عليه جبريل عليه السلام فآخبره بأسمائها قال نبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له يستانة اليهودي فقال له يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها؟ قال هذه الأحد عشر كوكبا فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثني علي بن سعيد الكندي ثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال: أبوية على العرش وهو سريره وإخوته بين يديه وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤيائي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد جاء في حديث تسمية روي هذا عن ابن عباس والضحاك وقاتدة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل ثمانين سنة وذلك حين رفع وحي وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته وكانوا أحد عشر رجلا سواه والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه. العرب تسألوني؟ قالوا نعم قال فخيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام إذا فقهوا ثم قال تابعه أبو أسامة عن عبيد الله. وقال ابن عباس رؤيا الأنبياء أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا: ليس عن هذا نسألك قال فغن معادن ثنا محمد أنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم؟ قال أكرمهم عند الله ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن عبد الله بن محمد عن عبد الصمد به وقال البخاري أيضا: كما قال الإمام أحمد: ثنا عبد الصمد ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكريم ابن الكريم يقول تعالى اذكر لقومك يا محمد في قصصك عليهم من قصة يوسف إذ قال لأبيه أبوه هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام

والإسلام لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه والإنصات إليه ولهذا لما فرغ من دعوتها شرع في تعبير رؤيائهما من غير تكرار سؤال. 40
عليهم الموعظة وفي هذا الذي قاله نظر لأنه قد وعدهما أو بتعبيرها ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسببا إلى دمائهما إلى التوحيد وقد قال ابن جريج: إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما فأحب أن يشغلها بغير ذلك لئلا يعاودوه فيها فعاودوه فأعاد الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي فلماذا كان أكثرهم مشركين وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين عباده قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه ثم قال تعالى ذلك الدين القيم أي هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر وليس له ذلك مسند من عند الله ولهذا قال ما أنزل الله بها من سلطان أي حجة ولا برهان ثم آخرهم أن الحكم والتصرف والمشينة والملك كله لله وقد أمر

تفسير ابن كثير

ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم بين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هي جعل منهم وتسمية من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه

عليه وسلم قال الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت وفي مسند أبي يعلى من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا الرؤيا لأول عابر. 41 أن من تحلم بباطل وفسه فإنه يلزم بتأويله والله تعالى أعلم وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن محمد بن فضيل عن عبارة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به وكذا فسه مجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وحاصله تعبر فإذا عبرت وقعت وقال الثوري عن عمارة بن القعقاع عن إبراهيم بن عبد الله قال: لما قال ما قال وأخبرهما قالا ما رأينا شيئا فقال قضي الأمر الذي فيه الطير من رأسه وهو في نفس الأمر الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا ثم أعلمهما أن هذا قد فرغ منه وهو واقع لا محالة لأن الرؤيا على رجل طائر ما لم صاحبي السجن أما أحكما فيسقي ربه خمرا وهو الذي رأى أنه يعصر خمرا ولكنه لم يعينه لئلا يحزن ذلك ولهذا أبهمه في قوله وأما الآخر فيصلب فتأكل يقول لهما يا

بختنصر سبعا وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما فلبث في السجن بضع سنين قال ثنتا عشرة سنة وقال الضحاك أربعة عشرة سنة. 42 والله أعلم وأما البضع فقال مجاهد وقتادة هو ما بين الثلاث إلى التسع وقال وهب بن منبه مكث أيوب في البلاء سبعا ويوسف في السجن سبعا وعذب هو الجوزي أضعف منه أيضا وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله وهذا الحديث ضعيف جدا لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يقل يعني يوسف إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير ههنا حديث فقال: حدثنا ابن وكيع في الله من السجن هذا هو الصواب أن الضمير في قوله فأنساه الشيطان ذكر ربه عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد ويقال قال له اذكرني عند ربك يقول اذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسي ذلك الموصى أن يذكر مولاه الملك بذلك وكان من جملة مكاييد الشيطان لئلا يطلع ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقى ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم لئلا يشعره أنه المصلوب

ما وصاه به يوسف عليه السلام ذكر أمره للملك فعند ذلك تذكر بعد أمة أي مدة وقرأ بعضهم بعد أمة أي بعد نسيان فقال لهم أي للملك والذين جمعهم. 43 من أخلاط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها فعند ذلك تذكر الذي نجا من ذنك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف وكان الشيطان قد أنساه فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه بأنها أضغاث أحلام أي أخلاط أحلام اقتضته رؤياك هذه وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين أي لو كانت رؤيا صحيحة وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فهالته وتعجب من أمرها وما يكون تفسيرها فجمع الكهنة والحادة وكبار دولته وأمراءه فقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سببا لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززا مكرما

ما وصاه به يوسف عليه السلام ذكر أمره للملك فعند ذلك تذكر بعد أمة أي مدة وقرأ بعضهم بعد أمة أي بعد نسيان فقال لهم أي للملك والذين جمعهم. 44 من أخلاط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها فعند ذلك تذكر الذي نجا من ذنك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف وكان الشيطان قد أنساه فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه بأنها أضغاث أحلام أي أخلاط أحلام اقتضته رؤياك هذه وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين أي لو كانت رؤيا صحيحة وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فهالته وتعجب من أمرها وما يكون تفسيرها فجمع الكهنة والحادة وكبار دولته وأمراءه فقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سببا لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززا مكرما

لذلك أنا أنبئكم بتأويله أي بتأويل هذا المنام فارسلون أي فابعثون إلى يوسف الصديق إلى السجن ومعنى الكلام فبعثوه فجاء. 45

المنام الذي رآه الملك فعند ذلك ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تعنيف للفتى في نسيانه ما وصاه به ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك. 46 فقال يوسف أيها الصديق أفتنا وذكر

لأن سني الجذب يؤكل فيها ما جمعه في سني الخصب وهن السنبلات اليابسات وأخبرهم أنهم لا ينبتن شيئا وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء. 47 قليلا قليلا لا تسرفوا فيه لتنتفعوا في السبع الشداد وهن السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع المتواليات وهن البقرات العجاف اللاتي تأكل السماء مما تأكلون أي مهما استغللتم في هذه السبع السنين الخصب فادخروه في سنبله ليكون أبقي له وأبعد عن إسراع الفساد إليه إلا المقدار الذي تأكلونه وليكن الأرض التي تشغل منها الثمرات والزرع وهن السنبلات الخضر ثم أرشدهم إلى ما يعتدونه في تلك السنين فقال فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا بل قال تزرعون سبع سنين دأبا أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ففسر البقر بالسنين لأنها تتير

من زيت ونحوه وسكر ونحوه حتى قال بعضهم: يدخل فيه حلب اللبن أيضا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وفيه يعصرون يحلبون. 48 بعد الجذب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس أي يأتيهم الغيث وهو المطر وتغل البلاد ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم ولهذا قال يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ثم بشرهم

من زيت ونحوه وسكر ونحوه حتى قال بعضهم: يدخل فيه حلب اللبن أيضا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وفيه يعصرون يحلبون. 49

تفسير ابن كثير

بعد الجذب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس أي يأتيهم الغيث وهو المطر وتغل البلاد ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم ولهذا قال يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ثم بشرهم

وقعت ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر كما ورد في حديث استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها فإن كل ذي نعمة محسود . 5
أحمد وبعض أهل السنن من رواية معاوية بن حيدة القشيري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر وليتقل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من شرها ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام لك كيدا أي يحتالوا لك حيلة يردونك فيها ولهذا ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رأى أحكم ما يحب فليحدث به وإذا رأى السلام أن يحدث بهذا المنام أحدا من إخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الفوائل حسدا منهم له ولهذا قال له لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيما زائدا بحيث يخوزن له ساجدين إجلالا واحتراما لا كراما فخشي يعقوب عليه يقول تعالى مخبرا عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص

ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر هذا حديث مرسل . 50
عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهن حتى أشترب أن يخرجوني الله عليه وسلم لو كنت لأسرت الإجابة وما ابتغيت العذر وقال عبد الرزاق: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن يريه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكبدهن عليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي وفي لفظ لأحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا محمد بن عمرو عن هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحي الموتى الآية ويرحم الله لوطا على ذلك والتنبيه على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره صلوات الله وسلامه عليه ففي المسند والصحاحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي عرصة مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال أرجع إلى ربك الآية وقد وردت السنة بمدحه من رعاياه فقال انتوني به أي أخرجه من السجن وأحضره فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ونزاهة لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأيقنه فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلافه على من يبلده يقول تعالى إخبارا عن الملك

ومجاهد وغير واحد: تقول الآن تبين الحق وظهر وظهر وبرز أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين أي في قوله هي راودتني عن نفسي . 51
أي قالت النسوة جوابا للملك حاش لله أن يكون يوسف متهما والله ما علمنا عليه من سوء فعند ذلك قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق قال ابن عباس للنسوة اللاتي قطعن أيديهن ما خطبكن أي شأكن وخبرنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه يعني يوم الضيافة قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء عن نفسه إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز فقال مخاطبا لهن كلهن وهو يريد امرأة وزيره وهو العزيز قال الملك وقوله تعالى قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف

والقول الأول أقوى وأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك . 52
يوم هممت بما هممت به ؟ فقال وما أبرئ نفسي الآية وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي قلن حاش لله ما علمنا عليه من امرأة العزيز الآن حصص الحق الآية قال يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيبة فقال له جبريل عليه السلام: ولا ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه؟ براءتي وليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيبة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين الآية وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير حاتم سواء قال على حدة وقد قيل إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول قال ليعلم أني لم أخنه في زوجته بالغيبة الآية أي إنما رددت الرسول ليعلم الملك القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاها الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الإمام أبو العباس رحمه الله فأفرد بتصنيف أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي أي إلا من عصمه الله تعالى إن ربي غفور رحيم وهذا المحذور الأكبر وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلماذا اعترفت ليعلم أني بريئة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي تقول المرأة ولست ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيبة تقول إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيبة في نفس الأمر ولا وقع

والقول الأول أقوى وأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك . 53
يوم هممت بما هممت به ؟ فقال وما أبرئ نفسي الآية وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي قلن حاش لله ما علمنا عليه من امرأة العزيز الآن حصص الحق الآية قال يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيبة فقال له جبريل عليه السلام: ولا ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه؟ براءتي وليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيبة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين الآية وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير حاتم سواء قال

تفسير ابن كثير

على حدة وقد قيل إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول قال ليعلم أني لم أخنه في زوجته بالغيب الآيتين أي إنما رددت الرسول ليعلم الملك القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاها الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الإمام أبو العباس رحمه الله فأفرده بتصنيف أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي أي إلا من عصمه الله تعالى إن ربي غفور رحيم وهذا المحذور الأكبر وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلماذا اعترفت ليعلم أني بريئة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي تقول المرأة ولست ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب تقول إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع

رأى فضله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكما قال له الملك إن اليوم ليدينا مكين أمين أي إنك عندنا قد بقيت ذا مكانه وأمانه. 54 عليه السلام ونزاهة عرضه مما نسب إليه قال انتوني به أستخلصه لنفسي أي أجعله من خاصتي وأهل مشورتني فلما كلمه أي خاطبه الملك وعرفه يقول تعالى إخبارا عن الملك حين تحقق براءة يوسف

فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها فيصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له. 55 بسني الجذب رواه ابن أبي حاتم وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض وهي الأهرام التي يجمع للرجل ذلك إذا جهل أمر للحاجة وذكر أنه حفيظ أي خازن أمين عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه وقال شيبه بن نعمة: حفيظ لما استودعني عليم فقال يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم مدح نفسه ويجوز

الفضيل بن عياض وقفت امرأة العزيز على ظهر الطريق حتى مر يوسف فقالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته والملوك عبيدا بمعصيته. 56 أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له رجلين أفرايثيم بن يوسف وميشا بن يوسف وولد لأفرايثيم نون والد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليه السلام وقال فإني كنت امرأة كما نرى حسناء جميلة ناعمة في ملك وديا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك على ما رأيت فيزعمون الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطفير راعيل وأنها حين دخلت عليه قال لها: أليس هذا خيرا مما كنت تردين؟ قال فيزعمون أنها قالت أيها الصديق لا تلمني في الأرض يتبؤا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين قال فذكر لي والله أعلم أن اطفير هلك في تلك الليالي وأن الملك على خزائن الأرض إني حفيظ عليم قال الملك قد فعلت فوله فيما ذكروا عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه يقول الله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته وأسلم الملك على يدي يوسف عليه السلام قال مجاهد وقال محمد بن إسحاق: لما قال يوسف للملك اجعلني عطائنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب والغرض أن يوسف عليه السلام ولاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا كقوله في حق سليمان عليه السلام هذا العزيز فلماذا أعقبه الله عز وجل السلام النصر والتأييد ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون يخبر تعالى أن ما ادخره الضيق والحبس والإسار نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين أي وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة أي أرض مصر يتبؤا منها حيث يشاء قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يتصرف فيها كيف يشاء وقال ابن جرير: يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد

الفضيل بن عياض وقفت امرأة العزيز على ظهر الطريق حتى مر يوسف فقالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته والملوك عبيدا بمعصيته. 57 أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له رجلين أفرايثيم بن يوسف وميشا بن يوسف وولد لأفرايثيم نون والد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليه السلام وقال فإني كنت امرأة كما نرى حسناء جميلة ناعمة في ملك وديا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك على ما رأيت فيزعمون الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطفير راعيل وأنها حين دخلت عليه قال لها: أليس هذا خيرا مما كنت تردين؟ قال فيزعمون أنها قالت أيها الصديق لا تلمني في الأرض يتبؤا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين قال فذكر لي والله أعلم أن اطفير هلك في تلك الليالي وأن الملك على خزائن الأرض إني حفيظ عليم قال الملك قد فعلت فوله فيما ذكروا عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه يقول الله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته وأسلم الملك على يدي يوسف عليه السلام قال مجاهد وقال محمد بن إسحاق: لما قال يوسف للملك اجعلني عطائنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب والغرض أن يوسف عليه السلام ولاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا كقوله في حق سليمان عليه السلام هذا لآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون يخبر تعالى أن ما ادخره

أولاد غيركم؟ قالوا نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البئر أحبنا إلى أبيه وبقي شقيقه فاحتبس به أبوه ليتسلى به عنه فأمر بإنزالهم وإكرامهم. 58 عليهم ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا أيها العزيز إنا قدما للميرة قال فلعلكم عيون؟ قالوا معاذ الله قال فمن أين أنتم؟ قالوا كنعان وأبونا يعقوب نبي الله قال وله به ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلى ما صار إليه فلماذا لم يعرفوه وأما هو فعرفهم فذكر السدي وغيره أنه شرع يخاطبهم فقال لهم كالمنكر جالس في أهله ورياسته وسيادته عرفهم حين نظر إليهم وهم له منكرون أي لا يعرفونه لأنهم فارقوه وهو صغير حدث وباعوه للسيارة ولم يدروا أين يذهبون وركبوا عشرة نفر واحتبس يعقوب عليه السلام عنده ابنه بنيامين شقيق يوسف عليه السلام وكان أحب ولده إليه بعد يوسف فلما دخلوا على يوسف وهو في جملة من ورد للميرة إخوة يوسف عن أمر أبيهم لهم في ذلك فإنه بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه فأخذوا معهم بضاعة يعترضون بها طعاما

تفسير ابن كثير

بعد ما تملك عليهم جميع ما يملكون ثم أعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها الله أعلم بصحة ذلك وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب والغرض أنه كان مصر وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم في السنة الأولى بالأموال وفي الثانية بالمتاع وفي الثالثة بكذا وفي الرابعة بكذا حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار حتى يتكفأ الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين وكان رحمة من الله على أهل متعددة هائلة وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات يمتارون لأنفسهم وبعياليهم فكان لا يعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة وكان عليه السلام وهي التي فيها يعقوب عليه السلام وأولاده وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلامهم وجمعها أحسن جمع فحصل من ذلك مبلغ عظيم وهدايا يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع سنين المخصبة ثم تلتها السبع السنين المجدة وعم القحط بلاد مصر بكمالها ووصل إلى بلاد كنعان ذكر السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر أن

قال اثنتوني بأخيكم هذا الذي ذكرت لأعلم صدقكم فيما ذكرت ألا ترون أنني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين يرغبهم في الرجوع إليه ثم رهبهم. 59 ولما جهزهم بجهازهم أي أوفى لهم كيلهم وحمل لهم أحمالهم

وهو الخليل وإسحاق ولده وهو الذبيح في قول وليس بالرجيح إن ربك عليم حكيم أي هو أعلم حيث يجعل رسالته كما قال في الآية الأخرى. 6 الأحاديث قال مجاهد وغير واحد يعني تعبير الرؤيا ويتم نعمته عليك أي بإرسالك والإيحاء إليك. ولهذا قال كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم يوسف إنه كما اختارك ربك وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك كذلك يجتبيك ربك أي يختارك ومصطفيك لنبوته ويعلمك من تأويل ويقول تعالى مخبرا عن قول يعقوب لولده

مجهودا لتعلم صدقنا فيما قلناه السدي أنه أخذ منهم رهائن حتى يقدموا به معهم وفي هذا نظر لأنه أحسن إليهم ورغبهم كثيرا وهذا على رجوعهم. 60 تقدموا به معكم في المرة الثانية فليس لكم عندي مبرة ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون أي سنحرص على مجيئه إليك بكيل ممكن ولا نبقي فقال فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي الآية أي إن لم

مجهودا لتعلم صدقنا فيما قلناه السدي أنه أخذ منهم رهائن حتى يقدموا به معهم وفي هذا نظر لأنه أحسن إليهم ورغبهم كثيرا وهذا على رجوعهم. 61 تقدموا به معكم في المرة الثانية فليس لكم عندي مبرة ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون أي سنحرص على مجيئه إليك بكيل ممكن ولا نبقي فقال فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي الآية أي إن لم

بها وقيل تذمم أن يأخذ من أبيه وإخوته عوضا عن الطعام وقيل أراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم تحرجا وتورعا لأنه يعلم ذلك منهم والله أعلم. 62 في رحالهم أي في أمتعتهم من حيث لا يشعرون لعلهم يرجعون بها قيل خشي يوسف عليه السلام أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة وقال لفتياناه أي غلماناه اجعلوا بضاعتهم أي التي قدموا بها ليمتاروا عوضا عنها

أي يكتل هو وإنا له لحافظون أي لا تخف عليه فإنه سيرجع إليك وهذا كما قالوا له في يوسف أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون. 63 رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل يعني بعد هذه المرة إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين فأرسله معنا نكتل وإنا له لحافظون قرأ بعضهم بالياء يقول تعالى عنهم إنهم

أرحم الراحمين أي هو أرحم الراحمين بى وسيرحم كبرى وضعفى ووجدي بولدي وأرجو من الله أن يرده علي ويجمع شملتي به إنه أرحم الراحمين. 64 أخيه من قبل أي هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل تغيبونه عني وتحولون بيني وبينه؟ فالله خير حافظا وقرأ بعضهم حفظا وهو ولهذا قال لهم هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على

وقد يسمى في بعض اللغات بعيرا: كذا قال ذلك كيل يسير هذا من تمام الكلام وتحسينه أي أن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهما ما يعدل هذا. 65 أخانا معنا نأتي بالميرة إلى أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير وذلك أن يوسف عليه السلام كان يعطى كل رجل حمل بعير وقال مجاهد حمل حمار ما نبغي أي ماذا نريد هذه بضاعتنا ردت إلينا كما قال قتادة: ما نبغي وراء هذا إن بضاعتنا ردت إلينا وقد أوفى لنا الكيل ونمير أهلنا أي إذا أرسلت ولما فتح إخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم وهي التي كان أمر يوسف فتياناه بوضعها في رحالهم فلما وجدوها في متاعهم قالوا يا أبانا يقول تعالى

أكده عليهم فقال الله على ما نقول وكيل قال ابن إسحاق وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد بدا من لأجل الميرة التي لاغنى لهم عنها فبعثه معهم. 66 أي تحلفون بالعهود والمواثيق لتأتني به إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا كلكم ولا تقدرتون على تخليصه فلما أتوه موثقهم

فرسه وروى ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي في الآية في قوله وادخلوا من أبواب متفرقة قال علم أنه سيلقى إخوته في بعض تلك الأبواب. 67 إنه خشي عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستنزل الفارس عن إلى مصر أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة فإنه كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد يقول تعالى إخبارا عن يعقوب عليه السلام إنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيه بنيامين

تفسير ابن كثير

إصابة العين لهم وإنما لئلا يعلم لما علمناه قال قتادة والثوري لئلا يعلم به وقال ابن جرير لئلا يعلم لتعليمنا إياه ولكن أكثر الناس لا يعلمون . 68
توكلت وعليه فليتكول المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها قالوا هي دفع
وقوله وما أغني عنكم من الله من شيء أي أن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضائه فإن الله إذا أراد شيئا لا يخالف ولا يمانع إن الحكم إلا لله عليه
يعقوب قضاها وإنه لئلا يعلم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون

صنعوا بي وأمرهم بكتمان ذلك عنهم وأن لا يطلعهم على ما أطلعه عليه من أنه أخوه وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقيه عنده معززا مكرما معظما. 69
ومنزل ضيافته وأقاض عليهم الصلة والألطف والإحسان واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له وعرفه أنه أخوه وقال له لا تبتئس أي لا تأسف على ما
يخبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين وأدخلهم دار كرامته

بني إسرائيل فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف ولم يرق دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم والله أعلم. 7
والأسباط وهذا فيه احتمال لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم الأسباط كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط
وفي هذا نظر ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل ولم يذكر سوى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
ومحبته إياهما أكثر منا. وأعلم أنه لم يرق دليل على نبوة أخوه يوسف وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ومن الناس من يزعم أنه أوحى إليهم بعد ذلك
شقيقه لأنه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة أي جماعة فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة إن أبانا لفي ضلال مبين يعنون في تقديمها علينا
عنه فإنه خير عجب يستحق أن يخبر عنه إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا أي حلفوا فيما يظنون والله ليوسف وأخوه يعنون بنيامين وكان
يقول تعالى لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات أي عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك المستخبرين

للعباس مثله في الجاهلية فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد ثم نادى مناد بينهم أيتها العير إنكم لسارقون فالتفتوا إلى المنادي. 70
والضحك وعبد الرحمن بن زيد وقال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس صواع الملك قال: كان من فضة يشربون فيه وكان مثل المكوك وكان
وهي إناء من فضة في قول الأكثرين وقيل من ذهب قال ابن زيد كان يشرب فيه ويكيل للناس به من عزة الطعام إذ ذاك قاله ابن عباس ومجاهد وقاتدة
لما جهزهم وحمل لهم أبعرتهم طعاما أمر بعض فتيانهم أن يضع السقاية

قالوا نفقد صواع الملك أي صاعه الذي يكيل به ولمن جاء به حمل بعير وهذا من باب الجعالة وأنا به زعيم وهذا من باب الضمان والكفالة. 71
وقالوا ماذا تفقدون

قالوا نفقد صواع الملك أي صاعه الذي يكيل به ولمن جاء به حمل بعير وهذا من باب الجعالة وأنا به زعيم وهذا من باب الضمان والكفالة. 72
وقالوا ماذا تفقدون

عرفتمونا لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة أنا ما جننا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين أي ليست سجايانا تقتضي هذه الصفة فقال لهم الفتيان. 73
لما اتهمهم أولئك الفتيان بالسرقة قال لهم إخوة يوسف تالله لقد علمتم ما جننا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين أي لقد تحققتم وعلمتم منذ
فما جزاؤه أي السارق إن كان فيكم إن كنتم كاذبين أي أي شيء يكون عقوبته إن وجدنا فيكم من أخذه؟. 74

وهكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام أن السارق يدفع إلى المسروق منه. 75

عكرمة وقال قتادة: وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلى الله منه بدئ وتعلمت العلماء وإليه يعود وفي قراءة عبد الله وفوق كل عالم عليم. 76
كل عالم وكذا روى سماك عن عكرمة عن ابن عباس وفوق كل ذي علم عليم قال يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم وهكذا قال
سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس فحدث بحديث عجيب فتعجب رجل فقال: الحمد لله فوق كل ذي علم عليم فقال ابن عباس بنس ما قلت الله العلم فوق
ذي علم عليم قال الحسن البصري ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل وكذا روى عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الأعلى الثعلبي عن
وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ولهذا مدحهم الله تعالى فقال نرفع درجات من نشاء كما قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم الآية وفوق كل
وقوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك أي لم يكن له أخذه في حكم مصر قاله الضحاك وغيره وإنما قبض الله له أن التزم له إخوته بما التزموه
لهم بما يعتقدونه ولهذا قال تعالى كذلك كدنا ليوسف وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة
يوسف عليه السلام ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه أي فتشها قبله تورية ثم استخرجها من وعاء أخيه فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم الزاما
وهذا هو الذي أراد

في منثورها وأخبارها وأسعارها قال العوفي عن ابن عباس فأسرها يوسف في نفسه قال أسر في نفسه أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون . 77
من باب الإضمار قبل الذكر وهو كثير كقول الشاعر: جزي بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزي سمنار وله شواهد كثيرة في القرآن والحديث واللغة
فأسرها يوسف في نفسه يعني الكلمة التي بعدها وهي قوله أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون أي تذكرون قال هذا في نفسه ولم يبهدهم وهذا
فأسرته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت قال فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل وقوله
مع يوسف فقالت والله إنه لي لسلم أصنع فيه ما شئت فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر فقال لها أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك

تفسير ابن كثير

يوسف من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة إسحاق عليه السلام فانظروا من أخذها ومن أصابها؟ فالتمست ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها ثم قالت: فدعه عندي أياما أنظر إليه وأسكن عنه لعل ذلك يسليني عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على وبلغ سنوات تاقت إليه نفس يعقوب عليه السلام فأتاها فقال يا أختي سلمى إلي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة قالت فوالله ما أنا بتاركته وليها كان له سلما لا ينازع فيه يصنع فيه ما يشاء وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد حضنته عمته وكان لها به ولد فلم تحب أحدا حبها إياه حتى إذا ترعرع على يوسف من البلاء فيما بلغني أن عمته ابنة إسحاق وكانت أكبر ولد إسحاق وكانت عندها منطقة إسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكان من اختبأها ممن عن قتادة كان يوسف عليه السلام قد سرق صنما لجده أبي أمه فكسره وقال محمد بن إسحاق عن عبه الله بن أبي نجيح عن مجاهد قال كان أول ما دخل فقد سرق أخ له من قبل ينتصلون إلى العزيز من التشبه به ويذكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له من قبل يعنون به يوسف عليه السلام قال سعيد بن جبيرة وقال إخوة يوسف لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين إن يسرق

ويتسلى به عن ولده الذي فقده فخذ أحدا مكانه أي بدله يكون عندك عوضا عنه إن نراك من المحسنين أي العادلين المنصفين القابلين للخير. 78 وتقرر تركه عند يوسف بمقتضى اعترافهم شرعوا بترققون له ويعطفونه عليهم فقالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا يعنون وهو يحبه حبا شديدا لما تعين أخذ بنيامين

قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده أي كما قلتم واعترفتم أنا إذا لظالمون أي إن أخذنا برينا بسقيم. 79

بني إسرائيل فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون ولكن كل سبط من نسل رجل من أخوة يوسف ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم والله أعلم. 8 والأسباط وهذا فيه احتمال لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم الأسباط كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط وفي هذا نظر ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل ولم يذكروا سوى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحبه إياهما أكثر منا. واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة أخوه يوسف وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ومن الناس من يزعم أنه أوحى إليهم بعد ذلك شقيقه لأمه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة أي جماعة فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة إن أبانا لفي ضلال مبين يعنون في تقديمها علينا عنه فإنه خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا أي حلفوا فيما يظنون والله ليوسف وأخوه يعنون بنيامين وكان يقول تعالى لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات أي عبرة ومواعظ للساكنين عن ذلك المستخبرين

البلدة حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه راضيا عني أو يحكم الله لي قيل بالسيف وقيل بأن يمكنني من أخذ أخي وهو خير الحاكمين. 80 قد أخذ عليكم موثقا من الله لتردنه إليه فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ما تقدم لكم من إضاعة يوسف عنه فلن أبرح الأرض أي لن أفارق هذه نجيا يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم وهو روبيل وقيل يهوذا وهو الذي أشار عليهم بإلقائه في البئر عندما هموا بقتله قال لهم ألم تعلموا أن أباكم يوسف أنهم لما ينسوا من تخلص أخيه بنيامين الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه وعاهدوه على ذلك فامتنع عليهم ذلك خلصوا أي انفردوا عن الناس يخبر تعالى عن إخوة

إليه ويبرؤا مما وقع بقولهم ما علمنا أن ابنك يسرق وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم: ما علمنا في الغيب أنه سرق له شيئا إنما سألنا ما جزاء السارق. 81 ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ما وقع حتى يكون عذرا لهم عنده ويتصلوا

والعير التي أقبلنا فيها أي التي رافقناها عن صدقنا وأما فتنا وحفظنا وحراستنا وإننا لصادقون فيما أخبرناك به من أنه سرق وأخذوه بسرقة. 82 واسأل القرية التي كنا فيها قيل المراد مصر قاله قتادة وقيل غيرها

إليه وإما أن يأخذ أخاه خفية ولهذا قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم أي العليم بحالي الحكيم في أفعاله وقضائه وقدره. 83 ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة يوسف وأخاه بنيامين وروبيل الذي أقام بديار مصر ينتظر أمر الله فيه إما أن يرضى عنه أبو فيأمره بالرجوع فصبر جميل وقال بعض الناس لما كان صنيعهم هذا مرتبا على فعلهم الأول سحب حكم الأول عليه وصح قوله بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل أنفسكم أمرا فصبر جميل قال محمد بن إسحاق لما جاءوا يعقوب وأخبروه بما يجرى اتهمهم فظن أنها كفعلتهم بيوسف قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قميصي يوسف بدم كذب بل سولت لكم

بالنار وإسحاق بالذبح ويعقوب بفراق يوسف في حديث طويل لا يصح والله أعلم فعند ذلك رق له بنوه وقالوا له على سبيل الرفق به والشفقة عليه. 84 بني إسرائيل ينقلون أن يعقوب كتب إلى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رد ابنه ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء فإبراهيم ابتلي له مناكير وغرائب كثيرة والله أعلم وأقرب ما في هذا أن الأحنف بن قيس رحمه الله حكاه عن بعض بني إسرائيل كعقب ووهب ونحوهما والله أعلم فإن أخذت منه حبه فابيضت عيناه من الحزن فصبر وتلك بلية لم تتلك وهذا مرسل وفيه نكارة فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح ولكن علي بن زيد بن جدعان الله تعالى إليه أن يا داود إن إبراهيم ألقي في النار بسببي فصبر وتلك بلية لم تتلك وإن إسحاق بذل مهجة دمه بسببي فصبر وتلك بلية لم تتلك وإن يعقوب بن قيس أن النبي صلي الله عليه وسلم قال إن داود عليه السلام قال: يا رب إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلي لهم رابعا فأوحى مخلوق قاله قتادة وغيره وقال الضحاك فهو كظيم كئيب حزين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حماد عن سلمة عن علي بن يزيد عن الحسن عن الأحنف

تفسير ابن كثير

غير هذه الأمة الاسترجاع ألا تسمعون إلى قول يعقوب عليه السلام يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم أي ساكت يشكو أمره إلى الأول يا أسفا على يوسف جدد له حزن الابنين الحزن الدفين قال عبد الرزاق أنا الثوري عن سفبان العصفري عن سعيد بن جببر أنه قال لم يعط أحد وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف أي أعرضي عن بنيه وقال متذكرا حزن يوسف

لا تفارق تذكر يوسف حتى تكون حرضا أي ضعيف القوة أو تكون من الهالكين يقولون إن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف. 85
تالله تفتؤا تذكر يوسف أي

أن تشكوني إلى غيري؟ فقال يعقوب إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فقال جبريل عليه السلام الله أعلم بما تشكو وهذا حديث غريب في نكارة. 86
بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخ له فقال له ذات يوم ما الذي أذهب بصرك وقوس ظهرك؟ قال أما الذي أذهب له وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي بحينة عن حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وأعلم من الله ما لا تعلمون يعني رؤيا يوسف أنها صدق وأن الله لا بد أن يظهرها وقال العوفي عنه في الآية: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأني سوف أسجد عما قالوا بقوله إنما أشكو بثي وحزني أي همي وما أنا فيه إلى الله وحده وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أرجو منه كل خير وعن ابن عباس قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله أي أجابهم

لا ييأسوا من روح الله أي لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه فإنه لا يقطع الرجاء ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. 87
ندب بنيه على الذهاب في الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين والتحسس يكون في الخير والتجسس يكون في الشر ونهضهم وبشرهم وأمرهم أن يقول تعالى مخبرا عن يعقوب عليه السلام إنه

بن معاوية عن عثمان بن الأسود سمعت مجاهدا وسئل هل يكره أن يقول الرجل في دعائه: اللهم تصدق علي؟ قال نعم إنما الصدقة لمن يبتغي الثواب. 88
لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ؟ رواه ابن جرير عن الحارث عن القاسم عنه وقال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا القاسم حدثنا مروان البضاعة المزجاة وتجوز فيها وسئل سفبان بن عبيدة: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ألم تسمع قوله فأوف ابن مسعود: فأوفر ركابنا وتصدق علينا وقال ابن جريج وتصدق علينا برد أخينا إلينا وقال سعيد والسدي وتصدق علينا يقولون تصدق علينا بقبض هذه ثعلبة الواهب المائة الهجان وعبدها عودا تزجي خلفها أطفالها وقوله إخبارا عنهم فأوف لنا الكيل أي أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك وقرأ البطم الأخضر والصنوبر وأصل الإزجاء الدفع لضعف الشيء كما قال حاتم طيء ليبيك على ملحان ضيف مدافع وأرملة تزجي مع الليل أرملا وقال أعشى بني قتادة والسدي وقال سعيد بن جببر: هي الدراهم الفسول وقال ابن صالح هو الصنوبر وحب الخضر وقال الضحاك فاسده لا تنفق وقال أبو صالح جاءوا بحب والحسن وغير واحد وقال ابن عباس الرديء لا ينفق مثل خلق الفرارة والحبل والشيء وفي رواية عنه الدراهم الرديئة التي لا تجوز إلا بنقصان وكذا قال يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر يعنون من الجذب والقحط وقلة الطعام وجننا ببضاعة مزجاة أي ومعنا ثمن الطعام الذي نمثاره وهو ثمن قليل قاله مجاهد وقوله فلما دخلوا عليه تقدير الكلام: فذهبوا ودخلوا مصر ودخلوا على يوسف قالوا

تعالى له في ذلك والله أعلم ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر فرج الله تعالى من ذلك الضيق كما قال تعالى فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا . 89
الآية والظاهر والله أعلم أن يوسف عليه السلام إنما تعرف إليهم بنفسه بإذن الله تعالى له في ذلك كما أنه إنما أخفى منهم نفسه في المرتين الأوليين بأمر الله أي إنما حملكم على هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه كما قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقرأ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة إنه رفع التاج عن جبهته وكان فيها شامة وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون أعني كيف فرقوا بينه وبين أخيه إذ أنتم جاهلون من الحزن لفقد ولديه مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه لإخوته وبدره البكاء فتعرف إليهم فيقال يقول تعالى مخبرا عن يوسف عليه السلام أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجذب وتذكر أباه وما هو فيه

إما بأن تقتلوه أو تلقوه في أرضي من الأراضي تستريحوا منه وتخلوا أنتم بأبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين فأضمرُوا التربة قبل الذنب. 9
يقولون هذا الذي يزحمكم في محبة أبيكم لكم اعدموه من وجه أبيكم ليخلوكم وحكم

والأثرة عليهم في الخلق والخلق والسعة والملك والتصرف والنبوة أيضا على قول من لم يجعلهم أنبياء وأقروا بأنهم أساءوا إليه وخطأوا في حقه. 90
أي يجمعه بيننا بعد التفرقة المدة إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا الآية يقولون معترفين له بالفضل وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكنم نفسه فلماذا قالوا على سبيل الإستفهام أنكك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي وقوله قد من الله علينا ابن محيصة أنت يوسف والقراءة المشهورة هي الأولى لأن الاستفهام يدل على الاستعظام أي أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر فعند ذلك قالوا أنكك لأنت يوسف وقرأ أبي بن كعب إنك لأنت يوسف وقرأ

والأثرة عليهم في الخلق والخلق والسعة والملك والتصرف والنبوة أيضا على قول من لم يجعلهم أنبياء وأقروا بأنهم أساءوا إليه وخطأوا في حقه. 91
أي يجمعه بيننا بعد التفرقة المدة إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا الآية يقولون معترفين له بالفضل

تفسير ابن كثير

وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكنم نفسه فلماذا قالوا على سبيل الإستفهام أنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي وقوله قد من الله علينا ابن محيص أنت يوسف والقراءة المشهورة هي الأولى لأن الاستفهام يدل على الاستعظام أي أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر فعند ذلك قالوا أنك لأنت يوسف وقرأ أبي بن كعب إنك لأنت يوسف وقرأ

إسحاق والثوري لا تثريب عليكم أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم يغفر الله لكم أي عليكم فيما فعلتم وهو أرحم الراحمين . 92 لهم بالمغفرة فقال يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال السدي اعتذروا إلى يوسف فقال لا تثريب عليكم اليوم يقول لا أذكر لكم ذنبكم وقال ابن قال لا تثريب عليكم اليوم يقول أي لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم ثم زادهم الدماء

يقول اذهبوا بهذا القميص فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وكان قد عمي من كثرة البكاء وأتوني بأهلكم أجمعين أي بجميع بني يعقوب. 93

افترقا ثمانون سنة وقوله لولا أن تفندون قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير تسفهون وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون. 94 من مسيرة ثمانية أيام وكذا رواه سفيان الثوري وشعبة وغيرهما عن ابن سنان به وقال الحسن وابن جريج كان بينهما ثمانون فرسخا وكان بينه وبينه منذ ولما فصلت العير قال لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قال فوجد ريحه ريح يوسف لولا أن تفندون تنسبوني إلى الفند والكبر قال عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول: أي خرجت من مصر قال أبوه يعني يعقوب عليه السلام لمن بقي عنده من بنيه إني لأجد

يوسف لا تنساه ولا تسلاه قالوا لو الدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لو الدهم وكنا لنبي الله صلي الله عليه وسلم وكذا قال السدي وغيره. 95 قال ابن عباس لفى خطئك القديم وقال قتادة أي من حب

وقال لبنيه عند ذلك ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم أن الله سيرده إلي وقلت لكم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون. 96

بن يعقوب قال السدي إنما جاء به لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كذب فأحب أن يغسل ذلك بهذا فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه فرجع بصيرا قال ابن عباس والضحاك البشير البريد وقال مجاهد والسدي كان يهوذا

وسلم سوف أستغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخي يعقوب لبنيه وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والله أعلم. 97 المثنى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي حدثنا أبو الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلي الله عليه عن ذلك فقال إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله سوف أستغفر لكم ربي وقد ورد في الحديث إن ذلك كان ليلة الجمعة كما قال ابن جرير أيضا حدثني فيسمع إنسانا يقول: اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا السحر فاغفر لي قال فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن إدريس سمعت عبد الرحمن بن إسحاق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر رضي الله عنه يأتي المسجد لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم أي من ناب إليه تاب عليه قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم إلى وقت السحر فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين له يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر

وسلم سوف أستغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخي يعقوب لبنيه وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والله أعلم. 98 المثنى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي حدثنا أبو الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلي الله عليه عن ذلك فقال إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله سوف أستغفر لكم ربي وقد ورد في الحديث إن ذلك كان ليلة الجمعة كما قال ابن جرير أيضا حدثني فيسمع إنسانا يقول: اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا السحر فاغفر لي قال فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن إدريس سمعت عبد الرحمن بن إسحاق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر رضي الله عنه يأتي المسجد لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم أي من ناب إليه تاب عليه قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم إلى وقت السحر فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين له يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر

كان أبوه وأمه يعيشان قال ابن جرير ولم يقم دليل على موت أمه وظاهر القرآن يدل على حياتها وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق. 99 السلام وقوله أوى إليه أبويه قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما كان أبوه وخالته وكانت أمه قد ماتت قديما وقال محمد بن إسحاق وابن جرير قال اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا لديه وأرسلوا أبا سفيان في ذلك فدعا لهم فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عليه تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدية ببركة قدوم يعقوب عليهم كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله صلي الله عليه وسلم على أهل مكة حين قال لهم بعد ما دخلوا عليه وآواهم إلهادخلوا مصر وضمنه اسكنوا مصر إن شاء الله آمين أي مما كنتم فيه من الجهد والقحط ؟ ويقال والله أعلم إن الله مصر إن شاء الله آمين وفي هذا نظر أيضا لأن الإيواء إنما يكون في المنزل كقوله أوى إليه أخاه وفي الحديث من أوى محدثا وما المانع أن يكون ورفعهما على العرش ورد ابن جرير هذا وأجاد في ذلك ثم اختار ما حكاه عن السدي أن يوسف أوى إليه أبويه لما تلقاهما ثم لما وصلوا باب البلد قال ادخلوا وقال ادخلوا مصر على كثير من المفسرين فقال بعضهم هذا من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين وأوى إليه أبويه أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي نبي الله يعقوب عليه السلام ويقال إن الملك خرج أيضا لتلقيه وهو الأشبه وقد أشكل قوله أوى إليه أبويه

تفسير ابن كثير

أن يأتيه بأهلهم أجمعين فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر فلما أخبر يوسف عليه السلام باقتربهم خرج لتلقيهم وأمر الملك يخبر تعالى عن ورود يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام وقدمه بلاد مصر لما كان يوسف قد تقدم لأخوته

سورة 13

لا يؤمنون كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين أي مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق. 1 تكون الواو زائدة أو عاطفة صفة على صفة كما قدمنا واستشهد بقول الشاعر: إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله ولكن أكثر الناس يا محمد من ربك الحق خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله والذي أنزل إليك من ربك هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة واختار ابن جرير أن هذه آيات الكتاب وهو القرآن وقيل التوراة والإنجيل قاله مجاهد وقتادة وفيه نظر بل هو بعيد ثم عطف على ذلك عطف صفات فقال والذي أنزل إليك أي ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأظم وأعظم والله أعلم. تلك آيات الكتاب أي وآخر متشابهات فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحا أن يحسب فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب أخطب ولمن معه من الأحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعون ومائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه ثم قال أبو ياسر لأخيه حي بن ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدى وثلاثون هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وثلاثون ومائة وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه قال نعم قال فمشى حي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا فيما أنزل الله عليك أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقال أنت سمعته بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن اسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك أدل على بطلان قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد وأنه إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات وعظمتهم وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وثلاثة مثل الم وأربعة مثل المر و المص وخمسة مثل كهيعص و حمعسق لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ص ن ق وحرفين مثل حم ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاية لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد مدينتان ليستا خطابا للمشركون فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاية ابن جرير أيضا وهو ضعيف لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها إسماع المشركين إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن حتى أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاية ابن جرير وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في

تفسير ابن كثير

في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آمنا به كل من عند ربنا ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثاً ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة فقد أخطأ خطأ كبيراً فتعين أن لها معنى الأجناس المعدودة مكتورة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم في هذا المقام كلاماً فقال: لا شك أن الشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة ومن الرخوة حرفاً وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدداً والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفاً كما يقول القائل ابني يكتب في ا ب ت ث أي في حروف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق و ص و حم و طسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال سفيان هو أن يقول في اقتل ا ق وقال خفيف خير إن شراً فإلا أن يقول وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكتمى بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من وقال الآخر: ما للظلم عال كيف لا ينفذ عنه جلده إذا يه فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل كذا وكذا فاكتمى بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسئلة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسئلة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها هذا وعلى هذا معنا لفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجهاً ولكن هذا ليس كما ذكره أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منها وادكر بعد أمة ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله وعلى صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفاته كما افتتح سورا والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون الثلاثة من التسعة والعشرين حرفاً دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه وليس أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى ألم قال هذه الأحرف جبير وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضاً من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علية عن خالد الحذاء عن محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكى مثله عن علي وابن عباس وقال ورواه ابن جرير عن بNDAR عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدنا بن عبدالرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال ألم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسماً للقرآن كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر

تفسیر ابن کثیر

القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أوائل السورة قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاها أما الكلام على الحروف المقطعة في

عمل إلا كنا عليكم شهوداً إنفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين . 10
فإن كلاهما في علم الله على السواء كقوله تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم الآية وقوله تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من
إن الله سميع بصير وقوله ومن هو مستخف بالليل أي مختف في قعر بيته في ظلام الليل وسارب بالنهار أي ظاهر ماش في بياض النهار وضياؤه
عليه وسلم وأنا في جنب البيت وإنه ليخفى علي بعض كلامها فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما
ما تخفون وما تعلنون وقالت عائشة رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله
علمه بجميع خلقه وإنه سواء منهم من أسر قوله أو جهر به فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء كقوله وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى وقال ويعلم
يخبر تعالى عن إحاطة

ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي وهذا غريب وفي إسناده من لا أعرفه. 11

الخبر أنبأني وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال قال الرب وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي عن عمير بن عبد الملك قال: خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة قال: كنت إذا أمسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدائي وإذا سألته عن فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه صفة العرش حدثنا الحسن بن علي حدثنا الهيثم بن الأشعث السلمي حدثنا أبو حنيفة اليماني الأنصاري الله عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون ثم قال إن تصديق ذلك في كتاب الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقد ورد هذا في حديث مرفوع أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله إلا حول هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال هي من قدر الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن أشعث عن جهم عن إبراهيم قال خليا بينه وبينه إن الأجل جنة حصينة وقال بعضهم يحفظونه من أمر الله بأمر الله كما جاء في الحديث أنهم قالوا يا رسول الله أرأيت رقبيا نسترقيا بها من مراد إلى علي رضي الله عنه وهو يصلي فقال احترس فإن ناسا من مراد يريدون قتلك 0 فقال إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذا لتخطفتكم وقال أبو أمامة ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له وقال أبو مجلز جاء رجل القراءات يحفظونه بأمر الله وقال كعب الأحبار: لو تجلى لابن آدم كل سهل وكل حزن لرأى كل شي من ذلك شيئا يقينا لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون على بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس وإليه ذهب مجاهد وسعيد بن جببر وإبراهيم النخعي وغيرهم وقال قتادة يحفظونه من أمر الله قال وفي بعض الله ؟ قال وإياي ولكن الله أعاني علم فلا يأمرني إلا بخير انفرد بإخراجه مسلم وقوله يحفظونه من أمر الله قيل المراد حفظهم له من أمر الله رواه عن أبيه عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول ملكا على كل آدمي وإبليس بالنهار وولده بالليل وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أسود بن عامر حدثنا سفيان حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون تجبرت على الله قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه الآية وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك وإذا ثلاث مرات فإذا قال ثلاثا قال أكتبها أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته للة وأقل استحياءه منا يقول الله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد أمير على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشرا وإذا عملت سيئة قال الذي علما الشمال للذي على اليمين أكتبها ؟ قال لا لعله يستغفر ويتوب فيستأذنه دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ فقال ملك عن يمينك على حسناتك وهو فقال حدثني المثنى حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي قال: ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبد يشبه حرس هؤلاء ملوكهم وأمرائهم وقد روى الإمام أبو جعفر ابن جرير ههنا حديث غريبا جدا هؤلاء الأمراء الموابك من بين يديه ومن خلفه وقال الضحاك في الآية هو السلطان المحروس من أمر الله وهم أهل الشرك والظاهر والله أعلم أن مراد حرس من دونه حرس وقال العوفي عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني ولي السلطان يكون عليه الحرس وقال عكرمة في تفسيرها وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جببر عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال ذلك ملك من ملوك الدنيا له من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه يريد أن يقول له الملك: وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه هي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلوا عنه وقال مجاهد ما فاستحيوهم وأكرمهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله والمعقبات من الله بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون وفي الحديث الآخر إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع جاء في الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليهم الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم

تفسير ابن كثير

يكتب السيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر من قدامه فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكاتبان كما آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فائنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات كما يتعاقب ملائكة

رزق الله وينشيء السحاب الثقال أي يخلقها منشأة جديدة وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة إلى الأرض قال مجاهد: السحاب الثقال الذي فيه الماء. 12
الجلد يسأله عن الرق فقال البرق الماء. وقوله خوفا وطمعا قال قتادة خوفا للمسافر يخاف أذاه ومشقته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته وبطبع في
يخبر تعالى أنه هو الذي يسخر البرق وهو ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلل السحاب وروى ابن جرير أن ابن عباس كتب إلى أبي
كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين وعن علي رضي الله عنه وهو شديد المحال أي شديد الأخذ وقال مجاهد شديد القوة. 13
قال ابن جرير: شديدة ماحلته في عقوبته من طغى عليه وعتا وتمادى في كفره وهذه الأمة شبيهة بقوله ومكروا مكرا ومكروا مكرا وهم لا يشعرون فانظر
ثم ذكر أربد وما قتله به فقال ويرسل الصواعق الآتية وقوله وهم يجادلون في الله أي يشكون في عظمتهم وأنه لا إله إلا هو وهو شديد المحال
فأنزل الله فيهما الله يعلم ما تحمل كل أنثى إلى قوله وما لهم من دونه من وال قال المعقبات من أمر الله يحفظون محمدا صلى الله عليه وسلم
من بني سلول فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول غدة كغدة الجمل في بيت سلولية يرغب أن يموت في بيتها ثم ركب فرت فأحضره حتى مات عليه راجعا
العاتب فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته وخرج عامر حتى إذا كان بالخريم أرسل الله فرحة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة
حرة راقم نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضر فقالا اشخصا يا عدوي الله لعنكما الله فقال عامر من هذا يا سعد ؟ قال هذا أسيد بن حضير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع فانصرف عنهما فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالحرّة
الله عليه وسلم يكلمه وسل أربد السيف فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف فلم يستطع سل السيف فأبطأ أربد على عامر بالضرب فالتفت
أربد: أفعل فأقبلا راجعين إليه فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلسا إلى الجدار ووقف معه رسول الله صلى
عامر: يا أربد أنا أشغل عنك محمدا بالحديث فاضربه بالسيف فإن الناس إذا قتلوا محمدا لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فنعطيهما الدية قال
لا فلما قفلا من عنده قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنك الله فلما خرج أربد وعامر قال
عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل قال أنا الآن في أعنة خيل نجد اجعل لي الوبر ولك المدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال عامر بن الطفيل أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك ؟ قال رسول الله صلى الله
قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت ؟ فقال
الرحمن وعبد الله ابن زيد بن أسلم عن أبيهما عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أن أربد بن قيس بن حزم بن جليل بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك
الكريهة النجد وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا مسعدة بن سعيد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي حدثني عبد العزيز بن عمران حدثني عبد
في الله وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أربد يرثيه أخشى على أربد الحتوف ولا أهرب نوء السماك والأسد فجعني الرد والصواعق بالفارس يوم
يقول يا آل عامر غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية حتى ماتا لعنهما الله وأنزل الله في مثل ذلك ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون
عليه الصلاة والسلام فأرسل الله على أربد سحابة فيها صاعقة فأحرقتة وأما عامر بن الطفيل فأرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة فجعل
فجعل أحدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقبله من ورائه فحماه الله تعالى عنهما وعصمه فخرجا من المدينة فانطلقا في أحياء العرب يجتمعان الناس لحربه
ورجالا مردا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يابى الله عليك ذلك وأبناء قيلة يعني الأتصار ثم إنهما هما بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر فأبى عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله أما والله لأملأنها عليك خيلا جردا
فأهلكته وأنزل الله ويرسل الصواعق الآتية وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءت صاعقة فأخذته وأنزل الله ويرسل الصواعق الآتية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله صاعقة
بكر بن عياش عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال جاء يهودي فقال يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو ؟ من نحاس هو أم من لؤلؤ أو ياقوت ؟ قال
أذهب هو ؟ أم فضة هو ؟ أم لؤلؤ هو ؟ قال فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سحابة فرعدت فأرسل عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه ونزلت هذه الآية. وقال أبو
حدثنا أبان بن يزيد حدثنا أبو عمران الجوني عن عبد الرحمن بن صهار العبدى أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى جبار يدعوه فقال أرايتكم ربكم
الحافظ أبو بكر البزار عن عبدة بن عبد الله عن يزيد بن هارون عن ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس فذكر فحوه وقال: حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان
رأت فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله عز وجل ويرسل الصواعق الآتية ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي سارة به ورواه
الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك فقال ارجع إليه فادعه فرجع إليه الثالثة قال فأعاد عليه ذلك الكلام فبينما هو يكلمه إذ بعث الله عز وجل سحابة حيال
قد خبرتك أنه أعتى من ذلك قال لي كذا وكذا فقال لي ارجع إليه الثانية فذهب فقال له مثلها فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
فقال له من رسول الله ؟ وما الله ؟ أمن ذهب هو أم من فضة هو أم من نحاس هو ؟ قال فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا مرة إلى رجل من فراعنة العرب فقال اذهب فادعه لي قال فذهب إليه فقال يدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفلان وفلان وقد روى في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا إسحق حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني حدثنا ثابت عن أنس أن رسول

تفسير ابن كثير

الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول من صقع قبلكم الغداة فيقولون صقع فلان نقمة ينقم بها ممن يشاء ولهذا تكثر في آخر الزمان كما قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا عمارة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكرا وقوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء أي يرسلها وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر حدثنا عبد الكريم حدثنا عطاء عن ابن عباس قال: قال الله صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد في كتاب الأدب وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود الطيالسي حدثنا صدقة بن موسى حدثنا محمد بن واسع عن معمر بن نهار عن أبي هريرة أن رسول سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض رواه مالك في موطئه والبخاري كانوا يقولون كذلك وقال الأوزاعي كان ابن أبي زكريا يقول: من قال حين يسمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا بحمده. وروى عن علي رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد يقول: سبحان من سبحت له. وكذا روى عن ابن عباس وطاوس والأسود بن يزيد أنهم بن جرير حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبي هريرة رفعه أنه كان إذا سمع الرعد قال سبحان من يسبح الرعد والبخاري في كتاب الأدب والنسائي في اليوم والليلة والحاكم في مستدركه من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي مطر ولم يسم به وقال الإمام أبو جعفر عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك. ورواه الترمذي ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فإذا مصع بذنبه فذاك البرق وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الحجاج حدثنا أبو مطر عن سالم البرق ومنطقه الرعد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه: وجه إنسان أعلم أن نطقها الرعد وضحكها البرق وقال موسى بن عبيدة عن سعد بن إبراهيم قال يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضحكا ولا آسن منه منطلقا فضحكه عن شيخ من بني غفار أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك والمراد والله صلى الله عليه وسلم فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه فقال له حميد ما الحديث الذي حدثتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الشيخ سمعت حميد بن عبد الرحمن في المسجد فمر شيء من بني غفار فأرسل إليه حميد فلما أقبل قال يا ابن أخي وسع الله فيما بيني وبينك فإنه قد صحب رسول الله ويسبح الرعد بحمده كقوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرني أبي قال كنت جالسا إلى جنب قال

فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهًا غيره لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال وما دعاء الكافرين إلا في ضلال . 14 باليد ومعنى هذا الكلام أن الذي يسط يده إلى الماء إما قابضا وإما متناولا له من بعد كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلا للشرب منه على شيء كما قال الشاعر: فاني وإياكم وشوقا إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله وقال الآخر: فأصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء لا يناله أبداً بيده فكيف يبلغ فاه ؟ وقال مجاهد كباسط كفيه يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبداً وقيل المراد كقابض يده على الماء فإنه لا يحكم الآية أي ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه قال علي بن أبي طالب كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو له دعوة الحق قال التوحيد رواه ابن جرير وقال ابن عباس وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر له دعوة الحق لا إله إلا الله والذين يدعون من دونه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وظلالهم بالغدو أي البكر والآن وهو جمع أصيل وهو آخر النهار كقوله تعالى أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله . 15 يخبر تعالى عن عظمتهم وسلطانته الذي قهر كل شيء ودان له كل شيء ولهذا يسجد له كل شيء طوعا من المؤمنين وكرها على الكافرين أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاتهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم وخالفوهم فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة ولا يظلم ربك أحدا . 16 عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا فإذا كان الجميع عبدا فلم يعبد بعضهم بعضا بلا دليل ولا برهان بل مجرد الرأي والاختراع والابتداع ثم قد أرسل رسله من تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وكم من ملك في السموات الآية وقال إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم أخبر تعالى عنهم في قوله ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فأنكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ولا وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكما من مخلوق غيره أي ليس الأمر كذلك فإنه لا يتشابهه شيء ولا يماثله ولا ند له ولا عدل له ولا وزير له ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فتشابه الخلق عليهم أي أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون أنها مخلوقة عبد الله وحده لا شريك له فهو على نور من ربه ؟ ولهذا قال قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه الآلهة لا تملك لا نفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعا ولا ضرا أي لا تحصل لهم منفعة ولا تدفع عنهم مضرة فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله ومن يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم وأولئك فيها قال فذلکم مثلي ومثلکم أنا آخذ بحجزکم عن النار هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها وأخرجاه في الصحيحين أيضا فهذا مثل ناري. 17 مثلي ومثلکم کمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقتحمن

تفسير ابن كثير

الآخر الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني ونفع به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به فهذا مثل مائي. وقال في الحديث منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من صلى الله عليه وسلم قال إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت يحطم بعضها بعضا ثم قال تعالى في المثل الآخر أو كظلمات في بحر لجي الآية وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله شدة الحر ولهذا جاء في الصحيحين فيقال لليهود يوم القيامة فما تريدون؟ فيقولون أي ربنا عطشنا فاسقا فيقال ألا تردون؟ فيردون النار فإذا هي كسراب ظلمات ورعد وبرق الآية وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين أحدهما قوله والذين كفروا أعمالهما كسراب الآية والسراب إنما يكون في في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين ناريا ومائيا وهما قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله الآية ثم قال أو كصيب من السماء فيه وينتفع أهل الحق بالحق وهكذا روي في تفسيرها عن مجاهد والحسن البصري وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف وقد ضرب سبحانه وتعالى حي يدخل في النار فتأكل خبثه ويخرج جيده فينتفع به فكذلك يضمحل الباطل فإذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال فيزيغ الباطل ويهلك الهدى والحق جاء من عند الله فمن عمل بالحق كان له وبقي كما بقي ما ينفع الناس في الأرض وكذلك الحديد لا يستطاع أن يعمل منه سكين ولا سيف والفضة وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله والعمل السيئ يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد وكذلك عليه في النار فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد فللنحاس والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء فأما ما ينفع الناس فالذهب عن ابن عباس قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمنة ومما يوقدون الناس فيمكث في الأرض وهو اليقين وكما يجعل الحلى في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك وقال العوفي القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله فأما الزبد وهو الشك فيذهب جفاء وأما ما ينفع إلا العالمون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية هذا مثل ضربه الله احتملت منه الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقال بعض السلف كنت إذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لأن الله تعالى يقول وما يعقلها منه شيء ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحو ينتفع به ولهذا قال وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال كقوله تعالى وتلك أي لا ينتفع به بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي ويلتصق بالشجر وتنسف الرياح وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع للباطل ولا دوام له كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك في النار بل يذهب ويضمحل ولهذا قال فأما الزبد فيذهب جفاء حلية أي ليجعل حلية أو نحاسا أو حديدا فيجعل متاعا فإنه يعلوه زبد منه كما يعلوه ذلك زبد منه كذلك يضرب الله الحق والباطل أي إذا اجتمعا لا ثبات زبد عال عليه هذا مثل وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع الآية هذا هو المثل الثاني هو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ابتغاء فمناها ما يسع علما كثيرا ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها فاحتمل السيل زبدا رابيا أي فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية ماء أي مطرا فسالت أودية بقدرها أي أخذ كل واحد بحسبه فهذا كبير وسع كثيرا من الماء وهذا صغير فوسع بقدره وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفنائه فقال تعالى أنزل من السماء أي في الدار الآخرة أي يناقشون على النقيير والقطمير والجليل والحقير ومن نوقش الحساب عذب ولهزم قال ومأواهم جهنم وبئس المهاد . 18 من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله معه لا فتدوا به ولكن لا يقبل منهم لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا أولئك لهم سوء الحساب الحسنى وزيادة وقوله والذين لم يستجيبوا له أي لم يطيعوا الله لو أن لهم ما في الأرض جميعا أي في الدار الآخرة لو أن يمكنهم أن يفتدوا ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا وقال تعالى للذين أحسنوا الله ورسوله وانقادوا لأوامرهم وصدقوا أخباره الماضية والآتية فلهم الحسنى وهو الجزاء الحسن كقوله تعالى مخبرا عن ذي القرنين أنه قال أما من يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء فقال للذين استجابوا لربهم أي أطاعوا هو أعمى أي أفهكذا كهذا؟ لا استواء وقوله إنما يتذكر أولو الأبواب أي إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة جعلنا الله مثمهم . 19 تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال في هذه الآية الكريمة أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن وعدلا في الطلب فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه ولو فهمه ما انقاد له ولا صدقه ولا اتبعه كقوله يصدق بعضه بعضا لا يضاد شيء منه شيئا آخر فأخبره كلها حق وأوامره ونواهيها عدل كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أي صدقا في الإخبار لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه بل هو كله حق يقول تعالى:

العالمين وقوله يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون أي يوضح الآيات والدلالات الدالة على أنه لا إله إلا هو وأنه يعيد الخلق إذا شاء كما بدأه . 2 واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون مع أنه قد صرح بذلك بقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب أعظم من الثوابت فإذا كان قد سخر هذه فلا بد أن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأخرى كما نبه بقوله تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر

تفسير ابن كثير

وهذا واضح لمن تدبر ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة وذكر الشمس والقمر لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة التي هي أشرف الصحيح الذي تقوم عليه الأدلة قبة مما يلي العالم من هذا الوجه وليس بمحيط كسائر الأفلاك لأن له قوائم وحمة يحملونه ولا يتصور هذا في الفلك المستدير إلى مستقرهما وهو تحت العرش مما يلي بطن الأرض من الجانب الآخر فإنهما وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك يكونون أبعد ما يكون عن العرش لأنه على وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى قيل المراد أنهما يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة كقوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها وقيل المراد ثم استوى على العرش تقدم تفسيره في سورة الأعراف وأنه يمر كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل تعالى الله علوا كبيرا وقوله مست من الأرض ضاحيا قولاً له من أنبت الحب في الثرى فيصبح منه العشب يهتز رابيا ويخرج منه حبه في رءوسه في ذلك آيات لهن كان واعيا وقوله تعالى وقولا له أنت رفعت هذه بلا عمد أو فوق ذلك بانبا وقولا له هل أنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنك الليل هاديا وقولا له من يرسل الشمس غدوة فيصبح ما بعثت إلى موسى رسولا مناديا فقلت له فاذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا وقولا له هل أنت سويت هذه بلا وتد حتى استقلت كما هيا القدرة وفي شعر أمية بن أبي الصلت آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث ويروى لزيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه وأنت الذي من فضل من ورحمة ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه فعلى هذا يكون قوله ترونها تأكيدا لنفي ذلك أي هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو الأكمل في لها عمد ولكن لا ترى وقال إياس بن معاوية السماء على الأرض مثل القبة يعني بلا عمد وكذا روى عن قتادة وهذا هو اللائق بالسياق والظاهر من قوله تعالى ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة وهو من ياقوتة حمراء وقوله بغير عمد ترونها روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد أنهم قالوا في تلك الفلاة وفي رواية والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل وجاء عن بعض السلف أن بعد ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة وبعد مثلهن الآية وفي الحديث ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش المجيد كذلك الحلقة المسير خمسمائة عام وسمكها خمسمائة عام. وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام ثم السماء الثانية محيطها بالسماء الدنيا وما حوت وبينهما من بعد فالسماء الدنيا محيطها بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها مرتفعة عليها من كل جانب على السواء وبعد ما بينها الله تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه الذي بإذنه وأمره رفع السموات بغير عمد بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بعدا لا تتال ولا يدرك مداها يخبر

الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر وإذا خاصم فجر وإذا حدث كذب وإذا ائتمن خان. 20
يقول تعالى مخبرا عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة بأن لهم عقبى الدار وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة
ذلك ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية. 21
من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج وبذل المعروف ويخشون ربهم أي فيما يأتون وما يذرون من الأعمال يراقبون الله في وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ولهذا قال مخبرا عن هؤلاء السعداء المتصفين بهؤلاء الصفات الحسنة بأن لهم عقبى الدار. 22
القيح بالحسن فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحا وعفوا كقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ومساكين سرا وعلائية أي في السر والجهر لم يمنعه من ذلك حال من الأحوال أثناء الليل وأطراف النهار ويدرون بالحسنة السيئة أي يدفعون وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي وأنفقوا مما رزقناهم أي على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومحاويج ربهم أي عن المحارم والمأثم ففطموا أنفسهم عنها لله عز وجل ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه وأقاموا الصلاة بحدودها ومواقبتها وركعها وسجودها والذين صبروا ابتغاء وجه

الله عليه وسلم كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول فيقول لهم: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان. 23
حديث إسماعيل بن عياش عن أروطة بن المنذر عن أبي الحجاج يوسف الألحاني قال: سمعت أبا أمامة فذكر نحوه وقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذي يليه للذي يليه انذنوا له حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من محبوب فيقبل الملك فيستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول انذنوا فيقول أقربهم للمؤمن يقال له أبو الحجاج يقول: جلست إلى أبي أمامة فقال: إن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سباطان من خدم وعند طرف السماطين باب من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال عبد الله بن المبارك عن بقية بن الوليد حدثنا أروطة بن المنذر سمعت رجلا من مشيخة الجنه الليل والنهار ونقدس لك هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي؟ ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح بحمدك وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين سمع عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ثلة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا بما صبرتم فنعم عقبى الدار ورواه أبو القاسم الطبراني عن أحمد بن رشدين عن أحمد بن صالح عن عبد الله بن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي عشانة وتتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء قال فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

تفسير ابن كثير

الملائكة نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء ونسلم عليهم ؟ فيقول إنهم كانوا عبادا يعبدونني لا يشركون بي شيئا وتسد بهم الثغور تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته: انتوهم فحيوهم فتقول وسلم أنه قال هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين سعيدهم بن أبي أيوب حدثنا معروف بن سويد الحراني عن أبي عشانة المعافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا أبو عبد الرحمن حدثني عقيب الدار أي وتدخل عليهم الملائكة من ههنا ومن ههنا للتهنئة بدخول الجنة فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنيين لهم بما حصل لهم من كما قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الآية وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم صالح له دخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم حتى أنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتنانا من الله وإحسانا من غير تنقيص للأعلى عن درجته والجنات حولها رواهما ابن جرير وقوله ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أي يجمع بينهم وبين أحبائهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء ممن هو حبرة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وقال الضحاك في قوله جنات عدن مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد إقامة يخلدون فيها وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف جنات عدن والعدن الإقامة أي جنات

الله عليه وسلم كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول فيقول لهم : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقيب الدار وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان . 24 حديث إسماعيل بن عياش عن أرطاة بن المنذر عن أبي الحجاج يوسف الألهاني قال : سمعت أبا أمامة فذكر نحوه وقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انذروا له ويقول الذي يليه للذي يليه انذروا له حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من محبوب فيقبل الملك فيستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول انذروا فيقول أقربهم للمؤمن له أبو الحجاج يقول : جلست إلى أبي أمامة فقال : إن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقيب الدار وقال عبد الله بن المبارك عن بقية بن الوليد حدثنا أرطاة بن المنذر سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال الليل والنهار ونقدس لك هؤلاء الذين آرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة من قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح بحمدك وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين سمع عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ثلثة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكارة وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا بما صبرتم فنعم عقيب الدار ورواه أبو القاسم الطبراني عن أحمد بن رشدين عن أحمد بن صالح عن عبد الله بن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي عشانة وتتقى بهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء قال فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم الملائكة نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء ونسلم عليهم ؟ فيقول إنهم كانوا عبادا يعبدونني لا يشركون بي شيئا وتسد بهم الثغور تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : انتوهم فحيوهم فتقول وسلم أنه قال هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين سعيدهم بن أبي أيوب حدثنا معروف بن سويد الحراني عن أبي عشانة المعافري عن عبد الله بن عمرو بن الجنيدي رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا أبو عبد الرحمن حدثني الدار أي وتدخل عليهم الملائكة من هاهنا ومن هاهنا للتهنئة بدخول الجنة فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنيين لهم بما حصل لهم من تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الآية وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقيب له دخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم حتى أنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتنانا من الله وإحسانا من غير تنقيص للأعلى عن درجته كما قال حولها رواهما ابن جرير . وقوله ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أي يجمع بينهم وبين أحبائهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وقال الضحاك في قوله جنات عدن مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات يخلدون فيها وعن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقيب الدار جنات عدن والعدن الإقامة أي جنات إقامة

ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا في الأرض وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث الخصال: إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا ائتمنوا خانوا. 25 المنافقين إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا ائتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا وهي سوء العاقبة والمآل ومآواهم جهنم وبئس المهاد وقال أبو العالية في قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله الآية قال هي ست خصال في وعد أخلف وإذا أؤتمن خان وفي رواية وإذا ما هدر وإذا خاصم فجر ولهذا قال أولئك لهم اللعنة وهي الإبعاد عن الرحمة ولهم سوء الدار ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض كما ثبت في الحديث آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا

تفسير ابن كثير

ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا فأولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل وهؤلاء هذا حال الأشقياء وصفاتهم وذكر ما لهم في الآخرة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي أسك ميت والأسك الصغير الأذنين فقال والله للدنيا أهون على الله من هذا على أهله حين ألقوه . 26 عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بم ترجع وأشار بالسبابة رواه مسلم في صحيحه وفي الحديث الآخر وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن يحيى بن سعيد قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن المستورد أخي بني فهره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا في الآخرة إلا متاع كما قال قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلا وقال بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى من مال وبنيين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال وما الحياة ويقتدر على من يشاء لما له في ذلك من الحكمة والعدل وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا من الحياة الدنيا استدراجا لهم وإمهالا كما قال أئحسبون أننا نمدهم به يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء

كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ولهذا قال قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب أي ويهدي إليه من أناب إلى الله. 27 عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم وقال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما أو لم يجبههم إلى سؤالهم فإن الهداية والإضلال ليس منوطا بذلك ولا عدمه كما قال وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون وقال إن الذين حقت التوبة والرحمة ولهذا قال لرسوله قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب أي هو المضل والهادي سواء بعث الرسل بأية على وفق ما اقترحوا إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك فإن كفروا أعذبهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة فقال بل تفتح لهم باب الحديث إن الله أوحى إلى رسوله لما سألوه أن يحول لهم الصفا ذهابا وأن يجري لهم ينبوعا وأن يزيج الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين: لولا أي هلا أنزل عليه آية من ربه كقولهم فليأتنا بأية كما أرسل الأولون وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة وإن الله قادر على إجابة ما سألوا وفي يخبر تعالى عن قيل المشركين

أي تطيب وتركن إلى جانب الله وتسكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيرا ولهذا قال ألا بذكر الله تطمئن القلوب . 28

كلها ترضع صبيان أهل الجنة وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة رواه ابن أبي حاتم. 29 ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل في البحر الحديث بطوله وقال خالد بن معدان إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لها شروع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته تمن فيتمنى حتى إذا انتهت به الأماني يقول الله تعالى: تمن من كذا وتمن من كذا يذكره ثم يقول ذلك لك وعشرة أمثاله. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن ربنا لغفور شكور. وهذا سياق غريب وأثر عجيب ولبعضه شواهد ففي الصحيحين أن الله تعالى يقول لذلك الرجل الذي يرون آخر أهل الجنة دخولا الجنة: ليس فيه تنغيص ولا قصر يد فعند ذلك قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأدخلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب. إن رضيت ثواب ربكم ؟ قالوا ربنا رضينا فارض عنا قال برضاي عنكم حللتهم داري ونظرتم إلى وجهي وصافحتكم ملائكتي فهنيئا هنيئا لكم عطاء غير مجدود من كل فاكهة زوجان وحور مقصورات في الخيام فلما تبوءوا منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وربنا قال هل ما تناول به عليهم وما سألوا وتمنوا وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنات: جنتان ذواتا أفنان وجنتان مدهامتان وفيهما عينان نضاختان وفيهما انتهوا إلى منازلهم وجدوا الملائكة قعودا على منابر من نور ينتظرونهم ليزورهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامة ربهم فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت سروجها سرر موضونة مفروشة بالسندس والإستبرق فانطلق بهم تلك الراذيين تزف بهم ببطن رياض الجنة فلما أعطاهم ربهم قربت لهم براذيين من ياقوت أبيض منفوخ فيها الروح تجنبا للولدان المخلدون بيد كل وليد منهم حكمة برزون من تلك الراذيين ولجمها وأعنتها مبوبة بالزمرد الأخضر والذهب الأحمر والفضة البيضاء قوائمه وأركانها من الجوهر وشرفها قباب من لؤلؤ وبروجها غرف من المرجان فلما انصرفوا إلى ما مفروش بالعقري الأحمر وما كان فيها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر وما كان فيها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالأرجوان الأصفر يزهو نورها فلولا أنه مسخر إذا لالتمع الأبصار فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض وما كان فيها من الياقوت الأحمر فهو من نور يفور من أبوابها وعراسها نور مثل شعاع الشمس عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء وإذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت الذي وهب لكم فإذا هو بقباب في الرفيق الأعلى وغرف مبنية من الدر والمرجان أبو أبهل من ذهب وسررها من ياقوت وفرشها من سندس وإستبرق ومنابرها صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه وزاد فانظروا إلى موهوب ربكم ويرى هو لهما مثل ذلك ويدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويتعلقان به ويقولان له والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم يراهما أنهما دون القبة يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء يريان له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما ولا ريح ولا طيب إلا قد عبق بهما ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من سرير من ياقوته واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة متظاهرة في كل قبة منها جاريتان من الحور العين أمانيهن ولم يخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم أمانيهن التي في أنفسهم فيكون فيما يعرضون عليهم براذيين مقرنة على كل أربعة منها

تفسير ابن كثير

الله تعالى لقد قصرت بك أميتك ولقد سألت دون منزلتك هذا لك مني لأنه ليس في عطائي نكد ولا قصر يد قال ثم يقول أعرضوا على عبادي ما لم يبلغ حتى أن أقصرهم أمنية ليقول ربي تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها رب فأنتي مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا فيقول فيقول الله إنها ليست بدار نصب ولا عبادة ولكنها دار ملك ونعيم وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم فإن لكل رجل منكم أميته فيسألونه ومحبتني مرحبا بعبادي الذين خشوني بغيث وأطاعوا أمري قال فيقولون ربنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأنذن لنا في السجود قدامك قال ينظروا إليه فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والإكرام قال فيقول تعالى عند ذلك: أنا السلام ومني السلام وعليكم حققت رحمتي ولا برك راحلة برك الأخرى حتى إن الشجرة لتتنحى عن طريقهم لنلا تفرق بين الرجل وأخيه قال فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى فيركبونها فهي أسرع من الطائر وأوطأ من الفراش نجبا من غير مهنة يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى من لبنه عليها رحال ألواحها من ياقوت ودفوفها من ذهب وثيابها من سندس وإستبرق فيفتحونها يقولون إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه قال مجلس لأهل الجنة فيبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نجبا مزمومة بسلاسل من ذهب وجوهها كالمصاييح حسنا ووبرها كخز المرعزي مائة عام لا يقطعها زهرها رباط وورقها برود وقضبانها عنبر وبطحاؤها ياقوت وترابها كافور ووحلها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل وهي شاء من الكسوة وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه ههنا أثرا غريبا عجيبا قال وهب رحمه الله: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب في ظلها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: طوبى شجرة في الجنة يقول الله لها تفتقي لعبدي عما شاء فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها وعن الإبل بأزمتها وعمما النعمان وأرق وأحسن وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء إن شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أصفر وإن شاء أسود مثل شقائق بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم يسير في ظل الغصن منها الراكب مائة سنة أو قال يستظل في الفن منها مائة ركب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال رواه الترمذي. وقال إسماعيل يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد وقال محمد بن إسحاق عن وظل ممدود أخرجه في الصحيحين وفي لفظ لأحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قال: حدثنا شعبة سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرءوا إن شئتم الله تعالى وظل ممدود قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح حدثنا فلاح عن هلال بن علي لا يقطعها وفي صحيح البخاري من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الزرقى فقال: حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال وإن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها قال فحدثت به النعمان بن أبي عياش الجنة تخرج من أكمامها وروى البخاري ومسلم جميعا عن إسحاق بن راهويه عن مغيرة المخزومي عن وهيب عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه طوبى لمن رأيته وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني قال له رجل: وما طوبى؟ قال شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام ثياب أهل دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال: يا رسول الله طوبى ليمن رآك وآمن بك قال طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى سمعت عبد الله بن لهيعة حتما الجنة من غسل وخمر وماء ولبن وقد قال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا وذكر بعضهم أن الرحمن تبارك وتعالى غرسها بيده من حبة لؤلؤة وأمرها أن تمتد فامتدت إلى حديث يشاء الله تبارك وتعالى وخرجت من أصلها ينابيع أنهار وهكذا روي عن أبي هريرة وأبن عباس ومغيث بن سليمان وأبي إسحق السبيعي وغير واحد من السلف أن طوبى شجرة في الجنة في كل دار منها غصن منها وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب عن جعفر عن شهر بن حوشب قال: طوبى شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة وبه قال مجاهد وقال العوفي عن ابن عباس لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب وذلك حين أعجبته. ابن عباس طوبى لهم قال هي أرض الجنة بالحشية وقال سعيد بن مسجوع طوبى اسم الجنة بالهندية وكذا روى السدي عن عكرمة طوبى لهم أي الجنة طوبى لك أي أصبت خيرا وقال في رواية: طوبى لهم حسنى لهم وحسن مآب أي مرجع وهذه الأقوال شيء واحد لا مناقاة بينها وقال سعيد بن جبيرة عن عن ابن عباس فرح وقرة عين. وقال عكرمة نعم ما لهم وقال الضحاك غبطة لهم وقال إبراهيم النخعي خير لهم وقال قتادة هي كلمة عربية يقول الرجل قال ابن أبي طلحة

انقضى هذا جاء الآخر فيتصرف أيضا في الزمان كما يتصرف في المكان والسكان إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أي في آلاء الله وحكمه ودلالته. 3 والروائح من كل زوجين اثنين أي من كل شكل صنفان يغشي الليل النهار أي جعل كلا منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا فإذا ذهب هذا غشيه هذا وإذا الطول والعرض وأرساها بجبال راسيات شامخات وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم لما ذكر تعالى العالم العلوي شرع في ذكر قدرته وحكمته وأحكامه للعالم السفلي فقال وهو الذي مد الأرض أي جعلها متسعة ممتدة في

تفسير ابن كثير

له بالربوبية والإلهية هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت أي في جميع أموري وإليه متاب أي إليه أرجع وأنيب فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه. 30
صلى الله عليه وسلم إن أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو أي هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به معترف مقر البخاري وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله وصف الله بالرحمن الرحيم ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا ما ندري ما الرحمن الرحيم قاله قتادة والحديث في صحيح العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة وقوله وهم يكفرون بالرحمن أي هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن لا يقرون به لأنهم كانوا يأنفون من ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين أي كيف نصرناهم وجعلنا فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين قال الله تعالى تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك الآية وقال تعالى إليك أي تبلغهم رسالة الله إليهم كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله وقد كذب الرسل من قبلك فلك بهو أسوة وكما أوقعنا بأسنا ونقمنا بأولئك يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة لتتلو عليهم الذي أوحينا

لا يخلف الميعاد أي لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة فلا تحبس الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام. 31
عكرمة في رواية عن ابن عباس قارعة أي نكبة وكلهم قال حتى يأتي وعد الله يعني فتح مكة وقال الحسن البصري يوم القيامة وقوله إن الله قال عذاب من السماء منزل عليهم أو تحل قريبا من دارهم يعني نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله إياهم وكذا قال مجاهد وقتادة وقال حتى يأتي وعد الله قال فتح مكة وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد في رواية وقال العوفي عن ابن عباس تصيبهم بما صنعوا قارعة بن جبيرة عن ابن عباس في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة قال سرية أو تحل قريبا من دارهم قال محمد صلى الله عليه وسلم قال قتادة عن الحسن أو تحل قريبا من دارهم أي القارعة وهذا هو الظاهر من السياق وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا المسعودي عن قتادة عن سعيد كما قال تعالى ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون وقال أفلا يرون أنا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم أي بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيبهم في الدنيا أو تصيب من حولهم ليتعظوا ويعتبروا أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقال أبو العالية: قد يؤس الذين آمنوا أن يهدوا ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله ولا يزال ليفعل رواه ابن إسحاق بسنده عنه وقاله ابن جرير أيضا وقال غير واحد من السلف في قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أفلم يعلم الذين آمنوا وقرأ آخرون الآية والله أعلم وقال قتادة: لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم وقوله بل لله الأمر جميعا قال ابن عباس: أي لا يصنع من ذلك إلا ما شاء ولم يكن الله عليه وسلم؟ قال نعم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا روي عن ابن عباس والشعبي وقتادة والثوري وغير واحد في سبب نزول هذه لقومه بالريح أو أحبيبت لنا الموتى كما كان عيسى يحيى الموتى لقومه فأنزل الله هذه الآية قال: قلت هل تروون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي صلى أن قرأنا سيرت به الجبال الآية قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرت فيها أو قطعت بنا الأرض كما كان سليمان يقطع غيره أضله الله وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحارث أنبأنا بشر بن عمارة حدثنا عمر بن حسان عن عطية العوفي قال: قلت له ولو حجة باقية على الآباد لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشعب منه العلماء هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة معناه أن معجزة كل نبي انقرضت بموته وهذا القرآن الذي لو أنزله الله على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي إلا وقد أوتي ما آمن من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإنه ليس ثم حجة ولا معجزة أبليغ ولا أنجع في العقول والنفوس من هذا القرآن يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل إلا من عمل يديه انفرد بإخراجه البخاري والمراد بالقرآن هو الزبور وقوله أفلم ييأس الذين آمنوا أي ثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته أن تسرج فكان الله فلا هادي له ومن يهد الدنيا له من مزل وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة لأنه مشتق من الجمع قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق هذا فهؤلاء المشركون كافرون به جاحدون له بل لله الأمر جميعا أي مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن يضل دون غيره أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنسان والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ولا بسورة من مثله ومع أي لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به الموتى في قبورهم لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك يقول تعالى مادحا للقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله ولو أن قرأنا سيرت به الجبال ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد. 32
فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم وأمليت لهم كما قال تعالى وكأين من قرية أهلكنا ثم أخذتها وإلي المصير وفي الصحيحين إن الله تكذيب من كذبه من قومه ولقد استهزئ برسلك من قبلك أي فلك فيهم أسوة فأمليت للذين كفروا أي أنظرتهم وأجلت لهم ثم أخذتهم أخذة رابية يقول تعالى مسليا لرسوله في

من هاد كما قال ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وقال إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين. 33
إليه وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل ومن قرأها بالضم أي بما زين لهم من صحة ما هم عليه صدوا به عن سبيل الله ولهذا قال ومن يضل الله فما له

تفسير ابن كثير

النهار كقوله تعالى وقيضنا لهم قرنا فزينوا لهم الآية وصدوا عن السبيل من قرأها بفتح الصاد معناه أنه لما زين لهم ما هم فيه وأنه حق دعوا تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى بل زين للذين كفروا مكرهم قال مجاهد قولهم أي ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف عبتهم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وسميتموها آلهة إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما لو كان لها وجود في الأرض لعلمها لأنه لا تخفى عليه خافية أم بظاهر من القول قال مجاهد: بظن من القول وقال الضحاك وقتادة بباطل من القول أي إنما وأوثان قل سموهم أي أعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا فإنهم لا حقيقة لهم ولهذا قال أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أي لا وجود له لأنه لعابديها ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها ؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه وهو قوله وجعلوا لله شركاء أي عبدوها معه من أصنام وأنداد وقال وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير أفمن هو كذلك كالأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تملك نفعا لأنفسها ولا ومستودعها كل في كتاب مبين وقال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقال يعلم السر وأخفى عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وقال تعالى وما تسقط من ورقة إلا يعلمها وقال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها عليهم رقيب على كل نفس منفوسة يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من أي حفيظ

ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعو اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهما جزاء ومصيرا . 34 لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد وقال تعالى وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا له تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا وسلامه عليه فإن عذاب الدنيا له انقضاء وذاك دائم أبدا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفا ووثاق لا يتصور كثافته وشدته كما قال تعالى فيومئذ الدنيا أشق أي من هذا بكثير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وهو كما قال صلوات الله على المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك لهم عذاب في الحياة الدنيا أي بأيدي المؤمنين قتلا وأسرا ولعذاب الآخرة أي المدخر مع هذا الخزي في ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار فقال بعد إخباره عن حال

الثواب في الدنيا لاستقللتم كلكم ما افترض عليكم أو ترغبون في طاعة الله لتعجيل دنياكم ولا تنافسون في جنة أكلها دائم رواه ابن أبي حاتم. 35 مخبر يخبركم أن شيئا من عبادتكم ثقيلت منكم أو أن شيئا من خطاكم غفرت لكم ؟ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون والله لو عجل لكم قال تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال بلال بن سعد خطيب دمشق: عباد الله هل جاءكم بين صفة الجنة وصفة النار ليرغب في الجنة ويحذر من النار ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر قال بعده ملك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار كما وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب المجد الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ثم قرأ وظل ممدود وكثيرا ما يقرن الله تعالى تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظللا ظليلا وقد تقدم في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وقال ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص كما قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات بين يديك مشويا وجاء في بعض الأحاديث أنه إذا فرغ منه عاد طائرا كما كان بإذن الله تعالى وقد قال الله تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة بن الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فيخبر تكون حاجة أحدهم رشحا فيفيض من جلودهم كريح المسك فيضمر بطنه رواه الإمام أحمد والنسائي وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة عن حميد بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة قال إن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال عن تمام بن عقبة سمعت زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال نعم والذي نفس محمد ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ويلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس رواه مسلم وروى الإمام أحمد والنسائي من حديث الأعمش من الجنة عادت مكانها أخرى وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتشطون ولا يتغوطون ربحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل إذا نزع ثمرة قال فما عظم العنقود ؟ قال مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر رواه الإمام أحمد وقال الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا علي بن المديني حدثنا من حديث أبي الزبير عن جابر شاهدها لبعضه وعن عتبة بن عبد السلمي أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة فقال فيها عنب ؟ قال نعم فيها من الزهرة والنصرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو آتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه وروى مسلم لباخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئا ما رأيته كنت تصنعه فقال إني عرضت علي الجنة وما عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا أبو عقيل عن جابر قال: بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا ثم تناول شيئا فقال إني رأيت الجنة أو أريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيمة حدثنا لا انقطاع ولا فناء وفي الصحيحين من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف وفيه قالوا: يا رسول الله رأيته تناولت شيئا في مقامك هذا ثم رأيته تكعكت من خمر لذة للشاربين وأنهار من غسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة الآيات وقوله أكلها دائم وظلها أي فيها الفواكه والمطاعم والمشارب يفجرونها تفجيرا أي يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار

تفسير ابن كثير

أي صفتها ونعتها تجري من تحتها الأنهار أي سارحة في أرجائها وجوانبها وحيث شاء أهلها

أي إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له كما أرسل الأنبياء من قبلي إليه أَدْعُوْا إِلَى سَبِيلِهِ أَدْعُوا النَّاسَ وَإِلَيْهِ مَآبُ أَي مَرْجِعِي وَمَصِيرِي. 36 وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا كما قال تعالى وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله الآية قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به بعضه أي ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك وقال مجاهد ومن الأحزاب أي اليهود والنصارى من ينكر بعضه أي بعض ما جاءك من الحق لحقا وصدقا مفعولا لا محالة وكاننا فسبحانه ما أصدق وعده فله الحمد وحده ويخرون للأذقان يبيكون ويزيدهم خشوعا وقوله ومن الأحزاب من ينكر الآية وقال تعالى قل آمنوا به أولا تؤمنوا إلى قوله إن كان وعد ربنا لمفعولا أي إن كان ما وعدنا الله به في كتبنا من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم يفرحون بما أنزل إليك أي من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به كما قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته يقول تعالى والذين آتيناهم الكتاب وهم قائمون بمقتضاه

وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام. 37 من حكيم حميد وقوله ولئن اتبعت أهواءهم أي آراءهم بعد ما جاءك من العلم أي من الله سبحانه وتعالى مالك من الله من ولي ولا واق وهذا أنزلنا عليك القرآن محكما معربا شرفناك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل وقوله وكذلك أنزلناه حكما عربيا أي وكما أرسلنا قبلك المرسلين وأنزلنا عليهم الكتب من السماء كذلك

وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله لكل أجل كتاب أي لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين. 38 أي لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك على الله يسير أن يأتي بأية إلا بإذن الله أي لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه ليس ذلك إليه بل إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لكل أجل كتاب بن غيلان عن الحجاج عن مكحول عن أبي السماك عن أبي أيوب فذكره ثم قال وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو السماك. وقوله وما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع من سنن المرسلين: التعطر والنكاح والسواك والحناء وقد رواه أبو عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع عن حفص وأكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب فمن سنتي فليس مني قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن مكحول قال: قال أبو أيوب قال رسول الرسل وخاتمهم قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنا من بشريا كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات ويولد لهم وجعلنا لهم أزواجا وذرية وقد قال تعالى لأشرف يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد رسولا

فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون وثم قال لعلمه: كن كتابا فكان كتابا وقال ابن جريج عن ابن عباس وعنده أم الكتاب قال الذكر. 39 الضحاك وعنده أم الكتاب قال كتاب عند رب العالمين وقال سنيد بن داود حدثني معتمر عن أبيه عن يسار عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن أم الكتاب يجري إلى أجله وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله وقوله وعنده أم الكتاب قال الحلال والحرام وقال قتادة أي جملة الكتاب وأصله وقال من أرزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم وقال الحسن البصري يمحو الله ما يشاء ويثبت قال من جاء أجله يذهب ويثبت الذي هو حي شيئا وقد فرغ من الأمر فأنزلت هذه الآية تخويها ووعيدا لهم إنا إن شئنا أوجدنا له من أمرنا ما شئنا ونحدث في كل رمضان فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء نجيح عن مجاهد في قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال: قالت كفار قريش لما نزلت وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله ما نرى محمدا يملك الناسخ وما يبذل وما يثبت كل ذلك في كتاب وقال قتادة في قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها الآية وقال ابن أبي عن ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت يقول يبذل ما يشاء فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبذله وعنده أم الكتاب وجملة ذلك عنده في أم الكتاب في طاعة الله وهو الذي يثبت وروي عن سعيد بن جبير أنها بمعنى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وقال علي بن أبي طلحة يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال العوفي عن ابن عباس في قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب يقول هو الرجل مثل قولك أكلت وشربت دخلت وخرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب وقال عكرمة عن ابن عباس: الكتاب كتابان عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم سئل بعد ذلك عن هذه الآية فقال يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب الله ما يشاء ويثبت قال يمحو من الرزق يزيد فيه ويمحو من الأجل ويزيد فيه فقيل له من حدثك بهذا ؟ فقال أبو صالح عن جابر بن عبد الله بن رثاب من الليل في الساعة الأولى منها ينظر في الذكر الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت وذكر تمام الحديث رواه ابن جرير وقال الكلبي يمحو زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين بيضاء لها دفتان من ياقوت والدفتان لوحان لله عز وجل كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال الليث بن سعد عن ابن جريج: حدثني محمد بن سهل بن عسكر حدثنا عبد الرزاق أنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: إن لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة من حديث سفيان الثوري به وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر وفي حديث آخر إن الدعاء والقضاء ليعتجان بين السماء والأرض وقال أبي الجعد عن ثوبان قال: قال رسول الله إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدماء ولا يزيد في العمر إلا البر ورواه النسائي وابن ماجه

تفسير ابن كثير

ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن في كتاب الله لأنيأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة قال وما هي ؟ قال قول الله تعالى يمحو الله ما يشاء الآية ومعنى هذه الأقوال أن الأقدار ينسخ الله ابن مسعود بمثله وقال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا حجاج حدثنا خفاف عن أبي حمزة عن إبراهيم أن كعباً قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين لولا آية حماد عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضاً ورواه شريك عن هلال بن حميد عن عبد الله بن علم عن قال وهو يطوف بالبيت وهو يبكي: اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبا فامحه فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة وقال رواه ابن جرير أيضاً حدثنا عمرو بن علي حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن أبي حكيمة عصمة عن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب في السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير وقال الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة إنه في السعداء فقال حسن: ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر فسلته عن ذلك فقال إنا أنزلناه في ليلة مباركة الآيتين قال يقضي في ليلة القدر ما يكون لا يتغيران وقال منصور سألت مجاهداً فقلت رأيت دعاء أحدنا يقول: اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبتته فيهم وإن كان في الأشقياء فامحه عنهم واجعله كل شيء إلا الموت والحياة والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما وقال مجاهد يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فإنهما عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: يدبر أمر السنة فيمحو الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت وفي رواية يمحو الله ما يشاء ويثبت قال صلوات الله وسلامه عليه وقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت اختلف المفسرون في ذلك فقال الثوري ووكيع وهشيم عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو يمحو الله ما يشاء منها ويثبت يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله

وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد ولهذا قال تعالى إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . 4 وهذا أزرق وكذلك الزهورات مع أنها كلها تستمد من طبيعة واحدة وهو الماء مع هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا ينضب ففي ذلك آيات لمن كان واعياً وذا في غاية المرارة وذا عفص وهذا عذب وهذا جمع وهذا ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود أي هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع في أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها فهذا في غاية الحلاوة وهذا في غاية الحموضة هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ونفصل بعضها على بعض في الأكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض رواه الترمذي وقال حسن غريب وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل قال الأعمش عن أبي صالح عن أبي الثوري وشعبة عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه: الصنوان هي النخلات في أصل واحد وغير الصنوان المتفرقات وقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه كما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه وقال سفيان وغير صنوان الصنوان هو الأصول المجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار على جنات فيكون وزرع ونخيل مرفوعين ويحتمل أن يكون معطوفاً على أعناب فيكون مجروراً ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة وقوله صنوان وهذه بصفتهما الأخرى فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله وجنات من أعناب وزرع ونخيل يحتمل أن تكون عاطفة فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء وهذه صفراء وهذه سوداء وهذه محجرة وهذه سهلة وهذه مرملة وهذه سميكة وهذه رقيقة والكل متجاورات فهذه بصفتهما وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئاً هكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة والضحاك وغير واحد ومدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض وقوله وفي الأرض قطع متجاورات أي أراض يجاور بعضها بعضاً مع أن هذه طبيعة تنبت ما ينفع الناس

وجزاؤهم كقوله تعالى فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم . 40 في الدنيا أو تنوفينك أي قبل ذلك فإنما عليك البلاغ أي إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد فعلت ما أمرت به وعلينا الحساب أي حسابهم يقول تعالى لرسوله وإما نرينك يا محمد بعض الذي نعد أعداءك من الخزي والنكال

التلف والقول الأول أولى وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية كقوله ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى الآية وهذا اختيار ابن جرير . 41 قال أنشدك أحمد بن نزال لنفسه: الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يموت عالم منها يموت طرف كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبي عاد في أكتافها ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد العزيز أبي القاسم المصري الواعظ سكن أصبهان حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المري بدمشق أنشدنا أبو بكر الأجري بمكة هو الموت وقال ابن عباس في رواية خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها وكذا قال مجاهد أيضاً هو موت العلماء وفي هذا المعنى روى الحافظ وقال الشعبي: لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك ولكن تنقص الأنفس والثمرات وكذا قال عكرمة: لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقعد فيه ولكن الحسن والضحاك: هو ظهور المسلمين على المشركين وقال العوفي عن ابن عباس نقصان أهلها وبركتها وقال مجاهد: نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض الأرض بعد الأرض وقال في رواية: أو لم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية وقال مجاهد وعكرمة ننقصها من أطرافها قال خرابها وقال وقوله أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها قال ابن عباس: أو لم يروا أنا نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم

الأخرى الكفار لمن عقبى الدار لمن تكون الدائرة والعاقبة لهم أو لأتباع الرسل ؟ كلا: بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة ولله الحمد والمنة . 42 بما ظلموا الآيتين وقوله يعلم ما تكسب كل نفس أي أنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمان وسيجزى كل عامل بعمله وسيعلم الكافر والقراءة

تفسير ابن كثير

خير الماكرين وقوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية إخراجهم من بلادهم فمكر الله بهم وجعل العاقبة للمتقين كقوله وقد يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله يقول تعالى وقد مكر الذين من قبلهم برسلهم وأرادوا

والله لأنا أسر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسى بن عمران إذ بعث وهذا حديث غريب جدا. آخر تفسير سورة الرعد ولله الحمد والمنة. 43 عليه وسلم إلى المدينة وأنا فوق نخلة لي أجدها فألقيت نفسي فقالت أمي لله أنت لو كان موسى بن عمران ما كان لك أن تلقي نفسك من رأس النخلة فقلت الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة فكنتم إسلامه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم له أنعت ربنا قال فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قل هو الله أحد الله الصمد إلى آخرها فقرأها علينا رسول أنت عبد الله بن سلام ؟ قال قلت نعم قال أدن قال فدنوت منه قال أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام أما تجدني في التوراة رسول الله ؟ فقلت فوافاهم وقد انصرفوا من الحج فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى والناس حوله فقام مع الناس فلما نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جده عبد الله بن سلام أنه قال لأخبار اليهود إني أردت أن أحدث بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عيدا فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بن أحمد الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن مصفى حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن ورد في حديث الأخبار عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة. قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة وهو كتاب جليل حدثنا سليمان تعالى أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل الآية وأمثال ذلك مما فيه من الإخبار عن علماء بني إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة. وقد للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل الآية وقال الكتاب الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به كما قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها بن أرقم وهو ضعيف عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعا كذلك ولا يثبت والله أعلم. والصحيح في هذا أن ومن عنده اسم جنس يشمل علماء أهل عنده علم الكتاب ثم قال لا أصل له من حديث الزهري عند الثقات قلت: وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من طريق هارون بن موسى هذا عن سليمان قرأها مجاهد والحسن البصري. وقد روى ابن جرير من حديث هارون الأعمش عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ومن الله تعالى وكان سعيد بن جبير ينكر أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام ويقول هي مكية وكان يقرؤها ومن عنده علم الكتاب ويقول من عند الله وكذا والأظهر في هذا ما قاله العوفي عن ابن عباس قال: هم من اليهود والنصارى. وقال قتادة: منهم ابن سلام وسلمان وتميم الداري وقال مجاهد في رواية عنه هو نزلت في عبد الله بن سلام قاله مجاهد وهذا القول غريب لأن هذه الآية مكية وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة هو الشاهد علي وعليكم شاهد علي فيما بلغت عنه من الرسالة وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان وقوله ومن عنده علم الكتاب قيل يقول تعالى يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون لست مرسلًا أي ما أرسلك الله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم أي حسبي الله

وأولئك الأغلال في أعناقهم أي يسحبون بها في النار وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي ماكتون فيها أبدا لا يحولون عنها ولا يزولون. 5 خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ثم نعت المكذبين بهذا فقال أولئك الذين كفروا ببرهم وقد علم كل عالم وعاقل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وأن من بدأ الخلق فالإعادة عليه أسهل كما قال تعالى أو لم يروا أن الله الذي هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالم خلقا جديدا وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به فالعجب من قولهم أنذا كنا ترابا أننا لفي خلق جديد آيات الله سبحانه ودلائله في خلقه على أنه القادر على ما يشاء ومع ما يعترفون به من أنه ابتداء خلق الأشياء فكونها بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ثم هم بعد يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وإن تعجب من تكذيب هؤلاء المشركين بالمعاد مع ما يشاهدونه من

واقف بين يديه يشفع في رجل من أمته فقال له ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال ثم انتهت. 6 ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل واحد. وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الرمادي أنه رأى رب العزة في النوم ورسول الله هذه الآية وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحد العيش الآيات التي تجمع الرجاء والخوف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت المجرمين وقال إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم وقال نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم إلى أمثال ذلك من بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم من دابة وقال تعالى في هذه الآية الكريمة وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم أي أنه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون وجعلناهم عبرة وعظة لمن اتعظ بهم ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه لعالجهم بالعقوبة كما قال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها فكانوا من شدة تكذيبهم وعنادهم وكفرهم يطلبون أن يأتيهم بعذاب الله قال الله تعالى وقد خلت من قبلهم المثلثات أي قد أوقفنا نعمنا بالأمم الخالية منها ويعلمون أنها الحق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا الآية أي عقابنا وحسابنا كما قال مخبرا عنهم وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية وقال تعالى ويستعجلونك بالعذاب الآيتين وقال تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقال يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون عنهم في قوله وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين

تفسير ابن كثير

يقول تعالى ويستعجلونك أي هؤلاء المكذوبون بالسينة قبل الحسنة أي بالعقوبة كما أخبر

قال الجنيد هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس في إحدى الروايات وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك. 7 حدثنا علي بن الحسين حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا المطلب بن زياد عن السدي عن عبد خير عن علي ولكل قوم هاد قال الهادي رجل من بني هاشم ولكل قوم هاد وأوما بيده إلى منكب علي فقال أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي. وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقال ابن أبي حاتم ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت إنما أنت منذر ولكل قوم هاد قال وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره وقال أنا المنذر بن جرير حدثني أحمد بن يحيى الصوفي حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري حدثنا معاذ بن مسلم حدثنا الهروي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن وعن عكرمة وأبي الضحى ولكل قوم هاد قال هاد هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال مالك ولكل قوم هاد يدعوهم إلى الله عز وجل وقال أبو جعفر وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد وقال أبو صالح ويحيى بن رافع ولكل قوم هاد أي قائد وقال أبو العالية الهادي القائد والقائد الإمام والإمام العمل منذر وأنا هادي كل قوم وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد وعن مجاهد ولكل قوم هاد أي نبي كقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير يشاء وقوله ولكل قوم هاد قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي ولكل قوم داع وقال العوفي عن ابن عباس في الآية يقول الله تعالى أنت يا محمد إلا أن كذب بها الأولون الآية قال الله تعالى إنما أنت منذر أي إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من ربه كما أرسل الأولون كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن يزيح عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً قال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات يقول تعالى إخباراً عن المشركين أنهم يقولون كفرا وعناداً لولا يأتينا بآية من

وأنها تحب أن يحضره فبعث إليها يقول إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فتمروها فلتنصبر ولتحتسب الحديث بتمامه. 8 أي بأجل حفظ أرزاق خلقه وآجالهم وجعل لذلك أجلاً معلوماً. وفي الحديث الصحيح أن إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم بعثت إليه أن ابناً لها في الموت إذا اشتدت وعقلت قلت هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق؟ ثم قرأ مكحول الله يعلم ما تحمل كل أنثى الآية وقال قتادة وكل شيء عنده بمقدار يتناول الشيء بكفه فيأكله فإذا هو بلغ قال هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق؟ فيقول مكحول يا ويحك غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير حتى فإذا وقع إلى الأرض استهل واستهلاله استنكاره لمكانه فإذا قطعت سرتة حول الله رزقه إلى ثديي أمه حتى لا يحزن ولا يطلب ولا يغتم ثم يصير طفلاً الدم تم الولد وعظم وقال مكحول: الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم وإنما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيضتها فمن ثم لا تحيض الحامل مثل أيام الحيض وقال عكرمة وسعيد بن جبير وابن زيد وقال مجاهد أيضاً وما تغيض الأرحام إراقة الدم حتى يخس الولد وما تزداد إن لم تهرق حملها وما تزداد على تسعة أشهر وبه قال عطية العوفي والحسن البصري وقتادة والضحاك وقال مجاهد أيضاً إذا رأت المرأة الدم دون التسعة زاد علي التسعة بنت سعد عن عائشة قالت: لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحرك ظل مغزل وقال مجاهد وما تغيض الأرحام وما تزداد قال ما ترى من الدم في قال ما نقصت عن تسعة وما زاد عليها وقال الضحاك وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين وولدتني وقد نبتت ثنيتي وقال ابن جريج عن جميلة الحمل ومنهن من تنقص فذلك الغيض والزيادة التي ذكر الله تعالى وكل ذلك بعلمه تعالى وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله وما تغيض الأرحام وما تزداد تزداد يقول ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماماً وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ومن تحمل تسعة أشهر ومنهن من تزيد في المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله وقال العوفي عن ابن عباس وما تغيض الأرحام يعني السقط وما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم متى يأتي الله ويكتب الملك وقوله وما تغيض الأرحام وما تزداد قال البخاري حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد. وفي الحديث الآخر فيقول الملك أي رب أذكر أم أنثى؟ أي رب أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيقول آله وسلم إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات: بكتب العظام لحماً أم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وعلى قال تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة الآية وقال تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث أي خلقكم طوراً من بعد طور كما كما قال تعالى ويعلم ما في الأرحام أي ما حملت من ذكر أو أنثى أو حسن أو قبيح أو شقي أو سعيد أو طويل العمر أو قصيره كقوله تعالى هو أعلم بكم يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات

الذي هو أكبر من كل شيء المتعال أي على كل شيء قد أحاط بكل شيء علماً وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب ودان له العباد طوعاً وكرهاً. 9 وقوله عالم الغيب والشهادة أي يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم ولا يخفى عليه منه شيء الكبير

سورة 14

أي العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب بل هو القاهر لكل ما سواه الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه الصادق في خبره. 1

تفسير ابن كثير

ليخرجكم من الظلمات إلى النور الآية وقوله بإذن ربهم أي هو الهادي لمن قدر له الهداية على يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم إلى صراط العزيز يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات الآية وقال تعالى هو الذي ينزل على عبده آيات بينات الظلمات إلى النور أي إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد كما قال تعالى الله ولي الذين آمنوا وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله في الأرض إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم لتخرج الناس من الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم والله أعلم. كتاب أنزلناه إليك أي هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فهذا ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبع مائة وأربع سنين؟ ثم قال: لقد لبس علينا أمرنا يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً. ثم قال قوموا عنه ثم قال أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأخبار يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذلك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا قال ما ذلك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفقدخلون الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه أخطب في أولئك نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك ألم ذلك الكتاب؟ فقال رسول من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمضى حي بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ألم تنزيل وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء المر و المص وخمسة مثل كهيعص و حمعسق لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ص ن ق وحرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل أبو الحجاج المزني وحكاه لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت عن الفراء وقطر بن نوح هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أن نصر وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي ما ذكره بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغي الابتداء تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاه في أنفسهم فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آمنا به كل من عند ربنا ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتورة بالمذكورة منها وقد الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية

تفسير ابن كثير

ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عددا والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه عن مجموعها حكاه ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق بواقفها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها وص وحم وطسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل العربية هي حروف من حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر الحديث من أعان على قتل مسلم بشرط كلمة الحديث قال سفيان هو أن يقول في اقتل ا ق وقال خصيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق ت يقول وإن شرا فشرا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفى بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي ينقد عنه جلده إذا به فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل كذا وكذا فاكثفى بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وان شرا فا ولا أريد الشر إلا أن ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظليم عال كيف لا يـ إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حملة على مجموع محاملها إذا أمكن فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجهها ولكن هذا ليس كما ذكره أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الأمة وما ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منها وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت أيضا من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بNDAR عن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسم للقرآن كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في من فسرهما واختلف هؤلاء في معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره قد اختلف

وحاصل ما قالوه إن أنتم إلا بشر مثلنا أي كيف نتبعكم بمجرد قولكم ولما نرى منكم معجزة فأتونا بسلطان مبين أي خارق نقترحه عليكم. 10
توبوا إليه يمتنعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله الآية فقالت لهم الأمم محاجين في مقام الرسالة بعد تقدير تسليمهم المقام الأول

تفسير ابن كثير

وقالت لهم رسلهم يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أي في الدار الآخرة ويؤخركم إلى أجل مسمى أي في الدنيا كما قال تعالى وأن استغفروا ربكم ثم يستحق العادة إلا هو وحده لا شريك له فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى خالق كل شيء وإلهه ومليكه والمعنى الثاني في قولهم أفي الله شك أي أفي إلهيته وتفرد به بوجوب العادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا الأرض الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما فلا بد لهما من صانع وهو الله لا إله إلا هو قد يعرض لبعضها شك واضطراب فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصول إلى وجوده ولهذا قالت لهم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه فاطر السموات وهذا يحتمل شيئين أحدهما أفي وجوده شك فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له قالت الرسل أفي الله شك يخبر تعالى

نأتیکم بسلطان على وفق ما سألتهم إلا بإذن الله أي بعد سؤالنا إياه وإذنه لنا في ذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي في جميع أمورهم. 11 لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم أي صحيح إنا بشر مثلكم في البشرية ولكن الله يمين على من يشاء من عباده أي بالرسالة والنبوة وما كان لنا أن

قالت

وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها ولنصبرن على ما آذيتونا أي من الكلام السيئ والأفعال السخيفة وعلى الله فليتوكل المتوكلون . 12 ثم قالت الرسل وما لنا أن لا نتوكل على الله أي وما يمنعنا من التوكل عليه

مشارك الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون. 13 وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز وقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر الآية في أيسر زمان ولهذا قال تعالى فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم وكما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم وأرغم أنوف أعدائه منهم ومن سائر أهل الأرض حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان في مشارق الأرض ومغاربها خروجه من مكة أنصارا وأعوانا وجندا يقاتلون في سبيل الله تعالى ولم يزل يرفقه تعالى من شيء إلى شيء حتى فتح له مكة التي أخرجته ومكن له فيها يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وكان من صنعه تعالى أنه أظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب الآية وقال تعالى إخبارا عن مشركي قريش وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا وقال تعالى وإذا أظهرهم كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا الآية وكما قال قوم لوط أخرجوا آل لوط من قريبتكم يخبر تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الإخراج من أرضهم والنفي من بين

من وعيدي وهو تخويفي وعذابي كما قال تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وقال ولمن خاف مقام ربه جنتان. 14 وقوله ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد أي وعيدي هذا لمن خاف مقامي بين يدي يوم القيامة وخشي

بجهنم يوم القيامة فتنادي الخلائق فتقول إني وكلت بكل جبار عنيد الحديث خاب وخسر حين اجتهد الأنبياء في الابتهاال إلى ربها العزيز المقتدر. 15 للحق كقوله تعالى ألقيا في جهنم كل كفار عنيد منع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد وفي الحديث إنه يؤتى الله تعالى للمشركين إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم الآية والله أعلم وخاب كل جبار عنيد أي متجبر في نفسه عنيد معاند انتنا بعذاب أليم ويحتمل أن يكون هذا مرادا وهذا مرادا كما أنهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر واستفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنصر وقال وقتادة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم استفتحت الأمم على أنفسها كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو اقرئنا سورة القدر واستفتحوا أي استنصرت الرسل ربها على قومها قاله ابن عباس ومجاهد

الوجوه الآية وهكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن المبارك به ورواه هو وابن أبي حاتم من حديث بقرية بن الوليد عن صفوان بن عمرو به. 16 رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إليه فيتركه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة النار وفي رواية عصارة أهل النار وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق أنبأنا عبد الله أن صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بشر عن أبي أمامة رضي جوف الكافر قد خالط القيح والدم ومن حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قلت يا رسول الله ما طينة الخبال؟ قال صديد أهل وآخر من شكله أزواج وقال مجاهد وعكرمة: الصديد من القيح والدم وقال قتادة هو ما يسيل من لحمه وجلده وفي رواية عنه: الصديد ما يخرج من صديد أي في النار ليس له شراب إلا من حميم وغساق فهذا حار في غاية الحرارة وهذا بارد في غاية البرد والتنت كما قال هذا فليذوقوه حميم وغساق وكان أمامهم ملك أي من وراء الجبار العنيد جهنم أي هي له بالمرصاد يسكنها مخلدا يوم المعاد ويعرض عليها غدوا وعشيا إلى يوم التناد ويسقى من ماء وقوله من ورائه جهنم وراء هنا بمعنى أمام كقوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وكان ابن عباس يقرؤها

تفسير ابن كثير

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم وتكراره وأنواعه وأشكاله مما لا يحصىه إلا الله عز وجل جزاء وفاقا وما ريك بظلام للعبيد . 17
من يحموم لا بارد ولا كريم وقال تعالى هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج
فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم إن هذا ما كنتم به تمترون وقال أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل
يطوفون بينها وبين حميم آن وقال تعالى إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا
أنهم تارة يكونون في أكل زقوم وتارة في شرب حميم وتارة يردون إلى جحيم عيادا بالله من ذلك وهكذا قال تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
في أصل الجحيم طلعتها كأنه رءوس الشياطين فإنهم لا تكون منها فمالتون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم ل إلى الجحيم فأخبر
أى وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ أي مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمر وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم إنها شجرة تخرج
لو كان يموت ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال ولهذا قال تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وقوله ومن ورائه عذاب غليظ
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابا ومعنى كلام ابن عباس رضي الله عنه: أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه
أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال لا يقضى عليهم
وخلفه وفي رواية وعن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده وقال الضحاك عن ابن عباس ويأتيه الموت من كل مكان قال
من أطراف شعره وقال إبراهيم التيمي من موضع كل شعرة أي من جسده حتى من أطراف شعره وقال ابن جرير ويأتيه الموت من كل مكان أي من أمامه
ويأتيه الموت من كل مكان أي يآلم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه قال عمرو بن ميمون بن مهران من كل عظم وعصب وعرق وقال عكرمة حتى
الملك بمطراق من حديد كما قال تعالى ولهم مقامع من حديد ولا يكاد يسيغه أي يزدريه لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لا يستطيع
وقوله يتجرعه أي يتغصصه ويتكرهه أي يشربه قهرا وقسرا لا يضعه في فمه حتى يضربه

الآية ذلك هو الضلال البعيد أي سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه ذلك هو الضلال البعيد . 18
بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين وقوله في هذه
فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله تعالى مثل ما ينفقون في هذا الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم
أي ذي ريح شديدة عاصفة قوية فلم يقدروا على شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم كقوله تعالى
تعالى لأنهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء فلم يجدوا شيئا ولا ألفوا حاصلا إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة في يوم عاصف
غير أساس صحيح فانهارت وعموها أحوج ما كانوا إليها فقال تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم أي مثل أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله
هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على

بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنها أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون . 19
رميم قل يحيى الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والأرض
بلى إنه على كل شيء قدير وقال تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي
ونبات وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى
من الكواكب الثوابت والسيارات والحركات المختلفة والآيات الباهرات وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد وبراري وصحارى وقفار وبحار وأشجار
يوم القيامة بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها
يقول تعالى مخبرا عن قدرته على معاد الأبدان

إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض الآية وقوله وويل للكافرين من عذاب شديد أي ويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك يا محمد وكذبوك . 2
الذي له ما في السموات وما في الأرض قرأ بعضهم مستأنفا مرفوعا وقرأ آخرون على الاتباع صفة للجلالة كقوله تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله
وقوله الله

أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا . 20
هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وقال وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم وقال يا
بعزيز أي بعظيم ولا ممتنع بل هو سهل عليه إذا خالفت أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم كما قال يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله
وقوله إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله

إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون . 21
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
في المحشر فقال تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين

تفسير ابن كثير

العذاب بما كنتم تكسبون وقال تعالى ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتاهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وأما تخاصمهم قالت أكرههم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتاهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأكرههم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا قد حكم بين العباد وقال تعالى قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعا قال تعالى وإذا يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله فصبروا صبورا لم ير مثله فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا الآية قلت والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها كما وتضرعهم إلى الله عز وجل تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا فلما رأوا أنه لا ينفعهم قالوا إنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر تعالوا حتى نصبر خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إن أهل النار قال بعضهم لبعض تعالوا فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بكنائهم ولكن حق علينا قول ربنا وسبق فينا وفيكم قدر الله وحقت كلمة العذاب على الكافرين سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أي ليس لنا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء أي فهل تدفعون عنا شيئا من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا فقالت القادة لهم لو هذان الله لهديناكم وسادتهم وكبرائهم للذين استكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له وعن موافقة الرسل قالوا لهم إنا كنا لكم تبعاً أي مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا كلها برها فاجرها لله الواحد القهار أي اجتمعوا له في براز من الأرض وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستتر أحدا فقال الضعفاء وهم الأتباع لقادتهم يقول تعالى وبرزوا أي برزت الخلائق

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قال ويقوم إبليس لعنه الله فيقول ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي الآية. 22 الشعبي: يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤوس الناس يقول الله: تعالى لعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله إلى قوله إن الله وعدكم وعد الحق الآية فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون وقال عامر عن دخين عن عقبة به مرفوعا وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله لما قال أهل النار سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال لهم إبليس إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وهذا سياق ابن أبي حاتم ورواه المبارك عن رشدين بن سعد عن عبد الرحمن بن زياد بن نعيم من أنتن ريح شمها أحد قط ثم يعظم نحيهم وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان لنا ؟ ما هو إلا إبليس هو الذي أضلنا فيأتون إبليس فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فإنك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه ريح شمها أحد قط حتى أتى ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر رأسي إلى ظفر قدمي ثم يقول الكافرون هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع بنا إلى آدم وذكر نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى فيقول عيسى أدلكم على النبي الأمي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم إليه فيثور من مجلسي من أطيب الله عليه وسلم أنه قال إذا جمع الله الأولين والآخرين ففضى بينهم ففرغ من القضاء قال المؤمنون قد قضى بيننا ربنا فمن يشفع لنا ؟ فيقولون انطلقوا قد ورد في حديث رواه ابن أبي حازم وهذا لفظه وابن جرير من رواية عبد الرحمن بن زياد: حدثني دخين الحجري عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى أي في إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل لهم عذاب أليم والظاهر من سياق الآية أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدمنا ولكن عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله إن الظالمين إني جحدت أن أكون شريكا لله عز وجل وهذا الذي قال هو الراجح كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم أي بنافعي بإتقاني مما أنا فيه من العذاب والنكال إني كفرت بما أشركتمون من قبل قال قتادة أي بسبب ما أشركتمون من قبل وقال ابن جرير: يقول لكونكم خالفتهم الحجج واتبعتهموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل ما أنا بمصرخكم أي بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه وما أنتم بمصرخي الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه فلا تلوموني اليوم ولوموا أنفسكم فإن الذنب لكم لي عليكم من سلطان أي ما كان لي دليل فيما دعوتكم إليه ولا حجة فيما وعدتكم به إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي بمجرد ذلك هذا وقد أقامت عليكم النجاة والسلامة وكان وعدا حقا وخبرا صدقا وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم كما قال تعالى يعدمهم ويمنيهم وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا ثم قال وما كان يومئذ خطيبا ليزيدهم حزنا إلى حزنهم وغبنا إلى غبنهم وحسرة إلى حسرتهم فقال إن الله وعدكم وعد الحق أي على ألسنة رسله ووعدكم في اتباعهم يخبر تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات وأسكن الكافرين الدركات فقام فيهم إبليس لعنه الله

وقال تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما وقال تعالى دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . 23 سلام كما قال تعالى حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم جنات تجري من تحتها الأنهار سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا خالدين فيها ما كثرين أبدا لا يحولون ولا يزولون بإذن ربهم تحيتهم فيها ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال وأن خطيبهم إبليس عطف بمآل السعداء فقال وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الله والحمد لله عشر مرات في دبر كل صلاة فذاك أصله في الأرض وفرعه في السماء وعن ابن عباس كشجرة طيبة قال هي شجرة في الجنة. 24 على بعض أركان يبلغ السماء ؟ أفلا أخبرك بعمل أصله في الأرض وفرعه في السماء ؟ قال ما هو يا رسول الله ؟ قال تقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان إسماعيل حدثنا أبان يعني ابن زيد العطار حدثنا قتادة أن رجلا قال يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور فقال أرايت لو عمد إلى متاع الدنيا فركب بعضه في قلبي أنها النخلة فاستحييت حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي النخلة أخرجاه أيضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن

تفسير ابن كثير

عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه إن من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن قال فوقع الناس في شجر الوادي ووقع هي النخلة فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة أخرجها وقال مالك وعبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عليه وسلم إلا حديثا واحدا قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم فأردت أن أقول قلتها أحب إلي من كذا وكذا وقال أحمد: حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة قال ما منعك أن تتكلم؟ قلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا قال عمر: لأن تكون فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قمنا صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها صيفا ولا شتاء وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها قال ابن عمر: وسعيد بن جبيرة والضحاك وقتادة وغيرهم وقال البخاري: حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله بقناع بسر فقرا مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة وروي من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفا وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة قال هي النخلة وشعبة عن معاوية بن قررة عن أنس هي النخلة. وحماة بن سلمة عن شعيب بن الحباب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطبيب وعمله الصالح وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء وهكذا رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء وهكذا قال الضحاك وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد وغير واحد إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن وقوله ابن عباس في قوله مثلا كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله كشجرة طيبة وهو المؤمن أصلها ثابت يقول لا إله إلا الله في قلب المؤمن وفرعها قال علي بن أبي طلحة عن

له عمل صالح أثناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين بإذن ربها أي كاملا كثيرا طيبا مباركا ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. 25 كل سنة والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار كذلك المؤمن لا يزال يرفع وقوله تؤتي أكلها كل حين قيل غدوة وعشيا وقيل كل شهر وقيل كل شهرين وقيل كل ستة أشهر وقيل كل سبعة أشهر وقيل أي استؤصلت من فوق الأرض ما لها من قرار أي لا أصل لها ولا ثبات كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع ولا يصعد للكافر عمل ولا يتقبل منه شيء. 26 خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار قال هي الحنظل قال شعيب فأخبرت مالك أبا العالية فقال: كذلك كنا نسمع وقوله اجتثت أتى بقناع عليه بسر فقال مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها فقال هي النخلة ومثل كلمة من حديث حماد بن سلمة به ورواه أبو يعلى في مسنده بأبسط من هذا فقال: حدثنا غسان عن حماد عن شعيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة هي الحنظلة فأخبرت بذلك أبا العالية فقال: هكذا كنا نسمع ورواه ابن جرير عن معاوية عن أنس موقوفا وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن شعيب بن الحباب عن أنس بن مالك مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال هي الشريان ثم رواه عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة الحنظل وقال أبو بكر البزار الحافظ حدثنا يحيى بن محمد السكن حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قررة عن أنس أحسبه رفعه قال خبيثة هذا مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات مشبه بشجرة الحنظل ويقال لها الشريان رواه شعبة عن معاوية بن أبي قررة عن أنس بن مالك أنها شجرة وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة

الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم الآية حديثا مطولا جدا من طرق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا وفيه غرائب أيضا. 27 وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل تفرد به أبو داود وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه عند قوله تعالى ولو ترى إذ حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بجير عن هاني مولى عثمان عن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل عجيب ويزيد الرقاشي راويه عن أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف الرواية عند الأئمة والله أعلم ولهذا قال أبو داود يحدثنا إبراهيم بن موسى الرازي ذلك حسرة لا ترد أبدا قال: وقالت عائشة ويفتح له سبعة وسبعون بابا إلى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه الله إليها. هذا حديث غريب جدا وسياق تحت فإذا باب مفتوح إلى النار فيقولان عدو الله هذا منزلك إذ عصيت الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إنه ليصل إلى قلبه عند منزلك لو أطعت الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترد أبدا قال ويقولان له: انظر تحتك فينظر له لا دريت ولا تليت فيضربانه ضربة يتطاير شررها في قبره ثم يعودان قال: فيقولان انظر فوقك فينظر فإذا باب مفتوح من الجنة فيقولان: عدو الله هذا ومضر لم يقلوها قال فيقولان له اجلس فيستوي جالسا وتقع أكفانه في حقويه قال فيقولان له من ربك وما دينك. ومن نبيك؟ فيقول لا أدري فيقولان بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعتهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربعية يلتقيان في وسطه قال ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنبيأهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطان في أشعارهما أضلاعه حتى تدخل اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى قال ويبعث الله إليه أفاعي دهما كأعناق الأبل يأخذن بأذنيه وإبهامي قدميه فيقرضنه حتى التي كان يعصي الله عليها وتنطلق جنود إبليس إليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا عبدا من ولد آدم النار قال فإذا وضع في قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف جزاك الله عني شرا فقد كنت سريعا بي إلى معصية الله بطيئا بي عن طاعة الله فقد هلك وأهلك قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتلعنه بقاع الأرض

تفسير ابن كثير

ويقول ملك الموت اخرجي أيتها الروح اللعينة إلى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم قال فإذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد: عنه قال فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال كذلك إلى صدره ثم كذلك إلى حلقه قال ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه قال: الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال فينتزعه ملك الموت نثرة فينزع روحه من ركبتيه فيلقبها في حقويه فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت بتلك السياط قال فيشده ملك الموت شدة فينزع روحه من عقبه فيلقبها في ركبتيه ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال فتضرب الملائكة وجهه ودبره شديدا قال فينزع روحه من أطفار قدميه قال فيلقبها في عقبه. قال فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال وتضرب الملائكة وجهه ودبره السياط وهي نار تأجج قال فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود في أصل كل شعرة وعرق وظفر قال ثم يلويه ليا من الناس قط له اثنتا عشرة عينا ومعه سفود من النار كثير الشوك ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم ومعم سياط من نار لينها لين إلى عدوي فأتيتني به فإني قد بسطت له رزقي ويسرت له نعمتي فأبى إلا معصيتي فأتيتني به لأنتقم منه قال فينطلق إليه ملك الموت في أكره صورة رآها أحد بابا إلى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله عز وجل وبالإسناد المتقدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ويقول الله تعالى لملك الموت انطلق الله نجوت آخر ما عليك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا قال فقالت عائشة يفتح له سبعة وسبعون والذي نفس محمد بيده إنه يصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا ثم يقال له انظر تحتك قال فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار قال فيقولان: ولي تحاط به قال ثم يقولان له انظر فوقك فإذا باب مفتوح إلى الجنة قال فيقولان له: ولي الله هذا منزلك إذ أطعت الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذراعا ومن خلفه أربعين ذراعا ومن عند رأسه أربعين ذراعا ومن عند رجله أربعين ذراعا قال فيوسعان له مائتي ذراع قال البرساني فأحسبه وأربعين ذراعا ونبيي محمد خاتم النبيين قال: فيقولان له صدقت قال فيدفعان القبر فيوسعان من بين يديه أربعين ذراعا وعن يمينه أربعين ذراعا وعن شماله أربعين ذراعا والثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء قال: فيقول ربي الله وحده لا شريك له وديني الإسلام الذي دانت به الملائكة قالوا يا رسول الله ومن يطبق الكلام عند ذلك وأنت تصف من الملكين ما تصف؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول ربعة ومضر لم يقلوها قال فيقولان له اجلس قال فجلس فيستوى جالسا قال وتقع أكفاه في حقويه قال: فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك؟ قال: يطان في أشعارهما بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا وقد نزعت منهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها عنه فأنا له دخر عند الصراط والميزان قال ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنبياهما كالصياحي وأنفاسهما كاللهب عند ذلك فيخرج قال: ويقول الصبر لسائر الأعمال أما إنه لم يمنني أن أبشر أنا بنفسي إلا أنني نظرت ما عندكم فإن عجزتم كنت أنا صاحبه فأما إذا أجزتم من عند رجله فيقول مشيه إلى الصلاة مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية يلتمس هل يجد إليه مساعا إلا وجد ولي الله قد أخذ جنته قال فينقمع العذاب وإنما استراح الآن حين وضع في قبره قال فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رأسه فيقول القرآن والذكر مثل ذلك قال ثم يأتيه رجله وجاءه الصبر فكان ناحية القبر قال فيبعث الله عز وجل عنقا من العذاب قال فيأتيه عن يمينه قال: فتقول الصلاة وراك والله ما زال دأبا عمره كله قال فإذا وضع في قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه وجاءه الصيام فكان عن يساره وجاءه القرآن فكان عند رأسه وجاءه مشيه إلى الصلاة فكان عند إلى العرش خر الروح ساجدا قال: يقول الله عز وجل لملك الموت: انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب قال فإذا صعد ملك الموت بروحه يستقبله جبريل في سبعين ألفا من الملائكة كل يأتيه بشارة من ربه. سوى بشارة صاحبه قال فإذا انتهى ملك الموت بروحه فيصيح عند ذلك إبليس صيحة تنصدع منها عظام جسده قال ويقول لجنوده الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم؟ فيقولون إن هذا كان عبدا معصوما الملائكة قبلهم وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بني آدم وحنوط قبل حنوط بني آدم ويقوم من باب بيته إلى قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة قال فإذا قبض ملك الموت روحه أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده فلا يقبله بنو آدم لشق إلا قلبته الله بطينا بي عن معصية الله فقد نجيت وأنجيت قال: ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله فيها وكل باب من من جهة الموت وريحان يتلقى به وجنة نعيم تقابله قال فإذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد جزاك الله عني خيرا فقد كنت سريعا بي إلى طاعة الشعرة من العجين قال: وقال الله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة طيبين وقال فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم قال روح مسكوب قال ولملك الموت أشد به لطفًا من الوالدة بولدها يعرف أن ذلك الروح حبيب لربه فهو يلتبس بلطفه تحببا لديه رضاء للرب عنه فتسل روحه كما تسل البرساني يريد أن تخرج من العجل إلى ما تحب قال: ويقول ملك الموت اخرجي يا أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء ذلك بطرف الجنة تارة بأزواجها وتارة بكسوتها ومرة بثمارها كما يعلل الصبي أهله إذا بكى قال وإن أزواجه ليبتهشن عند ذلك ابتهاشا قال وتبرز الروح قال الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه ويفتح له باب إلى الجنة فإن نفسه لتعلل عند الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحف به فوجدته حيث أحب أئني به فلا أريحنه فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضائر الريحان أصل بن مالك عن تميم الدارمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لملك الموت انطلق إلى وليي فأتني به فإني قد ضربته بالسراء والضراء عاصم الحبطي وكان من أخيار أهل البصرة وكان من أصحاب حذم وسلام بن أبي مطيع حدثنا بكر بن حبيب عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس الحافظ أبو يعلى الموصلي في هذا حديثا غريبا مطولا فقال: حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن إبراهيم البكري حدثنا محمد بن بكر البرساني أبو عثمان حدثنا أبو

تفسير ابن كثير

قال القرطبي بعد إيراد هذا الحديث من هذا الوجه هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجي من أهوال خاصة أورده هكذا في كتابه التذكرة وقد روى ومضى على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى باب الجنة ففلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة السعفة فجاء حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلاته علي فأخذت بيده فأقامته رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يردد كما ترد من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراده فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت بيده فأدخله على الله عز وجل ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت له سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءه صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشرها خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور من أمتي والنبليون قعود حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة ومن ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا القبر فجاءه وضوئه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته فقال إني رأيت البارحة عجا رأيت رجلا من أمتي جاء ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة القبر وكذا روى عن غير واحد من السلف وقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الأصول حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبي فديك عن في الحياة الدنيا قال لا إله إلا الله وفي الآخرة المسئلة في القبر وقال قتادة أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح وفي الآخرة في يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فقال له لا دريت ثم يفتح له باب إلى الجنة فقال له انظر إلى منزلك لو ثبت ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك إذ زغت فذلك قوله تعالى إلى الجنة فيقال له انظر إلى منزلك من الجنة إذ ثبت وإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له من ربك ؟ من نبيك ؟ فيقول لا أدري كنت أسمع الناس يقولون فيقال له من نبيك ؟ فيقول محمد بن عبد الله فيقال له ذلك مرات ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك من النار لو زغت ثم يفتح له باب قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية قال إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له من ربك ؟ فيقول الله بن عثمان بن حكيم الأزدي حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد البجلي عن أبي قتادة الأنصاري في وأنساه الله ذكر ذلك وإذا قيل من الرسول الذي بعث إليك ؟ لم يهتد له ولم يرجع إليهم شيئا كذلك يضل الله الظالمين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد عليه الملائكة فيبسطون أيديهم والبسط هو الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت فإذا أدخل قبره أقعد فليل له من ربك ؟ فلم يرجع إليهم شيئا محمد صلى الله عليه وسلم فيقال له ما شهادتك ؟ فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيوسع له في قبره مد بصره وأما الكافر فتنزل بالجنة فإن مات مشوا مع جنازته ثم صلوا عليه مع الناس فإذا دفن أجلس في قبره فيقال له من ربك ؟ فيقول ربي الله فيقال له من رسولك ؟ فيقول لا تسمع صوته فترحمه وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروه فقلته قال له الملك على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث قال ويسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير تضربه ما شاء الله صماء الملك ليس بينه وبينه شيء يردده فأجلسه فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال أي رجل ؟ قال محمد قال: يقول والله ما أدري سمعت الناس يقولون شيئا قال أشهد أنه رسول الله قال وما يدريك أدركته قال أشهد أنه رسول الله قال: يقول على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث وإن كان فاجرا أو كافرا جاءه الصلاة فترده ومن نحو الصيام فيرده قال فيناديه أجلس فيجلس فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال من ؟ قال محمد الله عنها تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحف به عمله الصلاة والصيام قال فيأتيه الملك من نحو الإمام أحمد رحمه الله حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال: كانت أسماء يعني بنت الصديق رضي له ثم كما ينال المنهوش قلت لأبي هريرة ما المنهوش ؟ قال الذي تنهشه الدواب والحيات ثم ضيق عليه قبره ثم قال لا نعلم رواه إلا الوليد بن مسلم وقال فإذا جلس في قبره أو أجلس فيقال له من ربك ؟ فيقول لا أدري فيقال لا دريت فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين ثم يقال أو يقال انظر إلى مجلسك ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة وإذا كان عدو الله نزل به الموت وعابن ما عابن فإنه لا يحب أن تخرج روح أبدا والله يبغض لقاءه يجلس في قبره فيسأل من ربك فيقول ربي الله ويسأل من نبيك فيقول محمد نبيي فيقال ماذا دينك ؟ قال ديني الإسلام فيفتح له باب في قبره فيقول المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض فإذا قال تركت فلانا في الأرض أعجبهم ذلك وإذا قال إن فلانا قد مات قالوا ما جيء به إلينا وإن المؤمن رفعه قال إن المؤمن ينزل به الموت ويعابن ما يعابن فيود لو خرجت يعني نفسه والله يحب لقاءه وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح عمر وذكر جواب الكافر وعذابه وقال البزار حدثنا سعيد بن بحر القراطيسي حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه

تفسير ابن كثير

وذلك قول الله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة رواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن انظر إلى ما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم تجعل نسمة في النسم الطيب وهي طير أخضر يعلق بشجر الجنة ويعاد الجسد إلى ما بدى من التراب فصدقناه فيقال له على ذلك حبيت وعلى ذلك مت وعليه تبعث إن شاء الله ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ويفتح له باب إلى الجنة فيقال له هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول أمحمد ؟ فيقال له نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله قد دنت للغروب فيقال له أخبرنا عما نسألك فيقول دعني دعني حتى أصلي فيقال له إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك فيقول عم تسألوني ؟ فيقال أرايت قبلي مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام ما قبلي مدخل فيؤتى عند رجله فيقول فعل الخيرات ما قبلي مدخل فيقال اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجله فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ما والذي نفسي بيده إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه مدبرين فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا يزيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وديني الإسلام ونبيي محمد جاءنا بالبينات من عند الله فأمنت به وصدقت فيقال له صدقت على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث وقال ابن جرير حدثنا وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال ذلك إذا قيل له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربي الله ذلك ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب. وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا فيقال للأرض التثمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه أهلي فأخبرهم فيقولان نم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين وينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله بن المفضل عن عبد الرحمن بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه بالجابيين وأرواح الكفار تجتمع ببرهوت سبخة بحضرموت ثم يضيق عليه قبره. وقال الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله حدثنا يحيى بن خلف حدثنا بشر ما وجدنا ريحا أنتن من هذه فيبلغ بها الأرض السفلى قال قتادة وحدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو قال: أرواح المؤمنين تجتمع الله عليه وسلم بنحوه قال فيسأل ما فعل فلان ما فعل فلان ما فعلت فلانة قال أما الكافر فإذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض إلى غضب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض . وقد روي أيضا من طريق همام بن يحيى عن أبي الجوزاء عن أبي هريرة عن النبي صلى دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم فيقول قد مات أما أناكم فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي من قبل الأرض ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلم أشد فرحا به من أهل الغائب بغائبهم فيقولون ما فعل فلان فيقولون اخرجي إلى روح الله فتخرج كأطيب ريح مسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا يشمونهم حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما هذه الريح الطيبة التي جاءت أبي عن قتادة عن قسام بن زهير عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون الله عليه وسلم ربطة كانت عليه على أنه هكذا وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا زيد بن أحمز حدثنا معاذ بن هشام حدثني وذكر من نتنها وذكر مقتا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل قال أبو هريرة فرد رسول الله صلى قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعميرنه فينطلق به إلى ربه عز وجل فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد قال: إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول ورواه النسائي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب بنحوه وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه فإنه لا تفتح لك أبواب السماء فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول ويجلس الرجل السوء لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي زميمة وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي زميمة وأبشري برحيم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا يزال يقال لها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل ورب غير غضبان قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقولون مرحبا بالروح الطيبة قال إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا أيضا إسناد لا بأس به فإن عباد بن راشد التميمي روى له البخاري مقرونا ولكن ضعفه بعضهم يسميها خلق الله عز وجل كلهم غير الثقلين فقال بعض القوم يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك فقال رسول الله صلى بابا إلى الجنة فيقول هذا منزلك لو أمنت بربك فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبداك به هذا فيفتح له بابا إلى النار ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح صيحة قبره وإن كان كافرا أو منافقا فيقول له ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فيقول لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له

تفسير ابن كثير

له بابا إلى النار فيقول كان هذا منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت فهذا منزلك فيفتح له بابا إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له اسكن ويفسح له في مطراق من حديد فأقده فقال ما تقول في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه صلى الله عليه وسلم يقول يبعث كل عبد في القبر على ما مات المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. الرجل ؟ فيقول لا أدري أقول كما يقول الناس فيقال له لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة أبدلت مكانه مقعدك من النار قال جابر فسمعت النبي مقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كليهما فيقول المؤمن دعوني أبشر أهلي فيقال له اسكن وأما المنافق فيقع إذا تولى عنه فيقال له ما كنت تقول في هذا فيقول إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبيده فيقول له الملك انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجأك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهاز فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا إلى يوم القيامة. رواه مسلم عن عبد بن حميد به وأخرجه النسائي من حديث يونس بن محمد المؤدب به وقال الإمام فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال: يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا وضع في قبره وتولى الله عليه وسلم وقرأ عبد الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الإمام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده حدثنا عن عبد الله قال: إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له ما ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ فيثبته الله فيقول ربي الله ودينني الإسلام ونبيي محمد صلى البراء في قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال عذاب القبر وقال المسعودي عن عبد الله بن مخارق عن أبيه أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين قال البراء ثم يفتح له باب إلى النار ويهدم له من فرش النار وقال سفيان الثوري عن أبيه عن خيثمة عن آخره ثم يقيض له أعمى أصم أبكم وفي يده مرزبة لو ضرب بها جبل لكان ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم وفي عن زاذان عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة فذكر نحوه وفيه فإذا خرجت روحه صلى عليه حديث الأعمش والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال بن عمرو به وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن حبيب عن المنهال بن عمرو يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول ومن أنت فوجهك الوجه الذي يجي بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة ورواه أبو داود من له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي ؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبيدي فأفرشوه من النار وافتحوا الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك في سم الخياط فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود ومالي قال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر الذي كنت توعده فيقول له من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي كنت يسرك هذا يومك وما علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبيدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله فيقولان له كتاب عبيدي في عليين وأعيده إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى يدعوا في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم

تفسير ابن كثير

السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كف من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرجع أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ورواه مسلم أيضا وبقيّة الجماعة كلهم من حديث شعبة به وقال الإمام سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء قال البخاري حدثنا ابن الوليد حدثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد قال سمعت

حين وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد هم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر وكذا رواه مالك في تفسيره عن نافع عن ابن عمر 28 نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم الأفجرا من قريش أخوالي وأعمامك فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى بنو أمية فمتعوا إلى حين وكذا رواه حمزة الزيات عن عمرو بن مرة قال: قال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين هذه الآية ألم تر إلى الذين بدلوا الخطاب في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم الأفجرا من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفبتهم يوم بدر وأما إلى حين ورواه أبو إسحاق عن عمرو بن مرة عن علي بن نوحه وروي من غير وجه عنه وقال سفيان الثوري عن علي بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن عليا قرأ هذه الآية وأحلوا قومهم دار البوار قال هم الأفجرا من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأما بنو المغيرة فأهلكوا يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا دار البوار فهي جهنم وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحارث أبو منصور عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن مرة قال سمعت المغيرة فأما بنو المغيرة فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر وأبو سفيان يوم أحد وأما دار البوار وقال السدي في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الآية ذكر مسلم المستوفي عن علي أنه قال هم الأفجرا من قريش بنو أمية وبنو الله بن الكواء فقال من الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار؟ قال مشركو قريش أتهم نعمة الله الإيمان فبدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم قال قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ألا أحد يسألني عن القرآن فوالله لو أعلم اليوم أحدا أعلم به مني وإن كان من وراء البحار لأتيته فقام عبد الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار؟ قال منافقو قريش وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل قال قرأت على معقل عن ابن أبي حسين كفار قريش يوم بدر حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا بسام هو الصيرفي عن أبي الطفيل قال: جاء رجل إلى علي فقال يا أمير المؤمنين من بن إبراهيم حدثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل عليا عن الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ومن ردها وكفرها دخل النار وقد روي عن علي بن عباس الأول وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول وإن كان المعنى يعم جميع الكفار فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونعمة للناس بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار أهل مكة وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية هو جيلة بن الأيهم والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم والمشهور الذين خرجوا البوار الهلاك بار يبور بورا وقوما بورا هالكين حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس ألم تر إلى الذين قال البخاري قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ألم تعلم كقوله ألم تر كيف ألم تر إلى

لا يوجد تفسير لهذه الآية 29

وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق لا يرجى لهم والحالة هذه صلاح. 3 ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم ويصدون عن سبيل الله وهي اتباع الرسل ويبغونها عوجا أي ويحبون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة عائلة ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أي يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا تعالى: نمتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ وقال تعالى متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون. 30 قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار أي مهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا فمهما يكن من شيء فإن مصيركم إلى النار أي مرجعكم وموئلكم إليها كما قال أندادا ليضلوا عن سبيله أي جعلوا له شركاء عبودهم معه ودعوا الناس إلى ذلك ثم قال تعالى مهتدا لهم ومتوعدا لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وقوله وجعلوا لله

ولا هم ينصرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون. 31 وجده ولا تنفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافرا قال الله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة فإن كان لله فليداوم وإن كان لغير الله فسيقطع عنه قلت والمراد من هذا أنه يخبر تعالى أنه لا ينفع أحدا بيع ولا فدية ولو افتدى بماء الأرض ذهب لو خشية الردى ولست بمقل للخلال ولا قالي وقال قتادة إن الله قد علم أن في الدنيا بيوعا وخلالا يتخللون بها في الدنيا فينظر الرجل من يخالل وعلام يصاحب العقاب لمخالفته بل هناك العدل والقسط والخلال مصدر من قول القائل خاللت فلانا فأنا أخاله مخالطة وخلالا ومنه قول امرئ القيس: صرفت الهوى عنهم من فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا وقوله ولا خلال قال ابن جرير يقول ليس هناك مخالطة خليل فيصفر عمن استوجب العقوبة عن

تفسير ابن كثير

وليبادروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم من قبل أن يأتي يوم وهو يوم القيامة لا بيع فيه ولا خلال أي ولا يقبل من أحد فدية أن تباع نفسه كما قال تعالى والمراد بإقامتها هو المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها وأمر تعالى بالإنفاق مما رزق في السر أي في الخفية والعلانية وهي الجهر إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات والنفقة على القربات والإحسان إلى الأجانب يقول تعالى أمرا عباده بطاعته والقيام بحقه والإحسان

إقليم آخر لجلب ما هنا إلى هناك وما هناك إلى هنا وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع. 32 والروائح والمنافع وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى لهم السموات سقفا محفوظا والأرض فراشا وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم يعدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق

ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار. 33 والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين فالشمس والقمر يتعاقبان والليل والنهار يتعارضان فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول لا يفتران ليلا ولا نهارا لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر وسخر لكم الشمس والقمر دائبين أي يسيران

بها وقال القائل في ذلك: لو كل جارحة مني لها لغة تثني عليك بما أوليت من حسن لكان ما زاد شكري إذ شكرت به إليك أبلغ في الإحسان والمنن 34 اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم وقال الإمام الشافعي رحمه الله: الحمد لله الذي لا تؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره وسنده ضعيف وقد روي في الأثر أن داود عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك وشكركي لك نعمة منك علي ؟ فقال الله تعالى الآن شكرتني يا داود أي حين وتبقى الذنوب والنعم فإذا أراد الله أن يرحمه قال يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت لك عن سيئاتك أحسبه قال ووهبت لك نعمي غريب فيقول الله تعالى لأصغر نعمه أحسبه قال في ديوان النعم خذي ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح كله ثم تنحي وتقول: وعزتك ما استوفيت صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله تعالى عليه وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا داود بن المجبر حدثنا صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي عن أنس عن النبي أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم لك الحمد غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا عن تعدد النعم فضلا عن القيام بشكرها كما قال طلق بن حبيب رحمه الله: إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ولكن كل ما سألتموه وما لم تسألوه وقرأ بعضهم وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه وقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها يخبر تعالى عن عجز العباد وقوله وآتاكم من كل ما سألتموه يقول هيا لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم مما تسألونه بحالكم وقال بعض السلف من

عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم وليس فيه أكثر من الرد إلى مشيئة الله تعالى لا تجوز وقوع ذلك. 35 لنفسه ولوالديه ولذريته ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلانق من الناس وأنه تبرأ ممن عبدها ورد أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم كقول عيسى أيضا فقال رب اجعل هذا بلدا آمنا كما ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطولا. وقوله واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام ينبغي لكل داع أن يدعو لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة فإنه دعا بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا وقال في هذه القصة رب اجعل هذا البلد آمنا فعرفه لأنه دعا به بعد بنائها ولهذا قال الحمد لله الذي وهب وقد استجاب الله له فقال تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا الآية وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات على عبادة الله وحده لا شريك له وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بسببه أهلة تبرأ ممن عبد غير الله وأنه دعا لمكة بالأمن فقال رب اجعل هذا البلد آمنا يذكر تعالى في هذا المقام محتجا على مشركي العرب بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت أول ما وضعت

فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال: فقال الله اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. 36 فإنهم عبادك الآية ثم رفع يديه ثم قال اللهم أمتي اللهم أمتي وبكى فقال الله اذهب يا جبريل إلى محمد وربك أعلم وسله ما يبيحك ؟ بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس الآية وقول عيسى عليه السلام إن تعذبهم قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث أن بكر بن سودة حدثه عن عبد الرحمن بن جرير عن عبد الله

لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة وهي تجبى إليها ثمرات ما حولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام. 37 أنه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثمارا يأكلونها وقد استجاب الله ذلك كما قال أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا وهذا من واليهود والنصارى والناس كلهم ولكن قال من الناس فاخص به المسلمون وقوله وارزقهم من الثمرات أي ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك وكما من إقامة الصلاة عنده فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جببر وغيره لو قال أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم الله عز وجل ولهذا قال عند بيتك المحرم وقوله ربنا ليقموا الصلاة قال ابن جرير هو متعلق بقوله المحرم أي إنما جعلته محرما ليتمكن أهله

تفسير ابن كثير

- وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عندما ولى عن هاجر وولدها وذلك قبل بناء البيت وهذا كان بعد بنائه تأكيدا ورغبة إلى لأهل هذا البلد وإنما هو القصد إلى رضاك والإخلاص لك فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها لا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء. 38 قال ابن جرير: يقول تعالى مخبرا عن إبراهيم خليله أنه قال ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن أي أنت تعلم قصدي في دعائي وما أردت بدعائي الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء أي أنه يستجيب لمن دعاه وقد استجاب لي فيما سألته من الولد. 39 ثم حمد ربه عز وجل على ما رزقه من الولد بعد الكبر فقال
- وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وله شواهد من وجوه كثيرة وقال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا . 4 لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة الله صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة إلى سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت خمسا كانت هذه سنته في خلقه أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم فاخص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم واختص محمد بن عبد الله رسول من يشاء إلى الحق وهو العزيز الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم في أفعاله فيضل من يستحق الإضلال ويهدي من هو أهل لذلك وقد وجل نبيا إلا بلغة قومه وقوله فيضل الله ما يشاء من ويهدي من يشاء أي بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل الله من يشاء عن وجه الهدى ويهدي وما أرسلوا به إليهم كما روى الإمام أحمد حدثنا وكيع عن عمر بن زر قال: قال مجاهد عن أبي زر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله عز هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون
- اجعلني مقيم الصلاة أي محافظا عليها مقيما لحدودها ومن ذريتي أي واجعلهم كذلك مقيمين لها ربنا وتقبل دعاء أي فيما سألتك فيه كله. 40 ثم قال رب
- تبين له عداوته لله عز وجل وللمؤمنين أي كلهم يوم يقوم الحساب أي يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 41 ربنا اغفر لي ولوالدي قرأ بعضهم ولوالدي بالإفراد وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما
- لهم لا يعاقبهم على صنعهم بل هو يحصي ذلك عليهم ويعدده عليهم عدا إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار أي من شدة الأهوال يوم القيامة. 42 يقول تعالى ولا تحسبن الله يا محمد غافلا عما يعمل الظالمون أي لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل
- أماكنها من شدة الخوف وقال بعضهم هي خراب لا تعي شيئا لشدة ما أخبر به تعالى عنهم ثم قال تعالى لرسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم. 43 أي وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجع والخوف ولهذا قال قتادة وجماعة إن أمكنة أفندتهم خالية لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من شاصرة مديون النظر لا يطفرون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة المخافة لما يحل بهم عابذا بالله العظيم من ذلك ولهذا قال وأفندتهم هواء من الأجداث سراعا الآية وقوله مقنعي رءوسهم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد رافعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم أي أبصارهم ظاهرة مهطعين إلى الداع الآية وقال تعالى يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له إلى قوله وعنت الوجوه للحى القيوم وقال تعالى يوم يخرجون
- ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام المحشر فقال مهطعين أي مسرعين كما قال تعالى
- قال مجاهد وغيره ما لكم من زوال أي ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت الآية. 44 تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال أي أولم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحالة أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه وأنه لا معاد ولا جزاء فذوقوا هذا بذلك ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية وقال تعالى وهم يصطرخون فيها الآية قال تعالى ردا عليهم في قولهم هذا أولم تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم الآيتين وقال تعالى مخبرا عنهم في حال محشرهم ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم الآية وقال ولو أنفسهم عند معاينة العذاب ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل كقوله حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون الآية وقال يقول تعالى مخبرا عن قيل الذين ظلموا
- قد رأيتم وبلغكم ما أحلنا بالأمم المكذبة قبلكم ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر. 45 وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال أي
- طلحة عن ابن عباس وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال يقول شركهم كقوله تكاد السموات يتقطرن منه الآية. وهكذا قال الضحاك وقتادة. 46 قلت ويشبه هذا قول الله تعالى ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا والقول الثاني في تفسيرها ما رواه علي بن أبي الحسن البصري ووجهه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من شركهم بالله وكفرهم به ما ضر ذلك شيئا من الجبال ولا غيرها وإنما عاد وبأل ذلك عليهم بفتح اللام الأولى وضم الثانية وروى العوفي عن ابن عباس في قوله وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال يقول ما كان مكرهم لتزول منه الجبال وكذا قال هدها وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك فذلك قوله وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ونقل ابن جريج عن مجاهد أنه قرأها لتزول منه الجبال بختنصر وأنه لما انقطع بصره عن الأرض وأهلها نودي أيها الطاغية أين تريد ؟ ففرق ثم سمع الصوت فوقه فصوب الرماح فصوبت النور ففرغت الجبال من السماء بهذه الحيلة والمكر كما رام ذلك بعده فرعون ملك القبط فى بناء الصرح فعجزا وضعفا وهما أقل وأحق وأصغر وأدحر وذكر مجاهد هذه القصة عن

تفسير ابن كثير

الثوري لإسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن رباب عن علي فذكر نحوه وكذا روي عن عكرمة أن سياق هذه القصة لنمرود ملك كنعان أنه رام أسباب قراءة عبد الله وإن كاد مكرهم قلت وكذا روي عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قرآ وإن كاد كما قرأ علي وكذا رواه سفيان الدنيا كلها كأنها ذباب. قال فصوص العصا فصوصها جميعا قال فهو قوله عز وجل وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال قال أبو إسحاق وكذلك هي في وقعد هو ورجل آخر في التابوت قال ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم فطارا وجعل يقول لصاحبه انظر ما ترى قال أرى كذا وكذا حتى قال أرى قال أخذ ذلك الذي حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين فرباهما حتى استغلظا واستفحلا وشبا قال فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد إلى تابوت وجوعهما وقد روى شعبة عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن رباب أن عليا رضي الله عنه قال في هذه الآية وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ثم أخبر تعالى أنه ذو عزة لا يمتنع عليه شيء أرادته ولا يغالب وذو انتقام ممن كفر به وجحد فويل يومئذ للمكذبين. 47 يقول تعالى مقررًا لوعده ومؤكداً فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله أي من نصرته في الحياة وقوله ويرزوا لله أي خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله الواحد القهار أي الذي قهر كل شيء وغلبه ودانت له الرقاب وخضعت له الأبواب. 48 يبذل الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة غاز أو حاج أو معتمر فإن تحت البحر نارا أو تحت النار بحرا وفي حديث الصور المشهور المروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الأرض غير الأرض والسموات قال تصير السموات جنانا فيصير مكان البحر نارا وتبدل الأرض غيرها وفي الحديث الذي رواه أبو داود لا يركب البحر إلا أنفه وما مسه الحساب قالوا مم ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال مما يرى الناس ويلقون وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن كعب في قوله يوم تبدل كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها نرى أكوابها وكواعبها والذي نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقا حتى ترشح في الأرض قدمه ثم يرتفع حتى يبلغ وأكوابها ويلجم الناس العرق ويبلغ منهم العرق ولم يبلغوا الحساب وقال الأعمش أيضا عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن قال: قال عبد الله الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه وقال الأعمش عن خثيم قال: قال عبد الله بن مسعود: الأرض يوم القيامة كلها نار والجنة من ورائها ترى كواعبها منها المؤمنون من تحت أقدامهم وكذا روى وكيع عن عمر بن بشر الهمداني عن سعيد بن جبيرة في قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض قال تبدل الأرض بن كعب قال: تصير السموات جنانا وقال أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن قيس في قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض قال خبزة يأكل ومجاهد بن جبر أنها تبدل يوم القيامة بأرض من فضة وعن علي رضي الله عنه أنه قال تصير الأرض فضة والسموات ذهبًا وقال الربيع عن أبي العالية عن أبي الأرض غير الأرض إنها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة فلما جاءوا سألهم فقالوا تكون بيضاء مثل النقي وهكذا روي عن علي وابن عباس وأنس بن مالك الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فقال هل تدرون لم أرسلت إليهم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فإني أرسلت إليهم أسألهم عن قول الله يوم تبدل رفعه إلا جرير بن أيوب ليس بالقوي ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سنان عن جابر الجعفي عن أبي جبريرة عن زيد قال أرسل رسول صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل يوم تبدل الأرض غير الأرض قال أرض بيضاء لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة. ثم قال لا نعلم حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا سهل بن حماد أبو غياث حدثنا جرير بن أيوب عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي وكذا رواه عاصم عن زر عن ابن مسعود به وقال سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون لم يخبر به أورد ذلك كله ابن جرير وقد قال الحافظ أبو بكر البزار عراة كما خلقوا قال أراه قال قياما حتى يلجمهم العرق وروي من وجه آخر عن شعبة عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بنحوه يقول يوم تبدل الأرض غير الأرض قال أرض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي حفاة بن أبي مريم به وقال جعبة أخبرنا أبو إسحاق سمعت عمرو بن ميمون وربما قال: قال عبد الله وربما لم يقل فقلت له عن عبد الله فقال سمعت عمرو بن ميمون تبدل الأرض غير الأرض والسموات فأين الخلق عند ذلك ؟ فقال أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عبد الله حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الأنصاري أن حبرا من اليهود سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرايت إذ يقول الله تعالى في كتابه يوم هذا عن الذي سألتني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به قال أبو جعفر بن جرير الطبري حدثنا ابن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا ابن أبي مريم الله تعالى وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنا بآذن الله قال اليهودي لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألتني إن حدثتك ؟ قال أسمع بأذني قال جئت أسألك عن الولد قال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بآذن عليه ؟ قال: من عين فيما تسمى سلسبيلا قال صدقت قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال أينفعك تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال: زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم في أثرها ؟ قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها قال فما شرابهم والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس إجازة ؟ فقال فقراء المهاجرين فقال اليهودي فما إن حدثتك قال أسمع بأذني فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال سل فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي فقال اليهودي جئت أسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينفعك شيئا السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني ؟ فقلت ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال أبو أسماء الربحي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه قال: كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه خبر من أخبار اليهود فقال بن الحجاج في صحيحه حدثني الحسن بن علي الحلواني حدثني أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد يعني أخاه أنه سمع أبا سلام حدثني

تفسير ابن كثير

قال إن هذا شيء ما سألتني عنه أحد قال على الصراط يا عائشة ورواه أحمد عن عفان عن القاسم بن الفضل عن الحسن به وقال الإمام مسلم ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا علي بن الجعد أخبرنا القاسم سمعت الحسن قال: قالت عائشة يا رسول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض فأين الناس يومئذ وسلم عن قوله تعالى والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال هم على متن جهنم وقال أن الناس على جسرهم. وروى الإمام أحمد من حديث حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد عن ابن عباس حدثني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات قال: قالت يا رسول الله فأين الناس يومئذ؟ قال لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمتي ذلك داود عن الشعبي عنها ولم يذكر مسروقا وقال قتادة عن حسان بن بلال المزني عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول مسلم منفردا به دون البخاري والترمذي وابن ماجه من حديث داود بن أبي هند به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه أحمد أيضا عن عفان عن وهيب عن الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات قالت: قلت أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال على الصراط. رواه النقي ليس فيها معلم لأحد وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات أي وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض وهي هذه على غير الصفة المألوفة كما جاء

قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة والأعمش وعبد الرحمن بن زيد وهو مشهور في اللغة قال عمرو بن كلثوم فأبوا بالثياب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا 49 وقال وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وقال والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد والأصفاد هي القيود بعضهم إلى بعض قد جمع بين النظراء أو الأشكال منهم كل صنف إلى صنف كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال وإذا النفوس زوجت تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وتبرز الخلائق لديانها ترى يا محمد يومئذ المجرمين وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم مقرنين أي يقول

أنه قال إن أمر المؤمن كله عجب لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له . 5 أي في الضراء شكور أي في السراء كما قال قتادة: نعم العبد عبد إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر وكذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لآيات لكل صبار شكور أي أن في ما صنعنا بأوليائنا بني إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبارة لكل صبار بأيام الله قال بنعم الله ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبان به ورواه عبد الله ابنه أيضا موقوفا وهو شبه وقوله إن في ذلك حدثنا محمد بن أبان الجعفي عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى وذكرهم وغير واحد وقد ورد فيه الحديث المرفوع الذي رواه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في مسند أبيه حيث قال: حدثني يحيى بن عبد الله مولى بني هاشم وظلمه وغشمه وإنجائه إياهم من عدوهم وفلقه لهم البحر وتظليله إياهم بالغمام وإنزاله عليهم المن والسوى إلى غير ذلك من النعم قال ذلك مجاهد وقاتلة ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان وذكرهم بأيام الله أي بأياديه ونعمه عليهم في إخراجهم من أسر فرعون وقهره قال مجاهد وهي التسع الآيات أن أخرج قومك أي أمرناه قائلين له أخرج قومك من الظلمات إلى النور أي ادعهم إلى الخير ليخرجوا من ظلمات تعالى وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم تدعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور كذلك أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل بآياتنا فيقول

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفعه النائحة إذا لم تتب توقف في طريق بين الجنة والنار وسراييلها من قطران وتغشى وجهها النار . 50 إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب انفرد بإخراجه مسلم وفي حديث القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه الله عليه وسلم أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت والنائحة أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن إسحاق أنبأنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقاتلة وقوله وتغشى وجوههم النار كقوله تلفح وجوههم النار وهم فيها كالخون وقال الإمام ترمي به الريح إلى مجراها وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس المذاب وربما قرأها سراييلهم من قطران أي من نحاس حار قد انتهى حره وكذا قتادة وهو ألصق شيء بالنار ويقال فيه قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكين القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبي النجم كأن قطراننا إذا تلاها وقوله سراييلهم من قطران أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران وهو الذي تنهأ به الإبل أي تطلّى قال

تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وهذا معنى قول مجاهد سريع الحساب إحصاء ويحتمل أن يكون المعنيان مرادين والله أعلم. 51 ويحتمل أنه في حال محاسبته لعبده سريع النجاز لأنه يعلم كل شيء ولا يخفى عليه خافية وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم كقوله القيامة ليجزى الذين أساءوا بما عملوا الآية إن الله سريع الحساب يحتمل أن يكون كقوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وقوله ليجزى الله كل نفس ما كسبت أي يوم

بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو وليذكر أولوا الألباب أي ذوي العقول آخر تفسير سورة إبراهيم عليه السلام ولله الحمد والمنة. 52

تفسير ابن كثير

أول السورة الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور الآية ولينذروا به أي ليتعظوا به وليعلموا أنما هو إله واحد أي يستدلوا يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله لأنذركم به ومن بلغ أي هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن كما قال في تلك الأفاعيل بلاء أي اختبار عظيم ويحتمل أن يكون المراد هذا وهذا والله أعلم كقوله تعالى وبلونا هم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون . 6 قال وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم أي نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك أنتم عاجزون عن القيام بشكرها. وقيل: وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من آل فرعون وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال حيث كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم ويتركون إناثهم فأنقذهم الله من ذلك وهذه نعمة عظيمة ولهذا يقول تعالى مخبرا عن موسى حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم إذ أنجاهم من في حديثه وعن أحمد أيضا أنه قال: روي عنه أحاديث منكورة. وقال أبو داود ليس بذلك وضعفه الدارقطني وقال ابن عدي لا بأس به ممن يكتب حديثه. 7 وأحمد ويعقوب بن سفيان وقال ابن معين: صالح وقال أبو زرعة لا بأس به وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتين وقال البخاري ربما يضطرب الله صلى الله عليه وسلم فقال للجارية اذهبي إلى أم سلمة فأعطيه الأربعين درهما التي عندها تفرد به الإمام أحمد وعمارة بن زاذان وثقه ابن حبان عن أنس قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم سائل فأمر له بتمرة فلم يأخذها أو وحش بها قال وأتاه آخر فأمر له بتمرة فقال سبحان الله تمرة من رسول وقال تمرة من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأمر له بأربعين رهما أو كما قال قال الإمام أحمد: حدثنا أسود حدثنا عمارة الصيدلاني عن ثابت ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي المسند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به سائل فأعطاه تمرة فسخطها ولم يقبلها ثم مر به آخر فأعطاه إياها فقبلها ولئن كفرتم أي كفرتم النعم وسترتموها وحدثتموها إن عذابي لشديد وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها وقد جاء في الحديث إن العبد وجلاله وكبريائه كقوله تعالى وإذ تأذن ربك لبيعثن عليهم إلى يوم القيامة وقوله لئن شكرتم لأزيدنكم أي لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها وقوله وإذ تأذن ربكم أي أذنكم وأعلمكم بوعده لكم ويحتمل أن يكون المعنى: وإذ أقسم بكم وآلى بعزته صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المحيط إذ دخل البحر فسبحانه وتعالى الغني الحميد. 8 أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في يرويه عن ربه عز وجل أنه قال يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو فإن الله غني عنكم الآية وقوله فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد أي هو غني عن شكر عباده وهو الحميد المحمود وإن كفره من كفر كقوله إن تكفروا وقوله تعالى وقال لما سمعوا كلام الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به الآية يقولون لا نصدقكم فيما جئتم به فإن عندنا فيه شكا قويا. 9 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ووجهه ابن جرير مختارا له بقوله تعالى عن المنافقين وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وقال العوفي عن ابن عباس في قوله فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا عليها غيظا وقال شعبة عن أبي إسحاق أبي هبيرة ابن مريم عن عبد الله أنه قال ذلك أيضا. وقد اختاره إليه مريب فكان هذا والله أعلم تفسير لمعنى فردوا أيديهم في أفواههم وقال سفيان الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله ولكنني عن سنسب لست أرغب يريد أرغب بها قلت ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا قال ابن جرير: وتوجيهه أن في هنا بمعنى الباء قال وقد سمع من العرب أدخلك الله بالجنة يعنون في الجنة وقال الشاعر: وأرغب فيها عن لقيط ورهطه أفواههم تكذيبا لهم وقيل بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل. وقال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة معناه أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم اختلف المفسرون في معناه قيل معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرهم بالسكوت عنهم لما دعواهم إلى الله عز وجل وقيل بل وضعوا أيديهم على أنه قال في قوله لا يعلمهم إلا الله كذب النسابون. وقال عروة بن الزبير وما وجدنا أحدا يعرف ما بعد معد بن عدنان وقوله فردوا أيديهم في أفواههم عددهم إلا الله عز وجل جاءتهم رسلهم بالبينات أي بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات وقال ابن إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله أن تكون هاتان القصتان في التوراة والله أعلم وبالجملته فالحق تعالى قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل مما لا يحصي أنه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الأمة فإنه قد قيل إن قصة عاد وثمود ليست من التوراة فلو كان هذا من كلام موسى لقومه وقصصه عليهم لا شك قال ابن جرير: هذا من تمام قول موسى لقومه يعني وتذكيره إياهم بأيام الله بانتقامه من الأمم المكذبة بالرسل وفيما قال ابن جرير نظر والظاهر

سورة 15

كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم والله أعلم. 1 محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأحرار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان

تفسير ابن كثير

أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه ثم قال فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمشى حي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبى عن أبي صالح عن ابن على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق وحرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل الم ر و المص وخمسة مثل كهيعص و حمعسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري فى كشافه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا أننا به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شئ حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتورة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنتم الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتل ا ق وقال خفيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق و ص و حم و طسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكثفى بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وان شرا فا ولا أريد الشر إلا أن يقول وإن شرا فشرا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفى بالفاء لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظليم عال كيف لا ينقد عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي

تفسير ابن كثير

غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضرار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معاً ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجها ولكن هذا ليس كما ذكره

وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورة كثيرة بتحميده وتسيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بدار عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسما للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة وهـ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في

10 صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من كفل من كفار قريش إنه أرسل قبله من الأمم الماضية وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزءوا به. 10 يقول تعالى مسليا لرسوله

11 صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من كفل من كفار قريش إنه أرسل قبله من الأمم الماضية وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزءوا به. 11 يقول تعالى مسليا لرسوله

12 التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى قال أنس والحسن البصري كذلك نسله في قلوب المجرمين يعني الشرك. 12 ثم أخبر أنه سلك

وقوله قد خلت سنة الأولين أي قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الهلاك والدمار وكيف أنجى الله الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة. 13

يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم بابا من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك. 14

أبصارنا وقال العوفي عن ابن عباس شبه علينا وإنما سحرنا وقال الكلبي عميت أبصارنا وقال ابن زيد سكرت أبصارنا السكران الذي لا يعقل. 15

بل قالوا إنما سكرت أبصارنا قال مجاهد وابن كثير والضحاك سدت أبصارنا وقال قتادة عن ابن عباس أخذت

تفسير ابن كثير

فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء. 16
فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض وربما قال سفيان حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على
هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه
وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع
هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان قال علي
ويأتي بها إلى وليه كما جاء مصرحا به في الصحيح كما قال البخاري. في تفسير هذه الآية: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي
فمن ترمد وتقدم منهم لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر
هي منازل الشمس والقمر وقال عطية العوفي البروج ههنا هي قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوها إلى الملائكة الأعلى
وبهذا قال مجاهد وقتادة البروج ههنا هي الكواكب. قلت وهذا كقوله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا الآية. ومنهم من قال البروج
تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات ما يحار نظره فيه
يذكر

فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء. 17
فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض وربما قال سفيان حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على
هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه
وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع
هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان قال علي
ويأتي بها إلى وليه كما جاء مصرحا به في الصحيح كما قال البخاري. في تفسير هذه الآية: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي
فمن ترمد وتقدم منهم لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر
وقال عطية العوفي البروج ههنا هي قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوها إلى الملائكة الأعلى

فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء. 18
فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض وربما قال سفيان حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على
هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه
وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع
هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان قال علي
ويأتي بها إلى وليه كما جاء مصرحا به في الصحيح كما قال البخاري. في تفسير هذه الآية: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي
فمن ترمد وتقدم منهم لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر
هي منازل الشمس والقمر وقال عطية العوفي البروج ههنا هي قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوها إلى الملائكة الأعلى
قلت وهذا كقوله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا الآية. ومنهم من قال البروج

والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة ومنهم من قول مقدر بقدر وقال ابن زيد من كل شيء يوزن ويقدر بقدر وقال ابن زيد ما يزنه أهل الأسواق. 19
فيها من الزروع والثمار المتناسبة وقال ابن عباس من كل شيء موزون أي معلوم وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عيينة
ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومدته إياها وتوسيعها وبسطها وما جعل فيها من الجبال الرواسي والأودية والأراضي والرمال وما أنبت

في النار سواء فيغضب الله لهم غضبا لم يغضبه لشيء فيما مضى فيخرجهم إلى عين في الجنة وهو قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين . 2
الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد آمنتم بالله وكتبه ورسله فحنن وأنتم اليوم
ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج منها ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى فإذا أراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حوزته ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم
بن الحسين حدثنا العباس بن الوليد البرسي حدثنا مسكين أبو فاطمة حدثني اليمان بن يزيد عن محمد بن جبيرة عن محمد بن علي عن أبيه عن جده قال: قال
عنا هذا الاسم فيأمرهم فيفتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم فأقر به أبو أسامة وقال نعم الحديث الرابع قال ابن أبي حاتم حدثنا علي
معهم قال فذلك قول الله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم فيقولون يا رب أذهب
الشفاعة لهم فتشفع لهم الملائكة والنبيون ويشفع المؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله فإذا رأى المشركون ذلك قالوا يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج
وقال لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالك معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في
وسلم يقول في هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين؟ قال نعم سمعته يقول يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم

تفسير ابن كثير

لأبي أسامة أحدكم أبو روق واسمه عطية بن الحارث حدثني صالح بن أبي شريف قال سألت أبا سعيد الخدري فقلت له نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه نافع به وزاد فيه بسم الله الرحمن الرحيم عوض الاستعاذة الحديث الثالث قال الطبراني أيضا حدثنا موسى بن هارون حدثنا إسحاق بن راهويه قال: قلت وسلم أعود بالله من الشيطان الرجيم الرتل آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ورواه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الثاني قال الطبراني أيضا حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو الشعثاء علي بن حسن الواسطي حدثنا خالد بن نافع الأشعري عن سعيد بن أبي من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار نعم أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول هذا ثم قال الطبراني تفرد به الجهيز الحديث الجهنميون فقال رجل يا أنس أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إلا الله وأنتم معنا في النار ؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقهم في نهر الحياة فيبرءون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه ويدخلون الجنة ويسمون فيهل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن ناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قولكم لا إله صالح بن إسحق الجهنزي وابن علية يحيى بن موسى حدثنا معروف بن واصل عن يعقوب بن نباتة عن عبد الرحمن الأغر عن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيرهم وقد ورد في ذلك أحاديث مرفوعة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن العباس هو الآخر حدثنا محمد بن منصور الطوسي حدثنا الله أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان قال فعند ذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهكذا روي عن الضحاك وقتادة وأبي العالية وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن حماد عن إبراهيم وعن خصيف عن مجاهد قال: يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم إيمانكم ؟ فإذا قالوا ذلك قال المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا ؟ قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين كانا يتأولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار قال فيقول لهم في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبي فروة العبدى أن ابن عباس وأنس بن مالك ربنا ونكون من المؤمنين وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزاهرية عن عبد الله في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال هذا أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمنا وقيل هذا إخبار عن يوم القيامة كقوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات في تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن كفار قريش لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين وقيل إن المراد وقوله تعالى ربما يود الذين كفروا الآية إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين ونقل السدي الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها والعبيد والإماء التي يستخدمونها ورزقهم على خالقهم لا عليهم فلم هم بالمنفعة والرزق على الله تعالى. 20 جرير هم العبيد والإماء والدواب والأنعام والقصد أنه تعالى يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعاش وبما سخر لهم من تعالى أنه صرفهم في الأرض في صنوف الأسباب والمعاش وهي جمع معيشة وقوله ومن لستم له برازقين قال مجاهد هي الدواب والأنعام وقال ابن وقوله وجعلنا لكم فيها معاش يذكر

الله الكلام فإذا أراد شيئا قال له كن فكان ثم قال لا يرويه إلا أغلب وليس بالقوى وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ولم يروه عنه إلا ابنه. 21 حدثنا حيان بن أغلب بن تميم حدثني أبي عن هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خزائن البحر قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت وقال البزار حدثنا داود هو ابن بكير بن سالم عن الحكم بن عيينة في قوله وما ننزله إلا بقدر معلوم قال ما عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون بما كان في بينهم حيث شاء عاما ههنا وعاما ههنا ثم قرأ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه الآية. رواه ابن جرير وقال أيضا حدثنا القاسم حدثنا هشيم أخبرنا إسماعيل بعباده لا على جهة الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة. قال يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله ما من عام بأكثر مطر من عام ولكن الله يقسمه سهل عليه يسير لديه وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف وما ننزله إلا بقدر معلوم كما يشاء كما يريد ولما له في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة يخبر تعالى أنه مالك كل شيء وأن كل شيء

من رحمته أنزله وجعله عذبا وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك ليبقى لهم في طول السنة يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم. 22 الثوري بمانعين ويحتمل أن المراد وما أنتم له بحافظين بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ونجعله معينا وينابيع في الأرض ولو شاء تعالى لأغاره وذهب به ولكن أجابا فلولا تشكرون وفي قوله هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسميمون وقوله وما أنتم له بخازنين قال سفيان كما نبه على ذلك في الآية الأخرى في سورة الواقعة وهو قوله تعالى أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه والأرض من شيء وهي عند الله إلا ذيب وهي فيكم الجنوب وقوله فأسقيناكموه أي أنزلناه لكم عذبا يمكنكم أن تشربوا منه لو نشاء جعلناه أجابا الله عليه وسلم إن الله خلق في الجنة ريحا بعد الريح سبع سنين وإن من دونها بابا مغلقا وإنما يأتيكم الريح من ذلك الباب ولو فتح لأذرت ما بين السماء في مسنده حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني يزيد بن جعدية الليثي أنه سمع عبد الرحمن بن مخراق يحدث عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى

تفسير ابن كثير

وسلم قال الريح الجنوب من الجنة وهي التي ذكر الله في كتابه وفيها منافع للناس وهذا إسناد ضعيف وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي اللواقي فتلقيح الشجر ثم تلا وأرسلنا الرياح لواقح. وقد روى ابن جرير من حديث عبيس بن ميمون عن أبي المهزم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه ماء وقال عبيد بن عمير الليثي يبعث الله المبرشة فتقم الأرض فما ثم بعث الله المبرشة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله من السماء ثم تمر مر السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة. وكذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعي وقتادة وقال الضحاك يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلئ فصاعدا وقال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود في قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال ترسل الريح فتحمل الماء عن أوراقها وأكمامها وذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردا ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج لأنه لا يكون إلا بين شيئين وقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح أي تلقح السحاب فتدر ماء وتلقيح الشجر فتفتح

بدء الخلق وإعادته وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع وأخبر أنه تعالى يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون. 23 وقوله وإنا لنحن نحيي ونميت إخبار عن قدرته تعالى على

منكم الميت والمقتول والمستأخرين من يخلق بعد وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم فقال عون بن عبد الله وفقك الله وجزاك خيرا. 24 بن كعب في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أنها في صفوف الصلاة فقال محمد بن كعب ليس هكذا ولقد علمنا المستقدمين عبد الله يذكر محمد بن كعب في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أنها في صفوف الصلاة فقال محمد بن عبد الله يذكر محمد فيه لابن عباس ذكر وقد قال الترمذي هذا أشبه من رواية نوح بن قيس والله أعلم وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن أبي معشر عن أبيه أنه سمع عون بن أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس عن ابن معين تضعيفه وأخرجه مسلم وأهل السنن وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقد رواه عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك وهو البكري في تفسيره ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما وابن ماجه من طرق عن نوح بن قيس الحداني وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما وحكي يستأخرون فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم فأنزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وكذا رواه أحمد وابن أبي حاتم خلف النبي صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء قال ابن عباس لا والله ما رأيت مثله قط وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا يعني لئلا يروها وبعض محمد بن موسى الجرشى حدثنا نوح بن قيس حدثنا عمرو بن قيس حدثنا عمر بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت تصلي في الصفوف من أجل النساء فأنزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وقد ورد فيه حديث غريب جدا فقال ابن جرير حدثني ابن جرير رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رجل عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون والمستأخرون من هو حي ومن سيأتي إلى يوم القيامة وروي نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم وهو اختيار تمام علمه بهم أولهم وآخرهم فقال ولقد علمنا المستقدمين منكم الآية. قال ابن عباس رضي الله عنهما المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام ثم أخبر تعالى عن

وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم فقال عون بن عبد الله وفقك الله وجزاك خيرا. 25

عن ابن عباس أنه قال هو التراب الرطب وعن ابن عباس ومجاهد أيضا والضحاك إن الحمأ المسنون هو المنتن وقيل المراد بالمسنون ههنا المصبوب. 26 أي الصلصال من حمأ وهو الطين والمسنون الأملس كما قال الشاعر: ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء تمشي في ممر مسنون أي أملس صقيل ولهذا روي خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار وعن مجاهد أيضا الصلصال المنتن وتفسير الآية بالآية أولى وقوله من حمأ مسنون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: المراد بالصلصال ههنا التراب اليابس والظاهر أنه كقوله تعالى

من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم والمقصود من الآية التنبيه على شرف آدم وطيب عنصره وطهارة محتده. 27 السموم وعن ابن عباس إن الجان خلق من لهب النار وفي رواية من أحسن النار وعن عمرو بن دينار من نار الشمس وقد ورد في الصحيح خلقت الملائكة حديثا سمعته من عبد الله بن مسعود يقول هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان ثم قرأ والجان خلقناه من قبل من نار ومنهم من يقول السموم بالليل والحرور بالنهار وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال دخلت على عمر الأعصم أعوده فقال ألا أحدثك وقوله والجان خلقناه من قبل أي من قبل الإنسان من نار السموم قال ابن عباس هي السموم التي تقتل وقال بعضهم السموم بالليل والنهار لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون كقوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله أرأيتك هذا الذي كرمتم علي الآية. 28 بالسجود له ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسدا وكفرا وعنادا واستكبارا وافتخارا بالباطل ولهذا قال لم أكن لأسجد يذكر تعالى تنبيهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له وتشريفه بإياه بأمر الملائكة

ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا سمعنا وأطعنا إلا إبليس كان من الكافرين الأولين وفي ثبوت هذا عنه بعد والظاهر أنه إسرائيلي والله أعلم. 29 خلق الله الملائكة قال إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين قالوا لا نفعل فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق وقد روى ابن جرير ههنا أثرا غريبا عجيبا من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما

تفسير ابن كثير

- إلى النار وقوله كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ولهذا قال ويلهم الأمل أي عن التوبة والإنابة فسوف يعلمون أي عاقبة أمرهم. 3
- وقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا تهديد شديد لهم ووعد أكد كقوله تعالى قل تمتعوا فإن مصيركم
- ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا سمعنا وأطعنا إلا إبليس كان من الكافرين الأولين وفي ثبوت هذا عنه بعد والظاهر أنه إسرائيلي والله أعلم. 30
- خلق الله الملائكة قال إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين قالوا لا نفعل فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق
- وقد روى ابن جرير ههنا أثرا غريبا عجيبا من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما
- ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا سمعنا وأطعنا إلا إبليس كان من الكافرين الأولين وفي ثبوت هذا عنه بعد والظاهر أنه إسرائيلي والله أعلم. 31
- خلق الله الملائكة قال إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين قالوا لا نفعل فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق
- وقد روى ابن جرير ههنا أثرا غريبا عجيبا من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما
- ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا سمعنا وأطعنا إلا إبليس كان من الكافرين الأولين وفي ثبوت هذا عنه بعد والظاهر أنه إسرائيلي والله أعلم. 32
- خلق الله الملائكة قال إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين قالوا لا نفعل فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق
- وقد روى ابن جرير ههنا أثرا غريبا عجيبا من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما
- بالخروج من المنزل التي كان فيها من الملائكة الأعلى وأنه رجيم أي مرجوم وأنه قد اتبعته لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة. 34
- يذكر تعالى أنه أمر إبليس أمرا كونيا لا يخالف ولا يمانع
- بالخروج من المنزل التي كان فيها من الملائكة الأعلى وأنه رجيم أي مرجوم وأنه قد اتبعته لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة. 35
- يذكر تعالى أنه أمر إبليس أمرا كونيا لا يخالف ولا يمانع
- يوم القيامة منها. رواه ابن أبي حاتم وأنه لما تحقق الغضب الذي لا مرد له سأل من تمام حسده لآدم وذريته النظرة إلى يوم القيامة وهو يوم البعث. 36
- وعن سعيد بن جبير أنه قال: لما لعن الله إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة في الدنيا إلى
- وأنه أجيب إلى ذلك استدراجا له وإمهالا. 37
- فلما تحقق النظرة قبحه الله. 38
- في الأرض أي أحب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها وأزهم إليها وأزعجهم إزعاجا ولأغويهم أجمعين أي كما أغويتني وقدرت على ذلك. 39
- أنه قال للرب بما أغويتني قال بعضهم أقسم بإغواء الله له قلت ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضلتني لأزينن لهم أي لذرية آدم عليه السلام
- يقول تعالى مخبرا عن إبليس وتمرده وعتوه
- يخبر تعالى أنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها. 4
- منهم المخلصين كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال الله تعالى له متهددا ومتوعدا. 40
- إلا عبادك
- بن عبادة ومحمد بن سيرين وقتادة هذا صراط علي مستقيم كقوله وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أي رفيع والمشهور القراءة الأولى. 41
- تعالى إن ربك لبالمرصاد وقيل طريق الحق مرجعها إلى الله تعالى وإليه تنتهي قاله مجاهد والحسن وقتادة كقوله وعلى الله قصد السبيل وقرأ قيس
- هذا صراط علي مستقيم أي مرجعكم كلكم إلي فأجازيكم بأعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر كقوله
- أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك قال عدو الله صدق بهذا تنجو مني فقال النبي أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم؟ قال آخذه عند الغضب والهوى. 42
- من الغاوين قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبي ويقول الله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم وإنني والله ما
- بل أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي إن الله تعالى يقول إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك
- الله أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فردده ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأي شيء تنجو مني فقال النبي
- شيء تنجو مني فقال النبي بل أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو
- إذ جاء عدو الله يعني إبليس حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فردده ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأي
- يكون لهم مساجد خارجة من قراهم فإذا أراد النبي أن يستنبي ربه عن شيء خرج إلى مسجده فصلى ما كتب الله ثم سأل ما بدا له فبينما نبي في مسجده
- اتبعت من الغاوين استثناء منقطع. وقد أورد ابن جرير ههنا من حديث عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن موهب حدثنا يزيد بن قسيط قال: كانت الأنبياء

تفسير ابن كثير

وقوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان أي الذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك إليهم إلا من

وقوله وإن جهنم لموعدهم أجمعين أي جهنم موعد جميع من اتبع إبليس كما قال عن القرآن ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده. 43

تأخذه النار إلى كعبه وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه منازلهم بأعمالهم فذلك قوله لكل باب منهم جزء مقسوم . 44
بن بشير عن قتادة عن أبي نضرة عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لكل باب منهم جزء مقسوم قال إن من أهل النار من
ثم قال لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عباس بن الوليد الخلال حدثنا زيد يعني ابن يحيى حدثنا سعيد
بن مغول عن حميد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي أو قال على أمة محمد
العرب وباب للمنافقين وباب لأهل التوحيد فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبدا. وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عثمان بن عمر عن مالك
عن الضحاك لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال باب لليهود وباب للنصارى وباب للصابئين وباب للمجوس وباب للذين أشركوا وهم كفار
نحوه وكذا روي عن الأعمش بنحوه أيضا وقال قتادة لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم هي والله منازل بأعمالهم رواه ابن جرير وقال جويبر
سبعة أبواب سبعة أطباق وقال ابن جريج سبعة أبواب أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية. وروي الضحاك عن ابن عباس
عن هبيرة بن أبي مريم عن علي رضي الله عنه قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلئ الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلئ كلها وقال عكرمة
عبد الله أنه قال سمعت علي بن أبي طالب وهو يخاطب قال: إن أبواب جهنم هكذا قال أبو هارون أطباقا بعضها فوق بعض وقال إسرائيل عن أبي إسحاق
عنه أجازنا الله منه وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في ذلك بقدر عمله قال إسماعيل ابن علية وشعبة كلاهما عن أبي هارون الغنوي عن حطان بن
ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم

لما ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أصل الجنة وأنهم في جنات وعيون. 45

وقوله ادخلوها بسلام أي سالمين من الآفات مسلم عليكم آمنين أي من كل خوف وفزع ولا تخشوا من إخراج ولا انقطاع ولا فناء. 46

عن زيد بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية إخوانا على سرر متقابلين في الله ينظر بعضهم إلى بعض. 47
مرفوع. قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبد الله ثنا حسان بن حسان ثنا إبراهيم بن بشر ثنا يحيى بن معين عن إبراهيم القومسي عن سعيد بن شرحبيل
وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين وقوله متقابلين قال مجاهد لا ينظر بعضهم في قفا بعض وفيه حديث
الثوري عن رجل عن أبي صالح في قوله إخوانا على سرر متقابلين قال هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف
تولهما يا كثير فما أدركك فهو في رقبتي هذه ثم تلا هذه الآية إخوانا على سرر متقابلين قال أبو بكر وعمر وعلي رضى الله عنهم أجمعين وقال
بن علي فقلت وليي وليكم وسلمي سلمكم وعدوي عدوكم وحربي حريكم أنا أسألك بالله أن تبرأ من أبي بكر وعمر فقال قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين
قال علي فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين وقال كثير النوى: دخلت على أبي جعفر محمد
سرر متقابلين وكذا روى الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بنحوه وقال سفيان بن عيينة عن إسرائيل عن أبي موسى سمع الحسن البصري يقول:
له فقال له أما أهل البلاء فتجفوهم فقال علي بفيك التراب إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على
يا أعور إذا لم تكن نحن؟ وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال: جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على علي رضي الله عنه فحجبه طويلا ثم أذن
وقال سعيد بن مسروق عن أبي طلحة وذكره وفيه فقال الحارث الأعور ذلك فقام إليه علي رضي الله عنه فضربه بشيء كان في يده في رأسه وقال فمن هم
فيه فقام رجل من همدان فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين قال فصاح به علي صيحة فظننت أن القصر قد تهدده لها ثم قال إذا لم تكن نحن فمن هم؟
إن لم أكن أنا وطلحة؟ وذكر أبو معاوية الحديث بطوله. وروى وكيع عن أبان بن عبد الله البجلي عن نعيم بن أبي هند عن ربعي بن خراش عن علي بنحوه وقال
قال ورجلان جالسان إلى ناحية البساط فقالا الله أعدل من ذلك تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانا فقال علي رضي الله عنه أبعد أرض وأسحقها فمن هم إذا
ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين
وحدثنا الحسن حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حبيبة مولى لطلحة قال: دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعد
ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين
الحسن بن محمد حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الأشجعي حدثنا أبو حبيبة مولى لطلحة قال: دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعد
قال أجل إني لأرجو أن أكون أنا عثمان ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين وقال ابن جرير أيضا حدثنا
علي رضي الله عنه وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له فلما دخل قال إني لأراك إنما حبستني لهذا؟ قال أجل قال إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني
هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا هشام عن محمد هو ابن سيرين قال استأذن الأشتر على
صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار يقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا
من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري. وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة حدثنا أبو المتوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري حدثهم أن رسول الله
في روايته عن أبي أمامة ضعيف وقد روى سعيد في تفسيره حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي أمامة قال: لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره

تفسير ابن كثير

حتى إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل ثم قرأ ونزعنا ما في صدورهم من غل هكذا في هذه الرواية والقاسم بن عبد الرحمن صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين روى القاسم عن أبي أمامة قال: يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن وقوله ونزعنا ما في

تعيشوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبدا . وقال الله تعالى خالدين فيها لا يبيغون عنها حولا . 48 قصب لا صخب فيه ولا نصب . وقوله وما هم منها بمخرجين كما جاء في الحديث يقال يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبدا وإن لكم أن وقوله لا يمسهم فيها نصب يعني المشقة والأذى كما جاء في الصحيحين إن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من

الرحيم قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ولو يعلم العبد قدر عذاب الله لبخع نفسه. 49 الله يقول لك لم تقتنط عبادي نبي عبادي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم وقال شعبة عن قتادة في قوله نبي عبادي أنا الغفور بنو شعبة فقال ألا أراكم تضحكون ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقري فقال إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن بن عبيد الله عن ابن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه الأليم. رواه ابن أبي حاتم وهو مرسل وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا إسحاق أخبرنا ابن المكي أخبرنا ابن المبارك أخبرنا مصعب بن ثابت حدثنا عاصم صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه يضحكون فقال اذكروا الجنة واذكروا النار فنزلت نبي عبادي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب ذكر نظير هذه الآية الكريمة وهي دالة على مقامي الرجاء والخوف وذكر في سبب نزولها ما رواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال مر رسول الله وقوله نبي عبادي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم أي أخبر يا محمد عبادي أنى ذو رحمة وذو عذاب أليم وقد تقدم عن ميقاتهم ولا يتقدمون عن مدتهم وهذا تنبيه لأهل مكة وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم عليه من الشرك والعناد والإلحاد الذي يستحقون به الهلاك. 5 وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم

أي أخبر يا محمد عبادي أنى ذو رحمة وذو عذاب أليم وقد تقدم ذكر نظير هذه الآية الكريمة وهي دالة على مقامي الرجاء والخوف. 50

يقول تعالى وأخبرهم يا محمد عن قصة ضيف إبراهيم والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسفر. 51

قال إنا منكم وجلون أي خائفون وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه إليهم من الضيافة وهو العجل السمين الحنيد. 52 وكيف دخلوا عليه فقالوا سلاما

قالوا لا توجل أي لا تخف وبشروه بغلام عليم أي إسحاق كما تقدم في سورة هود. 53

من كبره وكبر زوجته ومتحققا للوعد أبشروني على أن مسني الكبر فبم تبشرون فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقا وبشارة بعد بشارة. 54 ثم قال متعجبا

قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين وقرأ بعضهم القنطين. 55

فأجابهم بأنه ليس يقنط ولكن يرجو من الله الولد وإن كان قد كبر وأسنت امرأته فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك. 56

يقول تعالى إخبارا عن إبراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروح وجاءته البشري أنه شرع يسألهم عما جاءوا له. 57

فقالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعنون قوم لوط. 58

وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم. 59

وعنادهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر أي الذي تدعي ذلك إنك لمجنون أي في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا. 60 يخبر تعالى عن كفرهم

إلا امرأته فإنها من الهالكين ولهذا قالوا إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين أي الباقيين المهلكين. 60

يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره. 61

قال إنكم قوم منكرون. 62

قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعنون بعدابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحلوله بساحتهم. 63

وأيتيناك بالحق كقوله تعالى ما ننزل الملائكة إلا بالحق وقوله وإنا لصادقون تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به من نجاته وإهلاك قومه. 64

إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال وامضوا حيث تؤمرون كأنه كان معهم من يهديهم السبيل. 65 أحفظ لهم وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى في الغزو إنما يكون ساقية يزجي الضعيف ويحمل المنقطع وقوله ولا يلتفت منكم أحد أي يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمره أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون

تفسير ابن كثير

أي تقدمنا إليه في هذا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين أي وقت الصباح كقوله في الآية الأخرى إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقریب . 66
وقضينا إليه ذلك الأمر

يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم وأنهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين. 67

سورة هود وأما ههنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله وعطف ذكر مجيء قومه ومحاботه لهم ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ولا سيما إذا دل دليل على خلافه. 68
قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم بأنهم رسل الله كما قال في
وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم بأنهم رسل الله. 69

لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كبريا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا. 7
أي يشهدون لك بصحة ما جئت به كما قال فرعون فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال الذين لا يرجون لقاءنا
لوما أي هلا تأتينا بالملائكة

فقالوا له مجيبين أولم نهك عن العالمين أي أوما نهيناك أن تضيف أحدا؟. 70

أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله وما ذرا وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره. 71
لفي سكرتهم يعمهون أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض قال عمرو بن مالك البكري عن
هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قد أحاط بهم من البلاء وما يصحون من العذاب المنتظر ولهذا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم لعمرك إنهم
فأرشدهم إلى نساءهم وما خلق لهم ربهم منهم من الفروج المباحة وقد تقدم إيضاح القول في ذلك بما أغنى عن إعادته

أي في ضاللتهم يعمهون أي يلعبون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لعمرك لعيشك إنهم لفي سكرتهم يعمهون قال يترددون. 72
تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقائقك في الدنيا إنهم لفي سكرتهم يعمهون. رواه ابن جرير وقال قتادة في سكرتهم
قال الله

يقول تعالى فأخذتهم الصيحة وهي ما جاءهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء. 73

ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وأرسل حجارة السجيل عليهم وقد تقدم الكلام على السجيل في هود بما فيه كفاية. 74

سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو بشر يقال له ابن المزلق قال وكان ثقة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله عبادا يعرفون الناس بالتوسم . 75
ثابت عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم . ورواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا
ينظر بنور الله وبتوفيق الله . وقال أيضا حدثنا عبد الأعلى بن واصل حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا عبد الواحد بن واصل حدثنا أبو بشر المزلق عن
أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي حدثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا فراسة المؤمن فإنه
المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله . وقال ابن جرير حدثني أبو شرجيل الحمصي حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحي حدثنا
محمد الطوسي حدثنا الحسن بن محمد حدثنا الفرات بن السائب حدثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة
وابن جرير من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد وقال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال ابن جرير أيضا حدثني أحمد بن
الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم إن في ذلك لآيات للمتوسمين . رواه الترمذي
للمتأملين. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير العبدي عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعا قال: قال رسول
مجاهد في قوله للمتوسمين قال المتفرسين وعن ابن عباس والضحاك للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مالك عن بعض أهل المدينة للمتوسمين
وقوله إن في ذلك لآيات للمتوسمين أي أن آثار هذه النقم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته كما قال

بصقع من الأرض واحد وقال السدي بكتاب مبين يعني كقوله وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ولكن ليس المعنى على ما قال ههنا والله أعلم. 76
وبالليل أفلا تعقلون وإن يونس لمن المرسلين وقال مجاهد والضحاك وإنها لبسبيل مقيم قال معلم وقال قتادة بطريق واضح وقال قتادة أيضا
القلب الصوري والمعنوي والقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة بطريق مهيع مسالكة مستمرة إلى اليوم كقوله وإنكم لتمرون عليهم مصبحين
وقوله وإنها لبسبيل مقيم أي وإن قرية سدوم التي أصابها ما أصابها من

وقوله إن في ذلك لآية للمؤمنين أي إن الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وإنجائنا لوطا وأهله لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله. 77

الأيكة هم قوم شعيب قال الضحاك وقاتلة وغيرها الأيكة الشجر المتلف وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان. 78

أصحاب

أي طريق مبين قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره طريق ظاهر ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته إياهم وما قوم لوط منكم ببعيد. 79
منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعدهم في الزمان ومسامتين لهم في المكان ولهذا قال تعالى وإنهما لبإمام مبين

- الضمير في قوله تعالى له لحافظون على النبي صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق. 8
- وكذا قال في هذه الآية ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ومنهم من أعاد أصحاب الحجر هم ثمود الذين كذبوا صالحا نبيهم عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليم تكذيب المرسلين. 80
- فلما عتوا وعقروها قال لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى . 81
- ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء وكانت تسرج في بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم وذكر تعالى أنه آتاهم من الآيات
- فقتن رأسه وأسرع دابته وقال لأصحابه لا تدخلوا بيوت المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم. 82
- ولا احتياج إليها بل أشرا وبطرا وعبثا كما هو المشاهد من صنعهم في بيوتهم بوادي الحجر الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب إلى تبوك وذكر تعالى أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين أي من غير خوف
- وقوله فأخذتهم الصيحة مصحين أي وقت الصباح من اليوم الرابع. 83
- من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بمائها عن الناقة حتى عقروها لئلا تضيق عليهم في المياه فما دفعت عنهم تلك الأموال ولا نفعتهم لما جاء أمر ربك. 84
- فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي ما كانوا يستغلونه
- عنهم وقل سلام فسوف يعلمون وقال مجاهد وقتادة وغيرهما كان هذا قبل القتال وهو كما قالوا فإن هذه مكة والقتال إنما شرع بعد الهجرة. 85
- العرش الكريم ثم أخبر نبيه بقيام الساعة وأنها كائنة لا محالة ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين في أذاهم له وتكذيبهم ما جاءهم به كقوله فاصفح باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وقال تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب الأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية أي بالعدل ليجزي الذين أساءوا بما عملوا الآية وقال تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما يقول تعالى وما خلقنا السموات
- بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون . 86
- إقامة الساعة إنه الخلاق الذي لا يعجزه خلق شيء العليم بما تمزق من الأجساد وتفرق في سائر أقطار الأرض كقوله أوليس الذي خلق السموات والأرض وقوله إن ربك هو الخلاق العليم تقرير للمعاد وأنه تعالى قادر على
- أسس على التقوى فأشار إلى مسجده والآية نزلت في مسجد قباء فلا تنافي فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة والله أعلم. 87
- أحسن الحديث كتابا متشابها مثنائي فهو مثنائي من وجه ومتشابه من وجه وهو القرآن العظيم أيضا كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذي العظيم ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطول بذلك لما فيها من هذه الصفة كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضا كما قال تعالى الله نزل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم فهذا نص في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن فقال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته الثاني قال: حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا المقبري عن أبي هريرة آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ألا أعلمكم أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت صلى الله عليه وسلم وأنا أصلي فدعاني فلم آته حتى صليت فاتيته فقال ما منعك أن تأتيني؟ فقلت كنت أصلي فقال ألم يقل الله يا أيها الذين حديثين أحدهما قال: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال: مر بي النبي ابن جرير واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك وقد قدمناها في فضائل سورة الفاتحة في أول التفسير ولله الحمد. وقد أورد البخاري رحمه الله تعالى ههنا عمير وابن أبي ملكية وشهر بن حوشب والحسن البصري ومجاهد. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم فاتحة الكتاب وأنهم يثنون في كل ركعة مكتوبة أو تطوع واختاره ذلك عن علي وعمر وابن مسعود وابن عباس قال ابن عباس: والبسملة هي الآية السابعة وقد خصكم الله بها. وبه قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن عبيد بن مره وانه وبشر وأنذر واضرب الأمثال واعد النعم وأنبك بنبا القرآن. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والقول الثاني أنها الفاتحة وهي سبع آيات. وروي وقال مجاهد: هي السبع الطوال ويقال هي القرآن العظيم. وقال خصيف عن زياد بن أبي مريم في قوله تعالى سبعا من المثاني قال أعطيتك سبعة أجزاء جبير عن ابن عباس قال: أوتي النبي صلى الله عليه وسلم سبعاً من المثاني الطول وأوتي موسى عليه السلام ستاً فلما ألقى الألواح ارتفع اثنتان وبقيت أربع. الله عليه وسلم وأعطى موسى منهن اثنتين رواه هشيم عن الحجاج عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جببر عنه. وقال الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن قال: قال سفيان: المثاني البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة سورة واحدة قال ابن عباس: ولم يعطهن أحد إلا النبي صلى وقال سعيد بين فيهن الفرائض والحدود والقصص والأحكام وقال ابن عباس بين الأمثال والخبر والعبر وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر بن جببر والضحاك وغيرهم: هي السبع الطوال يعنون البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس نص عليه ابن عباس وسعيد بن جببر عليم حسرات حزنا عليهم في تكذيبهم لك ومخالفتهم دينك وقد اختلف في السبع المثاني ما هي فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد

تفسير ابن كثير

الله عليه وسلم كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه فلا تغبطهم بما هم فيه ولا تذهب نفسك يقول تعالى لنبيه صلى

جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أي ألن لهم جانبك كقول لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . 88 قال العوفي عن ابن عباس لا تمدن عينيك قال نهى الرجل أن يتمنى ما لصاحبه . وقال مجاهد إلى ما متعنا به أزواجاً منهم هم الأغنياء . واخض لأودين إليه فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا إلى آخر الآية كأنه يعزبه عن الدنيا . لا إلا برهن فأتيت النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فأخبرته فقال أما والله إنى لأؤمن من في السماء وأمين من في الأرض ولئن أسلفني أو باعني ضيف ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم شيء يصلحه فأرسل إلى رجل من اليهود يقول لك محمد رسول الله أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب قال وكيع بن الجراح حدثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال ضاف النبي صلى الله عليه وسلم يتغن بالقرآن إلى أنه يستغني به عما عداه وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم في أول التفسير . وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن أي استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية ومن ههنا ذهب ابن عبيدة إلى تفسير الحديث الصحيح ليس منا من لم وقوله لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم

النذارة نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسولها وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام . 89 يأمر تعالى نبيه أن يقول للناس إني أنا النذير المبين البين

الضمير في قوله تعالى له لحافظون على النبي صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق . 9 وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ومنهم من أعاد

منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق . 90 قومه فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبه طائفة الذين تقاسموا بالله لنبيته وأهله . وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى لا ينالهم الله برحمة فكانهم كانوا لا يكذبون بشيء من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المقتسمون أصحاب صالح ليلاً . قال مجاهد: تقاسموا وتحالفوا وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت أولم تكونوا أقسمتم من قبل الآية أهؤلاء الذين أقسمتم أي المتحالفين أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم كقوله تعالى إخباراً عن قوم صالح أنهم قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله الآية أي نقتلهم وقوله المقتسمين

من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر فتفرقوا عنه بذلك وأنزل الله فيهم الذين جعلوا القرآن عضين أصنافاً . 91 قال ما هو بمجنون قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر قالوا فماذا نقول؟ قال والله إن لقوله لحلاوة فما أنتم بقائلين قولكم بعضه بعضاً فقالوا وأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به قال: بل أنتم قولوا لأسمع قالوا: نقول كاهن قال ما هو بكاهن قالوا فنقول مجنون إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش الأولين وقال عطاء قال بعضهم ساحر وقالوا مجنون وقالوا كاهن فذلك العضين . وكذا روي عن الضحاك وغيره وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد قال السحر . وقال عكرمة: العضه السحر بلسان قريش يقول للساحرة إنها العاضة . وقال مجاهد: عضوه أعضاء قالوا سحر وقالوا كهانة وقالوا أساطير حاتم وروي عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك . وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس جعلوا القرآن عضين الله بن موسى عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال كما أنزلنا على المقتسمين قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارى . قال ابن أبي الله بن موسى عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزءه أجزاء فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه . حدثنا عبيد حدثنا هشيم أنبأنا أبو بشر سعيد بن جبير عن ابن عباس جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزءه أجزاء فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه . حدثنا عبيد وقوله الذين جعلوا القرآن عضين أي جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فأمنوا ببعض وكفروا ببعض قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم

الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول: ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبتم المرسلين؟ 92 فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون أولئك النفر الذين قالوا لرسول الله . وقال عبد الله هو ابن مسعود والذي لا إله غيره ما منكم من أحد إلا سيخلو

كانوا يعملون ثم قال فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان قال لا يسألهم هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم ذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا؟ 93 الطينة بإصبعه فلا أليفك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما حمزة الشيباني عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه وعن فتات وعن ماذا أجابوا المرسلين وقال ابن عبيدة عن عملك وعن مالك وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا يونس الحذاء عن أبي

تفسير ابن كثير

أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعملون الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول: ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبته المرسلين؟ وقال هلال عن عبد الله بن حكيم قال: ورواه الترمذي وغيره من حديث أنس مرفوع. وقال عبد الله هو ابن مسعود والذي لا إله غيره ما منكم من أحد إلا سيخلو لنسألنهم أجمعين قال: عن لا إله إلا الله ورواه ابن إدريس عن ليث عن بشير عن أنس موقوفًا وقال ابن جرير: حدثنا أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا شريك عن الموصلي ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن ليث بن أبي سليم عن بشير بن أبي نهيك عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فوربك أنبأنا الثوري عن ليث هو ابن أبي سليم عن مجاهد في قوله تعالى لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال: عن لا إله إلا الله. وقد روى الترمذي وأبو يعلى وقال عطية العوفي عن ابن عمر في قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون. قال عن لا إله إلا الله وقال عبد الرزاق

هو الحارث بن قيس وأمه غيطلة وكذا روي عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة وقال الشعبي: كانوا سبعة والمشهور الأول. 94 وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به عن يزيد عن عروة بطوله إلا أن سعيًا يقول الحارث ابن غيطلة وعكرمة يقول الحارث بن قيس قال الزهري وصدقا قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس قال: كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم وهكذا روي عن سعيد بن جبيرة قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته ومرو به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتخط قيحا فقتله برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم من نبلة بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتفض به فقتله ومرو به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ومرو به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجز إزاره وذلك أنه مر أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين إلى قوله فسوف يعلمون قال ابن إسحاق فحدث يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء بن الحارث بن عبد بن عمر بن ملكان. فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض بن عمرو بن مخزوم ومن بني سهم ابن عمر بن هيصم بن كعب بن لؤي العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ومن خزاعة الحارث بن الطلائع بن عمرو فقال اللهم أعم بصره وأكله ولده ومن بني زهرة الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله من بني أسد بن عبد العزى بن قصي الأسود بن المطلب أبي زمعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه الطعنة فماتوا. وقال محمد بن إسحاق: كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمزه بعضهم فجاء جبريل قال أحسبه قال فغمزه فوقع في أجسادهم كهينة بن محمد بن السكن حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم عن أنس قال: سمعت أنسًا يقول في هذه الآية إنا كفيناك المستهزئين منهم كقوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يحيى ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فخرج هو وأصحابه وقوله وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين أي بلغ قوله فاصدع بما تؤمر أي أمضه وفي رواية افعل ما تؤمر وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن في الصلاة. وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود: ما زال يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ ما بعثه به وبإنفاذه والصدع به وهو مواجهة المشركين به كما قال ابن عباس في

هو الحارث بن قيس وأمه غيطلة وكذا روي عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة وقال الشعبي: كانوا سبعة والمشهور الأول. 95 وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به عن يزيد عن عروة بطوله إلا أن سعيًا يقول الحارث ابن غيطلة وعكرمة يقول الحارث بن قيس قال الزهري وصدقا قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس قال: كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم وهكذا روي عن سعيد بن جبيرة قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته ومرو به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتخط قيحا فقتله برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم من نبلة بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتفض به فقتله ومرو به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ومرو به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجز إزاره وذلك أنه مر أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين إلى قوله فسوف يعلمون قال ابن إسحاق فحدث يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء بن الحارث بن عبد بن عمر بن ملكان. فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض بن عمرو بن مخزوم ومن بني سهم ابن عمر بن هيصم بن كعب بن لؤي العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ومن خزاعة الحارث ابن الطلائع بن عمرو فقال اللهم أعم بصره وأكله ولده ومن بني زهرة الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله من بني أسد بن عبد العزى بن قصي الأسود بن المطلب أبي زمعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه الطعنة فماتوا. وقال محمد بن إسحاق: كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمزه بعضهم فجاء جبريل قال أحسبه قال فغمزه فوقع في أجسادهم كهينة

تفسير ابن كثير

بن محمد بن السكن حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم عن أنس قال: سمعت أنسا يقول في هذه الآية إنا كفيناك المستهزيين منهم كقوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يحيى ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك وقوله وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزيين أي بلغ

وقوله الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع الله معبودا آخر. 96

النهار أكفك آخره ورواه أبو داود والنسائي من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى. 97 أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعيم بن عمار أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول ولهذا قال فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن فلا يهيدنك ذلك ولا يثنيك عن إبلاغك رسالة الله وتوكل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم فاشتغل بذكر الله وتحميدته وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين أي وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدر وانقباض وقوله

النهار أكفك آخره ورواه أبو داود والنسائي من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى. 98 أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعيم بن عمار أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول ولهذا قال فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن فلا يهيدنك ذلك ولا يثنيك عن إبلاغك رسالة الله وتوكل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم فاشتغل بذكر الله وتحميدته وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين أي وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدر وانقباض وقوله

وعليه الاستعانة والتوكل وهو المسئول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها فإنه جواد كريم. آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله رب العالمين. 99 هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة وإنما المراد باليقين ههنا الموت كما قدمناه ولله الحمد والمنة والحمد لله على الهداية التكليف عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فإن الأنبياء كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه ثابتا فيصلي بحسب حاله كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صل قائما فإن لم تستطع لأرجو له الخير ويستدل بهذه الآية الكريمة وهى قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك أن الله أكرمك؟ فقلت بأبي وأمي يا رسول الله فمن؟ فقال أما هو فقد جاءه اليقين وإنى امرأة من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على عثمان بن مظعون وقد مات قالت أم العلاء رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين وفي الصحيح من حديث الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره والدليل على ذلك قوله تعالى إخبارا عن أهل النار أنهم قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثنا طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت وهكذا قال وقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال البخاري قال سالم الموت وسالم هذا هو عبد الله بن عمر كما قال ابن جرير: حدثنا

سورة 16

به غيره وعبادتهم معه ما سواه من الأوثان والأنداد تعالى وتقدس علوا كبيرا وهؤلاء هم المكذبون بالساعة فقال سبحانه وتعالى عما يشركون. 1 أبدا وإن الرجل ليهدى لحوضه فما يسقي فيه شيئا أبدا وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشربه أبدا قال ويشغل الناس ثم إنه تعالى نزه نفسه عن شركهم نعم ثم ينادي الثالثة أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه الناس بعضهم على بعض هل سمعتم؟ فمنهم من يقول نعم ومنهم من يشك ثم ينادي الثانية يا أيها الناس فيقول الناس بعضهم لبعض: هل سمعتم؟ فيقولون الله صلى الله عليه وآله وسلم تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس فما تزال ترتفع في السماء ثم ينادي مناد فيها: أيها الناس فيقبل بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن محمد بن عبد الله مولى المغيرة بن شعبة عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن حجير عن عقبة بن عامر قال: قال رسول بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد. وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن يحيى جرير فقال: لا نعلم أحدا استعجل بالفرائض وبالشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه قبل كونه استبعادا وتكذبا قلت كما قال تعالى يستعجل وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب فقال في قوله أتى أمر الله أي فرائضه وحدوده وقد رده ابن

تفسير ابن كثير

على العذاب وكلاهما متلازم كما قال تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وقال اقتربت الساعة وانشق القمر وقوله فلا تستعجلوه أي قرب ما تباعد فلا تستعجلوه يحتمل أن يعود الضمير على الله ويحتمل أن يعود يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبرا بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة كقوله اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون قوله فيه تسيمون أي ترعون ومنه الإبل السائمة والسوم: الرعي وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن السوم قبل طلوع الشمس. 10 ولم يجعله ملحا أجاجا ومنه شجر فيه تسيمون أي وأخرج لكم منه شجرا ترعون فيه أنعامكم. وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد في في ذكر نعمته عليهم في إنزال المطر من السماء وهو العلو مما لهم فيه بلغة ومتاع لهم ولأنعامهم فقال لكم منه شراب أي جعله عذبا زلالا يسوغ لكم شرابه لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الأنعام والدواب شرع

عبادة الله ويحتمل أن تكون الباء سببية أي صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى وقال آخرون معناه أنه شركهم في الأموال والأولاد. 100 إنما سلطانه على الذين يتولونه قال مجاهد يطيعونه وقال آخرون اتخذه وليا من دون الله وهم به مشركون أي أشركوا في ما يشاء ويحكم ما يريد وقال مجاهد بدلنا آية مكان آية أي رفعناها وأثبتنا غيرها وقال قتادة هو كقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية. 101 الشقاوة وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت مفتر أي كذاب وإنما هو الرب تعالى يفعل يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم وإنه لا يتصور منهم الإيمان وقد كتب عليهم الذين آمنوا فيصدقوا بما أنزل أولا وثانيا وتخبت له قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين أي وجعله هاديا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله. 102 فقال تعالى مجيبا لهم قل نزله روح القدس أي جبريل من ربك بالحق أي بالصدق والعدل ليثبت

الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتد بعد ذلك عن الإسلام وافترى هذه المقالة قبحه الله. 103 بلسانها فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيقوم فيسمع منهما فقال المشركون يتعلم منهما فأنزل الله هذه الآية وقال الزهري عن سعيد بن المسيب: مزاحم هو سلمان الفارسي وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسلمان إنما أسلم بالمدينة وقال عبيد الله بن مسلم كان لنا غلامان روميان يقرآن كتابا لهما فقالوا إنما يعلمه بلعام فأنزل الله هذه الآية ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وقال الضحاك بن الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة وكان اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا أبو عامر حدثنا إبراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائي عن مجاهد عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وكذا قال عبد الله بن كثير وعن عكرمة وقتادة كان اسمه يعيش. وقال ابن جرير الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى سبيعة غلام نصراني يقال له جبر عبد لبعض بني الحضرمي فأنزل الله ولقد نعلم أنهم يقولون نزل على بني إسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل. قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بلعام فأنزل الله هذه الآية ولقد نعلم أنهم يقولون وهذا لسان عربي مبين أي القرآن أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه فلماذا قال الله تعالى رادا عليهم في افتراءهم ذلك لسان الذي يلحدون إليه أعجمي بطون قريش وكان بياعا يبيع عند الصفا وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت أن محمدا إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض يقول تعالى مخبرا عن المشركين ما

الإيمان بما جاء من عند الله فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسوله في الدنيا ولهم عذاب أليم موجه في الآخرة. 104 يخبر تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له قصد إلى فيما قال له: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال لا فقال هرقل: فهل كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل. 105 بحيث لا يدعى بينهم إلا بالأمين محمد ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس والرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علما وعملا وإيمانا وإيقانا معروفا بالصدق في قومه لا يشك في ذلك أحد منهم لأنه إنما يفترى الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم شرار الخلق الذين لا يؤمنون بآيات الله من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند ثم أخبر تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم ليس بمفتر ولا كذاب

عنده فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدا فقام فقبل رأسه رضي الله عنهما. 106 لأشمتك بي فقال له الملك فقبل رأسي وأنا أطلقك فقال وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال نعم فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياما ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ثم استدعاه فقال ما منعك أن تأكل؟ فقال أما إنه قد حل لي ولكن لم أكن إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله. وفي بعض الروايات وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقى فيها ففرغ في البكرة ليلقى فيها فبكى فطمع فيه ودعاه فقال إني إنما بكيت لأن نفسي

تفسير ابن كثير

من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ثم أمر به فأنزل ثم أمر بقدر وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت فقال إذا أقتلك فقال أنت وذاك قال فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريبا أحد الصحابة أنه أسرته الروم فجاءوا به إلى ملكهم فقال له تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي فقال له لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه في الصحيحين بلفظ آخر. والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قتله كما ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن حذافة السهمي فقال والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه فضربت عنقه فقال قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه أو قال من بدل دينه فاقتلوه. وهذه القصة قدم على أبي موسى معاذ بن جبل باليمن فإذا رجل عنده قال ما هذا؟ قال رجل كان يهوديا فأسلم ثم تهود ونحن نريده على الإسلام منذ قال أحسبه شهرين ذلك عليا فقال ويح أم ابن عباس. رواه البخاري. وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا عبدالرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن حميد بن هلال العدوي عن أبي بردة قال: بالنار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تعذبوا بعذاب الله وكنت أقاتلهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه فبلغ ذلك. وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن عليا رضي الله عنه حرق ناسا ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال لم أكن لأحرقهم لما قال له مسيلمة الكذاب أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فيقول نعم فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول لا أسمع فلم يزل يقطعه إربا إربا وهو ثابت على بالشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول: أحد أحد ويقول: والله لو أعلم كلمة هي أغيط لكم منها لقلتها. رضي الله عنه وأرضاه. وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري له أن يأبى كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل حتى أنهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه إن عادوا فعد وفي ذلك أنزل الله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولهذا اتفق العلماء على أن المكروه على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته ويجوز فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير قال كيف تجد قلبك؟ قال مطمئنا بالإيمان فقال مطمئنا بالإيمان قال النبي صلى الله عليه وسلم إن عادوا فعد. ورواه البيهقي بأبسط من ذلك وفيه أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك؟ قال وأبو مالك وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبدالكريم الجزري عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال أخذ المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وهكذا قال الشعبي وقتادة ضرب وأذى وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله. وقد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون وأن لهم عذابا عظيما في الدار الآخرة وأما قوله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من أخبر تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق. 107

فطبع على قلوبهم فهم لا يعقلون بها شيئا ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ولا أغنت عنهم شيئا فهم غافلون عما يراد بهم. 108

لا جرم أي لا بد ولا عجب أن من هذه صفته أنهم في الآخرة هم الخاسرون أي الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. 109

أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حقائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أله مع الله بل هم قوم يعدلون. 11

على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها ولهذا قال إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون أي دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى وقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات أي يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد

سلك المؤمنين وجاهدوا معهم الكافرين وصبروا فأخبر تعالى أنه من بعدها أي تلك الفعلة وهي الإجابة إلى الفتنة لغفور لهم رحيم بهم يوم معادهم. 110

بمكة مهانين في قومهم فوافقوهم على الفتنة ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه وانتظموا في هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين

ولا زوجة وتوفي كل نفس ما عملت أي من خير وشر وهم لا يظلمون أي لا ينقص من ثواب الخير ولا يزداد على ثواب الشر ولا يظلمون نقيرا. 111

يوم تأتي كل نفس تجادل أي تحتاج عن نفسها ليس أحد يحاج عنها لا أب ولا ابن ولا أخ

وقوله والخوف وذلك أنهم بدلوا بأمنهم خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة من سطوته وسراياه وجيوشه. 112

صلى الله عليه وسلم وأبوا إلا خلافه فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابته سنة أذهبت كل شيء لهم فأكلوا العلهز وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه لباس الجوع والخوف أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء ويأتيها رزقها رغدا من كل مكان وذلك أنهم استعصوا على رسول الله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبس القرار ولهذا بدلهم الله بحالهم الأولين خلافهما فقال فأذاقها الله رزقها رغدا أي هنيئا سهلا من كل مكان فكفرت بأنعم الله أي جحدت آلاء الله عليها وأعظمها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إليهم كما قال تعالى كما قال تعالى وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا وهكذا قال ههنا يأتيها هذا مثل أريد به أهل مكة فإنها كانت أمنة مطمئنة مستقره يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمنا لا يخاف

آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله قال ابن شريح وأخبرني عبيد الله بن المغيرة عمن حدثه أنه كان يقول إنها المدينة. 113

تفسير ابن كثير

رأت راكبين فأرسلت إليهما تسألهما فقالا قتل. فقالت حفصة والذي نفسي بيده إنها القرية تعني المدينة التي قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت سليم بن نمير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان رضي الله عنه محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل؟ حتى البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عبدالرحمن بن شريح أن عبدالكريم بن الحارث الحضرمي حدثه أنه سمع مشرح بن هاعان يقول سمعت قاله العوفي عن ابن عباس وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وحكاها مالك عن الزهري رحمهم الله وقال ابن جرير حدثني ابن عبدالرحيم المؤمنين من بعد خوفهم أمنا ورزقهم بعد العيلة وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأنتمهم. وهذا الذي قلناه من أن هذا المثل ضرب لأهل مكة آياتنا وبزيككم ويعلمكم الكتاب والحكمة إلى قوله ولا تكفرون وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم فخافوا بعد الأمن وجاعوا بعد الرغد فبدل الله أنفسهم الآية. وقوله تعالى فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا الآية وقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم ويغيهم وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله فيهم منهم وامتن به عليهم في قوله لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من وجعل كل ما لهم في دمار وسفال حتى فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بسبب صنيعهم

يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب وبشكره على ذلك فإنه المنعم المتفضل به ابتداء الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له. 114 أي احتاج من غير بغي ولا عدوان فإن الله غفور رحيم وقد تقدم الكلام على مثل هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية عن إعادته ولله الحمد. 115 عليهم مما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أي ذبح على غير اسم الله ومع هذا فمن اضطر إليه ثم ذكر تعالى ما حرمه

مصدرية أي ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم ثم توعده على ذلك فقال إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي في الدنيا ولا في الآخرة. 116 في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي أو حلل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه وما في قوله لما تصف والحام وغير ذلك مما كان شرعا لهم ابتدعوه في جاهليتهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ويدخل ثم نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرّموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بأراءهم من البحيرة والسائبة والوصيلة عذاب غليظ وقال إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون. 117 أما في الدنيا فمتاع قليل وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم كما قال نمتهم قليلا ثم نضطرهم إلى

ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي فاستحقوا ذلك كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا. 118 ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما إلى قوله لصادقون ولهذا قال ههنا وما ظلمناهم أي فيما ضيقنا عليهم الأصار والتضييق والأغلال والحرّج فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل أي في سورة الأنعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل لهذه الأمة التي يريد الله بها اليسرى ولا يريد بها العسرى ذكر سبحانه وتعالى ما كان حرمه على اليهود في شريعتهم قبل أن ينسخها وما كانوا فيه من لما ذكر تعالى أنه حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وإنما أخص فيه عند الضرورة وفي ذلك توسعة

من بعد ذلك وأصلحوا أي أفلحوا عما كانوا فيه من المعاصي وأقبلوا على فعل الطاعات إن ربك من بعدها أي تلك الفعلة والزلة لغفور رحيم. 119 حق العصاة المؤمنين أن من تاب منهم إليه تاب عليه فقال ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل ثم تابوا ثم أخبر تعالى تكربا وامتنانا في

العالمين ولهذا قال إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي لدلالات على قدرته تعالى الباهرة وسلطانه العظيم لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه. 12 والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب تعالى فيه يسير بحركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسهيله كقوله إن ربكم الله الذي خلق السموات والشمس والقمر يدوران والنجوم الثوابت والسيارات في أرجاء السموات نورا وضياء ليهتدى بها في الظلمات وكل منها يسير في فلكه الذي جعله الله ينبه تعالى عباده على آياته العظام ومنته الجسم في تسخير الليل والنهار يتعاقبان

وحده والقانت المطيع وقال مجاهد أيضا كان إبراهيم أمة أي مؤمنا وحده والناس كلهم إذ ذاك كفار وقال قتادة كان إمام هدى والقانت المطيع لله. 120 فقال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكذلك كان معاذ. وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود أخرجه ابن جرير وقال مجاهد أمة أي أمة معاذ كان أمة قانتا لله حنيفا فقلت في نفسي غلط أبو عبدالرحمن وقال إنما قال الله إن إبراهيم كان أمة فقال تدري ما الأمة وما القانت؟ قلت الله أعلم. لم نسألك؟ فكان ابن مسعود رق له فقال أخبرني عن الأمة فقال الذي يعلم الناس الخير وقال الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود إن ورسوله وعن مالك قال: قال ابن عمر: الأمة الذي يعلم الناس دينهم وقال الأعمش عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين أنه جاء إلى عبدالله فقال من نسأل إذا سفیان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطيين عن أبي العبيدين أنه سأل عبدالله بن مسعود عن الأمة القانت فقال الأمة معلم الخير والقانت المطيع لله فأما الأمة فهو الإمام الذي يقتدى به والقانت هو الخاشع المطيع والحنيف المنحرف قصدا عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال ولم يك من المشركين قال تعالى عبده ورسوله وخليفه إبراهيم إمام الحنفاء ووالد الأنبياء ويبرئه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا

كقوله ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال وهده إلى صراط مستقيم وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي. 121 شاكرًا لأنعمه أي قائمًا بشكر نعم الله عليه كقوله تعالى وإبراهيم الذي وفي أي قام بجميع ما أمره الله تعالى به وقوله اجتبا أي اختاره واصطفاه

وقوله

ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة وإنه في الآخرة لمن الصالحين. وقال مجاهد في قوله وآتيناه في الدنيا حسنة أي لسان صدق. 122 وقوله وآتيناه في الدنيا حسنة أي جمعنا له خير الدنيا من جميع

حنيفًا وما كان من المشركين كقوله في الأنعام قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين. 123 أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا أي ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء أن اتبع ملة إبراهيم وقوله ثم

الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة والمقضي بينهم قبل الخلق رواه مسلم. 124 الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد لفظ البخاري. وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض إلى يوم الأحد مخالفة لليهود وتحولوا إلى الصلاة شرقًا عن الصخرة والله أعلم. وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي إنه لم يترك شريعة التوراة إلا ما نسخ من بعض أحكامها وإنه لم يزل محافظًا على السبت حتى رفع وإن النصارى بعده في زمن قسطنطين هم الذين تحولوا الذين اختلفوا فيه قال مجاهد اتبعوه وتركوا الجمعة ثم إنهم لم يزالوا متمسكين به حتى بعث الله عيسى ابن مريم فيقال إنه حولهم إلى يوم الأحد ويقال به وأن يحافظوا عليه مع أمره إياهم بمتابعة محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعثه وأخذ موافقهم وعهودهم على ذلك ولهذا قال تعالى إنما جعل السبت على السبت لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئًا من المخلوقات الذي كمل خلقها يوم الجمعة فألزمهم تعالى به في شريعة التوراة ووصاهم أن يتمسكوا الذي أكمل الله فيه الخليفة واجتمعت فيه وتمت النعمة على عباده ويقال إن الله تعالى شرع ذلك لبني إسرائيل على لسان موسى فعدلوا عنه واختاروا لا شك أن الله تعالى شرع في كل ملة يومًا من الأسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة لأنه اليوم السادس

فإنه ليس عليك هداهم إنما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب إنك لا تهدي من أحببت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء. 125 أعلم بمن ضل عن سبيله الآية. أي قدم علم الشقي منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله فقلوا له قولنا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقوله إن ربك هو مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم الآية فأمره والموعظة الحسنة أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى وقوله وجادلهم بالتي هي أحسن أي من احتاج منهم إلى يقول تعالى أمرا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة. قال ابن جرير وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة

ثم قال فمن تصدق به فهو كفارة له وقال في هذه الآية وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ثم قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. 126 مشروعية العدل والندب إلى الفضل كما في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم قال فمن عفا وأصلح فأجره على الله الآية. وقال والجروح قصاص بمثل ما عوقبتهم به إلى آخر السورة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصبر ولا نعاقب وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن فإنها مشتملة على اليوم فنأدي مناد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آمن الأسود والأبيض إلا فلانا وفلانا ناسا سماهم فأنزل الله تبارك وتعالى وإن عاقبتهم فعاقبوا ستة فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لنمثلن بهم. فلما كان يوم الفتح قال رجل لا تعرف قريش بعد الفضل بن موسى حدثنا عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالقة عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد قتل من الأنصار ستون رجلا ومن المهاجرين قول المسلمين يوم أحد فيمن مثل بهم لنمثلن بهم فأنزل الله فيهم ذلك وقال عبدالله بن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثنا هبة بن عبد الوهاب المروزي حدثنا وأمسك عن ذلك وهذا إسناد فيه ضعف لأن صالحا هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة وقال البخاري هو منكر الحديث وقال الشعبي وابن جريج نزلت في محمد صلى الله عليه وسلم بهذه السورة وقرأ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به إلى آخر الآية فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عن يمينه عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع أو كلمة نحوها أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كمثلتك فنزل جبريل عليه السلام على منظر أوجع للقلب منه أو قال لقلبه فنظر إليه وقد مثل به فقال رحمة الله عليك إن كنت ما علمتك إلا وصولا للرحم فعولا للخيرات والله لولا حزن من بعدك عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه حين استشهد فنظر إلى منظر لم ينظر إلى روي هذا من وجه آخر متصل فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا صالح المري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله إن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به إلى آخر السورة وهذا مرسل وفيه رجل مبهم لم يسم وقد

تفسير ابن كثير

به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلا منهم فلما سمع المسلمون ذلك قالوا والله لنن أظهرنا عليهم لنمثلن أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل حمزة رضي الله عنه ومثل فأسلم رجال ذوو منعة فقالوا يا رسول الله لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد. وقال محمد بن إسحاق عن بعض أخذ منكم رجل شيئا فخذوا مثله وكذا قال مجاهد وإبراهيم والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير. وقال ابن زيد كانوا قد أمروا بالصفا عن المشركين في القصص والمماثلة في استيفاء الحق كما قال عبد الرزاق عن الثوري عن خالد عن ابن سيرين أنه قال في قوله تعالى فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به إن يأمر تعالى بالعدل

في ضيق أي غم مما يمكرون أي مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإيصال الشر إليك فإن الله كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم. 127 للأمر بالصبر وإخبار بأن ذلك لا ينال إلا بمشيئة الله وإعانتة وحوله وقوته ثم قال تعالى ولا تحزن عليهم أي على من خالفك فإن الله قدر ذلك ولا تك وقوله تعالى واصبر وما صبرك إلا بالله تأكيد

من الذين آمنوا والذين اتقوا والذين هم محسنون. آخر تفسير سورة النحل ولله الحمد والمنة وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. 128 أعدائهم ومخالفهم وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حاتم ثنا أبو أحمد الزبير ثنا مسعر عن ابن عون عن محمد بن حاطب قال كان عثمان رضي الله عنه الآية ومعنى الذين اتقوا أي تركوا المحرمات الذين هم محسنون أي فعلوا الطاعات فهؤلاء الله يحفظهم ويكلوهم وينصرهم ويؤيدهم ويظفرهم على ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا وكما قال تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا والله بما تعملون بصير وكقوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم النبي صلى الله عليه وسلم للصديق وهما في الغار لا تحزن إن الله معنا وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم كقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم وسعيه وهذه معية خاصة كقوله إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقوله لموسى وهارون لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى وقول وقوله إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه

والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها وما فيها من المنافع والخواص إن في ذلك لآية لقوم يذكرون أي آلاء الله ونعمه فيشكرونها. 13 ذرا لكم في الأرض مختلفا ألوانه لما نبه تعالى على معالم السموات نبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن وقوله وما

نعلم من رواه عن سهل غير عبدالرحمن بن عبدالله بن عمرو وهو منكر الحديث وقد رواه سهل عن النعمان بن أبي عياش عن عبدالله بن عمرو موقوفا. 14 الشرقي فقال: إني حامل فيك عبادا من عبادي فما أنت صانع بهم؟ فقال: أحملهم على يدي وأكون لهم كالوالدة لولدها فأثابه الحلية والصيد ثم قال البزار لا الغربي إني حامل فيك عبادا من عبادي فكيف أنت صانع فيهم؟ قال أغرقهم فقال بأسك في نواحيك وأحملهم على يدي وحرمت الحلية والصيد وكلم البحر البغدادي حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله بن عمرو عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كلم الله البحر الغربي وكلم البحر الشرقي فقال للبحر ولهذا قال تعالى ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون أي نعمه وإحسانه. وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية ثم أخذها الناس عنه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل يسبون من قطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم لجلب ما هناك إلى هنا وما هنا إلى هناك بجؤجئها وهو صدرها المسنم الذي أرشد العباد إلى صنعتها وهداهم إلى ذلك إرتا عن أبيهم نوح عليه السلام فإنه أول من ركب السفن وله كان تعليم صنعتها وتسهيلا للعباد استخراجهم من قراره حلية يلبسونها وتسخيره البحر لحمل السفن التي تمخره أي تشقه وقيل تمخر الرياح وكلاهما صحيح وقيل تمخره لهم وتيسيرهم للركوب فيه وجعله السمك والحيتان فيه وإحلاله لعباده لحمها حيها وميتها في الحل والإحرام وما يخلقه فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة يخبر تعالى عن تسخير البحر المتلاطم الأمواج ويمتن على عباده بتذليله

أي طرقا يسلك فيها من بلاد إلى بلاد حتى أنه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممرا ومسلكا كما قال تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا الآية. 15 تجري حيناً وتنقطع في وقت وما بين نبع وجميع وقوي السير وبطنه بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسر فلا إله إلا هو ولا رب سواه. وكذلك جعل فيها سبلا والقفار ويخترق الجبال والأكام فيصل إلى البلد الذي سخر لأهله وهي سائرة في الأرض يمينة ويسرة وجنوبا وشمالا وشرقا وغربا ما بين صغار وكبار وأودية وقوله وأنهارا وسبلا أي جعل فيها أنهارا تجري من مكان إلى مكان آخر رزقا للعباد ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر فيقطع البقاع والبراري وقالت أي رب تجعل علي بني آدم يعملون الخطايا ويجعلون علي الخبث؟ قال فأرسي الله فيها من الجبال ما ترون وما لا ترون فكان إقرارها باللحم يترجرج. المتن حدثني حجاج بن منهال حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبدالله بن حبيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما خلق الله الأرض فمضت عن قيس بن عبادة أن الله لما خلق الأرض جعلت تمر فقلت الملائكة: ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحت صبحا وفيها رواسيها. وقال ابن جرير: حدثني الأرض كانت تميد فقالوا ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقال سعيد عن قتادة عن الحسن بما عليها من الحيوانات فلا يهنا لهم عيش بسبب ذلك ولهذا قال والجبال أرساها وقال عبدالرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة سمعت الحسن يقول: لما خلقت ثم ذكر تعالى الأرض وما ألقى فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تميد أي تضطرب

تفسير ابن كثير

- وقوله وبالنجم هم يهتدون أي في ظلام الليل قاله ابن عباس. وعن مالك في قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون يقول النجوم وهي الجبال. 16
- وقوله وعلامات أي دلائل من جبال كبار وأكام صغار ونحو ذلك يستدل بها المسافرون برا وبحرا إذا ضلوا الطرق.
- عظمته وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان التي لا تخلق شيئا بل هم يخلقون ولهذا قال أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون. 17
- ثم نبه تعالى على
- يقول إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك إذا تبتم وأنبتتم إلى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم لا يعذبكم بعد الإنابة والتوبة. 18
- عن القيام بذلك ولو أمركم به لضعفتم وتركتكم ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكنه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازي على اليسير وقال ابن جرير: ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم فقال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم أي يتجاوز عنكم ولو طالبكم بشكر نعمه لعجزتم
- يخبر تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 19
- منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقوله أن أنذروا أي لينذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقوا أي فاتقوا عقوبتي لمن خالف أمري وعبد غيري. 20
- وقال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقال يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وقوله على من يشاء من عباده وهم الأنبياء كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته
- يقول تعالى ينزل الملائكة بالروح أي الوحي كقوله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب
- ثم أخبر أن الأصنام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون كما قال الخليل أتعبدون ما تحتون والله خلقكم وما تعملون. 20
- يبعثون أي لا يدرون متى تكون الساعة فكيف يرتجى عند هذه نفع أو ثواب أو جزاء؟ إنما يرجى ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء. 21
- وقوله أموات غير أحياء أي هي جمادات لا أرواح فيها فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما يشعرون أيا
- وقوله وهم مستكبرون أي عن عبادة الله مع إنكار قلوبهم لتوحيده كما قال إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. 22
- الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وقال تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون
- يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد وأخبر أن الكافرين تنكر قلوبهم ذلك كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك أجعل
- ولهذا قال ههنا لا جرم أي حقا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون أي وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء إنه لا يحب المستكبرين. 23
- كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر أي ينقل ويحكي فتفارقوا عن قوله ورأيه قبهم الله. 24
- وكانوا يقولون ساحر وشاعر وكاهن ومجنون ثم استقر أمرهم إلى ما اختلقه لهم شيخهم الوحيد المسمى بالوليد بن المغيرة المخزومي لما فكر وقدر فقتل
- أقوالا متضادة مختلفة كلها باطلة كما قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وذلك أن كل من خرج عن الحق فهمما قال أخطأ أساطير الأولين أي مأخوذ من كتب المتقدمين كما قال تعالى وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا أي يفترون على الرسول ويقولون
- يقول تعالى وإذا قيل لهؤلاء المكذبين ماذا أنزل ربكم قالوا معرضين عن الجواب أساطير الأولين أي لم ينزل شيئا إنما هذا الذي يتلى علينا
- أنها كقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقال مجاهد: يحملون أثقالهم ذنوبهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف عن أطاعهم من العذاب شيئا. 25
- يوم القيامة عما كانوا يفترون وهكذا روى العوفي عن ابن عباس في الآية ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا وقال تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن
- أنفسهم وخطيئة إغوائهم لغيرهم واقتداء أولئك بهم كما جاء في الحديث من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم الذين يضلونهم بغير علم أي إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك ليتحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم أي يصير عليهم خطيئة ضلالهم في
- قال الله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار
- الأبصار وقال الله ههنا فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم. 26
- نارا للحرب أطفالها الله وقوله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي
- والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا الآية وقوله فأتى الله بنيانهم من القواعد أي اجتثه من أصله وأبطل عملهم كقوله تعالى كلما أوقدوا
- عليه السلام ومكروا مكرا كبيرا أي احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة بل مكر الليل
- إبراهيم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وقال آخرون هذا من باب المثل لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره كما قال نوح
- الصرح إلى السماء الذي قال الله تعالى فأتى الله بنيانهم من القواعد وقال آخرون بل هو بختنصر وذكرنا من المكر الذي حكاه الله ههنا كما قال في سورة
- سنة يضرب رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه ثم أماته وهو الذي بنى
- عن مجاهد نحوه وقال عبدالرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أول جبار كان في الأرض النمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكت أربعمائة
- قال العوفي عن ابن عباس في قوله قد مكر الذين من قبلهم قال هو النمرود الذي بني الصرح قال ابن أبي حاتم وروى

تفسير ابن كثير

- والآخرة فيقولون حينئذ إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين أي الفضيحة والعذاب محيط اليوم بمن كفر بالله وأشرك به ما لا يضره وما لا ينفعه. 27 عليهم الدلالة وحقت عليهم الكلمة وسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار قال الذين أوتوا العلم وهم السادة في الدنيا والآخرة والمخبرون عن الحق في الدنيا وتعادون في سبيلهم أين هم عن نصركم وخلصكم ههنا؟ هل ينصرونكم أو ينتصرونكم فما له من قوة ولا ناصر فإذا توجهت عليهم الحجة وقامت يسرونه من المكر ويخزيهم الله على رؤوس الخلائق ويقول لهم الرب تبارك وتعالى مقرعا لهم وموبخا أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم تحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته فيقال هذه غدره فلان بن فلان وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يظهر فضائحهم وما كانت تجنه ضمائرهم فجعله علانية كقوله تعالى يوم تبلى السرائر أي تظهر وتشتهر كما في الصحيحين عن ابن عمر قال: قال كما يحلفون لكم قال الله مكذبا لهم في قيلهم ذلك بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلينبس مثنوى المتكبرين. 28 أي أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين ما كنا نعمل من سوء كما يقولون يوم المعاد والله ربنا ما كنا مشركين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمني أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم الخبيثة فآلقوا السلم عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. 29 من يوم مماتهم بأرواحهم وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم لا يقضى أي ينس المقيل والمقام والمكان من دار هوان لمن كان متكبرا عن آيات الله واتباع رسله وهم يدخلون جهنم الذين أحسنوا بالحسنى ثم نزه نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له فلماذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له. 30 تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت وأن ذلك مخلوق بالحق لا للعبث بل ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي يخبر تعالى والآخرة خير وأبقى وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم وللآخرة خير لك من الأولى ثم وصف الدار الآخرة فقال ولنعم دار المتقين. 30 الحياة الدنيا والجزاء فيها أتم من الجزاء في الدنيا كقوله وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير الآية وقال تعالى وما عند الله خير للأبرار وقال طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون أي من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه عمله في الدنيا والآخرة ثم أخبر بأن دار الآخرة خير أي من الله عباده فيما أنزله على رسله فقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة الآية كقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة ربكم قالوا معرضين عن الجواب لم ينزل شيئا إنما هذا أساطير الأولين وهؤلاء قالوا خيرا أي أنزل خيرا أي رحمة وبركة لمن اتبعه وآمن به ثم أخبر عما وعد هذا خبر عن السعداء بخلاف ما أخبر به عن الأشقياء فإن أولئك قيل لهم ماذا أنزل عليه حتى إن منهم لمن يقول أمطرنا كواعب أترابا فيكون ذلك كذلك يجزي الله المتقين أي كذلك يجزي الله كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله. 31 الأنفس وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون وفي الحديث إن السحابة لتمر بالمال من أهل الجنة وهم جلوس على شرايبهم فلا يشتهي أحد منهم شيئا إلا أمطرته أي لهم في الآخرة جنات عدن أي مقام يدخلونها تجري من تحتها الأنهار أي بين أشجارها وقصورها لهم فيها ما يشاءون كقوله تعالى وفيها ما تشتهيهن وقوله جنات عدن بدل من دار المتقين
- المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء. 32 أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وقد قدمنا الأحاديث الواردة في قبض روح وتبشرهم بالجنة كقوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون أي مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء وأن الملائكة تسلم عليهم
- الله لأنه تعالى أعذر إليهم وأقام حججه عليهم بإرسال رسله وإنزال كتبه ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاءوا به. 33 من قبلهم أي هكذا تهادى في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين حتى ذاقوا بأس الله وحلوا فيما هم فيه من العذاب والنكال وما ظلمهم بالدنيا هل ينتظر هؤلاء إلا الملائكة أن تأتيهم لقبض أرواحهم قاله قتادة أو يأتي أمر ربك أي يوم القيامة وما يعاينونه من الأهوال وقوله كذلك فعل الذين يقول تعالى مهديا للمشركين على تماديهم في الباطل واغترارهم
- الأيام ما كانوا به يستهزئون أي يسخرون من الرسل إذا توعدوهم بعقاب الله فهذا يقال لهم يوم القيامة هذه النار التي كنتم بها تكذبون. 34 فلماذا أصابتهم عقوبة الله على ذلك وحاق بهم أي أحاط بهم من العذاب
- شبهتهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ونهاكم عنه أكد النهي. 35 من تلقاء أنفسهم ما لم ينزل به سلطانا ومضمون كلامهم أنا لو كان تعالى كارها لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكنتنا منه قال الله تعالى رادا عليهم شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء أي من البحائر والسوائب والوسائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه واخترعوه يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراك واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم لو
- اسألوا عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فقال ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير. 36

تفسير ابن كثير

بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل فلماذا قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي فيها لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة ثم إنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم من دونه من شيء فمشيئته تعالى الشرعية عنهم منتفية لأنه نهاهم عن ذلك على السنة رسله وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدرا فلا حجة لهم هذه الآية الكريمة ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول لو شاء الله ما عبدنا من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى في الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب وكلهم كما قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك الطاغوت فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل وبعث في كل أمة أي في كل قرن وطائفة من الناس رسولا وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه أن اعبدوا الله واجتنبوا

أضله فمن ذا الذي يهديه من بعد الله؟ أي لا أحد وما لهم من ناصرين أي ينقذونهم من عذابه ووثاقه ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين. 37 ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم وقوله فإن الله أي شأنه وأمره أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلماذا قال لا يهدي من يضل أي من الله لا يهدي من يضل كما قال الله ومن يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون وقال تعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون شيئا وقال نوح لقومه ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم وقال في هذه الآية الكريمة إن تحرص على هداهم فإن الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم إذا كان الله قد أراد إضلالهم كقوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلا تملك له من الله ثم أخبر

وردا عليهم بلى أي بلى سيكون ذلك وعدا عليه حقا أي لا بد منه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي فلهجهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر. 38 في الحلف وغلظوا الأيمان على أنه لا يبعث الله من يموت أي استبعدوا ذلك وكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك وحلفوا على نقيضه فقال تعالى مكذبا لهم يقول تعالى مخبرا عن المشركين أنهم حلفوا فأقسموا بالله جهد أيمانهم أي اجتهدوا

لهم الزبانية هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون. 39 بالحسن وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين أي في أيمانهم وأقسامهم لا يبعث الله من يموت ولهذا يدعون يوم القيامة إلى نار جهنم دعا وتقول المعاد وقيام الأجسام يوم التناد فقال ليبين لهم أي للناس الذي يختلفون فيه أي من كل شيء ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا ثم ذكر تعالى حكمته في

مثل هذه حتى إذا سويتك فعدلتك مشيت بين برديك وللأرض منك ونيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت الحلقوم قلت أتصدق؟ وأنى أوان الصدقة؟. 4 الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن بشر بن جحاش قال: بصق رسول الله في كفه ثم قال يقول الله تعالى: ابن آدم أتى تعجزني وقد خلقتك من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وفي الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله أولم ير الإنسان أنا خلقناه نطفة أي مهينة ضعيفة فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه ويحارب رسله وهو إنما خلق ليكون عبدا لا ضدا كقوله تعالى وهو الذي خلق من ثم نبه على خلق جنس الإنسان من

الله ثالث ثلاثة وقلت قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد هكذا ذكره موقوفا وهو في الصحيحين مرفوع بلفظ آخر. 40 إياي فقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قال وقلت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون وأما شتمه إياي فقال إن ابن جريج أخبرني عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول: قال الله تعالى شتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك فأما تكذيبه القهار العظيم الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء فلا إله إلا هو ولا رب سواه وقال ابن أبي حاتم: ذكر الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن هو كائن كما قال الشاعر: إذا ما أراد الله أمرا فإنما يقول له كن فيكون أي أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به فإنه تعالى لا يمانع ولا يخالف لأنه الواحد وقال ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وقال في هذه الآية الكريمة إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون أي أن نأمر به مرة واحدة فإذا أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعاد من ذلك إذا أراد كونه فإنما يأمر به مرة واحدة فيكون كما يشاء كقوله وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ثم أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وإنما

لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم قرأ هذه الآية لنبؤتهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. 41 أطاعه واتبع رسوله ولهذا قال هشيم عن العوام عن حدثه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول خذ بارك الله أعطاهم في الدنيا فقال ولأجر الآخرة أكبر أي مما أعطيتناهم في الدنيا لو كانوا يعلمون أي لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن فإنهم مكن الله لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء حكاما وكل منهم للمؤمنين إماما وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما ولا منافاة بين القولين فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيرا منها في الدنيا فإن من ترك شيئا لله عوضه الله بما هو خير له منه وكذلك وقع

تفسير ابن كثير

تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال لنبيئهم في الدنيا حسنة قال ابن عباس والشعبي وقتادة: المدينة وقيل الرزق الطيب قاله مجاهد. طالب ابن عم الرسول وأبو سلمة بن عبد الأسد في جماعة قريب من ثمانين ما بين رجل وامرأة صديق وصديقة رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل فوعدهم بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة ليتمكنوا من عبادة ربهم ومن أشرفهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر بن أبي فارقوا الدار والإخوان والخلان رجاء ثواب الله وجزائه. ويحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة الذي اشتد أذى قومهم لهم بمكة حتى خرجوا من يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته الذين

تعالى فقال الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون أي صبروا على الأذى من قومهم متوكلين على الله الذي أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة. 42 ثم وصفهم

ثم أورد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشرا إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء الذين سلفوا هل كان أنبياءهم بشرا أو ملائكة. 43 وقال تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين وقال قل ما كنت بدعا من الرسل وقال تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا وقال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق بأن الرسل الماضين قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانوا بشرا كما هو بشر كما قال تعالى قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وما منع الناس المستقيم وعرف لكل ذي حق حقه ونزل كل المنزل الذي أعطاه الله ورسوله واجتمعت عليه قلوب عباده المؤمنين والغرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين وجعفر ابنه وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة كهلي وابن عباس وابني علي الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي الباقر نحن أهل الذكر وممراده أن هذه الأمة أهل الذكر صحيح فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة. وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة واستشهد بقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون صحيح لكن ليس هو المراد ههنا لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه وكذا قول أبي جعفر من أهل السماء كما قلتم وكذا روي عن مجاهد عن ابن عباس أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب وقاله مجاهد والأعمش وقول عبد الرحمن بن زيد الذكر القرآن أنكرتم وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا. قال تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى ليسوا أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون يعني أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل إليهم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة ذلك أو من أنكر منهم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فأنزل الله أكان للناس عجا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس الآية وقال وما قال الضحاك عن ابن عباس لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب

الخالق وسيد ولد آدم فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل ولعلمهم يتفكرون أي ينظرون لأنفسهم فيهدون فيفوزون بالنجاة في الدارين. 44 وأنزلنا إليك الذكر يعني القرآن لتبين للناس ما نزل إليهم أي من ربهم لعلكم بمعنى ما أنزل الله عليكم وحرصك عليه واتباعك له ولعلمنا بأنك أفضل زبرت الكتاب إذا كتبت. وقال تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ثم قال تعالى ثم ذكر تعالى أنه أرسلهم بالبينات أي بالحجج والدلائل والزبر وهي الكتب قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم والزبر جمع زبور تقول العرب إليهم كقوله تعالى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أأمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير. 45 بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها مع قدرته على أن يخسف بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أي من حيث لا يعلمون مجيئه يخبر تعالى عن حلمه وإنظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها ويمكرون

بأسنا بيئات وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون وقوله فما هم بمعجزين أي لا يعجزون الله على أي حال كانوا عليه. 46 من الأشغال الملهية قال قتادة والسدي تغلبهم أي أسفارهم وقال مجاهد والضحاك وقتادة في تغلبهم في الليل والنهار كقوله أفأمن أهل القرى أن يأتيهم وقوله أو يأخذهم في تغلبهم أي في تغلبهم في المعاييش واشتغالهم بها في أسفار ونحوها

وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقال تعالى وكأين من قرية أهلكنا ثم أخذتها وإلي المصير. 47 سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهما وفيهما إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم ثم قال تعالى فإن ربكم لرءوف رحيم أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة كما ثبت في الصحيحين لا أحد أصبر على أذى ما يتوقع مع الخوف شديد ولهذا قال العوفي عن ابن عباس أو يأخذهم على تخوف يقول إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك وكذا روي وقوله أو يأخذهم على تخوف أي أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم فإنه يكون أبلغ وأشد فإن حصول

سجود كل شيء فيؤه وذكر الجبال قال سجودها فيؤها وقال أبو غالب الشيباني أمواج البحر صلاته ونزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم. 48 لله تعالى. قال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل وكذا قال قتادة والضحاك وغيرهم وقوله وهم داخرون أي صاغرون وقال مجاهد أيضا بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة فأخبر أن كل ما له ظل يتفياً ذات اليمين وذات الشمال أي بكرة وعشيا فإنه ساجد بظله يخبر تعالى عن عظمتهم وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء والمخلوقات

تفسير ابن كثير

- من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقوله والملائكة وهم لا يستكبرون أي تسجد لله أي غير مستكبرين عن عبادته. 49 فقال والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة كما قال والله يسجد إلى ثمانية أزواج وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون ومن ألبانها يشربون ويأكلون من أولادها. 50 يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم كما فصلها في سورة الأنعام من فوقهم أي يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله ويفعلون ما يؤمرون أي مثابرين على طاعته تعالى وامتنال أوامره وترك زواجه. 50 يخافون ربهم
- يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له فإنه مالك كل شيء وخالقه وربّه. 51
- باب الخبر وأما على قول مجاهد فإنه يكون من باب الطلب أي ارهبوا أن تشركوا بي شيئا وأخلصوا لي الطاعة كقوله تعالى ألا لله الدين الخالص. 52 السموات والأرض كقوله أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون هذا على قول ابن عباس وعكرمة فيكون من ومجاهد وعكرمة وميمون بن مهران والسدي وقتادة وغير واحد أي دائم وعن ابن عباس أيضا أي واجبا وقال مجاهد أي خالصا أي له العبادة وحده ممن في وله الدين واصبا قال ابن عباس
- في الرغبة إليه مستغيثين به كقوله تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا. 53 فضله عليهم وإحسانه إليهم ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون أي لعلمكم أنه لا يقدر على إزالته إلا هو فإنكم عند الضرورات تلجئون إليه وتسالونه وتلحون ثم أخبر أنه مالك النفع والضر وأن ما بالعبد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن
- المسدي إليهم النعم الكاشف عنهم النعم ثم توعدهم قائلا فتمتعوا أي اعملوا ما شئتم وتمتعوا بما أنتم فيه قليلا فسوف تعلمون أي عاقبة ذلك. 54 منكم برهم يشركون ليكفروا بما آتيناكم قيل اللام ههنا لام العاقبة وقيل لام التعليل بمعنى قيضنا لهم ذلك ليكفروا أي يستروا ويجحدوا نعم الله عليهم وأنه وقال ههنا ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق
- المسدي إليهم النعم الكاشف عنهم النعم ثم توعدهم قائلا فتمتعوا أي اعملوا ما شئتم وتمتعوا بما أنتم فيه قليلا فسوف تعلمون أي عاقبة ذلك. 55 منكم برهم يشركون ليكفروا بما آتيناكم قيل اللام ههنا لام العاقبة وقيل لام التعليل بمعنى قيضنا لهم ذلك ليكفروا أي يستروا ويجحدوا نعم الله عليهم وأنه وقال ههنا ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق
- بنفسه الكريمة ليسألهم عن ذلك الذي افتروه وانتفكوه وليقابلهم عليه وليجازيهم أوفر الجزاء في نار جهنم فقال تالله لتسئلن عما كنتم تفترون. 56 كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون أي جعلوا لآلهتهم نصيبا مع الله وفضلوها على جانبه فأقسم الله تعالى المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد بغير علم وجعلوا للأوثان نصيبا مما رزقهم الله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما يخبر تعالى عن قبائح
- تحكمون وقوله ولهم ما يشتهون أي يختارون لأنفسهم الذكور ويأنفون لأنفسهم من البنات التي نسبوها إلى الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. 57 وقوله ههنا ويجعلون لله البنات سبحانه أي عن قولهم وإفكهم ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تعالى أن له ولدا ولا ولد له ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد وهو البنات وهم لا يرضونها لأنفسهم كما قال ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوها بنات الله فعبدوها معه فأخطأوا خطأ كبيرا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث فنسبوا إليه ثم أخبر تعالى
- فإنه إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا أي كئيبا من الهم وهو كظيم ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن. 58
- أي بنس ما قالوا وبنس ما قسموا وبنس ما نسبوه إليه كقوله تعالى وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم. 59 أي يندها وهو أن يدفنها فيه حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية أفمن يكرهه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله؟ ألا ساء ما يحكمون سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب أي إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها أم يدسه في التراب يتوارى من القوم أي يكره أن يراه الناس من
- وهو وقت رجوعها عشيا من المرعى فإنها تكون أمده خواصر وأعظمه ضروعا وأعلاه أسمة وحين تسرحون أي غدوة حين تبعثونها إلى المرعى. 60 وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة ولهذا قال ولكم فيها جمال حين تريحون
- بالآخرة مثل السوء أي النقص إنما ينسب إليهم ولله المثل الأعلى أي الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب إليه وهو العزيز الحكيم. 60
- وقوله ههنا للذين لا يؤمنون
- الله لا يؤخر شيئا إذا جاء أجله وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر. 61

تفسير ابن كثير

بن عطاء عن سلمة بن عبد الله عن عمه أبي مشجعة بن ربعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن إن الحباري لتموت في وكرها بظلم الظالم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين أنبأنا الوليد بن عبد الملك حدثنا عبيد الله بن شريحيل حدثنا سليمان بن جابر الحنفي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال: سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه قال فالتفت إليه فقال: بلى والله حتى قال: قال عبد الله كاد الجعل أن يهلك في جحره بخطيئة بني آدم وقال ابن جرير: حدثني محمد بن المثنى حدثنا إسماعيل بن حكيم الخزاعي حدثنا محمد قال: كاد الجعل أن يعذب بذنب بني آدم وقرأ الآية ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وكذا روى الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة جلاله يحلم ويستتر وينظر إلى أجل مسمى أي لا يعاجلهم بالعقوبة إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقي أحدا قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص أنه عن حلمه بخلقه مع ظلمهم وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة أي لأهلك جميع دواب الأرض تبعاً لإهلاك بني آدم ولكن الرب جل يخبر تعالى

أيضا مفرطون أي معجلون إلى النار من الفرط وهو السابق إلى الورد ولا منافاة لأنهم يعجل بهم يوم القيامة إلى النار وينسون فيها أي يخلدون. 62 مفرطون قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة وغيرهم منسيون فيها مضيعون وهذا كقوله تعالى فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وعن قتادة القيامة كما قدما بيانه وهو الصواب ولله الحمد ولهذا قال تعالى رادا عليهم في تمنيتهم ذلك لا جرم أي حقا لا بد منه أن لهم النار أي يوم القيامة وأنهم أجل كما يجتنى من الشوك العنب. وقال مجاهد وقتادة وتصف أسنتهم الكذب أن لهم الحسنى أي الغلمان وقال ابن جرير أن لهم الحسنى أي يوم كما ذكر ابن إسحاق أنه وجد حجر في أساس الكعبة حين نقضوها ليجددوها مكتوب عليه حكم ومواعظ فمن ذلك: تعملون السيئات وتجزون الحسنات؟ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا فجمع هؤلاء بين عمل السوء وتمني الباطل بأن يجازوا على ذلك حسنا وهذا مستحيل وقوله أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا وقال إخبارا عن أحد الرجلين إنه دخل جنته وهو ظالم لنفسه فقال ما أظن أن تبدي هذه أبدا بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ منا رحمة ثم نزعناها منه إنه لينوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور وقوله ولئن أذقناه رحمة منا من إنكار عليهم في دعواهم مع ذلك أن لهم الحسنى في الدنيا وإن كان ثم معاد ففيه أيضا لهم الحسنى وإخبار عن قيل من قال منهم كقوله ولئن أذقنا الإنسان يكرهون أي من البنات ومن الشركاء الذين هم عبيده وهم يأنفون أن يكون عند أحدهم شريك له في ماله وقوله وتصف أسنتهم الكذب أن لهم الحسنى وقوله ويجعلون لله ما

تزيين الشيطان لهم ما فعلوه فهو وليهم اليوم أي هم تحت العقوبة والنكال والشيطان وليهم ولا يملك لهم خلاصا ولا صريخ لهم ولهم عذاب أليم. 63 رسلا فكذبت الرسل فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة فلا يهيئك تكذيب قومك لك وأما المشركون الذين كذبوا الرسل فإنما حملهم على ذلك يذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية

ليبين للناس الذي يختلفون فيه فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه هدى أي للقلوب ورحمة أي لمن تمسك به لقوم يؤمنون. 64 ثم قال تعالى لرسوله أنه إنما أنزل عليك الكتاب

للقلوب الميتة بكفرها كذلك يحيى الأرض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماء إن في ذلك لآية لقوم يسمعون أي يفهمون الكلام ومعناه. 65 وكما جعل سبحانه القرآن حياة

المثانة وروث إلى المخرج وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به وقوله لبنا خالصة سائغا للشاربين أي لا يفص به أحد. 66 وطعمه وحلاوته من بين فرت ودم في باطن الحيوان فيسري كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته فيصرف منه دم إلى العروق ولبن إلى الضرع وبول إلى قوله تعالى وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان أي المال وقوله من بين فرت ودم لبنا خالصة أي يتخلص الدم بياضه حيوانات أي نسقيكم مما في بطن هذا الحيوان وفي الآية الأخرى مما في بطونها ويجوز هذا وهذا كما في قوله تعالى كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره وفي أي لآية ودلالة حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه نسقيكم مما في بطونه أفرد ههنا عودا على معنى النعم أو الضمير عائد على الحيوان فإن الأنعام يقول تعالى وإن لكم أيها الناس في الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم لعبرة

وفجرنا فيها العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون. 67 ذكر العقل ههنا فإنه أشرف ما في الإنسان ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها قال الله تعالى وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب من تمر وزبيب وما عمل منهم من طلاء وهو الدبس وخل ونبيذ حلال يشرب قبل أن يشتد كما وردت السنة بذلك إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ناسب سكرًا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما وفي رواية السكر حرامه والرزق الحسن حلاله يعني ما ييس منهما وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل كما جاءت السنة بتفصيل ذلك وليس هذا موضع بسط ذلك كما قال ابن عباس في قوله دل على إباحته شرعا قبل تحريمه ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء من ثمرات النخيل والأعناب وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه ولهذا امتن به عليهم فقال ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا

تفسير ابن كثير

ولما ذكر اللبن وأنه تعالى جعله شرابا للناس سائغا ثنى بذكر ما يتخذها الناس من الأشربة

للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها ومن الشجر ومما يعرشون ثم محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصها بحيث لا يكون في بيتها خلل. 68 المراد بالوحى هنا الإلهام والهداية والإرشاد

أطيب الأشياء لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها فيستدلون بذلك على أنه الفاعل القادر الحكيم العليم الكريم الرحيم. 69 لآية لقوم يتفكرون أي إن في إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة إلى السلوك في هذه المهامه والاجتناء من سائر الثمار ثم جمعها للشمع والعسل وهو من فيهم وهم يمنعون الجار أن يقردا كذا رواه ابن ماجه وقوله لا لبس فيهم أي لا خلط وقوله يمنعون الجار أن يقردا أي يضطهد ويظلم وقوله إن في ذلك قال الموت قال عمرو قال ابن أبي عبة السنوت الشبت وقال آخرون بل هو العسل الذي في زقاق السمن وهو قول الشاعر: هم السمن بالسنوت لا لبس القيلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام. قيل يا رسول الله وما السام؟ حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الفريابي حدثنا عمرو بن بكير السكسكي حدثنا إبراهيم بن أبي عبة سمعت أبا أبي ابن أم حرام وكان قد صلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعق العسل ثلاث غدوات في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء الزبير بن سعيده متروك وقال ابن ماجه أيضا للناس وقال ابن ماجه أيضا: حدثنا محمود بن خداح حدثنا سعيد بن زكريا القرشي حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي عن عبد الحميد بن سالم عن أبي هريرة هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال في العسل فيه شفاء بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه كذلك فإنه شفاء: أي من وجوه قال الله تعالى ونزل من القرآن ما موقوفا وله شبه. وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها عليكم بالشفاء بين العسل والقرآن وهذا إسناد جيد تفرد بإخراجه ابن ماجه مرفوعا. وقد رواه ابن جرير عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن سفيان هو الثوري سلمة هو التغلبي حدثنا زيد بن حباب حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص بن عبدالله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شئ شفاء: فشرطه محجم. وذكره وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه وقال الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه حدثنا علي بن أو كية تصيب ألما وأنا أكره الكي ولا أحبه. ورواه الطبراني عن هارون بن سلول المصري عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن عبدالله بن الوليد به. ولفظه إن كان بن الوليد عن أبي الخير عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إن كان في شيء شفاء: فشرطه محجم أو شربة عسل . ورواه مسلم من حديث عاصم بن عمر بن قتادة عن جابر به. وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق أنبأنا عبدالله أنبأنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا عبدالله يقول إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير: ففي شرطه محجم أو شربة عسل أو لدعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي وقال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة سمعت جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاء في ثلاثة: في شرطه محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنهى أمتي عن الكي. رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الحلواء والعسل هذا لفظ البخاري. وفي صحيح البخاري من حديث سالم الأفطس عن سعيد وصلاح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة الأعرابي أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه ثم سقاه فازداد التحليل والدفع ثم سقاه فكذا فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه فذهب فسقاه عسلا فبرئ. قال بعض العلماء بالطب كان هذا الرجل عنده فضلات فلما سقاه عسلا وهو حار تحللت فأسرعت في الاندفاع فزاده إسهالا فاعتقد فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلا إن أخي استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا قال اذهب فاسقه عسلا من رواية قتادة عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين والدليل على أن المراد بقوله تعالى فيه شفاء للناس هو العسل الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما ههنا وإنما الذي قاله ذكره في قوله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقوله تعالى يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء شفاء للناس يعني القرآن وهذا قول صحيح في نفسه ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ولم يتابع مجاهد على قوله للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال فيه شفاء للناس أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار والشيء يداوى بضده وقال مجاهد وابن جرير في قوله فيه مراعيها ومأكلا منها. وقوله فيه شفاء للناس أي في العسل شفاء للناس أي من أدواء تعرض لهم قال بعض من تكلم على الطب النبوي لو قال فيه الشفاء إلا النحل وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا مكين بن عبدالعزيز عن أبيه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الذباب أربعين يوما والذباب كله في النار والقول الأول هو الأظهر وهو أنه حال من الطريق أي فاسلكيها مذلة لك نص عليه مجاهد وقال ابن جرير كلا القولين صحيح وقد قال أبو يعلى الموصلي من السالكة قال ابن زيد وهو كقول الله تعالى ولذلناها لهم فمئها ركوبهم ومنها يأكلون قال: ألا ترى أنهم ينقلون النحل ببيوته من بلد إلى بلد وهو يصحبهم؟ العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها ثم تصبح إلى مراعيها وقال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فاسلكي سبل ربك ذللا أي مطيعة فجعلناه حالا والجبال الشاهقة ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها لا تحيد عنه يمنا ولا يسرة بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل فتبني الشمع من أجنحتها وتقيء

تفسیر ابن کثیر

أن تأكل من كل الثمرات وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذللة لها أي مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة والأودية ثم أذن لها تعالى إذنا قدريا تسخيريا

أي لباس ينسج ومنافع مركب ولحم ولبن قال قتادة: دفاء ومنافع يقول لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة. وكذا قال غير واحد من المفسرين بألفاظ متقاربة. 7
يبتنعون به من الأطعمة والأشربة وقال عبدالرزاق: أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس: دفاء ومنافع نسل كل دابة وقال مجاهد لكم فيها دفاء
ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون قال ابن عباس: لكم فيها دفاء أي ثياب وومناافع ما
أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللتها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون وقال وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستوتوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة
ولهذا قال هنا بعد تعداد هذه النعم إن ربكم لرءوف رحيم أي ربكم الذي قيض لكم هذه الأنعام وسخرها لكم كقوله أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت
جعل لكم الأنعام لتركبوها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع وتلبغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويرىكم آياته فأى آيات الله تنكرون
وتحميل كقوله وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون وقال تعالى الله الذي
وحملها إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة وما جرى مجرى ذلك تستعملونها في أنواع الاستعمال من ركوب
وتحمل أثقالكم وهي الأحمال الثقيلة التي تعجزون عن نقلها

في معلقته المشهورة. سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين عاما لا أبالك يسأم رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطى يعمر فيهرم. 70

صلى الله عليه وسلم كان يدعو أعوذ بك من البخل والكسل والهزم وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وقال زهير بن أبي سلمة ولهذا روى البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا هارون بن موسى أبو عبدالله الأعور عن شعيب عن أنس بن مالك أن رسول الله يحصل له ضعف القوى والخرف وسوء الحفظ وقلة العلم ولهذا قال لكيلا يعلم بعد علم شيئا أي بعد ما كان عالما أصبح لا يدري شيئا من الفند والخرف قال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة الآية. وقد روي عن علي رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وفي هذا السن يخبر تعالى عن تصرفه في عبادته وأنه هو الذي أنشأهم من العدم ثم بعد ذلك يتوفاهم ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم وهو الضعف في الخلقة كما عبادته على بعض في الرزق بلاء يبتلي به كلا فيبتلي من بسط له كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله. رواه ابن أبي حاتم. 71

معه غيره وعن الحسن البصري قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الرسالة إلى أبي موسى الأشعري: واقنع برزقك من الدنيا فإن الرحمن فضل بعض لم ترض لنفسك هذا قاله أحق أن ينزهه منك وقوله أفبنيمة الله يجحدون أي أنهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فجحدوا نعمته وأشركوا هذه الآية هذا مثل الآلهة الباطلة وقال قتادة هذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد يشاركه مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده؟ فإن عبيدي معي في سلطاني فذلك قوله أفبنيمة الله يجحدون وقال في الرواية الأخرى عنه فكيف ترضون لى ما لا ترضون لأنفسكم وقال مجاهد في فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم الآية قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون تعالى بمساواة عبيد له في الإلهية والتعظيم كما قال في الآية الأخرى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم في جهنم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. فقال تعالى منكرا عليهم أنتم لا ترضون أن تساوا عبيدكم فيما رزقناكم فكيف يرضى هو

يبين تعالى للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء وهم يعترفون أنها عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم

غيره وفي الحديث الصحيح إن الله يقول للعبد يوم القيامة ممثنا عليه ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وتربع. 72
منكرا على من أشرك في عبادة المنعم غيره أقبالباطل يؤمنون وهم الأنداد والأصنام وبنعمة الله هم يكفرون يسترون نعم الله عليهم ويضيفونها إلى
على قوله والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي جعل لكم الأزواج والأولاد خدما. وقوله ورزقكم من الطيبات أي من المطاعم والمشارب. ثم قال تعالى
يكون هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام في حديث نضرة بن أكرم والولد عبد لك رواه أبو داود. وأما من جعل الحفدة الخدم فعنده أنه معطوف
وأولاد الأولاد أو الأصهار لأنهم أزواج البنات أو أولاد الزوجة: وكذا قال الشعبي والضحاك فإنهم يكونون غالبا تحت كنف الرجل وفي حجره وفي خدمته وقد
والأصهار فالنعمة حاصلة بهذا كله ولهذا قال وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة قلت فمن جعل وحفدة متعلقا بأزواجكم فلا بد أن يكون المراد الأولاد
جريح: وهذه الأقوال كلها داخلية في معنى الحفدة وهو الخدمة الذي منه قوله في القنوت: وإليك نسعى ونحفد ولما كانت الخدمة قد تكون من الأولاد والخدم
وأبو الضحى وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبيرة ومجاهد والقرظي ورواه عكرمة عن ابن عباس. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم الأصهار. قال ابن
يعمل بين يدي الرجل. يقال فلان يحفد لنا أي يعمل لنا قال وزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل وهذا الأخير الذي ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ومسروق
كانت العرب تخدمها بنوها. وقال العوفي عن ابن عباس قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة يقول بنو امرأة الرجل ليسوا منه. ويقال الحفدة الرجل
وأبو مالك والحسن البصري. وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة أنه قال: الحفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك قال الضحاك: إنما
الأجمال وقال مجاهد: بنين وحفدة ابنه وخادمه. وقال في رواية: الحفدة الأنصار والأعوان والخدام وقال طاوس وغير واحد: الحفدة الخدم. وكذا قال قتادة
عن ابن بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال: بنوك حيث يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك. قال جميل: حفد الولاند حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة
وعكرمة والحسن والضحاك وابن زيد قال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس بنين وحفدة: وهم الولد وولد الولد. وقال سنيد حدثنا حجاج
ولكن من رحمته خلق من بنى آدم ذكورا وإناثا وجعل الإناث أزواجا للذكور ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم أولاد البنين قاله ابن عباس

تفسير ابن كثير

يذكر تعالى نعمه على عبده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة من السموات والأرض شيئا أي لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر ولا يملكون ذلك لأنفسهم أي ليس لهم ذلك ولا يقدر عليهم لو أرادوه. 73 الذين عبدوا معه غيره مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأوثان ما لا يملك لهم رزقا يقول تعالى إخبارا عن المشركين

لله الأمثال أي لا تجعلوا له أندادا وأشباها وأمثالا إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون أي أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو وأنتم بجعلكم تشركون به غيره. 74 ولهذا قال تعالى فلا تضربوا

وللحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا؟ ولما كان الفرق بينهما ظاهرا واضحا بينا لا يجله إلا كل غبي قال الله تعالى الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون. 75 الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرا وجهرا هو المؤمن. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو مثل مضروب للوثن قال العوفي عن ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير فالعبد المملوك

هو مولى لعثمان بن عفان كان عثمان ينفق عليه ويكلفه ويكفيه المنونة وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما. 76 وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم إلى قوله وهو على صراط مستقيم قال هو عثمان بن عفان قال والأبكم الذي أينما يوجهه لا يأت بخير قال عن ابن عباس في قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء قال نزلت في رجل من قريش وعبدته يعني قوله عبدا مملوكا الآية. وفي قوله حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا يحيى بن إسحاق السالحي حدثنا حماد حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم عن إبراهيم عن عكرمة عن يعلى بن أمية وبهذا قال السدي وقاتدة وعطاء الخراساني واختار هذا القول ابن جرير. وقال العوفي عن ابن عباس هو مثل للكافر والمؤمن أيضا كما تقدم وقال ابن جرير مسعاه هل يستوي من هذه صفاته ومن يأمر بالعدل أي بالقسط فمقاله حق وفعاله مستقيمة وهو على صراط مستقيم وقيل الأبكم مولى لعثمان ولا بشيء ولا يقدر على شيء بالكلية فلا مقال ولا فعال وهو مع هذا كل أي عيال وكلفة على مولاه أينما يوجهه أي يبعثه لا يأت بخير ولا ينجح قال مجاهد وهذا أيضا المراد به الوثن والحق تعالى يعني أن الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير

العين وهكذا قال ههنا وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير كما قال ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة. 77 وفي قدرته التامة التي لا تخالف ولا تمنع وأنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون كما قال وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر أي فيكون ما يريد كطرف تعالى عن كمال علمه وقدرته على الأشياء في علمه غيب السموات والأرض واختصاصه بعلم الغيب فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه تعالى على ما يشاء يخبر

تعالى في الآية الأخرى قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون. 78 قوله ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وببي يبصر وببي يبطش وببي يمشي. ولهذا قال تعالى وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون كقوله إلا لله أي ما شرعه الله له ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله عز وجل مستعينا بالله في ذلك كله ولهذا جاء في بعض رواية الحديث في غير الصحيح بعد عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه. فمعنى الحديث أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل فلا يسمع إلا لله ولا يبصر التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطينه ولئن دعاني لأجيبه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي بشيء أفضل من أدام ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب وما تقرب إلي سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده. وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جارية وعضو وقوة على طاعة مولاه القلب على الصحيح وقيل الدماغ والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلا قليلا كلما كبر زيد في من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي يدركون الأصوات والأبصار التي بها يحسون المرئيات والأفئدة وهي العقول التي مركزها ثم ذكر تعالى منته على عباده في إخراجهم إياهم

الملك أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير وقال ههنا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. 79 والأرض في جو السماء ما يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى التي جعل فيها قوى تفعل ذلك وسخر الهواء يحملها وبسير الطير ذلك كما قال تعالى في سورة ثم نبه تعالى عباده إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض كيف جعله يطير بجناحين بين السماء

عنه عن الشعبي عن دحية الكلبي قال: قلت يا رسول الله ألا أحمل لك حمارا على فرس فتنتج لك بغلا فتركها؟ قال إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون. 8 عليه وسلم بغلة فكان يركبها مع أنه قد نهى عن إنزاع الحمر على الخيل لئلا ينقطع النسل. قال الإمام أحمد: حدثني محمد بن عبيد حدثنا عمر من آل حذيفة في إسرائيليته أن الله خلق الخيل من ريح الجنوب والله أعلم فقد دل النص على جواز ركوب هذه الدواب ومنها البغال. وقد أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرزاق أنبأنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: كانت الخيل وحشية فذلها الله لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وذكر وهب بن منبه وسلم فرسا فأكلناه ونحن بالمدينة فهذه أدل وأقوى وأثبت وإلى ذلك صار جمهور العلماء مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم وأكثر السلف والخلف والله أعلم

تفسير ابن كثير

وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل. وفي صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ورواه الإمام أحمد وأبو داود بإسنادين كل منهما على شرط مسلم عن جابر قال: ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير فنهنا رسول الله صلى الله عليه وآله الخيل ولكن لا يقاوم ما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل. البساتين القريبة من العمران وكان هذا الصنيع وقع بعد إعطائهم العهد ومعاملتهم على الشطر والله أعلم. فلو صح هذا الحديث لكان نصا في تحريم لحوم الأهلية وخیلها وبغالها وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير والرمكة هي الحجرة وقوله حبلوها أي أوثقوها في الحبل ليذبحوها والحظائر الصلاة جامعة ولا يدخل الجنة إلا مسلم ثم قال أيها الناس: إنكم قد أسرعت في حظائر يهود ألا لا يحل أموال المعاهدين إلا بحقها وحرام عليكم لحوم الحمر مكانكم حتى آتي خالدا فأسأله فأتيته فسألته فقال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوة خيبر فأسرع الناس في حظائر يهود فأمرني أن أنادي يحيى بن المقدم عن جده المقدم بن معديكرب قال: غزونا مع خالد بن الوليد الصائفة فقدم أصحابنا إلى اللحم فسألوني رمكة فدفعتها إليهم فحبلوها وقلت وفيه كلام ورواه أحمد أيضا من وجه آخر بأبسط من هذا وأدل منه فقال: حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا محمد بن حرب حدثنا سليمان بن سليم عن صالح بن قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث صالح بن يحيى بن المقدم يزيد بن عبدربه حدثنا بقية بن الوليد حدثنا ثور بن يزيد عن صالح بن يحيى بن المقدم بن معديكرب عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد رضي الله عنه طريق سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس بمثله. وقال مثل ذلك الحكم بن عيينة أيضا رضي الله عنه واستأنسوا بحديث رواه الإمام أحمد في مسنده: حدثنا يقول: قال الله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون فهذه للأكل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فهذه للركوب وكذا روى حدثنا ابن علية أنبأنا هشام الدستوائي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن مولى نافع بن علقمة عن ابن عباس أنه كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان من الفقهاء بأنه تعالى قرنها بالبغال والحمير وهي حرام كما ثبتت به السنة النبوية وذهب إليه أكثر العلماء وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثني يعقوب الأنعام وأفردنا بالذكر استدل من استدل من العلماء ممن ذهب إلى تحريم لحوم الخيل بذلك على ما ذهب إليه فيها كالإمام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده يمتن به عليهم وهو الخيل والبغال والحمير التي جعلها للركوب والزينة بها وذلك أكبر المقاصد منها ولما فصلها من مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطية العوفي وعطاء الخراساني والضحاك وقتادة وقوله إلى حين أي إلى أجل مسمى ووقت معلوم. 80 المتاع وقيل الثياب والصحيح أعم من هذا كله فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك ويتخذ مالا وتجارة وقال ابن عباس الأثاث المتاع وكذا قال ويوم إقامتكم ومن أوصافها أي الغنم وأوبارها أي الإبل وأشعارها أي المعز والضمير عائد على الأنعام أاثانا أي تتخذون منه أاثانا وهو المال وقيل لهم أيضا من جلود الأنعام بيوتا أي من الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر ولهذا قال تستخفونها يوم ظعنكم يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لم يأوون إليها ويستترون بها وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع وجعل من الثلج أعظم وأكثر ولكنهم كانوا لا يعرفونه؟ ألا ترى إلى قوله تعالى سراويل تقيكم الحر وما تقي من البرد أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر. 81 وما جعل لهم من غير ذلك أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر؟ ألا ترى قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد لعجهيم من ذلك وما أنزل من الجبال أكنانا وما جعل من السهل أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال؟ ألا ترى إلى قوله ومن أوصافها وأوبارها وأشعارها أاثانا ومتاعا إلى حين من الوجهين ورد هذه القراءة وقال عطاء الخراساني إنما نزل القرآن على قدر معرفة العرب ألا ترى إلى قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه كان يقرؤها تسلمون بفتح اللام يعني من الجراح. رواه أبو عبيد القاسم بن سلام عن عباد وأخرجه ابن جرير من الإسلام وقال قتادة في قوله كذلك يتم نعمته عليكم هذه السورة تسمى سورة النعم وقال عبدالله بن المبارك وعباد بن العوام بن حنظلة السدوسي ما تستعينون به على أمركم وما تحتاجون إليه ليكون عوناً لكم على طاعته وعبادته لعلمكم تسلمون هكذا فسره الجمهور وقرءوه بكسر اللام من تسلمون الثياب من القطن والكتان والصوف وسراويل تقيكم بأسكم كالدرع من الحديد المصفح والزرذ وغير ذلك كذلك يتم نعمته عليكم أي هكذا يجعل لكم وقوله والله جعل لكم مما خلق ظللا قال قتادة يعني الشجر وجعل لكم من الجبال أكنانا أي حصونا ومعاقل كما جعل لكم سراويل تقيكم الحر وهي وقوله فإن تولوا أي بعد هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليكم منهم فإنما عليك البلاغ المبين وقد أدبته إليهم. 82 عليه كل ذلك يقول الأعرابي نعم حتى بلغ كذلك يتم نعمته عليكم لعلمكم تسلمون فولى الأعرابي فأنزل الله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها الآية. 83 الله صلى الله عليه وآله وسلم والله جعل لكم من بيوتكم سكنا فقال الأعرابي نعم قال وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا الآية. قال الأعرابي نعم ثم قرأ حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مجاهد أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله فقرا عليه رسول إليهم ذلك وهو المتفضل به عليهم ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره ويسندون النصر والرزق إلى غيره وأكثرهم الكافرون كما قال ابن أبي حاتم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها أي يعرفون أن الله تعالى هو المسدي يؤذن للذين كفروا أي في الاعتذار لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه كقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فلماذا قال ولا هم يستعتبون. 84 يخبر تعالى عن شأن المشركين يوم معادهم في الدار الآخرة وأنه يبعث من كل أمة شهيدا وهو نبيها يشهد عليها بما أجابته فيما بلغها عن الله تعالى ثم لا لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبتهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون. 85

تفسير ابن كثير

هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وقال تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا وقال تعالى عليهم وتلتقطهم من الموقف كما يلتقط الطائر الحب قال الله تعالى إذا رأيتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه فتقول إني وكلت بكل جبار عنيد الذي جعل مع الله إلها آخر وبكذا وبكذا وتذكر أصنافا من الناس كما جاء في الحديث ثم تنطوي بل يأخذهم سريعا من الموقف بلا حساب فإنه إذا جيء بهنم تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك فيشرق عنق منها على الخلائق وتزفر زفرة وإذا رأى الذين ظلموا أي الذين أشركوا العذاب فلا يخفف عنهم أي لا يفتقر عنهم ساعة واحدة ولا هم ينظرون أي لا يؤخر عنهم

وقال الخليل عليه الصلاة والسلام ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الآية. وقال تعالى وقيل ادعوا شركاءكم الآية والآيات في هذا كثيرة. 86 حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا لهم الآلهة كذبتم ما نحن أمرناكم بعبادتنا كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله ما لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا الذين أشركوا شركاءهم أي الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فآلقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أي قالت ثم أخبر تعالى عن تبري آلهتهم منهم أحوج ما يكونون إليها فقال وإذا رأى

وآلقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون أي ذهب واضمحل ما كانوا يعبدونه افتراء على الله فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجيز. 87 المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا الآية. وقال وعنت الوجوه للحي القيوم أي خضعت وذلت واستكانت وأنابت واستسلمت وقوله يومئذ أي استسلموا لله جميعهم فلا أحد إلا سامع مطيع وكقوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي ما أسمعهم وما أبصرهم يومئذ وقال ولو ترى إذ وقوله وآلقوا إلى الله يومئذ السلم قال قتادة وعكرمة ذلوا واستسلموا

الحسن عن ابن عباس في الآية أنه قال زدناهم عذابا فوق العذاب قال هي خمسة أنهار تحت العرش يعذبون ببعضها في الليل وبعضها في النهار. 88 في قول الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال. وحدثنا شريح بن يونس حدثنا إبراهيم بن سليمان حدثنا الأعمش عن لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم كما قال تعالى قال عذابا على كفرهم وعذابا على صدهم الناس عن اتباع الحق كقوله تعالى وهم ينهاون عنه وينأون عنه أي ينهاون الناس عن اتباعه ويبتعدون هم منه أيضا ثم قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا الآية أي

إلى معاد أي إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه ومعيدك يوم القيامة وسائلك عن أداء ما فرض عليك. هذا أحد الأقوال وهو متجه حسن. 89 أجمعين عما كانوا يعملون يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب. وقال تعالى إن الذي فرض عليك القرآن لرادك والله أعلم. إن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك سائلك عن ذلك يوم القيامة فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين فوريك لنساءنهم وقال الأوزاعي ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء أي بالسنة ووجه اقتران قوله ونزلنا عليك الكتاب مع قوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء أن المراد وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم وهدي أي للقلوب ورحمة وبشرى للمسلمين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء و قال مجاهد كل حلال وكل حرام وقول ابن مسعود أعم وأشمل فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق الله عليه وسلم حسبك فقال ابن مسعود رضي الله عنه فالتفت فإذا عيناه تذرقان وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء قال ابن مسعود قد بين الله صلى الله عليه وسلم صدر سورة النساء فلما وصل إلى قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وهو له وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهت إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ويوم نبعت في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء يعني أمتك. أي يقول

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. 9 ثم أخبر تعالى أن ذلك كله كائن عن قدرته ومشيبته فقال ولو شاء لهداكم أجمعين كما قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا وقال مائل زائغ عن الحق قال ابن عباس وغيره: هي الطرق المختلفة والآراء والأهواء المتفرقة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وقرأ ابن مسعود ومنكم جائر فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق وهي الطريق التي شرعها ورضيها وما عداها مسدودة والأعمال فيها مردودة ولهذا قال تعالى ومنها جائر أي حائد الهدى والضلالة وكذا روى علي بن أبي طلحة عنه وكذا قال قتادة والضحاك وقول مجاهد ههنا أقوى من حيث السياق لأنه تعالى أخبر أن ثم طرقا تسلك إليه على الله وقال السدي وعلى الله قصد السبيل الإسلام وقال العوفي عن ابن عباس في قوله وعلى الله قصد السبيل يقول وعلى الله البيان أي يبين فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال قال هذا صراط علي مستقيم فال مجاهد في قوله وعلى الله قصد السبيل قال طريق الحق الشاقة شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه فبين أن الحق منها ما هي موصلة إليه فقال وعلى الله قصد السبيل كقوله وأن هذا صراطي مستقيما ذكر تعالى في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم وتحمل أثقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار

تفسير ابن كثير

الدينية كقوله تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ولما من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية نبه على الطرق المعنوية الدينية وكثيرا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة لما ذكر تعالى

الآية بهذا الموضع من هذه السورة إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية. وهذا إسناد لا بأس به ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين والله أعلم. 90
عن شهر بن حوشب عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذ شخص بصره فقال أثنائي جبريل فأمرني أن أضع هذه من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصرا حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا هريم عن ليث قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمدا صلى الله عليه وسلم إسناد جيد متصل حسن قد بين في السماع المتصل ورواه ابن أبي حاتم الله صلى الله عليه وسلم: أثنائي رسول الله أنفا وأنت جالس قال رسول الله؟ قال نعم قال فما قال لك؟ قال إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية. حيث وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك. قال وفطنت لذلك؟ فقال عثمان نعم قال رسول جلسته الأولى فقال: يا محمد فيما كنت أجالسك ما رأيته تفعل كفعلك الغداة فقال وما رأيته فعلت؟ قال رأيته شخص بصره حتى توارى إلى السماء ثم وضعته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى إلى السماء فأقبل إلى عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جلسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ ينفض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له وابن مطعون ينظر فلما قضى حاجته هو يحدثه إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجلس؟ فقال بلى قال فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله فبينما عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبد الله بن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته جالس إذ مر به عثمان بن مطعون فكشروا إلى رسول بمكارم الأخلاق وينهى عن ملأئها فكونوا في هذا الأمر رءوسا ولا تكونوا فيه أذنابا وقد ورد في نزولها حديث حسن رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا أن يرفع نسبه فسلنا عن نسبه فوجدناه زاكى النسب وسطا في مضر أي شريفا وقد رمى إلينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعهن أكتهم قال: إني أراه يأمر ورسوله. قال ثم تلا عليهم هذه الآية إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية. قالوا رد علينا هذا القول فردده عليهم حتى حفظوه فأثابا أكتهم فقالا أبي وسلم فقالا نحن رسل أكتهم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما من أنا فأنا محمد بن عبد الله وأما ما أنا فأنا عبد الله فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه وقالوا: أنت كبيرنا لم تكن لتخف إليه قال فليأتته من يبلغه عني ويبلغني عنه فانتدب رجلا فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن داود المنكدر حدثنا عمر بن علي المقدمي عن علي بن عبد الملك بن عمير عن أبيه قال: بلغ أكتهم بن صيفي مخرج النبي صلى الله عليه وسلم الأخلاق ويكره سفاسفها. وقال الحافظ أبو يعلى في كتاب معرفة الصحابة حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح الحنبلي حدثنا يحيى بن محمد مولى بني هاشم من خلق سيء كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها قلت ولهذا جاء في الحديث إن الله يحب معالي جرير وقال سعيد عن قتادة قوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به وليس وقال الشعبي عن بشير بن نهيك سمعت ابن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل إن الله يأمركم بالعدل والإحسان الآية رواه ابن يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم وقوله يعظكم أي يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر لعلمكم تذكرون ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأما البغي فهو العدوان على الناس وقد جاء في الحديث ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما ولا تبذر تبذيرا وقوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والفواحش المحرمات والمنكرات ما ظهر منها من فاعلها ولهذا قيل في الموضع الآخر قل إنما حرم والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقوله وإيتاء ذي القربى أي يأمر بصلة الأرحام كما قال وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل وقال سفيان بن عيينة العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل والندب إلى الفضل. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إن الله يأمر بالعدل قال شهادة أن لا إله إلا الله صبرتم لهو خير للصابرين وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له إلى يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الإحسان كقوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن لأخيه شرطا لا يريد أن يفي له به فهو كالمدي جاره إلى غير منفعة قوله إن الله يعلم ما تفعلون تهديد ووعيد لمن نقض الإيمان بعد توكيدها. 91
وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حجاج عن عبد الرحمن بن عابس عن أبيه عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرط على بيعة الله ورسوله ثم ينكت بيعته فلا يخلعن أحد منكم يدا ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون فصل بيني وبينه المرفوع منه في الصحيحين الله عليه وسلم يقول إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان وإن من أعظم الغدر إلا أن يكون الإشراك بالله أن يبايع رجل رجلا لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال: أما بعد فإننا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله وإني سمعت رسول الله صلى لا يحملنكم قلة محمد وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام. وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا صخر بن جويرية عن نافع قال بايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام فقال وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها حدثنا عبد الله بن موسى أخبرنا أبو ليلى عن بريدة في قوله وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم قال نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم

تفسير ابن كثير

بين المهاجرين والأنصار في دورنا. فمعناه أنه آخى بينهم فكانوا يتوارثون به حتى نسخ الله ذلك والله أعلم. وقال ابن جرير حدثني محمد بن عمارة الأسدي التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه. وأما ما ورد في الصحيحين عن عاصم الأحول عن أنس رضي الله عنه أنه قال: حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يزيد الإسلام إلا شدة. وكذا رواه مسلم عن ابن أبي شيبه به. ومعناه أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه فإن في ابن أبي زائدة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية يعني الحلف أي حلف الجاهلية ويؤيده ما رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد هو ابن أبي شيبه حدثنا ابن نمير وأبو أسامة عن زكريا هو هذه الأيمان المراد بها الدخلة في العهود والمواثيق لا الأيمان التي هي واردة على حث أو منع ولهذا قال مجاهد في قوله ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها هو خير وتحللتها وفي رواية وكفرت عن يميني لا تعارض بين هذا كله ولا بين الآية المذكورة هنا وهي قوله ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها لأن قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي بين هذا وبين قوله ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم الآية. وبين قوله تعالى ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم أي لا تتركوها بلا كفارة وبين هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة ولهذا قال ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ولا تعارض ابن أبي حاتم وقال ابن جرير أي بأمره إياكم بالوفاء بالعهد وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فيجازي كل عامل بعمله من خير وشر. 92 ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز فنهوا عن ذلك وقال الضحاك وقتادة وابن زيد نحوه وقوله إنما يبلوكم الله به قال سعيد بن جبير يعني بالكثره رواه عنه بالجيش قال ابن عباس أن تكون أمة هي أربي من أمة أي أكثر وقال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء معاوية وفاء لا غدر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقده حتى ينقضي أمدها فرجع معاوية رضي الله ملك الروم أمد ففسار معاوية إليهم في آخر الأجل حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم أغار عليهم وهم غارون لا يشعرون فقال له عمرو بن عتبة الله أكبر يا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه فلأن ينهاه عنه مع التمكن والقدرة بطريق الأولى. وقد قدمنا ولله الحمد في سورة الأنفال قصة معاوية لما كان بينه وبين أمة هي أربي من أمة أي تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم فنهى الله عن ذلك لينبه بالأدنى على الأعلى إذا أنقضا ويحتمل أن يكون بدلا عن خبر كان أي لا تكونوا أنكاثا جمع نكت من ناكث ولهذا قال بعده تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أي خديعة ومكرا أن تكون توكيده وهذا القول أرجح وأظهر وسواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا. وقوله أنكاثا يحتمل أن يكون اسم مصدر نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا أي قال عبد الله بن كثير السدي: هذه امرأة خرقاء كانت بمكة كلما غزلت شيئا نقضته بعد انبرامه وقال مجاهد وقتادة وابن زيد هذا مثل لمن نقض عهده بعد وقوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا وهكذا قال ههنا ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على الفتيل والنقيير والقطمير. 93 جميعا أي لوفق بينكم ولما جعل اختلافا ولا تباغض ولا شحنا ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم يقول الله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أيها الناس أمة واحدة كقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فأنصد بسببه عن الدخول في الإسلام ولهذا قال وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم. 94 مثل لمن كان على الاستقامة فحاده عنها وزل عن طريق الهدى بسبب الأيمان الحائثة المشتعلة على الصد عن سبيل الله لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلا أي خديعة ومكرا لئلا تزل قدم بعد ثبوتها بحذافيرها لكان ما عند الله هو خير له أي جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به وطلبه وحفظ عهده رجاء موعوده ولهذا قال إن كنتم تعلمون. 95 ثم قال ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا أي لا تعتنوا عن الإيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فإنها قليلة لو حيزت لابن آدم الدنيا الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون قسم من الرب تعالى مؤكدا باللام أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها. 96 فإنه إلى أجل معدود محصور متناه وما عند الله باق أي وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاذ له فإنه دائم لا يحول ولا يزول ولنجزين ما عندكم ينفد أي يفرغ وينقضي في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا انفراد بإخراجه مسلم. 97 الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد أفلح من هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال الترمذي هذا حديث صحيح وقال كفافا وقنعه الله بما آتاه ورواه مسلم من حديث عبد الله بن يزيد المقرئ به وروى الترمذي والنسائي من حديث أبي هانئ عن ابن علي الجهني عن فضالة بن أبي أيوب حدثني شرحبيل بن أبي شريك عن عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق هي العمل بالطاعة والانضواء بها والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد عباس أنها هي السعادة وقال الحسن ومجاهد وقتادة لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة وقال الضحاك هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا وقال الضحاك أيضا بالرزق الحلال الطيب وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه فسرها بالنعاة وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن

تفسير ابن كثير

في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة والحياة الطيبة تشتمل وجوه الراحة من أي جهة كانت وقد روى عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بنبيه صلى الله عليه وسلم من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة

مثل ذلك عن أبي هريرة أيضا ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي والصحيح الأول لما تقدم من الأحاديث الدالة على تقدمها على التلاوة والله أعلم. 98 إلى أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة وحكى عن حمزة وأبي حاتم السجستاني أنها تكون بعد التلاوة واحتجا بهذه الآية ونقل النووي في شرح المذهب التفسير ولله الحمد والمنة والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكير. ولهذا ذهب الجمهور الرجيم وهذا أمر ندب ليس بواجب حكى الإجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الاستعاذة مبسطة في أول هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان

ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه وقال آخرون معناه لا حجة له عليهم وقال آخرون كقوله إلا عبادك منهم المخلصين. 99 وقوله إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال الثوري

سورة 17

قال: لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهي خفها ح 1 فلم أرجع طريق أخرى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه فقم بها أنت وأمتك قال فعرفت أنها من الله عز وجل صري فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال أرجع فعرفت أنها من الله عز وجل صري يقول أي حتم فما قاموا بهما فرجعت إلى ربي عز وجل فسألته التخفيف فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمس صلوات فخمسين بموسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشرا ثم ردت إلى خمس صلوات قال فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإنه فرض على بني إسرائيل صلاتين على أمتك؟ قلت خمسين صلاة قال فإنك لاتستطيع أن تقوم بها لا أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجعت إلى ربي فخفف عني عشرا ثم أتيت إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام فقال ما فرض ربك ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ثم صعد بي فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشيتني ضبابة فخررت ساجدا فقيل لي فإذا فيها هارون عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام إلى السماء الثانية فإذا فيها إبن الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء الرابعة بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أمتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام ثم صعد بي صليت؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ثم دخلت ومعني جبريل عليه السلام فسرت فقال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين حدثنا يزيد بن أبي مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت وفيها غرابة ونكارة جدا وهي في سنن النسائي المجتبى ولم أرها في الكبير قال: حدثنا عمرو بن هشام حدثنا مخلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبدالعزيز وعيسى عليهم السلام وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب وفي بعض ألفاظه نكارة وغرابة طريق أخرى عن أنس بن مالك يبق من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك العجوز وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه وأما الذين سلموا عليك إبراهيم وموسى له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ثم قال له جبريل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت أمتك ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك ثم بعث السلام يا محمد فرد السلام ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الخمر والماء واللبن فتناول سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير قال فلقبه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا حاشر فقال له جبريل اردد الطريق فقال ما هذه يا جبريل؟ قال سر يا محمد قال فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شيء يدعو متنجيا عن الطريق فقال هلم يا محمد فقال له جبريل الله عليه وسلم بالبراق فكانها حركت ذنبها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بعجوز على جانب حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال: لما جاء جبريل إلى رسول الله صلى حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل وهذا غريب. وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس حدثنا عبد الله بن وهب الإسراء فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء فهي كائنة غير ما نحن فيه والله أعلم. وقال البزار أيضا حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو بحر نبيلا ملكا أو نبيلا عبدا وإلى الجنة ما أنت فأومأ إلي جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال قلت لا بل نبيلا عبدا قلت وهذا إن صح يقتضي أنها واقعة غير ليلة الأفق فلو بسطت يدي إلى السماء لثلثتها فدلي بسبب وهبط إلي النور فوقع جبريل مغشيا عليه كأنه جلس فعرفت فضل خشيته على خشيتي فأوحى إلي:

تفسیر ابن کثیر

ملأ من أصحابه فجاءه جبريل فنكت في ظهره فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكري الطير فقعد في أحدهما وقعد جبريل في الآخر فنشأت بنا حتى بلغت والياقوت ثم قال هكذا رواه الحارث بن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في الحسين بن أبي الحسين عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولط دوني أو قال دون الحجاب رفرف الدر الحارث بن عبيد وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة. ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر القاضي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دحييم عن محمد وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت وأوحى إلي ما شاء الله أن يوحى ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث إلا أنس ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني إلا طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمست فالتفت إلى جبريل كأنه جلس لاط فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم جبريل عليه السلام فوكد بين كنتفي قممت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر فسمعت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا أنا نائم إذ جاء كذه وذو فقال أشهد أنك رسول الله وكان أبو بكر رضي الله عنه قد رآها وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا بموسى وهو يصلي في قبره قال أنس ذكر أنه حمل على البراق فأوثق الدابة أو قال الفرس قال أبو بكر صفها لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وهو يصلي في قبره وقال أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنسا أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مر بن بقية حدثنا خالد عن التيمي عن أنس قال أخبرني بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مر على موسى وثابت البناني كلاهما عن أنس قال النسائي هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا وهب الله عليه وسلم مرت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي صفوان بن عمرو به ومن وجه آخر ليس فيه أنس فالله أعلم. وقال أيضا حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أنس قال: قال رسول الله صلى يخمشون بها وجوههم وصودورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وأخرجه أبو داود من حديث راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبيرة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي إلى ربي عز وجل مرت بقوم لهم أظفار من نحاس عرقا ورواه الترمذي عن إسحاق بن منصور عن عبد الرزاق وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه. وقال أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني وسلم أتى بالبراق ليلة أسري به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبريل ما يحملك على هذا فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه قال فارفض بيت المقدس وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه بن سلمة بهذا السياق وهو أصح من سياق شريك. قال البيهقي وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسري به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رجعت إلى ربي حتى استحيت ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد كتبت عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت سيئة واحدة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف خمسا حتى قال: يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها فقلت قد حط عني خمسا فقال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا ذلك وإنني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت أي رب خفف عني فقلت نعم ففعلت حتى انتهيت إلى موسى قال ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسننها قال فأوحى الله إلي ما أوحى وقد فرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدة المنتهى فإذا ورقتها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد فقيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام وإذا هو مستند إلى البيت المعمور فقيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل فقيل ومن معك؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه؟ قال قد بعث ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة قال جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل فقيل ومن معك؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه؟ قال قد بعث أنت؟ قال جبريل فقيل ومن معك؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بالحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل فقيل ومن معك؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه؟ قال قد بعث أنت؟ قال جبريل فقيل ومن معك؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه؟ قال قد بعث إليك الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ومن معك؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه؟ قال قد بعث إليك ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة قال ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل فقيل منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فاتاني جبريل سلمة أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند

تفسير ابن كثير

هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن رأيت نورا أخرجه مسلم وقوله ثم دنا فتدلى إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين وعن ابن مسعود وكذلك رؤيته جبريل أصح وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق فإن أبا ذر قال يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال نور أنى أراه وفي رواية عز وجل يعني قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قال وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على مناما توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه صلى الله عليه وسلم رأى فإن شريك بن عبد الله بن أبي نمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الأحاديث الأخر ومنهم من يجعل هذا عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال ورواه مسلم عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخر وهو كما قال مسلم وهو في المسجد الحرام هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ورواه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم عن إسماعيل بن أبي أويس عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحيت من ربي عز وجل مما أختلف إليه قال فاهبط باسم الله قال واستيقظ كيف فعلت؟ فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه فارجع إلى ربك فليخفف قال إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فارجع إلى موسى فقال فقال يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار تبارك وتعالى: يا محمد قال لبيك وسعديك وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأضعف أجسادا وقلوبا يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشير في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم أظن أن ترفع على أحدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل وقد بعث إليه؟ قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت الأولى من هذا؟ قال جبريل قالوا ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك آدم فقال مرحبا وأهلا بابني نعم الابن أنت فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل؟ قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلم عليه ورد عليه بابا من أبوابها فناده أهل السماء من هذا؟ فقال جبريل قالوا ومن معك؟ قال معي محمد قالوا وقد بعث إليه؟ قال نعم قالوا فمرحبا به وأهلا يستبشر به أهل ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو إيمانا وحكمة فحشا به صدره ولغايده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت بن عبد الله حدثنا سليمان هو ابن بلال عن شريك بن عبد الله قال: سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد ما يستحقه في الدنيا والآخرة. ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء: رواية أنس بن مالك رضي الله عنه قال الإمام أبو عبد الله البخاري: حدثني عبدالعزيز عنه صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى إنه هو السميع البصير أي السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم مصدقهم ومكذبهم البصير بهم فيعطي كلا منهم الزروع والثمار لنريه أي محمدا من آياتنا أي العظام كما قال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث في محللتهم ودارهم فدل على أنه هو الإمام الأعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وقوله تعالى الذي باركنا حوله أي في وهو مسجد مكة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأهمهم ما لا يقدر عليه أحد سواه فلا إله غيره ولا رب سواه الذي أسرى بعده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليلا أي في جنح الليل من المسجد الحرام يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمزم. يمجّد تعالى نفسه ويعظم شأنه لقدرته على وهن من تлады. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن مروان عن أبي لبابة سمعت عائشة تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول

تفسير ابن كثير

سورة الإسراء: قال الإمام الحافظ المتقن أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس

وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أي ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذابا أليما أي يوم القيامة كما قال تعالى فبشرهم بعذاب أليم. 10

وقد جاء في الصحيحين يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه. 100
إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه ملك الله لما أعطوا أحدا شيئا ولا مقدار نقيير والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهده فإن البخل والجزع والهلع صفة له كما قال تعالى وكان الإنسان قتورا قال ابن عباس وقتادة أي بخيلا منوعا وقال الله تعالى أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أي لو أن لهم نصيبا في الله لأمسكتم خشية الإنفاق قال ابن عباس وقتادة: أي الفقر أي خشية أن تذهبوا مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبدا لأن هذا من طباعكم وسجاياكم ولهذا قال يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه قل لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف في خزائن

فيه ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بال عشر الكلمات فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم. ولهذا قال موسى لفرعون. 101
وابن جرير في تفسيره من طرق عن شعبة بن الحجاج به وقال الترمذي حسن صحيح. وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء وقد تكلموا قالا لأن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته في نبي وإنا نخشى أن أضلنا أن تقتلنا يهود. فهذا حديث رواه هكذا الترمذي والنسائي وابن ماجه تفروا من الزحف شعبة الشاك وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكم أن تتبعاني؟ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة أو قال لا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تقل له نبي فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين فسألاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا قال: سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآيات وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرا وجحودا فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة منه ومنها تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر ههنا التسع آيات التي شاهدها فرعون الآيتين العصا واليد وبين الآيات الباقيات في سورة الأعراف وتفصلها وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء عصا فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إلى قوله في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين فذكر هاتين يا موسى مسحورا قيل بمعنى ساحر والله تعالى أعلم فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المرادة ههنا وهي المعنية في قوله تعالى وألق حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله كما قال فرعون لموسى وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات إني لأظنك ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وما نجعت فيهم فكذلك لو أجبن هؤلاء الذين سألو منك ما سألو وقالوا لن نؤمن لك وجعل الحسن البصري السنين ونقص الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هي تلقف العصا ما يافكون فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين أي ومع هذه الآيات ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة هي يده وعصاه والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب: هي اليد والعصا والخمس في الأعراف والطمس والحجر وقال ابن عباس أيضا بتسع آيات بينات وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عن أرسله إلى فرعون وهي العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد يخبر تعالى أنه بعث موسى

فإن له بعض ما ينكر والله أعلم ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات فحصل وهم في ذلك والله أعلم. 102
هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون؟ وما جاءهم هذا الوهم إلا من قبل عبد الله بن سلمة فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذي أرسله وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث فإن كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التي بفتح التاء على الخطاب لفرعون كما قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا الآية فهذا الشاعر: إذ أباري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثير وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله علمت وروي ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن قراءة الجمهور مثيرا أي هالكا قاله مجاهد وقتادة وقال ابن عباس ملعونا وقال أيضا هو والضحاك مثيرا أي مغلوبا والهالك كما قال مجاهد يشمل هذا كله قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر أي حججا وأدلة على صدق ما جئتكم به وإني لأظنك يا فرعون

من بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم كما قال كذلك وأورثناها بني إسرائيل. 103
منها الآيتين ولهذا أورث الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين وقهر أهلها ثم أطلقهم حلما وكرما كما أورث الله القوم الذين كانوا يستضعفون مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها كما قال تعالى وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك أي يخليهم منها ويزيلهم عنها فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض وفي هذا إشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم بفتح وقوله فأراد أن يستفزه من الأرض

تفسير ابن كثير

إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جننا بكم لفيها أي جميعكم أنتم وعدوكم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: لفيها أي جميعا. 104
مشارك الأرض ومغاربها وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم كما قال كذلك وأورثناها بني إسرائيل. وقال ههنا وقتادة من بعده لبني
ولهذا أورد الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين وقهر أهلها ثم أطلقهم حلما وكرما كما أورد الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بني إسرائيل
السورة مكية نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها كما قال تعالى وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها الآيتين
وفي هذا بشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم بفتح مكة مع أن

المطاع في المأ الأعلى وقوله وما أرسلناك أي يا محمد إلا مبشرا ونذيرا مبشرا لمن أطاعك من المؤمنين ونذيرا لمن عصاك من الكافرين. 105
نزل أي ونزل إليك يا محمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل إليك بالحق فإنه نزل به شديد القوى الأمين المكين
تعالى لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون أي متضمنا علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه وقوله وبالحق
يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد أنه بالحق نزل أي متضمنا للحق كما قال

آية آية مبينا مفسرا ولهذا قال: لتقرأه على الناس أي لتبلغه الناس وتتلوه عليهم أي على مكث أي مهل ونزلناه تنزيلا أي شيئا بعد شيء. 106
على الوقائع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة قاله عكرمة عن ابن عباس. وعن ابن عباس أيضا أنه قرأ فرقناه بالتشديد أي أنزلناه
وقوله وقرآنا فرقناه أما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفردا منجما

نقن وهو أسفل الوجه سجدا أي لله عز وجل شكرا على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلا إن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب. 107
العلم من قبله أي من صالح أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابتهم وقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون للأذقان جمع
به أو لا تؤمنوا أي سواء أمنتكم به أم لا فهو حق في نفسه أنزله الله ونوه بذكره في سالف الأزمان في كتبه المنزل على رسله ولهذا قال إن الذين أوتوا
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جئتهم به من هذا القرآن العظيم آمنوا

لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على أسنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قالوا سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. 108
ولهذا يقولون سبحان ربنا أي تعظيما وتوقيرا على قدرته التامة وأنه

وقوله ويخرون عطف صفة على صفة لا عطف السجود على السجود كما قال الشاعر: إلى الملك القرم وابن الهمام وليت الكتيبة في المزدحم. 109
أي خضوعا لله عز وجل وإيمانا وتصديقا بكتابه ورسوله ويزيدهم خشوعا أي إيمانا وتسليما كما قال والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم
وقوله ويخرون للأذقان يبيكون

عينيه فتحهما فلما سرت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويعجبه فهم بالنهوض قبل أن تصل إلى رجله فلم يستطيع قال يا رب عجل قبل الليل. 11
أن تصل الروح إلى رجله وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت إلى دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك يا آدم فلما وصلت إلى
على ذلك قلقه وعجلته ولهذا قال تعالى وكان الإنسان عجولا وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس ههنا قصة آدم عليه السلام حين هم بالنهوض قائما قبل
عباس ومجاهد وقتادة وقد تقدم في الحديث لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها وإنما يحمل ابن آدم
أو ماله بالشر أي بالموت أو الهلاك والدمار واللعة ونحو ذلك فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه كما قال تعالى ولو يعجل الله للناس الشر الآتية وكذا فسر ابن
يخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده

ويصيحون هم به وراءه فنهأه أن يصيح كما يصيح هؤلاء وأن يخافت كما يخافت القوم ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبريل من الصلاة. 110
عنه كذلك. قول آخر قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وابتغ بين ذلك سبيلا قال أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به
تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال لا تحسن علانياتها وتسبى سريرتها وكذا رواه عبدالرزاق عن معمر عن الحسن بن وهشام عن عوف عنه به وسعيد عن قتادة
ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال لا تصل مراة للناس ولا تدعها مخافة الناس وقال الثوري عن منصور عن الحسن البصري ولا
الآية في التشهد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وبه قال حفص عن أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين مثله قول آخر قال علي بن أبي طلحة عن
ولا تخافت بها. قول آخر قال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نزلت هذه
عن عبدالله بن شداد قال كان أعرابي من بني تميم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم ارزقني إبلا وولدا: قال فنزلت هذه الآية ولا تجهر بصلاتك
عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في الدعاء وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو عياض ومكحول وعروة بن الزبير وقال الثوري عن ابن عباس العامري
بكر أرفع شيئا وقيل لعمر اخفض شيئا وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس: نزلت في الدعاء وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه
وقيل لعمر لم تصنع هذا؟ قال أطرده الشيطان وأوقف الوسنان قيل أحسنت فلما نزلت ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا قيل لأبي
أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته وأن عمر كان يرفع صوته فقيل لأبي بكر لم تصنع هذا؟ قال أناجي ربي عز وجل وقد علم حاجتي فقيل أحسنت.
بن هلال عن ابن مسعود ولا تخافت بها من أسمع أذنيه قال ابن جرير: حدثنا يعقوب حدثنا ابن علي عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال: نبئت
به وابتغ بين ذلك سبيلا وهكذا قال عكرمة والحسن البصري وقتادة نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة وقال شعبة عن أشعث بن سليم عن الأسود

تفسير ابن كثير

فأنزل الله ولا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمع من أراد أن يسمع ممن يسترق ذلك منهم فلعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع فرقا منهم فإذا رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يسمع فإن خفض صوته صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه فكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم ذلك يفعل أي ذلك شاء وقال محمد بن إسحاق: حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وابتغ بين ذلك سبيلا أخرجه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس به وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس وزاد فلما هاجر إلى المدينة سقط الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك تخافت بها قال كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به قال: فقال الله تعالى لنبيه صلى أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة ولا تجهر بصلاتك ولا فقال إنه يزعم أنه يدعو واحدا وهو يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية وكذا روي عن ابن عباس رواهما ابن جرير وقوله ولا تجهر بصلاتك الآية. قال الإمام له ما في السموات والأرض الآية وقد روى مكحول أن رجلا من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم الرحمن فإنه ذو الأسماء الحسنى كما قال تعالى هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم إلى أن قال له الأسماء الحسنى يسبح الرحمة لله عز وجل المانعين من تسميته بالرحمن ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى أي لا فرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة

قال: قلت يا رسول الله لم أزل أقول الكلمات التي علمتني إسناده ضعيف وفي متنه نكارة والله أعلم. آخر تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمئة. 111 ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن ولي من الذل وكبره تكبيرا قال فأتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حسنت حالي قال: فقال لي مهيم أحد ما يدرك الفقير القانع؟ قال فقال أبو هريرة يا رسول الله إياي فعلمني قال فقل يا أبا هريرة توكلت على الحي الذي لا يموت الحمد لله الذي لم يتخذ عنك السقم والضر؟ قال بلى ما يسرني إن شهدت بها معك بدرا أو أحدا قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهل يدرك أهل بدر وأهل ويده في يدي أو يدي في يده فأتى على رجل رث الهيئة فقال أي فلان ما بلغ بك ما أرى؟ قال السقم والضر يا رسول الله قال ألا أعلمك كلمات تذهب البصري حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال: خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم سمى هذه الآية آية العز وفي بعض الآثار أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة والله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن سحان عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية الصغير من أهله والكبير. قلت: وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وقال أيضا: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. وقال الصائبون والمجوس: لولا أولياء الله لذل فأنزل الله هذه الآية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ أخبرني أبو صخر عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية قال إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدا وقالت لم يحالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد وكبره تكبيرا أي عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا قال ابن جرير: حدثني يونس أنبأ ابن وهب أو وزير أو مشير بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له ومديرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له قال مجاهد في قوله ولم يكن له ولي من الذل وقوله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل أي ليس بدليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي

مبصرة أي منيرة، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم، وقال ابن عباس: وجعلنا الليل والنهار آيتين قال: ليلا ونهارا، كذلك خلقهما الله عز وجل. 12 والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر. وقال قتادة: كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه، وجعلنا آية النهار آية النهار مبصرة قال ظلمة الليل وسدف النهار، وعن مجاهد: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل. وقال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، إلا بالحق، وقال تعالى: يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج الآية. قال ابن جريج عن عبد الله بن كثير في قوله: فمحونا آية الليل وجعلنا وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا، كما قال تعالى: هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك ثم إنه تعالى جعل ليل آية، أي علامة يعرف بها، وهي الظلام وظهور القمر فيه، وللنهار علامة، وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه، وفاوت بين نور القمر وقال: يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل الآية، وقال تعالى: فالحق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم، يأتاكم بضياء؟ أفلا تسمعون، وقال تعالى: وهو الذي جعل الليل والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، وقال تعالى: وله اختلاف الليل والنهار، الزمان كله نسقا واحدا وأسلوبا متساويا لما عرف شيء من ذلك، كما قال تعالى: قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله والإجازات وغير ذلك، ولهذا قال: لتبتغوا فضلا من ربكم: أي في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك، ولتعلموا عدد السنين والحساب، فإنه لو كان في النهار للمعاش والصنائع والأعمال والأسفار، ولتعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفتها بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا

مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره ينبا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره. 13 ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا أي نجعل له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة إما بميمينه إن كان سعيدا أو بشماله إن كان شقيا منشورا أي

تفسير ابن كثير

الله عليه وسلم يقول لطائر كل إنسان في عنقه قال ابن لهيعة يعني الطيرة وهذا القول من ابن لهيعة في تفسير هذا الحديث غريب جدا والله أعلم. وقوله عليه قلبه وكثيره ويكتب عليه ليلا ونهارا صباحا ومساء. وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر سمعت رسول الله صلى عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال إنما تجزون ما كنتم تعملون وقال من يعمل سوءا يجز به والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال وإن آدم وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه وطائره هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه فمن يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني

في قبرك حتى نخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا اقرأ كتابك الآية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك هذا من أحسن كلام الحسن رحمه الله. 14 الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفة فتك فجعلت في عنقك معك معمر وتلا الحسن البصري عن اليمين وعن الشمال قعيد يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما جيد قوي ولم يخرجوه وقال معمر عن قتادة ألزمناه طائره في عنقه قال عمله ونخرج له يوم القيامة قال نخرج ذلك العمل كتابا يلقاه منشورا قال وهو يختصم عليه فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة يا ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت إسناده حدثنا ابن لهيعة حدثني يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من عمل يوم إلا عن أبي الزبير عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طير كل عبد في عنقه. وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق حدثنا عبد الله طيرة وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه كذا رواه ابن جرير وقد رواه الإمام عبد بن حميد في مسنده متصلا فقال: حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة محيد له عنه كما قال الشاعر: اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمام قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا عدوى ولا منه وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي وقوله ألزمناه طائره في عنقه إنما ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له في الجسد ومن ألزم بشيء فيه فلا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئا مما كان ولهذا قال تعالى اقرأ

ابن حبان يعني أطفال المشركين وهكذا رواه أبو بكر البزار من طريق جرير ابن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفا. 15 رضي الله عنهم وهو على المنبر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال أمر هذه الأمة موتا أو مقاربا ما لم يتكلموا في ولدان والقدر قال بن محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم. وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم سمعت أبا رجاء العطاردي سمعت ابن عباس هذه المسألة يحتاج إلى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارع كره جماعة من العلماء الكلام فيها روي ذلك عن ابن عباس والقاسم وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه. ولما كان الكلام في إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنة في كتاب التذكرة نحو ذلك أيضا والله أعلم. وقد ذكروا في ذلك أيضا حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: دعي النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة انتهى كلامه وهو غريب جدا. وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي يشبه ما رسم مالك في موطنه في أبواب القدر وما أورده من الأحاديث في ذلك وعلى ذلك أكثر أصحابه وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن المتأخرين قال أبو عمر ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وإسحاق بن راهويه وغيرهم قال وهو الناس وهو الذي نقطع به إن شاء الله عز وجل. فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر من بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك وأن ولدان كلهم تحت المشيئة فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال: لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة وهذا هو المشهور بين ومأل أهلها إلى الجنة كما تقدم تقرير ذلك في سورة الأعراف والله أعلم. فصل وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين فأما ولدان المؤمنين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف وهذا القول يرجع إلى قول من ذهب إلى أنهم من أهل الجنة لأن الأعراف ليس دار قرار وكذلك هو في الصحيحين من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد وعن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أطفال المشركين من حديث جعفر بن أبي أياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين قال الله أعلم بما كانوا عاملين فتسلم وهذا إسناد حسن. والقول الثالث التوقف فيهم واعتمدوا على قوله صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما كانوا عاملين وهو في الصحيحين في الجاهلية وكانت تقري الضيف وتصل الرحم وأنها وأدت أختا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال الوائدة والموءودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام وقد رواه جماعة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن قيس الأشجعي قال: أتيت أنا وأخي النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا إن أمنا ماتت عن أبيه عن الشعبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار ثم قال الشعبي حدثني به علقمة عن أبي وائل عن ابن مسعود ذريتهم وهذا حديث غريب فإن في إسناده محمد بن عثمان مجهول الحال وشيخه زاذان لم يدرك عليا والله أعلم. وروى أبو داود من حديث ابن أبي زائدة قالت فولدي منك؟ قال إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم الله صلى الله عليه وسلم عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال هما في النار قال فلما رأى الكراهية في وجهها فقال لها لو رأيت مكانهما لأبغضتهما

تفسير ابن كثير

بن الإمام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال: سألت خديجة رسول متروك عن مولاته بهية عن عائشة أنها ذكرت أطفال المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن شئت أسمعك تضاعفهم في النار وروى عبد الله فذراري المشركين؟ قال هم مع آبائهم فقلت بلا عمل؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين ورواه أحمد أيضا عن وكيع عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل وهو محمد بن زياد الألهاني سمعت عبد الله بن أبي قيس سمعت عائشة تقول سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المؤمنين قال هم مع آبائهم قلت صلى الله عليه وسلم هم تبع لآبائهم فقلت يا رسول الله بلا أعمال؟ فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وأخرجه أبو داود من حديث محمد بن حرب عن حنبل عن أبي المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى غطفان أنه أتى عائشة فسألها عن ذراري الكفار فقالت قال رسول الله حديث علي بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف والله أعلم. والقول الثاني أنهم مع آبائهم في النار واستدل عليه بما رواه الإمام أحمد بن أحاديث الامتحان ونقله الأشعري عن أهل السنة ثم إن هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة منهم من يجعلهم مستقلين فيها ومنهم من يجعلهم خدما لهم كما جاء في في البرزخ مع إبراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ومن علم منه أنه لا يجيب فأمره إلى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والمولود في الجنة وهذا استدلال صحيح ولكن أحاديث الامتحان أخص منه. فمن علم الله منه أنه يطيع جعل روحه الجنة واحتجوا بحديث سمرة أنه عليه السلام رأى مع إبراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين وبما تقدم في رواية أحمد عن خنساء عن عمار أن النفوس جدا لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله أعلم. فصل إذا تقرر هذا فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال أحداها أنهم في قيل في غداة واحدة سبعين ألفا يقتل الرجل أباه وأخاه وهم في عماية غمامة أرسلها الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل وهذا أيضا شاق على من الذي يرى أنه نار فإنه يكون عليه بردا وسلاما فهذا نظير ذاك وأيضا فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضا حتى قتلوا فيما أولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم وأيضا فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم أعمالهم كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ومنهم الساعي ومنهم الماشي ومنهم من يحبو حبوا ومنهم المكدوش على وجهه في النار وليس ما ورد في من صحة الحديث فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط وهو جسر على جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة ويمر المؤمنون عليه بحسب مرارا ويقول الله تعالى: يا ابن آدم ما أغدرك ثم يأذن له في دخول الجنة وأما قوله فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم فليس هذا بمانع أراد السجود خر لفقاه. وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجا منها أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأل غير ما هو فيه ويتكرر ذلك الآية وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفحة الواحدة طبقا واحدا كلما النار كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال وقد قال تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها وأما قوله إن الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يقوى بالصحيح والحسن وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة ابتلاء فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخنوقين والله لا يكلف نفسا إلا وسعها والجواب عما قال إن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح بعد ما تقدم من أحاديث الامتحان ثم قال: وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد. وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ومن عصى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة. وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرحنا وأولاد المشركين ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام هم مع آبائهم. ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فمن أطاع دخل تحت الشجرة وحوله ولدان فقال له جبريل: هذا إبراهيم عليه السلام وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين قالوا: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال نعم فيهم لهذا الحديث ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري أنه عليه السلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ قال: قلت يا رسول الله من في الجنة؟ قال النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوئيد في الجنة فمن العلماء من ذهب إلى الوقوف قال هم خدم أهل الجنة. الحديث العاشر عن عم خنساء. قال أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية من بني صريم قالت حدثني عمي حدثنا عقبه بن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فناداه الناس يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال وأولاد المشركين وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على البخاري من حديث عوف الأعرابي. عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ما أعلم شك موسى قال ذراري المسلمين في الجنة يكلفهم إبراهيم عليه السلام وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن عطاء بن ضمرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ وفي رواية قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه

تفسير ابن كثير

تصيرون ضميمهم فتأخذهم النار الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه. قد تقدم روايته مندرجة مع رواية الأسود بن سريع رضي الله عنه من شيء فيرجعون سراجا ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك يقول الرب عز وجل قيل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي خلقتكم وإلى علمي عز وجل إني أمركم فتطيعوني؟ فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال: ولو دخلوها ما ضرتهم فتخرج عليهم قوايص فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الفترة وبالهالك صغيرا فيقول الممسوخ يا رب لو آتيتني عقلا ما كان من آتيته عقلا بأسعد مني وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك فيقول الرب واقد عن يونس بن جليس عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلا وبالهالك في الله إياي عصيتكم فكيف برسلي بالغيب الحديث السابع عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال هشام بن عمار ومحمد بن المبارك الصوري حدثنا عمرو بن بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث أبي سعيد إلا من طريقه عن عطية عنه وقال في آخره فيقول سعيدا لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل فيقول إياي عصيتكم فكيف لو أن رسلي أتيتمكم؟ وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر ويقول المعنوه رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها قال فيردها من كان في علم الله بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهالك في الفترة والمعنوه والمولود: يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب حديثه ولا يحتج به الحديث السادس عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري: قال الإمام محمد بن يحيى الذهلي حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل عباد إلا ربحان بن سعيد قلت وقد ذكره ابن حبان في ثقافته وقال يحيى بن معين والنسائي لا بأس به ولم يرضه أبو داود وقال أبو حاتم شيخ لا بأس به يكتب عليه وسلم لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما ثم قال البزار ومتن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه لم يروه عن أيوب إلا عباد ولا عن إليها فادخلوها فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا منها ورجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم وزفيرا فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أخرجنا أو أجزنا منها فيقول لهم ألم تزعموا أنني إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيأخذ على ذلك موافقهم فيقول اعمدوا عبادك فيقول لهم ربهم: أرايتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيقولون نعم فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظا القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولا لكتنا أطوع ربحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم عظم شأن المسألة قال إذا كان يوم عن عائشة فذكره الحديث الخامس عن ثوبان قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا وسئل عن أولاد المشركين فقال هم مع آبائهم فقيل يا رسول الله ما يعملون؟ قال الله أعلم بهم ورواه عمر بن زر عن يزيد بن أمية عن رجل عن البراء حدثنا عبد الله يعني ابن داود عن عمر بن زر عن يزيد بن أمية عن البراء قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المسلمين قال هم مع آبائهم بن عبد الحميد بإسناده مثله الحديث الرابع عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أيضا حدثنا قاسم بن أبي شيبه قال: فيقول الله تعالى أنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه قال: فيقول من كتب عليه الشقاء يا رب أنى ندخلها ومنها كنا نفر؟ قال: ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعا في الفترة والشيوخ الفاني الهم كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار أبرز ويقول لهم إني كنت أبعث إلى عبادي رسلا من أنفسهم وإني أبو خيثمة حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود والمعنوه ومن مات فيعذبوا بها فيكونوا من أهل النار ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من أهل الجنة. الحديث الثاني عن أنس أيضا. قال الحافظ أبو يعلى حدثنا قال أبو داود الطيالسي حدثنا الربيع عن يزيد بن أبي أنس قال: قلنا لأنس يا أبا حمزة ما تقول في أطفال المشركين؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئتم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكذا رواه معمر بن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفا. الحديث الثاني عن أنس بن مالك الله عليه وسلم أربعة كلهم يدلي على الله بحجة فذكر نحوه ورواه ابن جرير من حديث معمر بن همام عن أبي هريرة فذكره مرفوعا ثم قال أبو هريرة فاقروا عن علي بن عبد الله المدني به وقال هذا إسناد صحيح وكذا رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب إليها وكذا رواه إسحاق بن راهويه عن معاذ بن هشام ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث أحمد بن إسحاق محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما وبالإسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثله غير أنه قال في آخره فمن دخلها كانت لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول. فيأخذ موافقهم ليطيعه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس مات في فترة فأما الأصم فيقول رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئا وأما الأحمق فيقول رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبرع وأما الهرم فيقول رب بن قيس عن الأسود بن سريع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل الأئمة والله المستعان فالحديث الأول عن الأسود بن سريع قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن الأحنف والأصم الشيخ الخرف ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوته وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بعون الله وتوفيقه ثم نذكر فصلا ملخصا من كلام لها خلقا. بقي ههنا مسألة قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى فيها قديما وحديثا وهي الولدان الذين ماتوا وهم صغار وأباؤهم كفار ماذا حكمهم وكذا المجنون قال فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع فيها قدمه فتقول قط قط فهناك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله ينشئ واللفظ للبخاري من حديث عبدالرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم تسلمت حاجت الجنة والنار فذكر الحديث إلى أن

تفسير ابن كثير

يدخلها أحد إلا بعد الإعذار إليه وقيام الحجة عليه وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا لعله انقلب على الراوي بدليل ما أخرجه في الصحيحين خلقه أحدا وأنه ينشئ للنار خلقا فيلقون فيها فتقول هل من مزيد؟ ثلاثا وذكر تمام الحديث فهذا إنما جاء في الجنة لأنها دار فضل وأما النار فإنها دار عدل لا عن الأعرج بإسناده إلى أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اختصمت الجنة والنار فذكر الحديث إلى أن قال وأما الجنة فلا يظلم الله من معجمة في صحيح البخاري عند قوله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين. حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح بن كيسان نصير إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت وقال تعالى وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وكذا قوله وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها نبعت رسولا إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه كقوله تعالى كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحمل عنهم شيئا. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده وكذا قوله تعالى وما كنا معذبين حتى بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم وإثم آخر ولا تزر وازرة وزر أخرى أي لا يحمل أحد ذنب أحد ولا يجني جان إلا على نفسه كما قال تعالى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولا منافاة أثر النبوة وإنما يحمل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ومن ضل أي عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد وإنما يجني على نفسه وإنما يعود وبأل ذلك عليه ثم قال يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واقتفى

المأمورة كثيرة النسل والسكة الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة من التائبين وقال بعضهم إنما جاء هذا متناسبا كقوله مأبورات غير مأجورات. 16 هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير مال امرئ له مهرة مأبورة أو سكة مأبورة قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الغريب استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نعيم العدوي عن مسلم بن بديل عن إياس بن زهير عن سويد بن أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها يقول أكثرنا عددهم وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعن مالك عن الزهري أمرنا مترفيها أكثرنا وقد بالعذاب وهو قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها الآية وكذا قال أبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس وقال العوفي عن ابن عباس وإذا أردنا من قرأ أمرنا مترفيها قال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله أمرنا مترفيها ففسقوا فيها يقول سلطانا أشرارها فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله العقوبة. رواه ابن جريج عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبيرة أيضا وقال ابن جرير يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء قلت إنما يجيء هذا على قراءة ليلأ أو نهارا إن الله لا يأمر بالفحشاء قالوا معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب وقيل معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا في قراءة قوله أمرنا فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها فقليل معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرا قدريا كقوله تعالى أتاها أمرنا اختلف القراء

أولى وأحرى. وقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا أي هو عالم بجميع أعمالهم خيرها وشرها لا يخفى عليه منها خافية سبحانه وتعالى. 17 كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام. ومعناه أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق ففوقبتكم صلى الله عليه وسلم بأنه قد أهلك أمما من المكذبين للرسول من بعد نوح ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام كما قاله ابن عباس يقول تعالى منذرا كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمدا

عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له. 18 على سوء تصرفه وصنيعه إذ أختار الفاني على الباقي مدحورا مبعدا مقصيا حقيرا ذليلا مهانا. روى الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا رويد عن أبي إسحاق له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم أي في الدار الآخرة يصلها أي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه مذموما أي في حال كونه مذموما تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات فإنه قال عجلنا يخبر

من طريقه وهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن أي قلبه مؤمن أي مصدق موقن بالثواب والجزاء فأولئك كان سعيهم مشكورا. 19 وقوله ومن أراد الآخرة أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعم والسرور وسعى لها سعيها أي طلب ذلك لا تتخذوا أي لئلا تتخذوا من دوني وكيفا أي وليا ولا نصيرا ولا معبودا دوني لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبدوه وحده لا شريك له. 2 وبين ذكر التوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الإسراء وآتيناه موسى الكتاب يعني التوراة وجعلناه أي الكتاب هدى أي هاديا لبني إسرائيل أن محمد صلى الله عليه وسلم عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضا فإنه تعالى كثيرا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما من الله الصلاة والسلام لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبد

وما كان عطاء ربك محظورا أي لا يمنعه أحد ولا يرد راد قال قتادة وما كان عطاء ربك محظورا أي منقوصا وقال الحسن وغيره أي ممنوعا. 20

تفسير ابن كثير

عطاء ربك أي هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور فيعطي كلا ما يستحقه من السعادة والشقاوة فلا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد ولهذا قال يقول تعالى كلا أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة ندمهم فيما فيه من

سلمان مرفوعا ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة أكبر منها ثم قرأ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا. 21
العلی لیرون أن علیین كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء ولهذا قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وفي الطبراني من رواية زاذان عن
يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات يتفاوتون فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض. وفي الصحيحين إن أهل الدرجات
الآخرة أكبر من الدنيا فإن منهم من يكون في الدرجات العلى ونعيمها وسرورها ثم أهل الدرجات
ذلك والحسن والقبيح وبين ذلك ومن يموت صغيرا ومن يعمر حتى يبقى شيئا كبيرا وبين ذلك وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي وتفاوتهم في الدار
ثم قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض أي في الدنيا فمنهم الغني والفقير وبين

ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالغني إما أجلا وإما عاجلا ورواه أبو داود والترمذي من حديث بشير بن سليمان به وقال الترمذي حسن صحيح غريب. 22
عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته
معه وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعا لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له. وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا بشير ابن سليمان
من الأمة لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربك له شريكا فتتعد مذموما أي على إشراكك مخذولا لأن الرب تعالى لا ينصرك بل يكلك إلى الذي عبدت
يقول تعالى والمراد المكلفون

ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال وقل لهما قولا كريما أي لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم. 23
هو أدنى مراتب القول السيئ ولا تنهرهما أي ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله ولا تنهرهما أي لا تنفض يدك عليهما
أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وقوله إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف أي لا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا التأفيف الذي
بن مزاحم ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال وبالوالدين إحسانا أي وأمر بالوالدين إحسانا كقوله في الآية الأخرى
يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر قال مجاهد وقضى يعني وصى وكذا قرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك

هل أدبت حقها؟ قال لا ولا بزفرة واحدة أو كما قال ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه. قلت والحسن بن أبي جعفر ضعيف والله أعلم. 24
جعفر عن ليث بن أبي سليم عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم
آخر قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده: حدثنا إبراهيم بن المستمير العروقي حدثنا عمرو بن سفيان حدثنا الحسن بن أبي
من بني يربوع قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة وهو يكلم الناس يقول يد المعطي العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك حديث
فالأقرب وأخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عياش به. حديث آخر قال أحمد حدثنا يونس حدثنا أبو عوانة عن أشعث بن سليم عن أبيه عن رجل
صلى الله عليه وسلم قال إن الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بالآقرب
جريح به. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معديكرب عن النبي
لك من أم؟ قال نعم قال فالزمها فإن الجنة عند رجليها ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا القول ورواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن
الله بن عبد الرحمن عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت الغزو وجنتك أستشيرك فقال فهل
ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل به حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا ابن جريح أخبرني محمد بن طلحة بن عبيد
والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتها ورواه أبو داود وابن
صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل من الأنصار فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر أبيي شيء بعد موتها أبرهما به؟ قال نعم خصال أربع: الصلاة عليهما
محمد حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل حدثنا أسيد بن علي عن أبيه عن أبي عبيد عن أبي أسيل وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما أنا جالس عند رسول الله
ورواه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن ربعي بن إبراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يونس حدثنا
أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فأنسلخ فلم يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة قال ربعي ولا أعلمه إلا قال أو أحدهما
ابن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم
بن بلال عن سهيل به. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا ربعي بن إبراهيم قال أحمد وهو أخو إسماعيل بن علي وكان يفضل على أخيه عن عبد الرحمن
رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه أو كلاهما عنده الكبر ولم يدخل الجنة صحيح من هذا الوجه ولم يخرجوه سوى مسلم من حديث أبي عوانة وجريير وسليمان
قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رغم أنف ثم رغم أنف ثم
وسلم من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة به وفيه زيادات أخر حديث آخر
قال الإمام أحمد حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرارة بن أوفى يحدث عن أبي مالك القشيري قال: قال النبي صلى الله عليه
ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله عز وجل ومن ضم يتيما من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة حديث آخر
بن عمرو القشيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار فإن كل عظم من عظامه محررة بعظم من عظامه

تفسير ابن كثير

والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله حديث آخر وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان عن حماد ابن سلمة حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك منه ثم قال: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد فذكر معناه إلا أنه قال عن رجل عن قومه يقال له مالك أو ابن مالك وزاد ومن أدرك ضم يتيما من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البتة ومن أعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النار يجزى بكل عضو منه عضوا آخر قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك بن الحارث عن رجل منهم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخله الجنة قل آمين فقلت آمين حديث يا رسول الله علام ما أمنت؟ قال أتاني جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم أنف رجل دخل في بر الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث المروي من طرق عن أنس وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر ثم قال آمين آمين آمين قيل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا أي في كبرهما وعند وفاتهما قال ابن عباس ثم أنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وقد جاء واخفض لهما جناح الذل من الرحمة أي تواضع لهما بفعلك وقل

تعالى إن إلينا إيابهم وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال آييون تائبون عابدون لربنا حامدون. 25 من المعصية إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه وهذا الذي قاله هو الصواب لأن الأبواب مشتق من الأب وهو الرجوع يقال أب فلان إذا رجع قال قال كنا نعد الأبواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا. قال ابن جرير والأولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجاء فيستغفر الله منها ووافقه مجاهد في ذلك وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله فإنه كان للأوابين غفورا المسيب به وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبيرة ومجاهد هم الراجعون إلى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلاء ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمّر عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله فإنه كان للأوابين غفورا قال الذين يصيبون الذنب غفورا قال قتادة للمطيعين أهل الصلاة وعن ابن عباس المسيحين وفي رواية عنه المطيعين المحسنين وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين إلى أوابيه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين وقوله فإنه كان للأوابين قال سعيد بن جبيرة هو الرجل تكون منه البادرة

نهى عن الإسراف فيه بل يكون وسطا كما قال في الآية الأخرى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية ثم قال منفرا عن التبذير والسرف. 26 من وضع الرافضة والله أعلم. وقد تقدم الكلام على المساكين وأبناء السبيل في سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا قوله ولا تبذر تبذيرا لما أمر بالإنفاق وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده لأن الآية مكية وفدك إنما فتحت مع خبير سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا؟ فهو إذا حديث منكر الأشبه أنه حقه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فأعطاه فدك ثم قال لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمي وحמיד بن حماد بن الخوار وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد عن يعقوب حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال لما نزلت وآت ذا القربى الحديث أمك وأباك ثم أدناك أدناك وفي رواية ثم الأقرب فالأقرب وفي الحديث من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام وفي

الله وارتكاب معصيته ولهذا قال وكان الشيطان لربه كفورا أي جحودا لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته. 27 نعم إذا أدبته إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها وإثمها على من بدلها وقوله: إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أي في التبذير والسفه وترك طاعة وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا فقال حسبي يا رسول الله إذا أدبت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك إن كان فإنها طهرة تطهرك وتصل أقبالك وتعرف حق السائل والجار والمساكين فقال يا رسول الله أقلل لي؟ قال فأت ذا القربى حقه والمساكين وسلم فقال يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الزكاة القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: أتى رجل من بني تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكن مبذرا ولو أنفق مدا في غير حق كان مبذرا. وقال قتادة: التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد. وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن إخوان الشياطين أي أشباههم في ذلك. قال ابن مسعود التبذير الإنفاق في غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم إن المبذرين كانوا

جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله هكذا فسر قوله فقل لهم قولا ميسورا بالوعد: مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقاتادة وغير واحد. 28 ربك الآية أي إذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقد النفقة فقل لهم قولا ميسورا أي عدهم وعدا بسهولة ولين إذا وقوله: وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من

سكين بن عبدالعزيز حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد. 29 عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحي سبعين شيطانا. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا

تفسير ابن كثير

كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا وروى البيهقي من طريق سعدان بن نصر عن أبي معاوية عن الأعمش نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا أنفق إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله وفي حديث أبي كثير عن عبد الله بن عمر مرفوعا إياكم والشح فإنه أهلك من اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا وروى مسلم عن قتيبة عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا ما بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما: هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال أنفق أنفق عليك وفي الصحيحين من طريق معاوية بن أبي مزرع عن سعيد توعى فيوعى الله عليك ولا توكي فيوكي الله عليك وفي لفظ ولا تحصي فيحصى الله عليك وفي صحيح مسلم من طريق عبدالرزاق عن معمر عن أبي طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفقي هكذا وهكذا ولا تخفي بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع هذا لفظ البخاري في الزكاة وفي الصحيحين من وسلم يقول: مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من تدييهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير أي كليل عن أن يرى عيبا هكذا فسر هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف: ابن عباس تتفق فتكون كالحسير وهو الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا فإنها تسمى الحسير وهو مأخوذ من الكلال كما قال فارجع البصر هل ترى عنك كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة. ومن كان ذا مال فيبخل بماله على قومه يستغن عنه ويذمم ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا وهذا من باب اللف والنشر أي فتقعد إن بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مغلولة أي نسبهه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله: ولا تبسطها كل البسط أي ولا تسرف في الإنفاق يقول تعالى أمرا بالاعتصام في العيش ذاما للبخل ناهيا عن السرف ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك أي لا تكن بخيلا منوعا لا تعطي أحدا شيئا بطوله وفيه فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا فاشفع لنا إلى ربك وذكر الحديث بكامله. 3 أسلم كان يحمده الله على كل حال وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أبي أسامة به وقال مالك عن زيد بن الإمام أحمد حدثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن نعيم حدثنا سفيان عن أبي حصين عن عبد الله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي قال: إنما سمي نوح عبدا شكورا لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله. وقال السلف أن نوحا عليه السلام كان يحمده الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله. فلهذا سمي عبدا شكورا. قال الطبراني حدثني علي بن عبدالعزيز حدثنا أبو في السفينة تشبهوا بأبيكم إنه كان عبدا شكورا فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الحديث وفي الأثر عن ثم قال ذرية من حملنا مع نوح تقديره يا ذرية من حملنا مع نوح فيه تهيج وتنبيه على المنة أي يا سلاله من نجينا فحملنا مع نوح عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجا والفقر عقوبة عيادا بالله من هذا وهذا. 30 أي خبيرا بصيرا بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر كما جاء في الحديث إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه وإن من هو الرزاق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء لما له في ذلك من الحكمة ولهذا قال إنه كان بعباده خبيرا بصيرا وقوله: إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إخبار أنه تعالى

الذنب أعظم؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي؟ قال أن تزاني بحليلة جارك. 31 وقوله إن قتلهم كان خطئا كبيرا أي ذنبا عظيما وقرأ بعضهم كان خطأ كبيرا وهو بمعناه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله أي في ثاني الحال ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال نحن نرزقهم وإياكم وفي الأنعام ولا تقتلوا أولادكم من إملاق أي من فقر نحن نرزقكم وإياهم لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته فنهى الله تعالى عن ذلك وقال ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أي خوف أن تفتقروا هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده لأنه نهى عن قتل الأولاد كما أوصى الآباء بالأولاد في الميراث وكان أهل الجاهلية عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له. 32 ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نضر حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال أفترحبه لخالته؟ قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالته قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر يحبونه لبناتهم قال أفترحبه لأختك؟ قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال أفترحبه لعمتك؟ قال لا والله جعلني الله فداك لأمك؟ قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال أفترحبه لابنتك؟ قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله انذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه فقال ادنه فدنا منه قريبا فقال اجلس فجلس فقال أتجبه سبيلا أي وبئس طريقا ومسلكا. وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا جرير حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة أن فتى شابا أتى النبي صلى يقول تعالى ناهيا عباده عن الزنا وعن مقاربتة ومخالطة أسبابه ودواعيه ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة أي ذنبا عظيما وساء

تفسير ابن كثير

فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل وقوله: إنه كان منصورا أي أن الولي منصور على القاتل شرعا وغالبا وقدرًا. 33
والمجوس فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجا ومن ترك وأنتم تاركون كنتم كقرون من القرون هلك فيمن هلك وقوله فلا يسرف في القتل قالوا معناه
الله يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل الآية وليحملنكم قريبش على سنة فارس والروم وليقيم عليكم النصارى واليهود
إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعني عثمان قلت لعلي اعتزل فلو كنت في حجر طلبت حتى تستخرج فعصاني وإيم الله ليتأمرن عليكم معاوية وذلك أن
النحاس حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شاذب عن مطر الوراق عن زهد الجرمي قال: كنا في سمر ابن عباس فقال إني محدثكم بحديث ليس بسر ولا علانية
ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة وهذا من الأمر العجب وقد روى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال حدثنا يحيى بن عبد الباقي حدثنا أبو عمير بن
من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتل وأبى أن يبايع عليا هو وأهل الشام ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه كما قاله
يطالب عليا رضي الله عنه أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم لأنه أموي وكان علي رضي الله عنه يستمهل في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ويطلب علي
الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة أنه سيملك لأنه كان ولي عثمان مظلوما رضي الله عنه وكان معاوية
لوليه سلطانا أي سلطة على القاتل فإنه بالخيار فيه إن شاء قتله قودا وإن شاء عفا عنه على الدية وإن شاء عفا عنه مجانا كما ثبتت السنة بذلك. وقد أخذ
بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة وفي السنن لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم وقوله: ومن قتل مظلوما فقد جعلنا
كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس
يقول تعالى ناهيا عن قتل النفس بغير حق شرعي

بالعهد أي الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه إن العهد كان مسنولا أي عنه. 34
الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وقوله وأوفوا
مال اليتيم إلا بالغبطة ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول
يقول تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده أي لا تتصرفوا في

والسلام كان يقول لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله إلا أبده الله به في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك. 35
وأحسن عاقبة. وابن عباس كان يقول يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان قال وذكر لنا أن نبي الله عليه الصلاة
خير أي لكم في معاشكم ومعادكم ولهذا قال وأحسن تأويلا أي مالا ومنقلبا في آخرتكم. قال سعيد عن قتادة ذلك خير وأحسن تأويلا أي خير ثوابا
قرئ بضم القاف وكسرهما كالقرطاس وهو الميزان قال مجاهد هو العدل بالرومية وقوله المستقيم أي الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب ذلك
وقوله وأوفوا الكيل إذا كلتم أي من غير تطفيف لا تبخسوا الناس أشياءهم وزنوا بالقسطناس

عنها يوم القيامة وتسأل عنه وعما عمل فيها ويصح استعمال أولئك مكان تلك كما قال الشاعر: ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام.. 36
كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل وقوله كل أولئك أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد كان عنه مسنولا أي سيسأل العبد
وفي سنن أبي داود بنس مطية الرجل زعموا وفي الحديث الآخر إن أفرى الفرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا وفي الصحيح من تحلم حلما
علم بل بالظن الذي هو التوهم والخيال كما قال تعالى: اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم وفي الحديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
وقال قتادة لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله ومضمون ما ذكره أن الله تعالى نهى عن القول بلا
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول لا تقل وقال العوفي عنه لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقال محمد بن الحنفية يعني شهادة الزور

يحيى عن سعيد عن محسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشيت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض. 37
خالد بن معدان: إياكم والخطر فإن الرجل يده من سائر جسده رواهما ابن أبي الدنيا وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن يزيد عن
في مشيته فقال له يا هذا: إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل بعد. ورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال إن للشياطين إخوانا وقال
أما سمعت قول الله تعالى: ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ورأى البخاري العابد رجلا من آل علي يمشي وهو يخطر
يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الأهمم فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلي وتب إلى ربك
عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه أي حقيق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله أن
وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفجر عنها قباؤه وهو يمشي ويتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف أف شامخ بأنفه ثاني
الخمول والتواضع: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد بن أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهمم يريد المنصور
وعند الناس كبير ومن استكبر وضعه الله في نفسه كبير وعند الناس حقير حتى لهو أبغض إليهم من الكلب والخنزير وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب
أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض. وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير
قصده كما ثبت في الصحيح بينما رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وكذلك
بقول روبة بن العجاج: وقاتم الأعماق خاوي المخترقن وقوله: ولن تبلغ الجبال طولا أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض
المشية ولا تمش في الأرض مرحا أي متبخترا متمايلا مشي الجبارين إنك لن تخرق الأرض أي لن تقطع الأرض بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه

تفسیر ابن کثیر

الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض. يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في من سائر جسده رواهما ابن أبي الدنيا وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن يزيد عن يحيى عن سعيد عن محسن قال: قال رسول لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل بعد. ورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال إن للشياطين إخوانا وقال خالد بن معدان: إياكم والخطر فإن الرجل يده مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ورأى البختری العابد رجلا من آل علي يمشی وهو يخطر في مشيته فقال له يا هذا: إن الذي أكرمك به كل عضو منه نعمة وللشیطان به لعنة فسمعه ابن الأهمم فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلي وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى: ولا تمس في الأرض في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذکورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدی حق الله منها والله أن یمشی أحدهم طبیعته يتلجلج تلجلج المجنون في على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو یمشی ویتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصر خده ينظر في عطفيه أي حمیق ينظر بن كثير حدثنا حجاج بن محمد بن أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهمم يريد المنصور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض في نفسه كبير وعند الناس حقير حتى لهو أبغض إليهم من الكلب والخنزير وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الخمول والتواضع: حدثنا أحمد بن إبراهيم قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض. وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ومن استكبر وضعه الله یمشی فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على المخترقن وقوله: ولن تبلغ الجبال طولا أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح بينما رجل متبخترا متمايلا مشي الجبارين إنك لن تخرق الأرض أي لن تقطع الأرض بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤية بن العجاج: وقاتم الأعماق خاوي أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض. يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في المشية ولا تمس في الأرض مرحا أي وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن يزيد عن يحيى عن سعيد عن محسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى بعد. ورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال إن للشياطين إخوانا وقال خالد بن معدان: إياكم والخطر فإن الرجل يده من سائر جسده رواهما ابن أبي الدنيا الجبال طولا ورأى البختری العابد رجلا من آل علي يمشی وهو يخطر في مشيته فقال له يا هذا: إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل لعنة فسمعه ابن الأهمم فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلي وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى: ولا تمس في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ ولا مذکورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدی حق الله منها والله أن یمشی أحدهم طبیعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة وللشیطان به یمشی ویتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصر خده ينظر في عطفيه أي حمیق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهمم يريد المنصور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو حتى لهو أبغض إليهم من الكلب والخنزير وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الخمول والتواضع: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد بن به وبداره الأرض. وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ومن استكبر وضعه الله في نفسه كبير وعند الناس حقير يتبختر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف طولا أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح بينما رجل يمشی فيمن كان قبلكم وعليه بردان لن تخرق الأرض أي لن تقطع الأرض بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤية بن العجاج: وقاتم الأعماق خاوي المخترقن وقوله: ولن تبلغ الجبال يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في المشية ولا تمس في الأرض مرحا أي متبخترا متمايلا مشي الجبارين إنك

كل هذا الذي ذكرناه من قوله: وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه إلى هنا فسيئه أي فقبّحه مكروه وعند الله هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله. 38

قوله: ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق إلى هنا فهو سيئة مؤاخذ عليها مكروها عند الله لا يحبه ولا يرضاه وأما من قرأ سيئه على الإضافة فمعناه عنده وقوله كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها أما من قرأ سيئة أي فاحشة فمعناه عنده كل هذا الذي نهينا عنه من

كل خير قال ابن عباس وقتادة مطرودا والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه صلوات الله وسلامه عليه معصوم. 39

مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما أي تلومك نفسك ويلومك الله والخلق مدحورا أي مبعدا من يقول تعالى هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة

ويطغون ويفجرون على الناس كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين أي تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به. 4 أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب أي تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علوا كبيرا أي يتجبرون يخبر تعالى

ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا. 40
فتلك إذا قسمة ضيزى وقال تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن
ثم شدد الإنكار عليهم فقال إنكم لتقولون قولا عظيما أي في زعمكم أن لله ولدا ثم جعلكم ولده الإناث التي تأنفون أن يكن لكم وربما قتلتموهن بالوأد
الثلاث خطأ عظيما فقال تعالى منكرنا عليهم أفأصفاكم ربكم بالبنين أي خصصكم بالذكور واتخذ من الملائكة إناثا أي واختار لنفسه على زعمكم البنات
الزاعمين عليهم لعائن الله أن الملائكة بنات الله فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عبدهم فأخطأوا في كل من المقامات

من الحجج والبيّنات والمواظف فينزعجوا عما هم فيه من الشرك والظلم والإفك وما يزيدهم أي الظالمين منهم إلا نفورا أي عن الحق وبعدا منه. 41
يقول تعالى: ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يذكرون ما فيه

واسطة بينكم وبينه فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريمة وقدها. 42
أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة فاعبدوه أنتم وحده كما يعبد من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم إلى معبود يكون
لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكا من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى لو كان الأمر كما تقولون وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان
يقول تعالى قل يا محمد

المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى علوا كبيرا أي تعاليا كبيرا بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. 43
فقال سبحانه وتعالى عما يقولون أي هؤلاء المشركون

يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا إلى أن قال ولو يؤاخذ الله الناس إلى آخر السورة. 44
وتاب إليه تاب عليه كما قال تعالى: ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله الآية وقال ههنا إنه كان حليما غفورا كما قال في آخر فاطر إن الله
وكأين من قرية أُمليت لها وهي ظالمة الآية وقال وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة الآيتين ومن أقلع عما هو فيه من كفر أو عصيان ورجع إلى الله
إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة الآية وقال تعالى:
إنه كان حليما غفورا أي إنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة بل يؤجله وينظره فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر كما جاء في الصحيحين
قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء إنما قال ما لم يبيس لأتبعهما يسبحان ما دام فيهما خضرة فإذا يبسا انقطع تسبيحهما والله أعلم وقوله:
الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا أخرجاه في الصحيحين
القول بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول وأما
المائدة من الخشب فكان الحسن رحمه الله ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه خضرة كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد يستأنس لهذا
قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقدما الخوان فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعد يسبح هذا الخوان؟ فقال كان يسبح مرة قلت الخوان هو
شيء إلا يسبح بحمده قال كل شيء فيه الروح. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن حميد حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قالا حدثنا جرير أبو الخطاب
ونبات قال قتادة في قوله: وإن من شيء إلا يسبح بحمده قال كل شيء فيه روح يسبح من شجر أو شيء فيه وقال الحسن والضحاك في قوله: وإن من
سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة في الحج وقال آخرون إنما يسبح من كان فيه روح يعنون من حيوان
والشجرة تسبح الأسطوانة السارية وقال بعض السلف صرير الباب تسبيحه وخزير الماء تسبيحه قال الله تعالى: وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال
إلا يسبح بحمده إنسانه فيه ضعف فإن الأودي ضعيف عند الأكثرين وقال عكرمة في قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده قال الأسطوانة تسبح
نوح ابنه؟ إن نوحا عليه السلام قال لابنه يا بني أملك أن تقول سبحان الله فإنها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق قال الله تعالى وإن من شيء
محمد بن يعلى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشيء أمر به
أحمد أيضا عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مصعب بن زهير به أطول من هذا وتفرد به وقال ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي حدثنا
والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتهما أو لفصمتهما وأمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ورواه الإمام
والكبر وأمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح ولو أن السموات
وسلم فجلس فقال إن نوحا عليه السلام لما حصرته الوفاة دعا ابنه فقال إني قاص عليكما الوصية أمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك بالله
رأس بن رأس فقام إليه النبي صلى الله عليه وسلم مغضبا فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه فقال لا أرى عليك ثياب من لا يعقل رجع رسول الله صلى الله عليه
أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي عليه جبة من طبالسة مكفوفة بدياج: أو مزورة بدياج فقال: إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بن راع ويضع كل
وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن وهب حدثنا جرير حدثنا أبي سمعت مصعب بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال
قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحدا من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح. وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم.
من أحد عملا حتى يقولها وإذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها وإذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والأرض وإذا
قتل الضفدع وقال نقيها تسبيح وقال قتادة عن عبد الله بن أبي عن عبد الله بن عمرو أن الرجل إذا قال لا إله إلا الله فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله
في الطرق والأسواق قرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم
وهو حديث مشهور في المسانيد وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبآن عن سهل بن معاذ عن ابن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن رسول
وفي حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

تفسير ابن كثير

إلا يسبح بحمده أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى وقوله: وإن من شيء به إلى المسجد الأقصى كان بين المقام وزمزم وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات السبع فلما رجع قال سمعت تسبيحا في سعيد بن منصور حدثنا سليمان بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثنا عروة بن رويم عن عبدالرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري كما قال تعالى: تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته. ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد. يقول تعالى تقدره السموات السبع والأرض ومن فيهن أي

وسلم فقالت يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني فقال أبو بكر لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فانصرفت وهي تقول لقد علمت قريش أنني بنت سيدها. 45 به منها وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر رضي الله عنه لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال إنها لن تراني وقرأنا اعتصم أبي لهب جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذمما أتينا أو أبينا قال أبو موسى الشك مني ودينه قليلنا وأمره عصينا. ورسول موسى الهروي إسحاق بن إبراهيم حدثنا سفيان عن الوليد بن كثير عن يزيد بن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت لما نزلت تبت يدا و قيل مستورا عن الأبصار فلا تراه وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى ومال إلى ترجيحه ابن جرير رحمه الله وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو وبينك حجاب أي مانع حائل أن يصل إلينا مما تقول شيء وقوله حجابا مستورا بمعنى ساتر كميون ومشنوم بمعنى يامن وشائم لأنه من يمينهم وشؤمهم بينك وبينهم حجابا مستورا. قال قتادة وابن زيد هو الأكنة على قلوبهم كما قال تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وإذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن جعلنا

وحده ولوا على أديبارهم نفورا هم الشياطين وهذا غريب جدا في تفسيرها وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن أو نودي بالأذان أو ذكر الله انصرفوا. 46 الحسين بن محمد الذارع حدثنا روح بن المسيب أو رجاء الكلبي حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله وإذا ذكرت ربك في القرآن من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها. قول آخر في الآية روى ابن جرير حدثني إبليس وجنوده فأبى الله إلا أن يمضيها ويعليها وينصرها ويظهرها على من ناوأها إنها كلمة من خاصم بها فلاح ومن قاتل بها نصر إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة لا يؤمنون بالآخرة الآية قال قتادة في قوله وإذا ذكرت ربك في القرآن الآية أن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله أنكروا ذلك المشركون وكبرت عليهم فضافها أديبارهم نفورا ونفور جمع نافر كقعود جمع قاعد ويجوز أن يكون مصدرا من غير الفعل والله أعلم كما قال تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين ينفعهم ويهتدون به. وقوله تعالى وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده أي إذا وحدت الله في تلاوتك وقلت لا إله إلا الله ولوا أي أدبروا راجعين على على قلوبهم أكنة وهي جمع كنان الذي يغشى القلب أن يفقهوه أي لئلا يفهموا القرآن وفي آذانهم وقرا وهو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعا وقوله وجعلنا

أنه مسحور له رأي يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر. 47 فيم نحن فإننا عصفير من هذا الأنام المسحر وقال الراجز: يسحر بالطعام وبالشراب. أي يغذى وقد صوب هذا القول ابن جرير وفيه نظر لأنهم أرادوا ههنا بما قالوا من أنه رجل مسحور من السحر على المشهور أو من السحر وهو الرئة أي إن تبعون إن اتبعتم محمدا إلا بشرا يأكل كما قال الشاعر: فإن تسألينا يخبر تعالى نبيه محمدا بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته صلى الله عليه وسلم سرا من قومهم

على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق. قال فقام عنه الأخنس وتركه. 48 ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال ماذا سمعت؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجائنا وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأخنس وأنا والذي حلفت به. قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض ما قال أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في أنفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو بن عمرو بن وهب الثقفي حليف ابن زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالليل في بيته فأخذ كل واحد منهم مجلسا مخلصا قال محمد بن إسحاق في السيرة حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق ولهذا قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أي فلا يهتدون إلى الحق ولا يجدون إليه

تفسير ابن كثير

نخرة قالوا تلك إذا كرة خاسرة وقوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه الآيتين فأمر الله سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم. 49 لمبعوثون خلقا جديدا أي يوم القيامة بعد ما بلينا وصرنا عدما لا نذكر كما أخبر عنهم في الموضع الآخر يقولون أننا لمردودون في الحافرة أذا كنا عظاما المعاد القائلين استفهام إنكار منهم لذلك أذا كنا عظاما ورفاتا أي ترابا قاله مجاهد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما غبارا أننا يقول تعالى مخبرا عن الكفار المستبعدة وقوع

فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم أولا ثم أدبلوا عليه بعد ذلك. وقتل داود جالوت ولهذا قال ثم رددنا لك الكرة عليهم. 5 أي بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا وكان وعدا مفعولا وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلمين عليهم من هم؟ شديد أي سلطنا عليكم جندا من خلقنا أولي بأس شديد أي قوة وعدة وعدد وسلطنة شديدة فجاسوا خلال الديار أي تملكوا بلادكم وسلخوا خلال بيوتكم وقوله فإذا جاء وعد أولاهما أي أولى الإفسادتين بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس

فقال قل كونوا حجارة أو حديدا إذ هما أشد امتناعا من العظام والرفات. 50

له كن فيكون وقوله فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة أي إنما هو أمر واحد بانتهاز فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض. إلى ظاهرها. 51 أنتم تخرجون أي إذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يخالف ولا يمانع بل كما قال تعالى وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول أي احذروا ذلك فإنه قريب إليكم سيأتيكم لا محالة فكل ما هو آت آت. وقوله تعالى يوم يدعوكم أي الرب تبارك وتعالى إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا لوقوع ذلك كما قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وقال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وقوله قل عسى أن يكون قريبا رأسه ويقال نغضت سنه إذا تحركت وارتفعت من منبتها. وقال الراجز: ونغضت من هرم أسنانها. وقوله ويقولون متى هو إخبار عنهم بالاستبعاد منهم العرب من لغاتها لأن الإنغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل ومنه قيل للظلم وهو ولد النعمة نغضا لأنه إذا مشى عجل بمشيته وحرك الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه الآية وقوله تعالى فسينغضون إليك رؤوسهم قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاء وهذا الذي قاله هو الذي تعرفه قل الذي فطركم أول مرة أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا مذكورا ثم صرتم بشرا تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال وهو الذي يبدأ قال النبي صلى الله عليه وسلم قال مالك ويقولون هو الموت. وقوله تعالى فيقولون من يعيدنا أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر شديدا وفي رواية: ما شئتم فكونوا فسينعيدكم الله بعد موتكم وقد وقع في التفسير المروي عن الإمام مالك عن الزهري في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقال مجاهد أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني السماء والأرض والجبال القيامة كأنه كبش ألمح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة أتعرفون هذا؟ فيقولون نعم: ثم يقال يا أهل النار أتعرفون هذا؟ فيقولون نعم فيذبح بين أنكم لو صرتم إلى الموت الذي هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء فإنه لا يمتنع عليه شيء إذا أراد. وقد ذكر ابن جرير ههنا حديثا يجاء بالموت يوم عمر أنه قال في تفسير هذه الآية لو كنتم موتى لأحييتكم. وكذا قال سعيد بن جببر وأبو صالح والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال ابن إسحاق عن ابن أبي نجيع عن مجاهد سألت ابن عباس عن ذلك فقال: هو الموت وروى عطية عن ابن

يؤفكون وقال تعالى قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون. 52 إلا عسرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا وكقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وقال تعالى يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وسيأتي في سورة فاطر. وقوله تعالى وتظنون أي يوم تقومون من قبوركم إن لبثتم أي في الدار الدنيا إلا قليلا على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم كأنهم يلبثون لا إله إلا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون لا إله إلا الله وفي رواية يقولون وكذا قال ابن جريج وقال قتادة بمعرفة وطاعته وقال بعضهم يوم يدعوكم فتستجيبيون بحمده أي وله الحمد في كل حال. وقد جاء في الحديث ليس تعالى يوم يدعوكم فتستجيبيون بحمده أي تقولون كلكم إجابة لأمره وطاعة لإرادته. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فتستجيبيون بحمده أي بأمره كما قال

ههنا قال حماد وقال بيده إلى صدره وما تواد رجلان في الله ففرق بينهما إلا حدث يحدثه أحدهما والمحدث شر والمحدث شر والمحدث شر. 53 قال حدثني رجل من بني سليط قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في رفة من الناس فسمعتة يقول المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله التقوى الشيطان أن ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار أخرجاه من حديث عبد الرزاق. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا علي بن زيد عن الحسن حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل وعداوتة ظاهرة بينة ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة فإن الشيطان ينزغ في يده أي فربما أصابه بها. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة لطاعته والإنابة إليه أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك يا محمد عليهم وكلا أي إنما أرسلناك نذيرا فمن أطاعك دخل الجنة ومن عصاك دخل النار. 54

تفسير ابن كثير

يقول تعالى ربكم أعلم بكم أيها الناس أي أعلم بمن يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق إن يشأ يرحمكم بأن يوفقكم

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرح فكان يقرؤه قبل أن يفرغ يعني القرآن. 55 والله الموفق وقوله تعالى وآتيناه داود زبوراً تنبيهه على فضله وشرفه. قال البخاري حدثنا إسحاق بن نصر أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي ولا خلاف أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور وقد بسطناه بدلائله في غير هذا الموضع وفي الشورى في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بمجرد التشهي والعصبية لا بمقتضى الدليل فإذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء وأن أولي العزم منهم أفضلهم بعضهم درجات وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوا بين الأنبياء فإن المراد من ذلك هو التفضيل أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع وقوله وربكم أعلم بمن في السموات والأرض

قل ادعوا الذين زعمتم الآية قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيراً وهم الذين يدعون يعني في الملائكة والمسيح وعزيراً. 56 ولا تحويلاً أي بأن يحولوه إلى غيركم والمعنى أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر. قال العوفي عن ابن عباس في قوله المشركين الذين عبدوا غير الله ادعوا الذين زعمتم من دونه من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم أي بالكلية يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء

المناهي وبالرجاء يكثر من الطاعات وقوله تعالى إن عذاب ربك كان محذوراً أي ينبغي أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عياداً بالله منه. 57 هي القرية كما قال قتادة ولهذا قال أيهم أقرب وقوله تعالى ويرجون رحمته ويخافون عذابه لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء فبالخوف ينكف عن واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله يبتغون إلى ربهم الوسيلة وهذا لا يعبر به عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة وقال الوسيلة قال عيسى وأمه وعزير وقال مغيرة عن إبراهيم كان ابن عباس يقول: في هذه الآية هم عيسى وعزير والشمس والقمر وقال مجاهد عيسى والعزير والملائكة صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن فذكره وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت هذه الآية وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون وقال قتادة عن معبد بن عبد الله الرماني عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله أولئك الذين يدعون الآية قال نزلت في نفر من العرب إلى ربهم الوسيلة قال ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا وفي رواية قال كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم أولئك الذين يدعون الآية روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله أولئك الذين يدعون يبتغون وقوله تعالى

ظلمناهم ولكن ظلّموا أنفسهم وقال تعالى فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً وقال وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله الآيات. 58 يببّد أهلها جميعهم أو يعذبهم عذاباً شديداً إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن الأمم الماضين وما هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ أنه ما من قرية إلا سيهلكها بأن

ثم قال يا أمة محمد والله ما أحد أغبر من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. 59 والقمر آيتان من آيات الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل يخوف بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره رضي الله عنه مرات فقال عمر أحدثتم والله لئن عادت لأفعلن ولأفعلن. وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه إن الشمس أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه فقال يا أيها الناس إن ربكم يستعذبكم فأعتبوه وهكذا روي أن المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب عزيز مقتدر وقوله تعالى وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً قال قتادة إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون ذكر لنا من خلقها وصدق رسوله الذي أوجب دعاؤه فيها فظلموا بها أي كفروا بها ومنعوا شربها وقتلوا فأبأدهم الله عن آخرهم وانتقم منهم وأخذهم أخذ رسوله وعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ولهذا قال تعالى وآتيناه ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها أي دالة على وحدانية ثمود حين سألوها آية ناقة تخرج من صخرة عينوها فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوها فلما ظلموا بها أي كفروا بمن خلقها وكذبوا بها بعد نزولها كما قال الله تعالى في المائدة قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين وقال تعالى عن بها على ما سأل قومك منك فإنه سهل علينا يسير لدينا إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ما سألوها وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إن كذبوا ونزلت ولو أن قرأتنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى الآية ولهذا قال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات أي نبعث الآيات ونأتي أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ونزلت وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وقرأ ثلاث آيات الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلّمكم إلى ما اخترتم لأنفسكم ففضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وأخبرني

تفسير ابن كثير

قال: فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي فلما سري عنه قال والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتكم ولو شئت لكان ولكنه خيرني بين أن تدخلوا باب لنا موتانا لنكلمهم ويكلمونا وإلا فادع الله أن يصير لنا هذه الصخرة التي تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيئتهم. سخر له البحر وأن عيسى كان يحيي الموتى فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهارا فتتخذ محارث فنزرع ونأكل وإلا فادع الله أن يحيي أبي قبيس يا آل عبد مناف إني نذير فجاءته قريش فحذرهم وأنذرهم فقالوا تزعم أنك نبي يوحى إليك وأن سليمان سخر له الريح والجبال وأن موسى إبراهيم عن جدته أم عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت: سمعت الزبير يقول لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري حدثنا خلف بن تميم المصيصي عن عبد الجبار بن عمر الأبلي عن عبد الله بن عطاء بن الصفا ذهبا فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة فقال بل باب التوبة والرحمة وقال لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك قال وتفعلون؟ قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح لهم به وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ادع من كان قبلهم من الأمم قال لا بل استأن بهم وأنزل الله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الآية ورواه النسائي من حديث جرير وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي الجبال عنهم فيرعووا فقيل له إن شئت أن نستأنى بهم وإن شئت أن يأتهم الذي سألوهم فإن كفروا هلكت كما أهلك الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه نزل العذاب فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة وإن شئت أن نستأنى بقومك استأنيت بهم قال يا رب استأن بهم وكذا قال قتادة وابن جرير وغيرهما وروى فإن شرك أن نؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا فأوحى الله إليه إني قد سمعت الذي قالوا فإن شئت أن نفعل الذي قالوا فإن لم يؤمنوا حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبيرة قال: قال المشركون يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى قال سنيد

وكوائن يطول ذكرها ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته والله أعلم ثم قال تعالى إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها. 6 وهذا هو المشهور وأنه قتل أشرفهم وعلماءهم حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة وأخذ معه منهم خلقا كثيرا أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم وجرت أمور فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام فخر بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلي على كبا فسألهم ما هذا الدم: قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء. وقد روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فإنهم كانوا يكون صحيحا ونحن في غنية عنها ولله الحمد. وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم وقد أخبر حاشية الكتاب. وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ومنها ما قد يحتمل أن كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي رحمه الله بأنه موضوع مكذوب. وكتب ذلك على ابن جرير في هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث والعجب كان فقيرا مقعدا ضعيفا يستعطي الناس ويستطعمهم ثم آل به الحال إلى ما آل وأنه سار إلى بلاد بيت المقدس فقتل بها خلقا كثيرا من بني إسرائيل وقد روى وجنوده وعنه أيضا وعن غيره أنه بختنصر ملك بابل وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد وأنه وعن سعيد بن جبيرة أنه ملك الموصل سنجاريب

ونخوفهم أي الكفار بالوعيد والعذاب والنكال فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا أي تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم. 60 ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الإسراء وأن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم قال لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أي في الرؤيا والشجرة وقوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس الآية وهذا السند ضعيف جدا فإن محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه أيضا ضعيف بالكلية ولهذا اختار عن جدي قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني فلان ينزون على منبره نزو القروء فسأه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وأنزل الله في ذلك بالشجرة الملعونة بنو أمية وهو غريب ضعيف وقال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد المهيم بن عباس بن سهل بن سعيد حدثني أبي الزقوم غير هذا حكى ذلك ابن عباس ومسروق وأبو مالك والحسن البصري وغير واحد وكل من قال إنها ليلة الإسراء فسر ذلك بشجرة الزقوم وقيل المراد أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه لعائن الله هاتوا لنا تمرا وزبدا وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزقموا فلا نعم الله ذلك ثباتا وبقينا لآخرين ولهذا قال إلا فتنة أي اختبارا وامتحانا وأما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم لما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقصاة ولله الحمد والمنة. وتقدم أن ناسا رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق لأنه لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وجعل ذلك بلبلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جبيرة والحسن ومسروق وإبراهيم وقاتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد. وقد تقدمت أحاديث الإسراء في أول السورة والشجرة الملعونة في القرآن شجرة الزقوم وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه العوفي عن ابن عباس، وهكذا فسر عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به

تفسير ابن كثير

قلنا لك إن ربك أحاط بالناس أي عصمك منهم وقوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس الآية قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان له بأنه قد عصمه من الناس فإنه القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وغلبيته. قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم في قوله وإذا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم محرزا له على إبلاغ رسالته ومخبرا وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا

طينا كما قال في الآية الأخرى أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقال أيضا أرايتك يقول للرب جراءة وكفرا والرب يحلم وينظر. 61 منذ خلق آدم فإنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخارا عليه واحتقارا له قال أسجد لمن خلقت يذكر تبارك وتعالى عداوة إبليس لعنه الله لآدم وذريته وأنها عداوة قديمة

وقال مجاهد لأحتوين وقال ابن زيد لأضلنهم وكلها متقاربة والمعنى أرايتك هذا الذي شرفته وعظمته علي لئن أنظرنتي لأضلن ذريته إلا قليلا منهم. 62 قال أرايتك هذا الذي كرمته علي الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول لأستولين على ذريته إلا قليلا

قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم أي على أعمالكم جزاء موفورا قال مجاهد وافرا وقال قتادة موفورا عليكم لا ينقص لكم منه. 63 النظرة قال الله له اذهب فقد أنظرتك كما قال في الآية الأخرى قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ثم أوعده ومن اتبعه من ذرية آدم جهنم لما سأل إبليس

الشيطان إلا غرورا كما أخبر تعالى عن إبليس أنه يقول إذا ححص الحق يوم يقضى بالحق إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الآية. 64 أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا وقوله تعالى وعدهم وما يعدهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشراكة فيه بمعنى فكل ما عصى الله فيه أو به أو أطيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة وهذا الذي قاله متجه وكل من السلف رحمهم الله فسر يعصي الله بفعله به أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه لأن الله لم يخص بقوله وشاركهم في الأموال والأولاد معنى مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله أو وأده أو غير ذلك من الأمور التي قال قتادة سواء وقال أبو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم أولادهم عبدالحارث وعبد شمس وعبد فلان. قال ابن جرير وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل فتادة عن الحسن البصري: قد والله شاركهم في الأموال والأولاد مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أمواله جزءا للشيطان وكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني أولاد الزنا وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سفها بغير علم وقال ما حرموه من أنعامهم يعني من البحائر والسوائب ونحوها وكذا قال الضحاك وقتادة وقال ابن جرير والأولى أن يقال إن الآية تعم ذلك كله وقوله والأولاد هو الربا وقال الحسن: هو جمعها من خبيث وإنفاقها في حرام وكذا قال قتادة وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أما مشاركته إياهم في أموالهم فهو ارتفاع الأصوات وقوله تعالى وشاركهم في الأموال والأولاد قال ابن عباس ومجاهد: هو ما أمرهم به من إنفاق الأموال في معاصي الله تعالى وقال عطاء: من الجن والإنس وهم الذين يطيعونه تقول العرب أجلب فلان على فلان إذا صاح عليه ومنه نهى في المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجلبة وهي وتسوقهم إليها سوفا وقال ابن عباس ومجاهد في قوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال كل راكب وماش في معصية الله وقال قتادة: إن له خيلا ورجالا ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وهذا أمر قدرى كقوله تعالى ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك يقول واحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورجلتهم فإن الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب وصحب جمع صاحب بذلك وقال ابن عباس في قوله واستفز من استطعت منهم بصوتك قال كل داع دعا إلى معصية الله عز وجل وقال قتادة واختاره ابن جرير وقوله وقوله تعالى واستفز من استطعت منهم بصوتك قيل هو الغناء قال مجاهد باللهو والغناء أي استخفهم

الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن المؤمن لينض شياطينه كما ينض أحدكم بغيره في السفر ينض أي يأخذ بناصيته ويقهره. 65 ولهذا قال تعالى وكفى بربك وكيلًا أي حافظا ومؤيدا ونصيرا وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي وقوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة من إقليم إلى إقليم ولهذا قال إنه كان بكم رحيمًا أي إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم. 66 ويخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تسخير لعباده الفلك في البحر وتسهيله

عرفتم من توحيده في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له وكان الإنسان كفورا أي سجيته هذا ينسى النعم ويجحدها إلا من عصم الله. 67 من البحر فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وأرضاه. وقوله تعالى فلما نجاكم إلى البر أعرضتم أي نسيتم ما كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره اللهم لك علي عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فلاضعن يدي في يد محمد فلاجدنه رءوفا رحيمًا فخرجوا هاربا فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعو الله وحده فقال عكرمة في نفسه والله إن

تفسير ابن كثير

إياه أي ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة ابن أبي جهل لما ذهب فاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة فذهب يخبر تبارك وتعالى أن الناس إذا مسهم ضر دعوه منيبين إليه مخلصين له الدين ولهذا قال تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا تملأ من أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير وقوله ثم لا تجدوا لكم وكيلاً أي ناصرًا يرد ذلك عنكم وينقذكم منه. 68 نجيناهم بسحر نعمة من عندنا وقد قال في الآية الأخرى وأمطرنا عليهم حجارة من طين وقال أنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً وهو المطر الذي فيه حجارة قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط يقول تعالى أفحسبتم بخروجكم إلى البر أنتم من انتقامه وعذابه

لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال ابن عباس نصيراً وقال مجاهد نصيراً ثائراً أي يأخذ بثأركم بعدكم. وقال قتادة ولا نخاف أحداً يتبعنا بشيء من ذلك. 69 قال ابن عباس وغيره: القاصف ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها وقوله فيغرقكم بما كفرتم أي بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى وقوله ثم بعدما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا إلى البر أن يعيدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفاً من الريح أي يقصف الصواري ويغرق المراكب يقول تبارك وتعالى أم أنتم أيها المعرضون عنا

أي بيت المقدس كما دخلوه أول مرة أي في التي جاسوا فيها خلال الديار وليتبروا أي يدمروا ويخربوا ما علوا تبيها أي ما ظهرها عليه. 70 وقوله فإذا جاء وعد الآخرة أي الكرة الآخرة أي إذا أفسدت الكرة الثانية وجاء أعداؤكم ليسوءوا وجوهكم أي يهينوكم ويقهروكم وليدخلوا المسجد قوله تعالى إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها أي فعلها كما قال تعالى من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها

الله يوم القيامة من ابن آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال ولا الملائكة الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر وهذا حديث غريب جداً. 70 سهل حدثنا عبد الله بن تمام عن خالد الحذاء عن بشر بن شغاف عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شيء أكرم على ولنا الآخرة فقال الله عز وجل لا أجعل من خلقتة بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا عمر بن يأكولون الطعام ويشربون الشراب ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب ينامون ويستريحون ولم تجعل لنا من ذلك شيئاً فاجعل لهم الدنيا بن علاق سمعت عروة بن رويم اللخمي حدثني أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم وجعلتهم روى ابن عساکر من طريق محمد بن أيوب الرازي حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وقد عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون محمد بن صدقة البغدادي حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خارجة المصيصي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا محمد أبو غسان محمد بن مطرف عن صفوان بن سليم ذرية من خلقت بيدي كمن قلت فكان وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه وقد روى من وجه آخر متصلاً. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن قال: قالت الملائكة يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا الآخرة فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أجعل صالح الحيوانات وأصناف المخلوقات وقد استدلل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة. قال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً أي من سائر أي من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهة اللذيذة والمناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف الدينية والدنيوية وحملناهم في البر أي على الدواب من الأنعام والخيل والبغال وفي البحر أيضاً على السفن الكبار والصغار ورزقناهم من الطيبات يمشي على أربع ويأكل بفمه وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله ويستفهم به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم أن يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه وغيره من الحيوانات ويخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه

أو من شر هذا اللهم لا تأتنا به فيأتهم فيقولون اللهم اخذه فيقول أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا ثم قال البزار لا يروى إلا من هذا الوجه. 71 لنا في هذا فيأتهم فيقول لهم أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلأل فينطلق إلى أصحابه فيروونه من بعيد فيقولون اللهم آتنا بهذا وبارك السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى يوم ندعوا كل أناس بإمامهم قال يدعى أحدهم فيعطى النواة. وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً في هذا فقال: حدثنا محمد بن يعمر ومحمد بن عثمان بن كرامة قالوا: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن هاؤم أقرأوا كتابه إلى قوله وأما من أوتي كتابه بشماله الآيات وقوله تعالى ولا يظلمون فتيلاً قد تقدم أن الفتيل هو الخيط المستطيل في شق أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرؤه ويحب قراءته كقوله فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ولكن المراد ههنا بالإمام هو كتاب الأعمال ولهذا قال تعالى يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن بين أمته فإنه لابد أن يكون شاهداً على أمته بأعمالها كقوله تعالى وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقوله تعالى فكيف

تفسير ابن كثير

أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم الله يدعون إلى النار وفي الصحيحين لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت الحديث وقال تعالى وترى كل أمة جاثية كل الآية ويحتمل أن المراد بإمامهم أي كل قوم بمن يأتون به فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام وأهل الكفر ائتموا بأنمئتهم كما قال وجعلناهم أئمة والحسن والضحاك وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى وكل شيء أحصيناه في إمام مبين وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه فيحتمل أن يكون أراد هذا وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله يوم ندعوا كل أناس بإمامهم أي بكتاب أعمالهم وكذا قال أبو العالية النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع واختاره ابن جرير وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: بكتبهم أي بنبيهم وهذا كقوله تعالى ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط الآية وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقتادة

أي عن حجة الله وآياته وبيناته فهو في الآخرة أعمى أي كذلك يكون وأضل سبيلا أي وأضل منه كما كان في الدنيا عياذا بالله من ذلك. 72 وقوله تعالى ومن كان في هذه أعمى الآية قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد ومن كان في هذه أي في الحياة الدنيا أعمى

وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. 73 عليه وسلامه وتثبيتته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله

وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. 74 عليه وسلامه وتثبيتته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله

وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. 75 عليه وسلامه وتثبيتته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله

له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه بيدر على غير ميعاد فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم ولهذا قال تعالى. 76 بين أظهرهم فتودعهم الله بهذه الآية وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعدما اشتد أذاهم المقدس وتفسير الشام بتبوك أحسن مما قال الوليد إنه بيت المقدس والله أعلم. وقيل نزلت في كفار قريش هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام قال الوليد يعني بيت وغزاها ليقتنص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه والله أعلم ولو صح هذا لحمل عليه الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم عن عقير بن معدان عن سليم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود وإنما غزاها امتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ولقوله تعالى قاتلوا الذين قوله تحويلا فأمره الله بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك ومماتك ومنها تبعث. وفي هذا الإسناد نظر والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبي صلى تبوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعدما ختمت السورة وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها إلى الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا يا أبا القاسم إن كنت صادقا أنك نبي فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء فصدق ما قالوا فغزا غزوة عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردى عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر ابن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا رسول الأنبياء وترك سكناً المدينة. وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك وقيل إنها نزلت بتبوك وفي صحته نظر. روى البيهقي عن الحاكم قيل نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسكنى الشام بلاد

الله تعالى عليه وعلى آله وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به ولهذا قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية. 77 سنة من قد أرسلنا أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلا وأذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتهم العذاب ولولا أنه صلى

يقول وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار فإنه تفرد به زيادة وله بهذا حديث في سنن أبي داود. 78 الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديث النزول وأنه تعالى يقول: من يستغفرني أغفر له من يسألني أعطيه من يدعني فاستجب له حتى يطلع الفجر فلذلك الآية. وأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا من حديث الليث بن سعد عن زيادة عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء عن رسول وقال عبد الله بن مسعود: يجتمع الحرس في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقوم هؤلاء. وكذا قال إبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة وغير واحد في تفسير هذه الصبح وفي صلاة العصر فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أنيناهم وهم يصلون وتركتناهم وهم يصلون طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة

تفسير ابن كثير

النهار ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ثلاثتهم عن عبيد بن أسباط بن محمد عن أبيه به وقال الترمذي حسن صحيح. وفي لفظ في الصحيحين من عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهد ملائكة الليل وملائكة إن قرآن الفجر كان مشهودا. وقال الإمام أحمد: حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا الأعمش صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر يقول أبو هريرة أقرأوا إن شئتم وقرآن الفجر بن محمد حدثنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار. وقال البخاري: حدثنا عبدالله هو مقرر في مواضعه ولله الحمد إن قرآن الفجر كان مشهودا قال الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تواترا من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليوم مما تلقوه خلفا عن سلف وقرنا بعد قرن كما إلى غسق الليل وهو ظلامه وقيل غروب الشمس أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله وقرآن الفجر يعني صلاة الفجر وقد ثبتت السنة عن عن نبيح العنزي عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس فمن قوله لدلوك الشمس زالت الشمس فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس ثم رواه عن سهل بن بكر عن أبي عوانة عن الأسود بن قيس بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبدالله قال: دعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين ومجاهد وبه قال الحسن والضحاك وأبو جعفر الباقر وقتادة واختاره ابن جرير ومما استشهد عليه ما رواه عن ابن حميد عن الحكم بن بشير حدثنا عمرو عن ابن عباس: دلوكها زوالها ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر وقاله أبو برزة الأسلمي وهو رواية أيضا عن ابن مسعود أمرا له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها أقم الصلاة لدلوك الشمس قيل لغروبها قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي يقول تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم

أنك أرسلته إلي فيقول الله عز وجل: صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض قال فهو المقام المحمود وهذا حديث مرسل. 79 موضع قدميه قال النبي صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ما رآه قبلها فأقول أي رب إن هذا أخبرني عن الزهري عن علي بن الحسين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأييم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال: هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر وسلم: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا سئل عنها فقال: هي الشفاعة رواه الإمام أحمد عن وكيع عن محمد بن عبيد عن داود عن أبيه عن أبي هريرة وأول شافع وأول مشفع وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن يزيد الزعافري عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه عليه عمار حدثني عبدالله بن فروخ حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى أخرجاه في الصحيحين وقال مسلم رحمه الله: حدثنا الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعي حدثني أبو من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب؟ فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه ما قد بلغنا؟ فأقوم فأتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتح على أحد قبلي فيقال: الله عليه وسلم فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمدا صلى إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهدي صبيا فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضبا وإنني قد قتلته نفسا لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليفه من أهل اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا إلى من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه مما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلي ربكم؟ فيقول بعض أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس

تفسير ابن كثير

زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال وأعرفهم تسعى من بين أيديهم ذريتهم. حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا أبو حيان حدثنا أبو كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم له أن يرفع رأسه فأنظر إلى ما بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك فقال رجل يا رسول الله أبي حبيب عن عبدالرحمن بن جبيرة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة وأنا أول من يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن بن مالك رضي الله عنه قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبدربه حدثنا محمد بن حرب حدثنا الزبيدي عن الزهري عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عليه وسلم رابعا فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفع وهو المقام المحمود الذي قال الله عز وجل عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا. حديث كعب وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم إبراهيم خليل الله ثم يقوم عيسى أو موسى قال أبو الزعراء لا أدري أيهما قال. ثم يقوم نبيكم صلى الله لا يظلم بعده ومن حرمه لم يرو بعده وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الزعراء عن عبدالله قال: ثم يأذن الله عز إلا أورك وإلا كان له ثمر قال الأنصاري يا رسول الله هل له ثمرة؟ قال: نعم ألوان الجوهر وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة حال أو رضاض إلا كان له نبت؟ فقال الأنصاري: يا رسول الله هل له نبت؟ فقال: نعم قضبان الذهب قال المناقب لم أسمع كاليوم فإنه قلما ينبت قضيب ماء قط إلا على حال أو رضاض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاله المسك ورضاضه اللؤلؤ فقال المناقب لم أسمع كاليوم فإنه قلما جرى ماء على أوتي بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لا يقوم أحد فيغبطني فيه الأولون والآخرين قال: ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض فقال المناقب إنه ما جرى جيء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام فيقول اكسوا خليلي فيؤتى بريطين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم سمعه فقال ما شاء الله ربي وما أطعمني فيه وإنني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة فقال الأنصاري يا رسول الله وما ذلك المقام المحمود؟ قال: ذاك إذا عن أمه شيئا ونحن نطأ عقبه. فقال رجل من الأنصار ولم أر رجلا قط أكثر سؤالا منه يا رسول الله هل وعدك ربك فيها أو فيهما. قال فظن أنه من شيء قد في وجهيهما فأمر بهما فردا فرجعا والسرور يرى في وجهيهما رجاء أن يكون قد حدث شيء فقال أمني مع أمكما فقال رجل من المنافقين وما يعني هذا عليه وسلم فقال: إن أمتنا تكرم الزوج وتعطف على الولد قال وذكر الضيف غير أنها كانت وأدت في الجاهلية فقال أمكما في النار قال فادبرا والسوء يرى بن الفضل حدثنا سعيد بن زيد حدثنا علي بن الحكم البناني عن عثمان عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود قال: جاء ابنا مليكة إلى النبي صلى الله من شجرة ومدره قال فترجوها أنت يا معاوية ولا يرجوها علي رضي الله عنه. حديث ابن مسعود قال الإمام أحمد: حدثنا عارم بن الفضل حدثنا سعيد نعم وهو يرى أنه سيتكلم بمثل ما قال الآخر فقال بريدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض عامر أخبرنا أبو إسرائيل عن الحارث بن حزيمة عن ابن بريدة عن أبيه أنه دخل على معاوية فإذا رجل يتكلم فقال بريدة: يا معاوية تأذن لي في الكلام؟ فقال خلق الله عز وجل من شهد أن لا إله إلا الله يوما واحدا مخلصا ومات على ذلك حديث بريدة رضي الله عنه قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا الأسود بن وتسعين إنسانا واحدا فما زلت أتردد إلى ربي عز وجل فلا أقوم منه مقاما إلا شفعت حتى أعطاني الله عز وجل من ذلك أن قال يا محمد أدخل من أمتك من ولا نبي مرسل فأوحى الله عز وجل إلى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال: انتظر حتى أرجع إليك فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقى ما لم يلق ملك مصطفى محمد يسألون أو قال يجتمعون إليك ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم ما هم فيه فالخلق ملجمون بالعرق فأما المؤمن فهو عن أنس قال حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاءني عيسى عليه السلام فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا عفان بن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بطوله. وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصاري عن النضر بن أنس من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة أخرجاه من حديث سعيد به وهكذا رواه الإمام أحمد عن صلى الله عليه وسلم قال فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه فأحمده بتحميد يعلمني ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود الرابعة فأقول يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن فحدثنا أنس بن مالك أن النبي الثالثة فإذا رأيت ربي وقعت أو خررت ساجدا لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة قال ثم أعود بتحميد يعلمني ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة قال ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت له أو خررت ساجدا لربي فيدعني ما شاء الله ربي وقعت له أو خررت ساجدا لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني قال ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمده له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني - قال الحسن هذا الحرف - فأقوم فأمشي بين سمطين من المؤمنين قال أنس حتى استأذن على ربي فإذا رأيت قتل بغير نفس فيستحيي ربه من ذلك ويقول ولكن انتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمته وروحه. فيأتون عيسى فيقول لست هناك ولكن انتوا محمدا غفر الله إبراهيم خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هناك ولكن انتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناك ويذكر لهم النفس التي

تفسير ابن كثير

أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي ربه من ذلك ويقول ولكن ائتوا لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحيي ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن ائتوا نوحا فإنه لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع يحيى بن سعيد حدثنا سعيد بن أبي عروبة حدثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام. حديث أنس بن مالك قال الإمام أحمد: حدثنا من حديث عبدالله بن محمد بن عقيل به وقد قدمنا في حديث أبي بن كعب في قراءة القرآن على سبعة أحرف قال صلى الله عليه وسلم في آخره فقلت كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وأخرجه الترمذي من حديث أبي عامر عبد الملك بن عمرو العقدي وقال حسن صحيح. وابن ماجه الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان يوم القيامة والفضيلة وأبعثه مقاما محمودا الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة انفراد به دون مسلم. حديث أبي بن كعب قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة سعد به. وزاد فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمد أهل الجمع كلهم. قال البخاري: وحدثنا علي بن عياش حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى بن بكير وعلقمة عن عبدالله بن صالح كلاهما عن الليث بن نصف الأذن فيبينهما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع بين الخلق فيمشي حتى جعفر أنه قال: سمعت حمزة بن عبدالله بن عمر يقول سمعت عبدالله بن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق بن عبدالله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن جرير حدثني محمد بن عبدالله بن عبدالحكم حدثنا شعيب بن الليث ثنا الليث عن عبيد الله بن أبي كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا. ورواه حمزة المحمود وبالله المستعان. قال البخاري حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي سمعت ابن عمر يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء أحد مثله ولا يساويه في ذلك وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص ولله الحمد والمنة ولنذكر الآن الأحاديث الواردة في المقام في الجنة لا تليق إلا له وإذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ولا يشفع الجنة إلا بشفاعته وهو أول داخل إليها وأمهته قبل الأمم كلهم ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة يقضي بين أمته وأولهم إجازة على الصراط بأمته وهو أول شافع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم. وفي حديث الصور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون أنا لها أنا لها كما سنذكر ذلك مفصلا في هذا الموضع إن شاء الله تعالى ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول الأنبياء بين الخلائق وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول راكبا إلى المحشر وله اللواء الذي آدم فمن دونه لوائه وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشرifications يوم القيامة لا يشركه فيها أحد وتشرifications لا يساويه فيها أحد فهو أول من تتشقق عنه الأرض ويبعث هو أول من تتشقق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا عن معمر والثوري عن أبي إسحاق به وقال ابن عباس هذا المقام المحمود مقام الشفاعة وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الحسن البصري وقال قتادة وتعاليت سبكانك رب البيت فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل ثم رواه عن بNDAR عن غندر عن شعبة عن أبي إسحاق به وكذا رواه عبدالرزاق يا محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ومنك وإليك لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك تباركت إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال: يجمع الناس في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه ينادى يوم القيامة للشفاعة للناس ليربحهم ربهم من عظم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار حدثنا عبدالرحمن حدثنا سفيان عن أبي مقاما محمودا يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى. قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم مجاهد: وهو في المسند عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. وقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أي افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه. قال فجعلوا قيام الليل واجبا في حقه دون الأمة. رواه العوفي عن ابن عباس وهو أحد قولي العلماء وأحد قولي الشافعي رحمه الله اختاره ابن جرير وقيل إنما البصري هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما كان بعد النوم واختلف في معنى قوله تعالى: نافلة لك فقيل معناه أنك مخصص بوجوب ذلك وحده وسلم أنه كان يتجهد بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم كما هو مبسوط في موضعه ولله الحمد والمنة وقال الحسن التهجدا ما كان بعد نوم. قاله علقمة والأسود وإبراهيم النخعي وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال صلاة الليل ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فإن وقوله تعالى: ومن الليل فتجهد به نافلة لك أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي ومهادا وقال قتادة قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحي محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يد وهم صاغرون. 8

تفسير ابن كثير

حصيرا أي مستقرا ومحصرا وسجنا لا محيد لهم عنه وقال ابن عباس: حصيرا أي سجنا وقال مجاهد: يحصرون فيها وكذا قال غيره وقال الحسن فراشا عدنا أي متى عدتم إلى الإفساد عدنا إلى الإدالة عليكم في الدنيا مع ما ندخره لكم في الآخرة من العذاب والنكال ولهذا قال وجعلنا جهنم للكافرين عسى ربكم أن يرحمكم أي فيصرفهم عنكم وإن عدتم

أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع. 80
لمن عاداه وناوأه ولهذا يقول تعالى: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات إلى قوله وأنزلنا الحديد الآية. وفي الحديث إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم قال مجاهد: سلطانا نصيرا حجة بينة واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة وهو الأرجح لأنه لا بد مع الحق من قهر بسلطان فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله ولإقامة دين الله فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لأغار بعضهم ملك فارس وعز فارس وليجعله له وملك الروم وعز الروم وليجعله له وقال قتادة فيها: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا غير ذلك من الأقوال والأول أصح وهو اختيار ابن جرير. وقوله: واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال الحسن البصري في تفسيرها: وعده ربه لينزع وهذا القول هو أشهر الأقوال وقال العوفي عن ابن عباس: أدخلني مدخل صدق يعني الموت وأخرجني مخرج صدق يعني الحياة بعد الموت وقيل مخرج صدق الآية وقال قتادة وقل رب أدخلني مدخل صدق يعني المدينة وأخرجني مخرج صدق يعني مكة وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه فأراد الله قتال أهل مكة أمره أن يخرج إلى المدينة فهو الذي قال الله عز وجل وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني لي من لدنك سلطانا نصيرا وقال الترمذي: حسن صحيح وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية: إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله صلى الله عليه عن أبيه عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل قال الإمام أحمد: حدثنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان

وستون صنما تعبد من دون الله. فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكبت على وجوها وقال جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. 81
يعلى: حدثنا زهير حدثنا شبابة حدثنا المغيرة حدثنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة أيضا في غير هذا الموضع ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه عبدالرزاق عن ابن أبي نجيح به. وقال الحافظ أبو وثلثمائة نصف فجعل يطعنها يعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد وكذا رواه البخاري الحميدي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون النافع وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق وقال البخاري: حدثنا وزهق الباطل الآية: تهديد ووعيد لكفار قريش فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم وقوله: وقل جاء الحق

المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ولا يزيد الظالمين إلا خسارا أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين. 82
فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون والآيات في ذلك كثيرة قال قتادة في قوله ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين إذا سمعه بعيد وقال تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض وكفرا والآفة من الكافر لا من القرآن كقوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيف وميل فالقرآن يشفي من ذلك كله وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد إنه شفاء ورحمة للمؤمنين يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذي

هذه الأقوال متقاربة في المعنى. وهذه الآية والله أعلم تهديد للمشركين ووعيد لهم كقوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم الآية. 83
وقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قال ابن عباس: على ناحيته. وقال مجاهد: على حدته وطبيعته. وقال قتادة: على نيته. وقال ابن زيد: دينه وكل إنه لينوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعلوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير الشر وهو المصائب والحوادث والنوائب كان ينوس أي قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير كقوله تعالى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه قال مجاهد: بعد عنا قلت وهذا كقوله تعالى فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره مسه وقوله فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وبأنه إذا مسه عصمه الله تعالى في حالتي السراء والضراء فإنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفتح ورزق ونصر ونال ما يزيد أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه يخبر تعالى عن نقص الإنسان من حيث هو إلا من

ولهذا قال قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أي منا ومنكم وسيجزي كل عامل بعمله فإنه لا تخفي عليه خافية. 84

قلت: وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها وصنفوا في ذلك كتباً ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منده في كتاب سمعناه في الروح. 85

تفسیر ابن کثیر

إليه فحاصل ما نقول إن الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهي هي من وجه لا من كل وجه وهذا معنى حسن والله أعلم.

صار ماء مصطارا أو خمرا ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أو أمانة بالسوء قال كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فإذا اتصل بالعنبه وعصر منها سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر والله أعلم. ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء المراد بقوله قل الروح من أمر ربي أي من شرعه أي فادخلوا فيه وقد علمتم ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقال السهيلي قال بعض الناس لم يجبهم عما سألو لأنهم سألوا على وجه التعنت وقيل أجابهم وعول السهيلي على أن منه بمنقاره فقال: يا موسى ما علمي وعلمك وعلم الخالق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال إلا على القليل من علمه تعالى وسيأتي إن شاء الله في قصة موسى والخضر أن الخضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة فقفر في البحر نقرة أي شرب إلا بما شاء تبارك وتعالى والمعنى أن علمكم في علم الله قليل وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطالعكم عليه كما أنه لم يطالعكم أي من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه وقيل المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم وقيل طائفة يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم وقوله قل الروح من أمر ربي أنه قال: هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل فم مائة ألف لسان يسبح الله تعالى بلغات مختلفة. قال السهيلي: الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة. وهذا أثر غريب عجيب والله أعلم. وقال السهيلي روي عن علي أنه قال في قوله ويسألونك عن الروح قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثني علي حدثني عبد الله حدثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عمن حدثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليه وسلم يقول إن لله ملكا لو قيل له اتقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل تسبيحه سبحانه حيث كنت وهذا حديث غريب بل منكرو. وقال عبد الله بن عرس المصري حدثنا وهب بن روق بن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله ههنا ملك عظيم بقدر المخلوقات كلها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ويسألونك عن الروح يقول الروح ملك. وقال الطبراني: حدثنا محمد بن كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وقيل المراد بالروح ههنا جبريل قاله قتادة قال وكان ابن عباس يكتمه وقيل المراد به فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقالوا من جاءك وبهذا قال جاءني به جبريل من عند الله فقالوا له والله ما قاله لك إلا عدونا فأنزل الله قل من في الجسد وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه فيه شيء فلم يجز إليهم شيئا فاتاه جبريل فقال له قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ويسألونك عن الروح الآية وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن الروح وكيف تعذب الروح التي يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم. وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا على أقوال أحدها أن المراد أرواح بني آدم. رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم وأنزل الله ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عنك أنك تقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أفعنيتنا أم عنيت قومك فقال كلا قد عنيت فقالوا إنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبیان كل شيء فقال بن يسار قال: نزلت بمكة وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أخبار يهود وقالوا يا محمد ألم يبلغنا سبعة أبحر الآية قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار فهو كثير طيب وهو في علم الله قليل. وقال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن عطاء إلا قليلا وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده عن داود عن عكرمة قال سألت أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فأنزل الله ويسألونك عن الروح الآية فقالوا تزعم أنا لم نوُت من العلم التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا قال وأنزل الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية. وقد روى ابن جرير عن محمد بن المثني عن عبد الأعلى سلوه عن الروح فسألوه فنزلت ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتي ما قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا ذلك أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه وهي هذه الآية ويسئلونك عن الروح ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة وأنها نزلت حين سألته اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية. وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الآية وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية رابكم إليه وقال بعضهم لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه. فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متوكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عى الروح فقال ما قال فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه. وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به ولفظ البخاري عند تفسيره هذه الآية عن عبد الله بن مسعود يا محمد ما الروح؟ فما زال متوكلنا على العسيب قال فظننت أنه يوحى إليه فقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وسلم في حرث في المدينة وهو متوكئ على عسيب فمر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح: وقال بعضهم لا تسألوه. قال فسألوه عن الروح فقالوا

تفسير ابن كثير

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه

يعني في آخر الزمان من قبل الشام فلا يبقى في مصحف رجل ولا في قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك الآية. 86
أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. قال ابن مسعود رضي الله عنه يطرُق الناس ربح حمراء
يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فيما

عبده ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فيما أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. 87
يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على

بمثل ما جئنا به فأنزل الله هذه الآية. وفي هذا نظر لأن هذه السورة مكية وسياقها كله مع قريش واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة فإله أعلم. 88
بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له إنا نأتيك
وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطاع وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عدل له وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد
القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا
ثم نبه تعالى على شرف هذا

أي بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ومع هذا فأبى أكثر الناس إلا كفورا أي جحودا للحق وردا للصواب. 89
وقوله ولقد صرفنا للناس الآية

وهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه. أن لهم أجرا كبيرا أي يوم القيامة. 9
يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

كل آية حتى يروا العذاب الأليم وقال تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا وما كانوا ليؤمنوا الآية. 90
تعالى يسير لو شاء لفعله ولأجابه إلى جميع ما سألوا وطلبوا ولكن علم أنهم لا يهتدون كما قال تعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم
وقوله تعالى حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ينبوع: العين الجارية سألوهم أن يجري لهم عينا معينا في أرض الحجاز ههنا وههنا وذلك سهل على الله
سبيلا تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
فيكون معه نذيرا أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبععون إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون
وأتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا. وقال تعالى وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك
عليهم باب التوبة والرحمة كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزيبر بن العوام أيضا عند قوله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون
الله عليه وسلم: إن شئت أعطيناهم ما سألو فإن كفروا عذبهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة. فقال بل تفتح
المجلس الذي اجتمع هؤلاء له لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا فليل رسول الله صلى
مباعدتهم إياه وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحاق حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء. وهذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من
حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك ثم انصرف عن
ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى وأنا أنظر
بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطلب فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا
وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلا. فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة
وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرنا إليك يا محمد أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلك أو تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله
فيقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئنا به فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن
الله صلى الله عليه وسلم: ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك فقالوا يا محمد أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب منك ما نطلب
علي أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل. فقال لهم رسول
ما أنا بفعل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعث إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فإن تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه
تبتغي فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك
فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم قالوا فإن لم تفعل
صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت إنما جئتمكم من عند الله بما بعثني
مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول فقال حق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألتك وصدقوك

تفسير ابن كثير

فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من الله عليه وسلم تسليما فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق منا بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكُم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال رسول الله صلى أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئكم منه أو نعذر فيك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكُم بما جئتكُم به أطلب فينا سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رثيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي - فربما من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدءا وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد: إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وأمّية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض: ورجلا من بني عبد الدار وأبا البخترى أبا بني أسد والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبدالله بن علي بكير حدثنا محمد بن إسحاق حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن

كل آية حتى يروا العذاب الأليم وقال تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا وما كانوا ليؤمنوا الآية. 91
تعالى يسير لو شاء لفعله ولأجابه إلى جميع ما سألو وطلبوا ولكن علم أنهم لا يهتدون كما قال تعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم وقوله تعالى حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ينبوع: العين الجارية سألوه أن يجري لهم عينا معينا في أرض الحجاز ههنا وههنا وذلك سهل على الله سبيلا تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا فيكون معه نذيرا أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبععون إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا. وقال تعالى وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك عليهم باب التوبة والرحمة كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزيبر بن العوام أيضا عند قوله تعالى وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الله عليه وسلم: إن شئت أعطيناهم ما سألو فإن كفروا عذبهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة. فقال بل تفتح المجلس الذي اجتمع هؤلاء له لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا فقيل لرسول الله صلى مباعدهم إياه وهكذا رواه زياد بن عبدالله البكائي عن ابن إسحاق حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أنني لا أصدقك ثم انصرف عن ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى وأنا أنظر بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبدالمطلب فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا. فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرنا إليك يا محمد أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلك أو تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله فيقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن الله صلى الله عليه وسلم: ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك فقالوا يا محمد أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب علي أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل. فقال لهم رسول ما أنا بفاعل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فإن تقبلوا ما جئتكُم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه تبغني فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمس حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم قالوا فإن لم تفعل صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت إنما جئتكُم من عند الله بما بعثني مضى من آباءنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول فقال حق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك وصدقوك فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من الله عليه وسلم تسليما فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق منا بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا

تفسير ابن كثير

لكم فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال رسول الله صلى
أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت
كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئكم منه أو نعذر فيك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب
فيما سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رثيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي - فريما
من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف
والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي
وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد: إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا
ابعثنا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا
وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض:
ورجلا من بني عبد الدار وأبا البخترى أبا بني أسد والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبدالله بن علي
بكير حدثنا محمد بن إسحاق حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب
قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن

من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى عبدالله بن أبي أمية الذي تبع النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قال أسلم إسلاما تاما وأنان إلى عز وجل. 92
التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل إنظارهم وتأجيلهم لعل الله أن يخرج من أصلاهم من يعبد لا يشرك به شيئا وكذلك وقع فإن من هؤلاء الذين ذكروا
قوم شعيب منه فقالوا أسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين فعاقبهم الله بعذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم وأما نبي الرحمة ونبي
وتدلي أطرافها فجعل ذلك في الدنيا وأسقطها كسفا أي قطعا كقولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية وكذلك سأل
أي أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتهي

شبعتم حمدتك وشكرتك ورواه الترمذي في الزهد عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به وقال هذا حديث حسن وعلي بن يزيد يضعف في الحديث. 93
قال عرض علي ربي عز وجل ليجعل إلي بطحاء مكة ذهابا فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما - أو نحو ذلك - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا
حدثنا علي بن إسحاق حدثنا ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وإن شاء لم يجيبكم وما أنا إلا رسول إليكم أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وقد فعلت ذاك وأمركم فيما سألتكم إلى الله عز وجل. قال الإمام أحمد بن حنبل:
إلا بشرا رسولا أي سبحانه وتعالى وتقصد أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يشاء إن شاء أجابكم إلى ما سألتكم
قال مجاهد أي مكتوب فيه إلى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله لفلان بن فلان تصبح موضوعة عند رأسه وقوله تعالى قل سبحانه ربي هل كنت
في قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب أو ترقى في السماء أي تصعد في سلم ونحن ننظر إليك ولن نؤمن لرقيق حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وقوله تعالى أو يكون لك بيت من زخرف قال ابن عباس ومجاهد وقتادة هو الذهب وكذلك هو

فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون. 94
الأخذ عنه كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال تعالى كما أرسلنا
أنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ولو بعث إلى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا
إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين والآيات في هذا كثيرة ثم قال تعالى منها على لطفه ورحمته بعباده
ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودنا الآية وقال فرعون وملاه أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وكذلك قالت الأمم لرسولهم
من بعثه البشر رسلا كما قال تعالى أكان للناس عجا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم وقال تعالى
يقول تعالى وما منع الناس أي أكثرهم أن يؤمنوا ويتابعوا الرسل إلا استعجابهم

يمشون مطمئنين أي كما أنتم فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي من جنسهم ولما كنتم أنتم بشرا بعثنا فيكم رسلنا منكم لطفًا ورحمة. 95
ولهذا قال ههنا قل لو كان في الأرض ملائكة

وقوله إنه كان بعباده خبيرا بصيرا أي علما بهم بمن يستحق الإنعام والإحسان والهداية ممن يستحق الشقاء والإضلال والإزاعة ولهذا قال: 96
عالم بما جئتمكم به فلو كنت كاذبا عليه لانتقم مني أشد الانتقام كما قال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
يقول تعالى مرشدا نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الحجة على قومه في صدق ما جاءهم به إنه شاهد علي وعليكم

جهنم كلما خبت قال ابن عباس سكنت وقال مجاهد طفت زدهم سعيرا أي لها ووهجا وجمرا كما قال فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا. 97
حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكما وعميا وصما عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه مأواهم أي منقلبهم ومصيرهم
الحديقة المعجبة فيعطيه بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها وقوله عميا أي لا يبصرون وبكما يعني لا ينطقون وصما لا يسمعون وهذا يكون في

تفسير ابن كثير

النار فقال قائل منهم هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال يلقي الله عز وجل الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر حتى إن الرجل لتكون له حدثني أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج فوج راكبين طاعمين كاسين وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى الوليد ابن جميع القرشي عن أبيه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد قال: قام أبو ذر فقال يا بني غفار قولوا ولا تحلفوا فإن الصادق المصدوق يحشر الناس على وجوههم؟ قال الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم وأخرجاه في الصحيحين وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن نفيق قال سمعت أنس بن مالك يقول: قيل يا رسول الله كيف بأنه من يهده فلا مضل له ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه أي يهدونهم كما قال من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا وقوله: يقول تعالى مخبرا عن تصرفه في خلقه ونفوذ حكمه وأنه لا معقب له

النقائص فقال وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. 98 مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون إلى آخر السورة لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى نزه نفسه عن يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى الآية وقال أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق على قدرته على ذلك بأنه خلق السموات والأرض فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك كما قال لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقال أو لم نخبره أننا لمبعوثون خلقا جديدا أي بعدما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والهلاك والتفرق والذهاب في الأرض نعاد مرة ثانية؟ فاحتج تعالى عليهم ونبيههم على العمى والبكم والصمم جزأهم الذي يستحقونه لأنهم كذبوا بآياتنا أي بأدلتنا وحجتنا واستبعدوا وقوع البعث وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا أي بالية يقول تعالى هذا الذي جازيناكم به من البعث

انقضائها كما قال تعالى وما نؤخره إلا لأجل معدود وقوله فأبى الظالمون أي بعد قيام الحجة عليهم إلا كفورا إلا تماديا في باطلهم وضلالهم. 99 يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم وقوله وجعل لهم أجلا لا ريب فيه أي جعل لإعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلا مضروبا ومدة مقدرة لا بد من وقال ههنا أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم أي يوم القيامة

سورة 18

بيننا جليا نذيرا للكافرين بشيرا للمؤمنين ولهذا قال ولم يجعل له عوجا أي لم يجعل فيه اعوجاجا ولا زيغا ولا ميلا بل جعله معتدلا مستقيما. 1 نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ بل يهدي إلى صراط مستقيم واضحا المحمود على كل حال وله الحمد في الأولى والآخرة ولهذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أعظم معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة وإن خرج الدجال عصم منه. قد تقدم في أول التفسير أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها فإنه المقدسي عن عبد الله بن مصعب عن منظور بن زيد بن خالد الجهني عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعا: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو شعبة عن أبي هاشم بإسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نورا يوم القيامة وفي المختارة للحافظ الضياء الجمعيتين ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه عن الحاكم ثم قال البيهقي ورواه يحيى بن كثير عن عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الخدري وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي بكر محمد بن المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعراني حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم قال: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق هكذا وقع موقوفا وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد وهكذا روى الإمام سعيد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعيتين وهذا الحديث في رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف. في تفسيره بإسناده له غريب عن خالد بن سعيد بن أبي مريم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف في آخرها كانت له نورا من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا ما بين السماء والأرض انفرد به أحمد ولم يخرجه وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه حسين حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبائن بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ أول سورة الكهف وسلم أنه قال من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال فيحتمل أن سالما سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء وقال أحمد: حدثنا وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكهف عصم من فتنة الدجال ورواه مسلم أيضا والنسائي من حديث قتادة به وفي لفظ النسائي من قرأ عشر آيات من الكهف فذكره حديث آخر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ العشر الأواخر من سورة والترمذي من حديث قتادة به ولفظ الترمذي من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف وقال حسن صحيح طريق أخرى قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج طلحة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف. عصم من الدجال رواه مسلم وأبو داود والنسائي

تفسير ابن كثير

هو أسيد بن الحضير كما تقدم في تفسير سورة البقرة. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي الله عليه وسلم فقال اقرأ فلان فإنها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزل للقرآن أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذي كان يتلوها حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول: قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيت فذكر ذلك للنبي صلى سورة الكهف ذكر ما ورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر

بسر بن أرطاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . 10
رشدا أي وقدر لنا من أمرنا رشدا هذا أي اجعل عاقبتنا رشدا كما جاء في الحديث وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبتنا رشدا وفي المسند من حديث دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم ربنا آتنا من لدنك رحمة أي هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترتنا عن قومنا وهيء لنا من أمرنا أمرنا رشدا يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنهم عنه فهربوا منه فلبثوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم فقالوا حين وقوله إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك ثم قال مخبرا عنهم. 100
جهنم أي يبرزها لهم و يظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود يقول تعالى مخبرا عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم

كما قال: ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال هنا وكانوا لا يستطيعون سمعا أي لا يعقلون عن الله أمره ونهيه. 101
الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى أي تغافلوا وتعاموا وتصامموا عن قبول الهدى واتباع الحق

أنهم يصلح لهم ذلك وينتفعون به كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلا. 102
ثم قال: أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء أي اعتقدوا

يحسبه الظلماء ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وقال في هذه الآية الكريمة قل هل ننبئكم أي نخبركم بالأخسرين أعمالا ثم فسرهم. 103
عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وقال تعالى وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال تعالى والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية بحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود كما قال تعالى وجوه يومئذ خاشعة لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية وإنما هي أبي طالب والضحاك وغير واحد: هم الحرورية ومعنى هذا عن علي رضي الله عنه أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فكان سعد رضي الله عنه يسميهم الفاسقين وقال علي بن عن قول الله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا أهم الحرورية قال: لا هم اليهود والنصارى. أما اليهود فكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأما النصارى قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو عن مصعب قال: سألت أبي يعني سعد بن أبي وقاص

أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أي يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون. 104
فقال الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا أي عملوا

سمره عن أبي يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . 105
مولى أبي عنبسة وعون بن عمار وليس بالحافظ ولم يتابع عليه. وقد قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن رجل من قرين يخطر في حلة له فلما قام على النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزنا ثم قال تفرد به واصل العباس بن محمد حدثنا عون بن عمارة حدثنا هاشم بن حسان عن واصل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل كريب عن أبي الصلت عن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا فذكره بلفظ البخاري سواء. وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل الأكل الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها قال وقرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وكذا رواه ابن جرير عن أبي به وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله بن بكير عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد مثله هكذا ذكره عن يحيى بن بكير معلقا وقد رواه مسلم عن أبي بكر محمد بن إسحاق عن يحيى بن بكير وسلم أنه قال ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرءوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وعن يحيى قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا المغيرة حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أي لا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير وقوله: أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه أي جحدوا آيات الله

ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا أي إنما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا استهزؤا بهم وكذبوا أشد التكذيب. 106
وقوله:

تفسير ابن كثير

إذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وقوله تعالى نزل أي ضيافة فإن النزل الضيافة. 107 رواه إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن سمرة مرفوعا وروي عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعا بنحوه روى ذلك كله ابن جرير رحمه الله وفي الصحيحين روي هذا مرفوعا من حديث سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها وهكذا كعب والسدي والضحاك هو البستان الذي فيه شجر الأعتاب وقال أبو أمامة: الفردوس سرّة الجنة وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقد عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به أن لهم جنات الفردوس قال مجاهد: الفردوس هو البستان بالرومية وقال يخبر تعالى

دائما أنه فد يسأله أو يمله فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدى لا يختارون عن مقامهم ذلك متحوّلا ولا انتقلا ولا ظعنا ولا رحلة ولا بدلا. 108 القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها أتحوّل وفي قوله لا ييغون عنها حولا تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم لها مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان فيها أي مقيمين ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبدا لا ييغون عنها حولا أي لا يختارون عنها غيرها ولا يحبون سواها كما قال الشاعر: فحلت سويدا وقوله خالدين

هو الذي يثني على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول إن مثل نعيم الدنيا أولها وآخرها في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها. 109 كله أقلام لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفتنها شيء لأن أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون البحور كلها وقد أنزل الله ذلك قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي يقول لو كانت تلك البحور مدادا لكلمات الله والشجر أقلام والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم وقال الربيع بن أنس إن مثل علم العباد كلهم في علم الله قطرة من ماء ذلك ولو جئنا بمثله أي بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جرا بحور تمده ويكتب بها لما نفذت كلمات الله كما قال تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة يقول تعالى: قل يا محمد لو كان ماء البحر مدادا للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة وقوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا أي ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة. 11

من قرأ في ليلة فمن كان يرجو لقاء ربه كان له من النور من عدن أبين إلى مكة حشو ذلك النور الملائكة غريب جدا. آخر تفسير سورة الكهف. 110 بن علي بن الحسن بن شقيق حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم... وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد لقاء ربه الآية وقال إنها آخر آية نزلت من القرآن وهذا أثر مشكّل فإن هذه الآية آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية إسماعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكندي أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية فمن كان يرجو الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل وقال ابن جرير: حدثنا أبو عامر أبو يعلى: حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عوف بن مالك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول عبد الرحمن الأعرج عن عبد الله بن قيس الخزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس وقال وجهي ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي ثم قال: الحارث بن غسان روي عنه وهو ثقة بصري ليس به بأس وقال وهب: حدثني يزيد بن عياض عن يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مختمة فيقول الله ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيرا فيقول إن عمله كان لغير يحيى الأيلي حدثنا الحارث بن غسان حدثنا أبو عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض أعمال بني آدم بين الله عليه وسلم يقول من سمع الناس بعمله سمع الله به مسامح خلقه وصغره وحقره فذرفت عينا عبد الله وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلا في بيت أبي عبيدة أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يراني يراني الله به ومن يسمع يسمع الله به حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الله به ومن رأى رأى الله به وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية به حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا بكار حدثني أبي يعني عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبي بكرة صلى الله عليه وسلم أشرك في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمد وهو البرساني فضالة الأنصاري وكان من الصحابة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان عندهم جزاء حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن بكير أخبرنا عبد الحميد يعني ابن جعفر أخبرني أبي عن زياد بن ميناء عن أبي سعيد بن أبي وما الشريك الأصغر يا رسول الله؟ قال الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون حدثنا الليث عن يزيد يعني ابن الهاد عن عمرو بن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عيكم الشرك الأصغر قالوا قال أنا خير الشركاء فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك تفرد به من هذا الوجه حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يونس وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت العلاء يحدث عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن الله عز وجل أنه بن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة أنا خير شريك من أشرك بي أحدا فهو له كله

تفسير ابن كثير

فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر حديث آخر قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا الحسن بن علي بن جعفر الأحمر حدثنا علي بن ثابت حدثنا قيس الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي به وعبادة الخفية قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك؟ قال نعم أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراءون بأعمالهم والشهوة عنه أنه بكى فقيل ما يبكيك؟ قال شيء سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبكاني سمعت رسول الله يقول أتخوف على أمتي الشرك والشهوة أنا عنه غني طريق أخرى لبعضه قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زياد أخبرنا عبادة بن نسي عن شداد بن أوس رضي الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به أشرك قال عوف بن مالك عند ذلك أفلا يعبد الله إلى ما ابتغي به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص له ويدع ما أشرك به فقال شداد عند ذلك فإني تصدق له لقد أشرك فقال شداد فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يراني فقد أشرك ومن صام يراني فقد أشرك ومن تصدق يراني فقد تخوفنا به يا شداد؟ فقال شداد: رأيتمكم لو رأيتم رجلا يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق أترون أنه قد أشرك؟ قالوا نعم والله إن من صلى أو صام أو وسلم قد حدثنا أن الشيطان قد ينس أن يعبد في جزيرة العرب أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها فما هذا الشرك الذي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من الشهوة الخفية والشرك فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: اللهم غفرا ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الميت قال فبينما نحن كذلك إذ طلع شداد بن أوس رضي الله عنه وعوف بن مالك فجلسا إلينا فقال شداد إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت من وسط قراء القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبدأه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزله عند منازل لا يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار بيننا ونحن نتناجى والله أعلم بما نتناجى به فقال عبادة بن الصامت: إن طال بكما عمر أحدكما أو كليكما لتوشكان أن تربا الرجل من ثبج المسلمين يعني قال شهر بن حوشب قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء لقينا عبادة بن الصامت فأخذ يميني بشماله وشمال أبي الدرداء بيمينه فخرج يمشي عندي؟ قال قلنا بلى فال شرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان الرجل. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد يعني ابن بهرام قال: وسلم فقال ما هذه النجوى؟ قال فقلنا تبنا إلى الله أي نبي الله إنما كنا في ذكر المسيح وفرقنا منه فقال ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الله عليه وسلم فنبئت عنده تكون له الحاجة أو يطرقه أمر من الليل فيبعثنا فكثر المحبسون وأهل النوب فكنا نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا كثير بن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الله ويحب أن يحمد فقال عبادة ليس له شيء إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه وقال الإمام عنه: رأيتم رجلا يصلي يبتغي وجه الله وحب أن يحمد ويصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ويحج ويبتغي هذا مجاهد وغير واحد وقال الأعمش: حدثنا حمزة أبو عمارة مولى بني هاشم عن شهر بن حوشب قال جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال أنبئني عما أسألك يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزلت هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وهكذا أرسل ابن أبي حاتم من حديث معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاوس قال: قال رجل يا رسول الله إني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء ربه أي ثوابه وجزاءه الصالح فليعمل عملا صالحا ما كان موافقا لشرع الله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا من قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين مما هو مطابق في نفس الأمر لولا ما أطلعني الله عليه وإنما أخبركم أنما إلهكم الذي أدعوكم إلى عبادته إله المكذبين برسالتك إليهم إنما أنا بشر مثلكم فمن زعم أنني كاذب فليأت بمثل ما جئت به فإني لا أعلم الغيب فيما أخبركم به من الماضي عما سألتكم بن قيس الكوفي أنه سمع معاوية بن أبي سفيان أنه قال هذه آخر آية أنزلت يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه قل لهؤلاء المشركين روى الطبراني من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش عن عمرو

لنعلم أي الحزبين أي المختلفين فيهم أحصى لما لبثوا أمدا قيل عددا وقيل غاية فإن الأمد الغاية كقوله: سبق الجواد إذا استولى على الأمد. 12 ثم بعثناهم أي من رقدتهم تلك وخرج أحدهم بدراهم معه ليشتري لهم بها طعاما يأكلونه كما سيأتي بيانه وتفصيله ولهذا قال ثم بعثناهم عن خبر هؤلاء وعن خبر ذي القرنين وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه متقدم على دين النصرانية والله أعلم. 13 وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا إليهم أن يسألوه مريم فإله أعلم والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خيرهم وأمرهم لمباينتهم لهم إيمانا وهم يستبشرون وقال ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك. وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى ابن وتفاضله وأنه يزيد وينقص ولهذا قال تعالى وزدناهم هدى كما قال والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وقال فأما الذين آمنوا فزادتهم أي اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو وزدناهم هدى استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتيه شبابا وقال مجاهد: بلغني أنه كان في أذان بعضهم القرطة يعني الحلق فإلههم الله رشدتهم وآتاهم تقواهم فآمنوا بربههم أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم شبابا وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل هكذا أخبر تعالى في بسط القصة وشرحها فذكر تعالى أنهم فتيه وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ولهذا كان

ندعو من دونه إليها ولن لنفي التأبيد أي لا يقع منا هذا أبدا لأننا لو فعلنا ذلك لكان باطلا ولهذا قال عنهم لقد قلنا إذا شططا أي باطلا وكذبا وبهتاناً. 14 أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ولهذا أخبر تعالى عنهم: يقولو وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن واحدة فصاروا يدا واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبدا يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن وحده ولا يشرك به شيئا هو الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وقال الآخر: وأنا والله وقع لي كذلك وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء فليظهر كل واحد منكم بأمره فقال آخر: أما أنا فإني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت أنه باطل وإنما الذي يستحق أن يعبد علة الضم: والغرض أنه جعل كل أحد منهم يكتف ما هو عليه عن أصحابه خوفا منهم ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم: تعلمون والله ياقوم إنه ما أخرجكم منها انتلف وما تناكر منها اختلف وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقولون الجنسية البخاري تعليقا من حديث يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة فما تعارف وجاء الآخر فجلس إليهم وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذي رواه قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم جلس تحت ظل شجرة فجاء الآخر فجلس إليها عنده وجاء الآخر فجلس إليهما بصيرتهم عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين قلوبهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس الرغيد والسعادة والنعمة فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يوما في بعض أعياد وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض يقول تعالى وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش وقوله

فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك. 15 الحديث يوشك أن يكون خير مال أحكم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع في تلك النظرة توصلا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفا على دينه كما جاء في بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلمهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه وكان هذا من لطف الله بهم فإنهم أظلم ممن افترى على الله كذبا يقولون: بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهدهم وتوعدهم وأمر هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلا واضحا صحيحا فمن

بأبه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك وفي هذا نظر والله أعلم فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيا كما قال تعالى. 16 قصة أصحاب الكهف وقد قيل إن قومهم ظفروا ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردهم سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من الله ثالثهما؟ وقد قال تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذا هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله قال النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى جزع الصديق في قوله: يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يملكون عليه وعندها به فعند ذلك خرجوا هرابا إلى الكهف فأووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال إنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم كما فعل بأبدانكم فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم ويهيء لكم من أمركم الذي أنتم فيه مرفقا أي أمرا ترتفقون في قوله وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقوهم أيضا

ثم قال من يهد الله فهو المهتد الآية أي هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم فإنه من هداه الله اهتدى ومن أضله فلا هادي له. 17 من آيات الله حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والرياح تدخل عليهم فيه لتبقي أبدانهم ولهذا قال تعالى ذلك من آيات الله وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه أي في متسع منه داخلا بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس ذلك إلا وقد أعلمتكم به فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه فقال وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم قال مالك عن زيد بن أسلم: تميل ذات اليمين الله هو ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه فقد قال صلى الله عليه وسلم ما تركت شيئا يقرّبكم إلى الجنة ويباعدكم من النار فذكروا فيه أقوالا فتقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريب من أيلة وقال ابن إسحاق: هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأي بلاد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي وقد تكلف بعض المفسرين الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه والله الحمد وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: تقرضهم تتركهم وقد لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور الفيء يمينا ولا شمالا ولو كان من جهة

تفسير ابن كثير

المشرق فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ولهذا قال وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية ذات اليمين أي يتقلص الفيء يمينا كما قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة تزاور أي تميل وذلك كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه

ولا تمسهم يد لأمس حتى يبلغ الكتاب أجله وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فهم لما له في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة. 18
لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا أي أنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها بل هي مما ينهى عنه فإن مستندها رجم بالغيب وقوله تعالى لو اطلعت عليهم عبوده بهموت. وهبط آدم عليه السلام بالهند وحواء بجدة وإبليس بدست بيسان والحية بأصفهان وقد تقدم عن شعيب الجبائي أنه سماه حمران واختلفوا في كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير واسم هدهد سليمان عليه السلام عنفز واسم كلب أصحاب الكهف قطمير واسم عجل بني إسرائيل الذي فALLE أعلم وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة همام ابن الوليد الدمشقي: حدثنا صدقة بن عمر الغساني حدثنا عباد المنقري سمعت الحسن البصري يقول: الأخيار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن وقد قيل إنه كان كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه وقيل كلب طباط الملك وقد كان وافقهم على الدين وصحبه كلبه كما ورد في الصحيح ولا صورة ولا جنب ولا كافر كما ورد به الحديث الحسن. وشملت كلبهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صعبة قال ابن جرير: يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أنه بالفناء وهو الباب ومنه قوله تعالى إنها عليهم مؤصدة أي مطبقة مغلقة ويقال وصيد وأصيد ربيض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب وكتبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة الوصيد الفناء وقال ابن عباس بالباب وقيل بالصعيد وهو التراب والصحيح يقظان نائم وقوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال بعض السلف: يقلبون في العام مرتين قال ابن عباس: لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض وقوله رقاد وقد ذكر عن الذئب أنه ينام فيطبق عينا ويفتح عينا ثم يفتح هذه ويطبق هذه وهو راقد كما قال الشاعر: ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى الرزايا فهو أنهم لما ضرب الله على أذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقي لها ولهذا قال تعالى وتحسبهم أيقاظا وهم ذكر بعض أهل العلم

كثيرا أو قليلا وقوله وليتلف أي في خروجه وزهابه وشرائه وإيابه يقولون وليخفف كل ما يقدر عليه ولا يشعرون أي ولا يعلمون بكم أحدا. 19
ومنه زكاة الزرع إذا كثر قال الشاعر: قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللبيع أركى من ثلاث وأطيبك والصحيح الأول لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال سواء كان كقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً وقوله قد أفلح من تزكى ومنه الزكاة التي تطيب المال وتطهره وقيل أكثر طعاما منها فلماذا قالوا فابعثوا أحداكم بورقكم هذه إلى المدينة أي مدينتكم التي خرجتم منها والألف واللام للعهد فليُنظر أيها أركى طعاما أي أطيب طعاما والشراب فقالوا فابعثوا أحداكم بورقكم أي فضتكم هذه وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها فتصدقوا منها وبقي أعلم بما لبثتم أي الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم فالله أعلم ثم عدلوا إلى الأهم في أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلى الطعام قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار واستيقاظهم كان في آخر نهار ولهذا استدركوا فقالوا أو بعض يوم قالوا ربكم أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئا وذلك بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين ولهذا تساءلوا بينهم كم لبثتم أي كم رقدتم يقول تعالى كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة

عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ويبشر المؤمنين أي بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح أن لهم أجرا حسنا أي مثوبة عند الله جميلة. 2
لينذر بأسا شديدا من لدنه أي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بأسا شديدا عقوبة عاجلة في الدنيا وأجلة في الآخرة من لدنه أي من عند الله الذي لا يعذب ولهذا قال قيما أي مستقيما

في ملتهم التي هم عليها أو يموتوا وإن وافقتموهم على العود في الدين فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال ولن تفلحوا إذا أبدا. 20
يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم يعنون أصحاب دقيانوس يخافون منهم أن يطلعوا على مكانهم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أي إن علموا بمكانكم

الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها. 21
الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي عنهم والثاني أهل الشرك منهم فالله أعلم والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون أم لا ؟ فيه نظر لأن النبي صلى باب كهفهم وذروهم على حالهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين أحدهما إنهم المسلمون في أمر القيامة فمن ثبت لها ومن منكر فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم أي سدوا عليهم أي كما أرقدناهم وأيقظناهم بهيئاتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي

تفسير ابن كثير

فأروا فيه عظاما فقال قائل: هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس: لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلثمائة سنة رواه ابن جرير وقوله وكذلك أعرنا عليهم ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل فالله أعلم. قال قتادة: غزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بكهف في بلاد الروم وأخفى الله عليهم خبرهم ويقال بل دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلما فيما قيل واسمه يندوسيس ففرحوا به وأنسوه بالكلام ملك البلد وأهلها حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم: دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي فدخل فيقال إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه إلى الجنون فحملوه إلى ولي أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير في حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وممن أنت ؟ فجعل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدي بها عشية أمس وفيها دقيانوس فنسبوه ما معه من النفقة وسأله أن يبيعه بها طعاما فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزا من ذلك وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة ثم قال: إن تعجيل الخروج من ههنا لأولى لي ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه البلد التي يعرفها ولا يعرف أحدا من أهلها لا خواصها ولا عوامها فجعل يتحير في نفسه ويقول: لعل بي جنونا أو مسا أو أنا حالم ويقول: والله ما بي شيء قرن وجيلا بعد جيل وأمة بعد أمة وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر: أما الديار فإنها كديارهم وأرى رجال الحي غير رجاله فجعل لا يرى شيئا من معالم لهم ليأكلوه تنكر وخرج يمشي في غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة وذكروا أن اسمها دقوسوس وهو يظن أنه قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قرنا بعد قالوا تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة في شراء شيء حق وأن الساعة لا ريب فيها ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد يقول تعالى وكذلك أعرنا عليهم أي اطلعنا عليهم الناس ليعلموا أن وعد الله

من غير استناد إلى كلام معصوم وقد جاءك الله يامحمد بالحق الذي لاشك فيه ولا مرية فيه فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال. 22 فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ولا تستفت فيهم منهم أحدا أي فإنهم لا علم لهم بذلك الا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجما بالغيب أي بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته والله أعلم فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب وقد قال تعالى فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا أي سهلا هينا ابن إسحاق ومن بينه وبينه فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية وقد تقدم عن شعيب الجبائي أن اسم كلبهم حمران وفي تسميتهم وهو الذي كلم الملك عنهم ويمليخا ومرطونس وكسطونس وبيرونس ودينيموس ويطبونس وقالوش هكذا وقع في هذه الرواية ويحتمل أن هذا من كلام من حدثه عنه وضح الورق. قال ابن عباس: فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم في عبادة الله يبيكون ويستغيثون بالله وكانوا ثمانية نفر: مكسمينا وكان أكبرهم ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه. وقال محمد بن إسحاق بن يسار عن عبد الله بن أبي نجيج عن مجاهد قال: لقد حدثت أنه كان على بعضهم بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ما يعلمهم إلا قليل قال أنا من القليل كانوا سبعة فهذه أسانيد صحيحة إلى عز وجل كانوا سبعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخراساني عنه أنه كان يقول أنا ممن استثنى الله عز وجل ويقول عدتهم سبعة. وقال ابن جرير: حدثنا ابن ذلك بلا علم لكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا وقوله ما يعلمهم إلا قليل أي من الناس. قال قتادة قال ابن عباس أنا من القليل الذي استثنى الله هو الواقع في نفس الأمر. وقوله قل ربي أعلم بعدتهم إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله وثامنهم كلبهم فدل على صحته وأنه عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال فدل على أنه لا قائل برابع ولما ضعف القولين الأولين بقوله رجما بالغيب أي قولاً بلا علم يقول تعالى مخبرا

عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف غدا أجيبكم فتأخر الوحي خمسة عشر يوما وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأغنى عن إعادته. 23 وكان دركا لحاجته وفي رواية ولقاتلوا في سبيل الله فرسانا أجمعين وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقل فطاف بهن فلم يلدن منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث سبعين امرأة وفي رواية تسعين امرأة وفي رواية مائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله فقيل له وفي رواية قال له الملك قل إن وما لم يكن لو كان كيف يكون كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة علي الله صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون هذا إرشاد من الله تعالى لرسول

أي إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه إليه في أن يوفئك للصواب والرشد في ذلك وقيل في تفسيره غير ذلك والله أعلم. 24 الشيطان فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان فذكر الله سبب للذكر ولهذا قال واذكر ربك إذا نسيت وقوله وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى لأن النسيان منشؤه من الشيطان كما قال فتى موسى وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره وذكر الله تعالى يطرد لأحد منا أن يستثنى إلا في صلة من يمينه ثم قال انفرد به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين ويحتمل في الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد من وروى الطبراني أيضا عن ابن عباس في قوله واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء فاستثنى إذا ذكرت وقال هي خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عن ابن أبي نجيج عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت أن تقول إن شاء الله

تفسير ابن كثير

واذكر ربك إذا نسيت إذا غضبت وقال الطبراني: حدثنا محمد بن الحارث الجبلي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد العزيز بن حصين أن يكون رافعا لحنث اليمين ومسقطا للكفارة وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم وقال عكرمة كلامه إن شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالسنة له أن يقول ذلك ليكون آتيا بسنة الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث قال ابن جرير رحمه الله: ونص على ذلك لا ذهب كسائي هذا ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية عن الأعمش به. ومعنى قول ابن عباس أنه يستثني ولو بعد سنة أي إذا نسي أن يقول في حلفه وفي يحلف قال له أن يستثني ولو إلى سنة وكان يقول واذكر ربك إذا نسيت: ذلك قيل للأعمش سمعته عن مجاهد فقال حدثني به ليث بن أبي سليم يرى نسيت قيل معناه إذا نسيت الاستثناء فاستثن عند ذكره له قاله أبو العالية والحسن البصري وقال هشيم عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في الرجل وقوله واذكر ربك إذا

بالهلالية وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية فإن تفاوت ما بين كل ثلاثمائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين فلهذا قال بعد الثلاثمائة وازدادوا تسعا. 25
الله عليه وسلم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى بعثهم الله وأعثر عليهم أهل الزمان وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين هذا خبر من الله تعالى لرسوله صلى

ولا يشرك في حكمه أحدا أي أنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر الذي لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس. 26
به وأسمع فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع وقال ابن زيد أبصر به وأسمع يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا. وقوله ما لهم من دونه من ولي كأنه قيل ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء. ثم روى عن قتادة في قوله أبصر بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتاج بها والله أعلم وقوله أبصر به وأسمع أي أنه بصير بهم سميع لهم. قال ابن جرير: وذلك في معنى المبالغة في المدح وازدادوا تسعا والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله لا حكاية عنهم وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هي شاذة الله وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر فإن الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسع يعنون بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال أهل الكتاب وقد رده الله تعالى بقوله قل الله أعلم بما لبثوا قال وفي قراءة عبد الله وقالوا ولبثوا يعني أنه قاله الناس وهكذا قال قتادة ومطرف بن عبد الذي قلناه عليه غير واحد من علماء التفسير كمجاهد وغير واحد من السلف والخلف وقال قتادة في قوله ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين الآية هذا قول الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أي لا يعلم ذلك إلا هو ومن أطلعه عليه من خلقه وهذا وقوله قل الله أعلم بما لبثوا أي إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من

تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقال إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد أي سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة. 27
ابن جرير: مقول إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فإنه لا ملجأ لك من الله كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم لا مبدل لكلماته أي لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل. وقوله ولن تجد من دونه ملتحدا عن مجاهد ملتحدا قال ملجأ وعن قتادة وليا ولا مولى قال يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس

محبا لطريقته ولا تغبطه بما هو فيه كما قال ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى. 28
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا وكان أمره فرطا أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ولا تكن مطيعا له ولا رضي الله عنهم وقوله ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قال ابن عباس: ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة وأما أبوه فمن سادات الصحابة ربهم بالغداة والعشي الآية فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رأهم جلس معهم وقال زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل ابن حنيف قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته واصبر نفسك مع الذين يدعون أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات تفرد به أحمد رحمه الله وقال الطبراني ثنا إسماعيل بن الحسن ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب عن أسامة بن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم وقال الإمام أحمد ثنا محمد بن بكير ثنا ميمون المرئي ثنا ميمون بن سياه عن علي بن الأقرع عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف فسكت فقال رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر مرسلا وحدثنا يحيى بن المعلى عن منصور حدثنا محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن رجل يقرأ سورة الكهف فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم سكت فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم هكذا بن إسحاق الأهوازي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر أبي مسلم وهو الكوفي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ستة وتسعين ألفا وهما من يقول أربعة من ولد إسماعيل والله ما قال لإثمانية دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا فحسبنا ديانتهم ونحن في مجلس أنس فبلغت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله من إلي من أن أعتق أربع رقاب قال شعبة فقلت أي مجلس قال كان قاصا وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا محمد حدثنا يزيد بن أبان عن أنس قال:

تفسير ابن كثير

بن قيس وكان قاص العامة بالكوفة يقول: أخبرني رجل من أصحاب بدر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب وقال أحمد أيضا: حدثنا هاشم ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت كردوس سمعت أبا الجعد يحدث عن أبي أمامة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص فأمسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قص فلان يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي التياح قال من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل ولا تطرد الذين قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل وقال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي عن إسرائيل عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال ولا تطرد وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء يقال إنها نزلت في أشرف قريش حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وقوله واصبر

حميم أن وساءت مرتفقا أي وساءت النار منزلا ومقيلا ومجتعا وموضعا للارتفاق كما قال في الآية الأخرى إنها ساءت مستقرا ومقاما . 29
أي بنس هذا الشراب كما قال في الآية الأخرى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى تسقى من عين أنية أي حارة كما قال تعالى وبين أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات الذميمة القبيحة بنس الشراب فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من بماء كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب وقال سعيد بن جبير: إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقوم فيأكلون منها فاختلبت جلود وجوههم ماء صديد يتجرعه قال يقرب إليه فيتكرهه فإذا قرب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه يقول الله تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا أعلم. وقال عبدالله بن المبارك وبقيّة بن الوليد عن صفوان بن عمرو عن عبدالله بن بشر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ثم قال: لا نعرفه إلا من حديث رشدين وقد تكلم فيه من قبل حفظه هكذا قال: وقد رواه الإمام أحمد كما تقدم عن حسن الأشيب عن ابن لهيعة عن دراج والله كعكر الزيت فإذا قرب به إليه سقطت فروة وجهه فيه وهكذا رواه الترمذي في صفة النار من جامع من حديث رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بإسناده المتقدم في سرائق النار عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ماء كالمهل قال كلها فهو أسود منتن غليظ حار ولهذا قال يشوي الوجوه أي من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه كما جاء أشبه شيء بالمهل وقال الضحاك: ماء جهنم أسود وهي سوداء وأهلها سود وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة وقال عكرمة: هو الشيء الذي انتهى حره وقال آخرون: هو كل شيء أذيب. وقال قتادة: أذاب ابن مسعود شيئا من الذهب في أقدود فلما انماع وأزبد قال: هذا قطرة وقوله وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه الآية قال ابن عباس. المهل الماء الغليظ مثل دردي الزيت وقال مجاهد: هو كالدمن والقيح هو جهنم قال فقيل له كيف ذلك ؟ فتلا هذه الآية أو قرأ هذه الآية نارا أحاط بهم سرادقها ثم قال والله لا أدخلها أبدا أو ما دمت حيا لا تصيبي منها حدثنا أبو عاصم عن عبدالله بن أمية حدثني محمد بن حبي بن يعلى عن صفوان بن يعلى عن يعلى بن أمية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر أبي السمح به. وقال ابن جريج قال ابن عباس أحاط بهم سرادقها قال حائط من نار وقال ابن جرير: حدثني الحسين بن نصر والعباس بن محمد قال: عليه وسلم أنه قال لسرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة وأخرجه الترمذي في صفة النار وابن جرير في تفسيره من حديث دراج بهم سرادقها أي سورها قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء فليكفر هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ولهذا قال إنا أعتدنا أي أروصدنا للظالمين وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه نارا أحاط يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد للناس هذا الذي جنتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فمن شاء فليؤمن ماكنين فيه في ثوابهم عند الله وهو الجنة خالدين فيه أبدا دائما لا زوال له ولا انقضاء . 3

ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة فلهم جنات عدن والعدن الإقامة . 30
لما ذكر تعالى حال الأشقياء

مستقرا ومقاما ثم ذكر صفات المؤمنين فقال أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما . 31
وحسنت مرتفقا أي حسنت منزلا ومقيلا ومقاما كما قال في النار بنس الشراب وساءت مرتفقا وهكذا قابل بينهما في سورة الفرقان في قوله إنها ساءت فتادة على الأرائك قال هي الحجال قال معمر وقال غيره السرر في الحجال. وقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا أي نعمت الجنة ثوابا على أعمالهم فيه القولان. والأرائك جمع أريكة وهي السرير تحت الحجلة والحجلة كما يعرفه الناس في زماننا هذا بالبشخانة والله أعلم. قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن وقوله متكنين فيها على الأرائك الاتكاء قيل الاضطجاع وقيل التربع في الجلوس وهو أشبه بالمراد ههنا ومنه الحديث الصحيح أما أنا فلا أكل متكنا

تفسير ابن كثير

ههنا فقال ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق فالسندس ثياب رفاق كالقمصان وما جرى مجراها. وأما الإستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق وهذه الأنهار تجري من تحتي الآية يحلون أي من الحلية فيها من أساور من ذهب وقال في المكان الآخر ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وفصله تجري من تحتهم الأنهار أي من تحت غرفهم ومنازلهم. قال فرعون

جنتين أي بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة في جنباتهما وفي خلالهما الزروع وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة. 32 المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم ف ضرب لهم ولهم مثلا برجلين جعل الله لأحدهما يقول تعالى بعد ذكره

الجنتين آتت أكلها أي أخرجت ثمرها ولم تظلم منه شيئا أي ولم تنقص منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا أي والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا. 33 ولهذا قال: كلتا

ويخاصمه يفتخر عليه ويتأخرس أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا أي أكثر خدما وحشما وولدا قال قتادة تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفس. 34 بضم الثاء وتسكين الميم فيكون جمع ثمرة كخشبة وخشب. وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم فقال أي صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أي يجادله وكان له ثمر قيل المراد به المال روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة الأخرى وكان له ثمر

في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفتنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة. 35 أي بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد قال ما أظن أن تبديد هذه أبدا وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة وقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه أي بكفره وتمرده

أي في الدار الآخرة تألى على الله عز وجل. وكان سبب نزولها في العاص بن وائل كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. 36 كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية الأخرى ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقال أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا قائمة أي كائنة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكون لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ولولا ولهذا قال وما أظن الساعة

من نفسه ولا مستندا إلى شيء من المخلوقات لأنه بمثابة فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء ولهذا قال المؤمن. 37 أي كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جليلة كل أحد يعلمها من نفسه فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوما ثم وجد وليس وجوده ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى: كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم الآية به صاحبه المؤمن واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار أكفرت بالذي خلقك من تراب الآية وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود يقول تعالى مخبرا عما أجابه

لكننا هو الله ربي أي لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ولا أشرك بربي أحدا أي بل هو الله المعبود وحده لا شريك له. 38 قال أبو بلخ قال عمرو قلت لأبي هريرة لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لا إنها في سورة الكهف ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله . 39 العرش ؟ قال قلت فذاك أبي وأمي قال أن تقول لا قوة إلا بالله قال أبو بلخ وأحسب أنه قال فإن الله يقول أسلم عبدي واستسلم قال فقلت لعمر أبو عوانة عن أبي بلخ عن عمرو بن ميمون قال: قال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله وقال الإمام أحمد: حدثنا بكير بن عيسى حدثنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله تفرد به أحمد وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى لا يصح حديثه. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة وكان يتأول هذه الآية ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله قال الحافظ أبو الفتح الأزدي عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرار عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرار عن أنس رضي الله عنه السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة وقد روي فيه حديث مرفوع أخرجه حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال أو لولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ولهذا قال بعض ثم قال ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا هذا تحضيض وحث على ذلك أي هلا إذا أعجبتك

وقوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا قال ابن إسحاق وهم مشركو العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله. 4

مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال فتصبح صعيدا زلقا أي بلقعا ترابا أملس لا يثبت فيه قدم وقال ابن عباس: كالجرز الذي لا ينبت شيئا. 40 الدنيا التي ظننت أنها لا تبديد ولا تفتنى حسبنا من السماء قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهري أي عذابا من السماء والظاهر أنه مطر عظيم وقوله: فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك أي في الدار الآخرة ويرسل عليها أي على جنتك في

تفسير ابن كثير

- 41 غورا فلن تستطيع له طلبا والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه كما قال الشاعر: تظل جياده نوحا عليه تقلده أعنتها صفوفا بمعنى ناثحات عليه. وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى: قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتاكم بماء معين أي جار وسائح وقال ههنا أو يصبح ماؤها وقوله: أو يصبح ماؤها غورا أي غائرا في الأرض وهو ضد النايح الذي يطلب
- 42 فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وقال قتادة يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الأموال التي أذهبها عليها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا. على القول الآخر والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسابان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل يقول تعالى وأحيط بثمره بأمواله أو بثماره
- 43 لله الحق اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على قوله وما كان منتصرا هنالك أي في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله فلا منقذ له منه. ولم تكن له فئة أي عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية
- 44 الآية ولهذا قال تعالى هو خير ثوابا أي جزاء وخير عقبا أي الأعمال التي تكون لله عزو جل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير. الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عز وجل كقوله: ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ومنهم من كسر الواو من الولاية أي هنالك الحكم لله الحق ثم منهم من رفع الحق على أنه نعت للولاية كقوله تعالى وحده وكفرنا بما كنا به مشركين وكقوله إخبارا عن فرعون حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن المعنى هنالك الموالة لله أي هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله لله الحق ومنهم من يقف على وما كان منتصرا ويبتدئ بقوله هنالك الولاية لله الحق ثم اختلفوا في قراءة الولاية فمنهم من فتح الواو من الولاية فيكون ويبتدئ بقوله: الولاية
- 45 الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته الآية وفي الحديث الصحيح الدنيا خضرة حلوة . في الزمر ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه الآية وقال في سورة الحديد اعملوا أنما الحياة الدنيا بهذا المثل كما قال تعالى في سورة يونس إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام الآية وقال أي تفرقه وتطرحة ذات اليمين وذات الشمال وكان الله على كل شيء مقتدرا أي هو قادر على هذه الحال وهذه الحال وكثيرا ما يضرب الله مثل الحياة من السماء فاختلط به نبات الأرض أي ما فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا كله أصبح هشيما يابساً تذروه الرياح يقول تعالى واضرب يا محمد للناس مثل الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها كماء أنزلناه
- 46 والأرض. وقال العوفي عن ابن عباس: هي الكلام الطيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي الأعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير رحمه الله. الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات الصالحات قال: هي ذكر الله قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله واستغفر الله صلى على رسول لله مائة مرة والله أكبر مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة غفرت ذنوبه إلا الدماء فإنها لا تبطل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: والباقيات لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال هن الباقيات الصالحات وبهذا الإسناد من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد في الجبل ثم هبطت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وعلمني قل هو الله أحد و إذا زلزلت وعلمني هؤلاء الكلمات: سبحان الله والحمد لله عنه قال: كنت في أول من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف فخرجت من أعلى الطائف من السراة غدوة فأتيت منى عند العصر فتصاعدت وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمر بن الحسين عن يونس بن نفع الجدي عن سعد بن جنادة رضي لسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب ثم رواه أيضا النسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه فاكثروا أنتم هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك وأنا أخطئها وأزعمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها علي واحفظوا ما أقول لكم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كنز الناس الذهب والفضة بن عطية قال: كان شداد بن أوس رضي الله عنه في سفر فنزل منزلا فقال لغلامه: اتنا بالشفرة نعبث بها فأنكر عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا مستيقنا بهن دخل الجنة: يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت وبالحساب. وقال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده وقال بخ لخمس من لقي الله عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بخ بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه. ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات. وقال الإمام أحمد: حدثنا في السماء شيء ثم قال: أما أنه سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم ومالئهم فليس مني ولست منه ومن لم يصدقهم النعمان بن بشير قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرفع بصره إلى السماء ثم خفض حتى ظننا أنه قد حدث طيبة وأرضها واسعة فقلت وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة إلا بالله. وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن يزيد عن العوام حدثني رجل من الأنصار من آل

تفسير ابن كثير

إلى السماء فرأيت إبراهيم عليه السلام فقال يا جبريل من هذا الذي معك ؟ فقال محمد فرحب بي وسهل ثم قال مرأمتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربتها مرتين أو ثلاثا فلم ينزع قال فأبيت ؟ قال سالم أجل فأبيت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يقول: عرج بي ؟ فقال لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فقال له سالم: متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال: ما زلت أجعلها قال فراجعته بن كعب القرظي في حاجة فقال: قل له القني عند زاوية القبر فإن لي إليك حاجة قال: فالتقيا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم ما تعد الباقيات الصالحات وهكذا رواه أحمد من حديث دراج به. قال وهب أخبرني أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله حدثه قال: أرسلني سالم إلى محمد الصالحات قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال الملة قيل وما هي يا رسول الله ؟ قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن ابن الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: استكثروا من الباقيات أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات قال: وحدثني يونس أخبرنا قال ابن جرير: وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزار عن أبي نصر التمار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله: والباقيات الصالحات قال: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله هن الباقيات الصالحات حول ولا قوة إلا بالله قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك وقال مجاهد: الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقال أخبرني عبد الله بن عثمان بن خيثم عن نافع عن سرجس أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا لم تصب فقلت الزكاة والحج فقال لم تصب ولكنهن الكلمات الخمس لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقال ابن جريج الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقال محمد بن عجلان عن عمارة قال: سألتني سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقلت: الصلاة والصيام فقال: قوة إلا بالله العلي العظيم تفرد به وروى مالك عن عمارة بن عبد الله بن صياد عن سعيد بن المسيب قال: الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وهن الحسنات يذهبن السيئات قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات يا عثمان ؟ قال: هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئي هذا ثم قال لا إله إلا الله العلي العظيم رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الله المقرئ حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل أنه سمع الحارث مولى عثمان رضي الله عنه يقول: جلس عثمان أكبر وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ما هي ؟ فقال: هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس: الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم ولهذا قال والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف: المcnطرة من الذهب الآية وقال تعالى: إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم أي الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم وقوله: المال والبنون زينة الحياة الدنيا كقوله: زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير

لا صغيرا ولا كبيرا كما قال قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم وقال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. 47 لا حجر فيها ولا غيابة قال قتادة: لا بناء ولا شجر وقوله وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا أي وجمعناهم الأولين منهم والآخرين فلم نترك منهم أحدا أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد ولا مكان يوارى أحدا بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية. قال مجاهد وقتادة وترى الأرض بارزة تذهب الجبال وتتساوى المهاد وتبقى الأرض قاعا صفصفا أي سطحا مستويا لا عوج فيه ولا أمتا أي لا وادي ولا جبل ولهذا قال تعالى وترى الأرض بارزة وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيزورها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يذكر تعالى بأنه يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا أي تذهب من أماكنها وتزول كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقال تعالى يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظام كما قال تعالى:

لهم على رؤوس الأشهاد ولهذا قال تعالى مخاطبا لهم بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا أي ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ولا أن هذا كائن. 48 أنهم يقومون صفوفا صفوفا كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة هذا تقريع للمنكرين للمعاد وتوبيخ أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا كما قال تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ويحتمل وقوله وعرضوا على ربك صفا يحتمل أن يكون المراد

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وعند قوله تعالى إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون. 49 صلى الله عليه وسلم قال إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة رواه عبد الله بن الإمام أحمد وله شواهد من وجوه أخر وقد ذكرناها عند قوله تعالى عز وجل حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال بالحسنات والسيئات وعن شعبة عن العوام بن مراحم عن أبي عثمان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله حتى أقضيه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة قال: قلنا كيف وإنما نأتي الله شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق

تفسير ابن كثير

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة أو قال العباد عراة غرلا بهما قلت وما بهما ؟ قال ليس معهم قاعتنقي واعتنقته فقلت حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه فقال عليه رحلا فسرت عليه شهرا حتى قدمت عليه الشام فإذا عبدالله بن أنيس فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال ابن عبدالله: قلت نعم فخرج يبطاً ثوبه المكي عن عبدالله بن محمد بن عقييل أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت بغيرا ثم شددت القيامة فلا تظلم نفس شيئا إلى قوله حاسبين والآيات في هذا كثيرة وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد فيها الكافرين وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم قال تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها الآية وقال ونضع الموازين القسط ليوم من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويمأل النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدره فلان بن فلان وقوله ولا يظلم ريك أحدا أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعا ولا يظلم أحدا حدثنا شعبة عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ يرفع لكل الآية وقال تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر وقال تعالى يوم تبلى السرائر أي تظهر المخبات والضمان قال الإمام أحمد: حدثنا أبو الوليد صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه .وقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا أي من خير وشر كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا إلا ساعة حتى جعلناه ركاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليترك الله رجل ولا يذنب حينئذ نزلنا قفرا من الأرض ليس فيه شيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا من وجد عودا فليأت به ومن وجد حطبا أو شيئا فليأت به قال فما كان صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها.وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد ابن جنادة قال: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة يا ويلتنا أي يا حسرتنا و ويلنا على ما فرط في أعمارنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها أي لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وإن الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطير والصغير والكبير فترى المجرمين مشفقين مما فيه أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ويقولون وقوله ووضع الكتاب أي كتاب

فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل ويسألونك عن الروح قل الروح الآية. 5 رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألتاه عنه وحتى أحزن وسلم أخبركم غدا عما سألتكم عنه ولم يستثن فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا ولا أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أخبرنا فسأله عما أمرهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصنعوا في أمره ما بدا لكم فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جنناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار يهود وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فترؤا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجب صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالوا: إنكم أهل التوراة وقد جنناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال: فقالوا لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهن وصفوا لهما صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوه عن محمد واقتراؤهم ولهذا قال إن يقولون إلا كذبا وقد ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال: حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ أظهر فإن هذا تبشيع لمقاتلتهم واستعظام لإفكهم ولهذا قال كبرت كلمة تخرج من أفواههم أي ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم بكلمتهم كلمة كما تقول أكرم يزيد رجلا قاله بعض البصريين وقرأ ذلك بعض قراء مكة كبرت كلمة كما يقال عظم قولك وكبر شأنك والمعنى على قراءة الجمهور أي بهذا القول الذي افتروه وانتفكوه ولا لآبائهم أي لأسلافهم كبرت كلمة نصب على التمييز تقديره كبرت كلمتهم هذه وقيل على التعجب تقديره أعظم ما لهم به من علم

ذكر القيامة وأهوالها ومصير كل من الفريقين السعداء والأشقياء في سورة يس وامتازوا اليوم أيها المجرمون إلى قوله أفلم تكونوا تعقلون . 50 تعالى مقرعا وموبخا لمن اتبعه وأطاعه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني الآية أي بدلا عني ولهذا قال بنس للظالمين بدلا وهذا المقام كقوله بعد أي فخرج عن طاعة الله فإن الفسق هو الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها وفسقت الفأرة من جحرها إذا خرجت منه للعبث والفساد ثم قال عليه وسلم أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل وقوله ففسق عن أمر ربه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه والتجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة قد يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذي بأيدينا وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها

تفسير ابن كثير

من الجنان الذين يعملون في الجنة وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها ومنها ما عليه فمسخه شيطانا رجيمًا لعنه الله ممسوخًا قال: وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمه وإذا كانت في معصية فارجه وعن سعيد بن جبير أنه قال: كان بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال: إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى فسخط الله من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهادًا وأكثرهم علما فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حي يسمون جنا. وقال ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك ملائكة سماء الدنيا وقال ابن إسحاق عن عطاء بن طووس عن ابن عباس قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان هو من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا رواه ابن جرير من حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الجن أي من خزان الجنان كما يقال للرجل مكي ومدني وبصري وكوفي وقال ابن جريج عن ابن عباس نحو ذلك وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله واستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم فاستكبر وكان من الكافرين قال ابن عباس قوله كان من وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء فوقع في القرآن من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا تهبت وقال الضحاك أيضا عن ابن عباس: كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة خلقت من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي قال: وخلقت الجن الذين ذكروا الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه وقال الضحاك عن ابن عباس: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن أي على أنه خلق من نار كما قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال الحسن البصري: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل عند الحاجة وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلماذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن الله عليه وسلم أنه قال خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع من الجن أي خانه أصله فإنه خلق من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقوله فسجدوا إلا إبليس كان لهم ولأبيهم من قبلهم ومقرعا لمن اتبعه منهم وخالف خالقه ومولاه وهو الذي أنشأه وابتدأه وبأطافه رزقه وغذاه ثم بعد هذا كله وإلى إبليس وعادى الله يقول تعالى منها بني آدم على عداوة إبليس

وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له الآية ولهذا قال وما كنت متخذ المضلين عضدا قال مالك: أعوانا. 51 وحدي ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض عبيد أمثالكم لا يملكون شيئا لا أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا كانوا إذ ذاك موجودين يقول تعالى: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها يقول تعالى: هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني

وقال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم - إلى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون . 52 بين أهل الهدى والضلالة به فهو كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقال يومئذ يصعدون وقال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون إلى الآخر بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير. وأما إن جعل الضمير في قوله بينهم عائدا إلى المؤمنين والكافرين كما قال عبد الله بن عمرو إنه يفرق بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة فلا خلاص لأحد من الفريقين في جهنم من قيح ودم وقال الحسن البصري: موبقا عداوة والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك ويجوز أن يكون واديا في جهنم أو غيره والمعنى أن الله تعالى ابن جرير: حدثني محمد بن سنان القزاز حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن زريع سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله تعالى وجعلنا بينهم موبقا قال واد لنا أن عمرا البكالي حدث عن عبد الله بن عمرو قال: هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وقال قتادة: موبقا واديا في جهنم. وقال الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله وجعلنا بينهم موبقا قال ابن عباس وقتادة وغير واحد مهلكا وقال قتادة: ذكر ادعوا شركاءكم فدعوه فلم يستجيبوا لهم الآية وقال ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الآيتين وقال تعالى واتخذوا من دون نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وقوله فدعوه فلم يستجيبوا لهم كما قال وقيل أي في دار الدنيا ادعوه اليوم بينقذونكم مما أنتم فيه كما قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما يقول تعالى مخبرا عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تقريرا لهم وتوبيخا نادوا شركائنا الذين زعمتم

الله عليه وسلم ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل في الدنيا وإن الكافر ليرى جهنم ومظن أنها مواقعه من مسيرة أربعين سنة . 53 فيظن أنها مواقعه من مسيرة أربعين سنة وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الكافر ليرى جهنم العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز وقوله ولم يجدوا عنها مصرفا أي ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها. قال ابن جرير: حدثني ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك فإذا رأى المجرمون النار تحققوا لا محالة أنهم واقعوها ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم فإن توقع

تفسير ابن كثير

وقوله ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا أي أنهم لما عاينوا جهنم حين جيء بها تقاد بسبعين

فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلا أخرجاه في الصحيحين. 54
الله عليه وسلم طرقة وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا
قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني علي بن الحسين أن حسين بن علي أخبره أن أبي طالب أخبره أن رسول الله صلى
ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة.
يقول تعالى ولقد بينا للناس في هذا القرآن ووضحنا لهم الأمور وفصلناها كيلا يضلوا عن الحق

على ذلك ثم قال إلا أن تأتيهم سنة الأولين من غشيانهم بالعذاب وأخذهم عن آخرهم أويأتيهم العذاب قبلا أي يروونه عيانا مواجهة ومقابلة. 55
من السماء أو اثنتا بعذاب أليم وقالوا يا أيها الذي نزل عليك الذكر إنك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين إلى غير ذلك من الآيات الدالة
إن كنت من الصادقين وآخرون قالوا اثنتا بعذاب الله إن كنت من الصادقين وقالت قريش اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة
والدلالات الواضحات وأنه ما منعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانا كما قال أولئك لنبيهم فأسقط علينا كسفا من السماء
يخبر تعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق البين الظاهر مع ما يشاهدون من الآيات

الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بعث بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب هزوا أي سخروا منهم في ذلك وهو أشد التكذيب. 56
بأنهم يجادلون بالباطل ليدحضوا به أي ليضعفوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل وليس ذلك بحاصل لهم واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا أي اتخذوا
ثم قال تعالى وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين أي قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ومنذرين لمن كذبهم وخالفهم ثم أخبر عن الكفار
أن يفقهوه أي لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان وفي آذانهم وقرا أي صمما معنويا عن الرشد وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا. 57
ولا ألقى إليها بالا ونسي ما قدمت يداه أي من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة إنا جعلنا على قلوبهم أي قلوب هؤلاء أكنة أي أغشية وغشاوة
يقول تعالى وأي عباد الله أظلم ممن ذكر آيات الله فأعرض عنها أي تناساها وأعرض عنها ولم يصغ لها

يوم يشيب فيه الوليد وتضع كل ذات حمل حملها ولهذا قال بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلا أي ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا معدل. 58
ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب والآيات في هذا كثيرة شتى ثم أخبر أنه يحلم ويستتر ويغفر وربما هدى بعضهم من الغي إلى الرشد ومن استمر منهم فله
لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب كما قال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال وإن ربك لذو مغفرة للناس على
وقوله وربك الغفور ذو الرحمة أي ربك يا محمد غفور ذو رحمة واسعة

ينقص أي وكذلك أنتم أيها المشركون احذروا أن يصيبكم ما أصابهم فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ولستم بأعز علينا منهم فخافوا عذابي ونذر. 59
لما ظلموا أي الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم وجعلنا لمهلكهم موعدا أي جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين لا يزيد ولا
وقوله وتلك القرى أهلكناهم

ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا دارا فانية مزينة بزينة زائلة وإنما جعلها دار اختبار لا دار قرار. 6
لا تهلك نفسك أسفا قال قتادة: قاتل نفسك غضبا وحزنا عليهم وقال مجاهد جزعا والمعنى متقارب أي لا تأسف عليهم بل أبلغكم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه
أن لا يكونوا مؤمنين باخع أي مهلك نفسك بحزنك عليهم ولهذا قال فلعلك باخع نفسك على آثارتهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القرآن أسفا يقول
في حزنه على المشركين لتتركهم الإيمان وبعدهم عنه كما قال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال ولا تحزن عليهم وقال لعلك باخع نفسك
يقول تعالى مسليا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه

ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون خريفا وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أو أمضي حقبا قال دهرنا وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك. 60
أسير حقبا من الزمان. قال ابن جرير رحمه الله: ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب في لغة قيس سنة ثم قد روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال الحقب
الروم مما يلي المغرب. وقال محمد بن كعب القرظي مجمع البحرين عند طنجة يعني في أقصى بلاد المغرب فالله أعلم وقوله أو أمضي حقبا أي ولو أنني
فيه مجمع البحرين قال الفرزدق: فما برحوا حتى تهادت نسأؤهم ببطحاء ذي قار عياب اللطائم قال قتادة وغير واحد: هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر
عنده من العلم ما لم يحط به موسى فأحب الرحيل إليه وقال لفتاه ذلك لا أبرح أي لا أزال سائرا حتى أبلغ مجمع البحرين أي هذا المكان الذي
سبب قول موسى لفتاه وهو يشوع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبدا من عباد الله بمجمع البحرين

فرأى مسلكه فقال ذلك ما كنا نبغ وقال قتادة سرب من البحر حتى أفضى إلى البحر ثم سلك فيه فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا. 61
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك ما انجاب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت الذي فيه فانجاب كالكوة حتى رجع إليه موسى
لا يمس شيئا من البحر إلا ييس حتى يكون صخرة وقال محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال
تعالى واتخذ سبيله في البحر سربا أي مثل السرب في الأرض قال ابن جرير قال ابن عباس صار أثره كأنه حجر. وقال العوفي عن ابن عباس جعل الحوت
السلام وطفر من المكمل إلى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر فجعل يسير في الماء والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ولهذا قال

تفسير ابن كثير

ثمة فساراً حتى بلغا مجمع البحرين وهناك عين يقال لها عين الحياة فناما هناك وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان في مكتل مع يوشع عليه وقوله فلما بلغا مجمع بينهما نسباً حوتهما وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه وقيل له: متى فقدت الحوت فهو

فلما ذهباً عن المكان الذي نسيه فيه بمرحلة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا أي الذي جاوزا فيه المكان نصباً يعني تعباً. 62 نسيا الحوت فيه ونسب النسيان إليهما وإن كان يوشع هو الذي نسيه كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من المالح على أحد القولين وقوله فلما جاوزا أي المكان الذي

إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره قال قتادة وقرأ ابن مسعود أن أذكره ولهذا قال فاتخذ سبيله أي طريقه. 63 قال أرايت إذ أويينا

قال ذلك ما كنا نبغ أي هذا هو الذي نطلب فارتداً أي رجعا على آثارهما أي طريقهما قصصاً أي يقصان آثار مشيهم ويقفوان أثرهما. 64 إلى الصخرة فإني نسيت الحوت قال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتداً على آثارهما قصصاً فوجدا عبداً خضراً فكان من شأنهما ما قص في كتابه. 65 لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر فقال فتى موسى لموسى: أرايت إذ أويينا بينا موسى في ملاء من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال تعلم مكان رجل أعلم منك؟ قال لا فأوحى الله إلى موسى بلى عبداً خضر فسأل موسى السبيل إلى صاحب موسى الذي سئل السبيل إلى لقيه فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال إني تماريت أنا وصاحبي هذا في أصنعه حتى أبين لك شأنه فذلك قوله حتى أحدث لك منه ذكراً وقال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى هو قال إنك لن تستطيع معي صبراً يقول لا تطيق ذلك قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً قال فانطلق به وقال له: لا تسألني عن شيء بهذه الأرض ومن أنت؟ قال أنا موسى. قال الخضر: صاحب بني إسرائيل؟ قال نعم فرحب به وقال ما جاء بك؟ قال جئتكم على أن تعلمن مما علمت رشداً فجعل نبي الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت جزيرة من جزائر البحر فلقي الخضر بها فسلم عليه فقال الخضر عليك السلام وأني يكون السلام في البحر ويتبعه موسى وجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء يتبع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا ييس عنه الماء حتى يكون صخرة أن أذكره لك قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سرباً فأعجب ذلك فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت يضرب سفر موسى نبي الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت فقال له فتاه وهو غلامه أرايت إذ أويينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان البحر فإنك تجد على شط البحر حوتا فخذ فادفعه إلى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح الذي تطلب فلما طال يقول وما يدريك أين أضع علمي بلى إن لي على شط البحر رجلاً هو أعلم منك. قال ابن عباس: هو الخضر فسأل موسى ربه أن يريه إياه فأوحى إليه أن انت إسرائيل هم كذلك يا نبي الله قد عرفنا الذي تقول فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله؟ قال لا فبعث الله جبرائيل إلى موسى عليه السلام فقال إن الله محبة منه وآتاكم الله من كل ما سألتموه فنبهكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة فلم يترك نعمة أنعم الله عليهم إلا وعرفهم إياها. فقال له رجل من بني والنعمة وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله في الأرض وقال كلم الله نبيكم تكليماً واصطفاني لنفسه وأنزل علي عباس قال: لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير من ربك وما فعلته عن أمري أي ما فعلته عن نفسي ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز إلا علماً وقال العوفي عن ابن زكاة وأقرب رحماً وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة لأرده عنها فسلمت منه حين رأى العيب الذي صنعت بها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفي قراءة أبي بن كعب كل سفينة صالحة وإنما عيبها ثم قعدت تعمل من غير صنعة ولو شئت لأعطيت عليه أجراً في عمله قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة موسى مما يراه يصنع من التكليف وما ليس عليه صبر فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً أي قد استطعناهم فلم يطعمونا وضمناهم فلم يضيفونا أي قد أعذرت في شأني فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعنا أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فهدمه ثم قعد بينيه فضجر أي صغيرة بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فأخذه بيده وأخذ حجراً ف ضرب به رأسه حتى دمه فقتله قال فرأى موسى أمراً فظيعاً لا صبر عليه صبي صغير قتله لا ذنب له قال أقتلت نفساً زكية عسراً ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها فيهم غلام لبس في الغلمان غلاماً أطرف منه ولا أثرى ولا أوضاً منه أخرجتها لتفرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً قال لا تواخذني بما نسيت أي بما تركت من عهدك ولا ترهقني من أمري له ومطرقة ثم عمد إلى ناحية منها ف ضرب فيها بالمنقار حتى خرقتها ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها ثم جلس عليها يرقعها فقال له موسى ورأى أمراً أفظع به جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها فسأل أهلها أن يحملوها فحملوها فلما اطمأنوا فيها ولجت بهما مع أهلها أخرج منقاراً تسألني عن شيء وإن أنكرته حتى أحدث لك منه ذكراً فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس يلتمسان من يحملهما حتى مرت بهما سفينة ما ترى من العدل ولم تحط من علم الغيب بما أعلم قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً وإن رأيت ما يخالفني قال فإن اتبعتني فلا

تفسير ابن كثير

قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك فقال موسى بلى قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا أي إنما تعرف ظاهر رجل متلف في كساء له فسلم موسى عليه فرد عليه السلام ثم قال له: ما جاء بك إن كان لك في قومك لشغل قال له موسى جئتكم لتعلمني مما علمت رشدا فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ابن عباس: فظهر موسى على الصخرة حتى إذا انتهى إليها فإذا فاتخذ سبيله في البحر سربا فانطلقا فلما جاوزا النقلة قال موسى لفتاه: أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال الفتى وذكر أرايت إذ أويئنا إلى الصخرة حتى جهده السير وانتهى إلى الصخرة وإلى ذلك الماء وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقاربه شيء ميت إلا حيي فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي ومعه حوت مليح قد قيل له إذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك فخرج موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت يحملانه فصار أي رب إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه؟ فقال له نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكانه وأذن له في لقيه خرج موسى ومعه فتاه يا سعيد قال قلت نعم قال كذب نوف ثم قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى بنى إسرائيل سأل ربه فقال النبي الذي طلب العلم إنما هو موسى بن ميثا قال سعيد فقال ابن عباس أنوف يقول هذا يا سعيد؟ قلت له نعم أنا سمعت نوبا يقول ذلك قال أنت سمعته بن عتبة عن سعيد بن جبير قال: جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا أبا العباس إن نوبا بن أمارة كعب يزعم عن كعب أن موسى ما أحد أعلم بالله وبأمره مني فأمر أن يلقي هذا الرجل فذكر نحو ما تقدم بزيادة ونقصان والله أعلم. وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن عمار عن الحكم عن غير واحد إنها جارية. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى عليه السلام بني إسرائيل فقال: نفسا زكية وقوله وأقرب رحما هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر وزعم غير سعيد بن جبير أنهما أبدلا جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال أبواه مؤمنين وكان هو كافرا فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا أن يحملهما حبه على أن يتابعه على دينه فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة كقوله أقتلت يأخذ كل سفينة غصبا فأردت إذا هي مرت به أن يدعها بعبيها فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها منهم من يقول سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان أجرا نأكله وكان وراءهم ملك وكان أمامهم قرأها ابن عباس أمامهم ملك يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد والغلام المقتول اسمه يزعمون حيسور ملك هكذا ودفع بيده فاستقام قال: لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال سعيد فقال أقتلت نفسا زكية لم تعمل الحنث؟ وابن عباس قرأها زكية زاكية مسلمة كقولك غلاما زكيا فانطلقا فوجدا جدارا يريدان ينقض فأقامه قال بيده: نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى لقيا غلاما فقتله قال يعلى قال سعيد وجد غلاما يلعبون فأخذ غلاما كافرا ظريفا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال مجاهد منكرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا؟ كانت الأولى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا قال لا تؤاخذني بما هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح قال فقلنا لسعيد بن جبير خضر قال: نعم لا نحمله بأجر فخرقها وتودت فيها وتدا قال موسى أخرقتها لتغرق فقال والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر حتى إذا ركبنا في السفينة وجدا معابر صفارا تحمل أهل هذا الساحل إلى أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك؟ يا موسى إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر عن وجهه وقال: هل بأرضي من سلام؟ من أنت؟ قال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل؟ قال نعم قال فما شأنك؟ قال: جئتكم لتعلمني مما علمت رشدا قال أبي سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال سعد بن جبير مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف تليهما قال لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه عند سعيد بن جبير أخبره فرجعا فوجدا خضرا قال: قال عثمان ابن الحوت حتى دخل في البحر فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كأن أثره في حجر قال: فقال لي عمرو هكذا كأن أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين عند سعيد بن جبير قال فبينما هو في ظل صخرة في مكان ثريان إذ يضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره ويضرب حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كبيرا فذلك قوله وإذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون ليست قال بمجمع البحرين قال أي رب اجعل لي علما أعلم ذلك به قال لي عمر قال: حيث يفارقك الحوت وقال لي يعلى خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ القلوب ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال لا: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله قيل بلى قال أي رب وأين؟ فقال لي: قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى رسول الله ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون ورقت فقلت أي أبا عباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل أما عمرو فقال لي قال كذب عدو الله وأما يعلى وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير: قال إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني هذا العصفور منقاره وذكر تمامه بنحوه وقال البخاري أيضا: حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وساق الحديث ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس لا يصيب من مائها شيء إلا حيي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر فلما استيقظ قال موسى لفتاه أتنا غداءنا قال الحوت حتى انتهى إلى الصخرة فنزلا عندها قال فوضع موسى رأسه فنام قال سفيان: وفي حديث عن عمر قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين ثم رواه البخاري عن فتية عن سفيان بن عيينة فذكر نحوه وفيه فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقال رسول الله وددنا أن

تفسير ابن كثير

إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أي مائلا فقال الخضر بيده فأقامه فقال موسى: قوم أتيناها
ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الأولى قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى
إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال
نقرة أو نقرتين فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل
من أمري عسرا قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الأولى من موسى نسيانا قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر
بغير نول فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئا إمرأ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا: قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني
أن يحملوهم فعفروا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدم فقال له موسى قد حملونا
ولا أعصي لك أمرا قال له الخضر فإن اتبعنتي فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلوهم
صبرا يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. فقال موسى ستجدني إن شاء الله صابرا
موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام. فقال أنا موسى. فقال موسى بني إسرائيل؟ قال نعم قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي
وفتاه عجا فقال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه
له فتاه أرايت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجا قال فكان للحوت سربا ولموسى
ولبيلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به قال
فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما
ثم انطلقا وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعوا رءوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر
بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى يارب وكيف لي به؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله بمكتل
الله عليه وسلم يقول إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسل أي الناس أعلم؟ قال أنا. فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبدا
صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل قال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس إن نوحا البكالي يزعم أن موسى
فوجدا عبدا من عبادنا آتياه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وهذا هو الخضر عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى
وقوله أتبعك أي أصحبك وأرافقك على أن تعلمن مما علمت رشدا أي مما علمك الله شيئا أسترشد به في أمري من علم نافع وعمل صالح. 66
موسى من العلم ما لم يعطه الخضر قال له موسى هل أتبعك سؤال تلطف لا على وجه الإلزام والإجبار وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم
يخبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الخضر الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى كما أنه أعطى
على علم من علم الله ما علمكه الله وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله فكل منا مكلف بأمر من الله دون صاحبه وأنت لا تقدر على صحبتي. 67
فعندها قال الخضر لموسى إنك لن تستطيع معي صبرا أي أنك لا تقدر على مصاحبتي لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك لأنني
على ما لم تحط به خبرا فأنا أعرف أنك ستنكر علي ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلعت على حكمته ومصالحته الباطنة التي اطلعت أنا عليها دونك. 68
وكيف تصبر
ستجدني إن شاء الله صابرا أي على ما أرى من أمورك ولا أعصي لك أمرا أي ولا أخالفك في شيء فعند ذلك شارطه الخضر عليه السلام. 69
قال أي موسى
ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها و فراغها وانقضائها وذهابها و خرابها. 7
أحسن عملا قال فتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر
فقال إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم
نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به فمن ثم أمر أن يأتي الخضر وذكر تمام الحديث في خرق السفينة وقتل الغلام وإصلاح الجدار وتفسيره له ذلك. 70
الخطاف رزأ من هذا الماء قال: ما أقل ما رزأ قال يا موسى فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقى هذا الخطاف من هذا الماء وكان موسى قد حدث
به في البحر حتى انتهى إلى مجمع البحرين وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه قال وبعث الله الخطاف فجعل يستقي منه بمنقاره فقال لموسى كم ترى هذا
فقال له موسى إني أحب أن أصحبك قال إنك لن تطيق صحبتي قال بلى قال فإن صحبتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا قال فسار
عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله وانتهى موسى إليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه
كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى قال أي رب هل في أرضك أحدا أعلم مني؟ قال نعم قال فمن هو؟ قال الخضر قال وأين أطلبه؟ قال على الساحل
ولا ينساني قال فأبى عبادك أقضى؟ قال الذي يقض بالحق ولا يتبع الهوى قال أي رب أي عبادك أعلم؟ قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب
حدثنا يعقوب عن هارون عن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال أي رب أي عبادك أحب إليك؟ قال الذي يذكرني

تفسير ابن كثير

- قال فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء أي ابتداء حتى أحدث لك منه ذكرا أي حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألني. قال ابن جرير: حدثنا حميد بن جبر قال الشاعر: لدوا للموت وابنوا للخراب لقد جئت شيئا إمرا قال مجاهد منكرا وقال قتادة عجا فعندها قال له الخضر مذكرا بما تقدم من الشرط. 71 واستخرج لوحا من ألواحها ثم رفعها فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكرا عليه أخرقتها لتغرق أهلها وهذه اللام لام العاقبة لا لام التعليل كما وأنهم عرفوا الخضر فحملوها بغير نول يعني بغير أجرة تكرمه للخضر فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولججت أي دخلت اللجة قام الخضر فخرقها عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه فركبا في السفينة وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة يقول تعالى مخبرا عن موسى وصاحبه وهو الخضر أنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا واشترط يعني وهذا الصنيع فعلته قصدا وهو من الأمور التي اشترطت معك أن لا تنكر علي فيها لأنك لم تحط بها خبرا ولها دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت. 72 ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا
- عسرا أي لا تضيق علي ولا تشدد علي ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت الأولى من موسى نسيانا. 73 قال أي موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري
- نفسا زكية أي صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إثما بعد فقتلته بغير نفس أي بغير مستند لقتله لقد جئت شيئا نكرا أي ظاهر النكارة. 74 فقتله وروي أنه احتز رأسه وقيل رضخه بحجر وفي رواية اقتلعه بيده والله أعلم فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول وبادر فقال أقتلت أي بعد ذلك حتى إذا لقيا غلاما فقتله وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى وأنه عمد إليه من بينهم وكان أحسنهم وأجملهم وأضوأهم يقول تعالى فانطلقا
- قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا فأكد أيضا وفي التذكار بالشرط الأول. 75
- رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا مثقلة. 76 الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم هذه المرة فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي قد أعذرت إلي مرة بعد مرة قال ابن جرير: حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا حجاج بن محمد عن حمزة فلها قال له موسى إن سألتك عن شيء بعدها أي إن اعترضت عليك بشيء بعد
- ودعاه حتى رد ميله وهذا خارق فعند ذلك قال موسى له لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغي أن لا تعمل لهم مجانا. 77 الاستعارة فإن الإرادة في المحدثات بمعنى الميل والانقضاء هو السقوط وقوله فأقامه أي فرده إلى حالة الاستقامة وقد تقدم في الحديث أنه رده بيده وفي الحديث حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما أي بخلاء فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض إسناد الإرادة ههنا إلى الجدار على سبيل يقول تعالى مخبرا عنهما انطلقا بعد المرتين الأولتين حتى إذا أتيا أهل قرية روى ابن جرير عن ابن سيرين أنها الأيلة
- شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهو فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل أي بتفسير ما لم تستطع عليه صبرا. 78 قال هذا فراق بيني وبينك أي لأنك
- بن بدد وقد تقدما أيضا في رواية البخاري وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص بن إسحاق وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة والله أعلم. 79 المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها وقد قيل إنهم أيتام وروى ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي أن اسم ذلك الملك هدد لأعيبها لأنهم كانوا يعمرون بها على ملك من الظلمة يأخذ كل سفينة صالحة أي جيدة غصبا فأردت أن أعيبها لأرده عنها لعيبها فينتفع بها أصحابها هذا تفسير ما أشكل أمره على موسى عليه السلام ما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الخضر عليه السلام على حكمة باطنة فقال: إن السفينة إنما خرقتها محمد بن إسحاق وإنما لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا يعني الأرض وأن ما عليها لفان وباند وأن المرجع إلى الله فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى. 8
- التي ليس فيها شيء ألا ترى إلى قوله تعالى أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون وقال يقول يهلك كل شيء عليها ويببى وقال مجاهد: صعيدا جرزا بلقعا وقال قتادة: الصعيد الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد: الصعيد الأرض والدمار فنجعل كل شيء عليها هالكا صعيدا جرزا لا ينبت ولا ينتفع به كما قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى وإنما لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا فقال تعالى وإنما لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أي وإنما لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب
- خير له من قضاؤه فيما يحب وصح في الحديث لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وقال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم. 80 على الكفر قال قتادة: قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرضى امرؤ بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن فما يكره جرير من حديث ابن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا رواه ابن اسمه حيثور وفي هذا الحديث عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا رواه ابن وقد تقدم أن هذا الغلام كان

تفسیر ابن کثیر

وهما أرحم به منه قاله ابن جريج وقال قتادة: أبر بوالديه وقد تقدم أنهما بدلا جارية وقيل لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم قاله ابن جريج. 81 وقوله فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما أي ولدا أذكى من هذا

سفينة ثم أرسله في البحر فإنها لتموج به إلى يوم القيامة وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب إسناده ضعيف والحسن متروك وأبوه غير معروف. 82

لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر حديث وقد كان معه قال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال شرب الفتى من الماء فخلد فأخذه العالم فطابق به يدل على ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال: حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني ابن إسحاق عن الحسن بن عمار عن أبيه عن عكرمة قال قيل موسى معه تبع وقد صرح في الأحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون وهو الذي كان يلي بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ؟ وهذا قيل: فما بال فتى موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ فالجواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر وذكر ما كان بينهما وفتى كما قال فما استطاعوا أن يظهره وهو الصعود إلى أعلاه وما استطاعوا له نقبا وهو أشق من ذلك فقابل كلا بما يناسبه لفظا ومعنى والله أعلم. فإن ووضحه وأزال المشكل قال تسطع وقبل ذلك كان الإشكال قويا ثقيلا فقال سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقابل الأثقل بالأثقل والأخف المراد بذلك وجه الأرض وقوله ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا أي هذا تفسير ما ضقت به ذرعا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء ولما أن فسره له وبينه إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من تحته خضراء والمراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس وهو الهشيم من النبات قاله عبد الرزاق. وقيل هي تهتز من تحته خضراء ورواه أيضا عن عبد الرزاق وقد ثبت أيضا في صحيح البخاري عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخضر قال إنما سمي خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل. قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك وأصحابه لأنه عليه السلام كان مبعوثا إلى جميع الثقيلين الجن والإنس وقد قال لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي وأخبر قبل موته بقليل في الأرض وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حيا لكان من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وبقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد وآثارا عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الأحاديث ولا يصح شيء من ذلك وأشهرها حديث التعزية وإسناده ضعيف ورجح آخرون من المحدثين ذكره النووي في تهذيب الأسماء وحكى هو وغيره في كونه باقيا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح إلى بقاءه وذكروا في ذلك حكايات اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عامر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام قالوا وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالخضر وكان من أبناء الملوك وقال آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا نقله الماوردي في تفسيره وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيا بل كان وليا فالله أعلم. وذكر ابن قتيبة في المعارف أن به ووقفت عليه وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله فوجدا عبدا من عبادنا أتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ووالدي الغلام وولدي الرجل الصالح وما فعلته عن أمري أي لکني أمرت في الغلام فأردنا أن يبذلها ربهما خيرا منه زكاة وقال في السفينة فأردت أن أعييبها فالله أعلم. وقوله تعالى رحمة من ربك وما فعلته عن أمري أي هذا الذي الأب السابغ فالله أعلم. وقوله فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ههنا أسند الإرادة إلى الله تعالى لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله وقال درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة. قال سعيد بن جبیر: عن ابن عباس حفظا بصلاص أبيهما ولم يذكر لهما صلاحا وتقدم أنه كان وكان أبوهما صالحا فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى ينافي قول عكرمة أنه كان مالا لأنهم ذكروا أنه كان لوحا من ذهب وفيه مال جزيل أكثر ما زادوا أنه كان مودعا فيه علم وهو حكم ومواعظ والله أعلم وقوله أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء وكان نساجا وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة وورد به الحديث المتقدم وإن صح لا كيف يغفل وعجبت للمؤمن بالموت كيف يفرح. وقد قال الله وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قالت وذكر أنهما حفظا بصلاص بن محمد يقول في قول الله تعالى وكان تحته كنز لهما قال سطران ونصف لم يتم الثالث: عجبت للمؤمن بالرزق كيف يتعجب وعجبت للمؤمن بالحساب أن محمدا عبده ورسوله وحدثني أحمد بن حازم الغفاري حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبني حماد بن الوليد الثقفي يقول: سمعت جعفر فيه: بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف النار ثم ضحك عجب لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجب لمن أيقن بالموت ثم أمن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد بن عباس عن عمر مولي غفرة قال: إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا ومقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله. وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله يقول في قوله وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن

ابن جرير في تفسيره: حدثني يعقوب حدثنا الحسن بن حبيب بن ندبة حدثنا سلمة عن نعيم العنبري وكان من جلساء الحسن قال: سمعت الحسن يعني البصري إلا الله محمد رسول الله. وبشر بن المنذر هذا يقال له قاضي المصيصة قال الحافظ أبو جعفر العقيلي: في حديثه وهم وقد روي في هذا آثار عن السلف فقال ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه: عجب لمن أيقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل لا إله بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحارث بن عبد الله اليمصبي عن عياش بن عباس الغساني عن أبي حنيفة عن أبي ذر رفعه قال: إن الكنز الذي مجاهد صحف فيها علم وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوى ذلك. قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور حدثنا إبراهيم

تفسير ابن كثير

مال مدفون لهما وهو ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وقال العوفي عن ابن عباس: كان تحته كنز علم وكذا قال سعيد بن جبير وقال يعني مكة والطائف ومعنى الآية أن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلامين يتييمين في المدينة وكان تحته كنز لهما قال عكرمة وقتادة وغير واحد كان تحته يتييمين في المدينة كما قال تعالى فكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة لأنه قال أولا حتى إذا أتيا أهل قرية وقال ههنا فكان لغلامين

القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع عليا يقول ذلك ويقال إنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب. 83 ناصحا لله فناصره دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فسمي ذا القرنين وكذا رواه شعبة عن بعضهم كان في رأسه شبه القرنين وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال: سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين فقال كان عبدا ولله الحمد. وقال وهب بن منبه: كان ملكا وإنما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس قال: وقال بعض أهل الكتاب لأنه ملك الروم وفارس وقال الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام وقرب إلى الله قربانا وقد ذكرنا طرفا صالحا من أخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية ملة الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة فأما الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره الأزرقي وغيره وأنه طاف مع الخضر عليه السلام وأما الثاني فهو إسكندر بن فيليب المقدوني اليوناني وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف المشهور والله أعلم وهو الذي تؤرخ من مملكته المقدوني الذي تؤرخ به الروم فأما الأول فقد ذكر الأزرقي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه وكان وزيره مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه وفيه من النكارة أنه من الروم وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني وهو ابن فيليب به إلى السد ورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول ونكارة ورفع لا يصح وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل والعجب أن أبا زرعة الرازي عليه وسلم عن ذي القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به أنه كان شابا من الروم وأنه بنى الإسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب فنزلت سورة الكهف وقد أورد ابن جرير ههنا والأموي في مغازيه حديثا أسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سلوه عن رجل طواف في الأرض وعن فتية ما يدري ما صنعوا وعن الروح يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ويسئلونك يا محمد عن ذي القرنين أي عن خبره. وقد قدما أنه بعث كفار

عند علي رضي الله عنه وسأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب؟ فقال سبحان الله سخر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد. 84 مما يحتاج إليه مثله سببا والله أعلم. وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي من طريق قتيبة عن أبي عوانة عن سماك بن حرب عن حبيب بن حماد قال: كنت الله له الأسباب أي الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضي وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض وإذلال أهل الشرك قد أوتي من كل شيء من ذلك ولا إلى الترفي في أسباب السموات وقد قال الله في حق بلقيس وأوتيت من كل شيء أي مما يؤتى مثلها من الملوك وهكذا ذو القرنين يسر وآتيناه من كل شيء سببا واستشهاداه في ذلك على ما يجده في صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شيء منها بالكلية فإنه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض. وتأويل كعب قول الله يعني فيما ينقله لا أنه كان يعتمد نقل ما ليس في صحفه ولكن الشأن في صحفه أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة الذي أنكره معاوية رضي الله عنه على كعب الأخبار هو الصواب والحق مع معاوية في ذلك الإنكار فإن معاوية كان يقول عن كعب: إن كنا لنبلو عليه الكذب سفيان قال لكعب الأخبار: أنت تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب إن كنت قلت ذلك فإن الله قال وآتيناه من كل شيء سببا وهذا كل شيء سببا قال تعليم الألسنة قال كان لا يغزو قوما إلا كلمهم بلسانهم وقال ابن لهيعة: حدثني سالم بن غيلان عن سعيد بن أبي هلال أن معاوية بن أبي يعني علما وقال قتادة أيضا في قوله وآتيناه من كل شيء سببا قال: منازل الأرض وأعلامها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وآتيناه من بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقوله وآتيناه من كل شيء سببا قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وغيرهم ملك المشارق والمغارب من الأرض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الأمم من العرب والعجم ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه وقوله إنا مكننا له في الأرض أي أعطيناه ملكا عظيما مكننا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ولهذا

أي المنازل وقال سعيد بن جبير في قوله: فأتبع سببا قال علما وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلى والسدي وقال مطر: معالم وآثار كانت قبل ذلك. 85 وطريقا ما بين المشرق والمغرب وفي رواية عن مجاهد سببا قال طرفي الأرض وقال قتادة أي أتبع منازل الأرض ومعالمها وقال الضحاك فأتبع سببا قال ابن عباس فأتبع سببا يعني بالسبب المنزل وقال مجاهد فأتبع سببا منزلا

هذا أن الله تعالى مكنه منهم وحكمه فيهم وأظفره بهم وخيره إن شاء قتل وسبى وإن شاء من أو فدى فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه. 86 ووجد عندها قوما أي أمة من الأمم ذكروا أنها كانت أما عظيمة من بني آدم وقوله قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا معنى بن يوسف قال في تفسير ابن جريج ووجد عندها قوما قال مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب وقوله: يقرؤها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس فإننا نجد في التوراة تغرب في مدرة سوداء وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا هشام هذا الرجل وقال سعيد بن جبير بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرا وجددها تغرب في عين حمئة فقال كعب والذي نفس كعب بيده ما سمعت أحدا فقال ابن عباس ما الخلب قلت الطين بكلامهم قال فما الناط قلت الحمأة قال فما الحرمد قلت الأسود قال فدعا ابن عباس رجلا أو غلاما فقال اكتب ما يقول

تفسير ابن كثير

القرنين في تخلقه بالعلم واتباعه إياه بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذى خلب وثاط حرمده بيده إلى المغرب قال ابن حاضر لو أني عندك أفدتك بكلام تزداد فيه بصيرة في حمئة قال ابن عباس وإذا ما هو قلت فيما يؤثر من قول تبع فيما ذكر به ذا فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة ؟ فقال له كعب سل أهل العربية فإنهم أعلم بها وأما أنا فإنني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين وأشار ما نقرؤها إلا حمئة فسأل معاوية عبد الله بن عمرو كيف تقرأها فقال عبد الله كما قرأتها قال ابن عباس فقلت لمعاوية في بيتي نزل القرآن فأرسل إلى كعب بن ميمون أنبأنا ابن حاضر أن ابن عباس ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف تغرب في عين حامية قال ابن عباس لمعاوية كلام عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين وجدتهما يوم اليرموك والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا محمد يعني ابن بشر حدثنا عمرو في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض قلت ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وفي صحة رفع هذا الحديث نظر ولعله من حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام حدثني مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال:

وهج الشمس عند غروبها وملاقاتها الشعاع بلا حامل وحمئة في ماء وطين أسود كما قال كعب الأخبار وغيره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى قال الحسن البصري وقال ابن جرير: والصواب أنهما قراءتان مشهورتان وأيهما قرأ القارئ فهو مصيب قلت ولا منافاة بين معنييهما إذ قد تكون حارة لمجاورتها ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه حمئة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حامية يعني حارة وكذا طينة سوداء وكذا روى غير واحد عن ابن عباس وبه قال مجاهد وغير واحد: وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن كان ابن عباس يقول في عين حمئة ثم فسرهما ذات حمأة قال نافع: وسئل عنها كعب الأخبار فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولكن أجدتها في الكتاب تغيب في من حمأ مسنون أي طين أملس وقد تقدم بيانه وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أنبأنا نافع بن أبي نعيم سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه والحمئة مشتقة على إحدى القراءتين من الحمأة وهو الطين كما قال تعالى: إني خالق بشرا من صلصال وقوله: وجدها تغرب في عين حمئة أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهي القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر وما يذكره أصحاب وقوله: حتى إذا بلغ مغرب الشمس أي فسلك طريقا

وتغشاهم من جميع جهاتهم والله أعلم وقوله ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا أي شديدا بليغا وجيعا أليما وفي هذا إثبات المعاد والجزاء. 87 نعذبه قال قتادة بالقتل وقال السدي كان يحمي لهم بقر النحاس ويضعهم فيها حتى يذوبوا وقال وهب بن منبه كان يسلط الظلمة فتدخل أجوافهم وبيوتهم في قوله أما من ظلم أي استمر على كفره وشركه بربه فسوف

إليه من عبادة الله وحده لا شريك له فله جزاء الحسنى أي في الدار الآخرة عند الله عز وجل وسنقول له من أمرنا يسرا قال مجاهد معروفا. 88 وقوله: وأما من آمن أي تابعتنا على ما ندعوه

عز وجل فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آناهم واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الإقليم المتاخم لهم. 89 يقول تعالى ثم سلك طريقا فصار من مغرب الشمس إلى مطلعها وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبلهم ودعاهم إلى الله

قرأ كتاب مرقوم وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير قال الرقيم فعيل بمعنى مرقوم كما يقول للمقتول قتيل وللمجروح جريح والله أعلم. 9 الكتاب وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه. أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الرقيم الكتاب ابن جريج: أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما أدري ما الرقيم ؟ كتاب أم بنيان ؟ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرقيم واسم الكهف حيزم والكلب حمران وقال عبد الرزاق: أنبأنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: القرآن أعلمه الاحنا والأواه والرقيم وقال نجیح عن مجاهد عن ابن عباس قال: اسم ذلك الجبل بنجلوس وقال ابن جريج: أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي أن اسم جبل الكهف بنجلوس عن ابن عباس في قوله الرقيم كان يزعم كعب أنها القرية وقال ابن جريج عن ابن عباس: الرقيم الجبل الذي فيه الكهف وقال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي الوادي والرقيم اسم الوادي وقال مجاهد الرقيم كتاب بنياتهم ويقول بعضهم هو الوادي الذي فيه كهفهم وقال عبد الرزاق: أخبرنا الثوري عن سماك عن عكرمة إليه هؤلاء الفتية المذكورون وأما الرقيم فقال العوفي عن ابن عباس: هو واد قريب من أيلة وكذا قال عطية العوفي وقتادة وقال الضحاك أما الكهف فهو غار والرقيم وقال محمد بن إسحاق: ما أظهرت من حججي على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرقيم وأما الكهف فهو الغار في الجبل وهو الذي لجأ عن ابن عباس أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا يقول الذي أتيت من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف كما قال ابن جريج عن مجاهد أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا يقول قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك وقال العوفي الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا أي ليس أمرهم عجيبا في قدرتنا وسلطاننا فإن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار ثم بسطها بعد ذلك فقال أم حسبت يعني يا محمد

تفسير ابن كثير

وأنتم بها قالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام ؟ قالوا هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا قال فذهبوا هاربين في الأرض. 90
طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل. جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلهما: لا تطلعن عليكم الشمس هم الزنج وقال ابن جرير في قوله وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط كانوا إذا فلأحدهم أذن أن يفرش إحداهما ويلبس الأخرى. قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال الشمس دخلوا في أسراب حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حروثهم ومعاشهم وعن سلمة بن كهيل أنه قال: ليست لهم أكنان إذا طلعت الشمس طلعت عليهم تغوروا في المياه فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال الحسن هذا حديث سمرة وقال قتادة ذكر لنا أنهم بأرض لا تنبت لهم شيئا فهم إذا طلعت حدثنا سهل بن أبي الصلت سمعت الحسن وسئل عن قول الله تعالى لن نجعل لهم من دونها سترا قال إن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس يكتهم ولا أشجار تظلمهم وتستترهم من حر الشمس قال سعيد بن جبيرة كانوا حمرا قصارا مساكنهم الغيران أكثر معيشتهم من السمك. وقال أبو داود الطيالسي: والمغارب ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال تعالى وجدها تطلع على قوم أي أمة لم نجعل لهم من دونها سترا أي ليس لهم بناء وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفا وستمئة سنة يجوب الأرض طولها والعرض حتى بلغ المشارق

أحواله وأحوال جيبه لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض فإنه تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. 91
وقوله كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا قال مجاهد والسدي: علما أي نحن مطلعون على جميع

يقول تعالى مخبرا عن ذي القرنين ثم أتبع سببا أي ثم سلك طريقا من مشارق الأرض. 92

في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدنا والله أعلم. وقوله وجد من دونهم قوما لا يكادون يفقهون قولا أي لاستعجاب كلامهم وبعدهم عن الناس. 93
سير ذي القرنين وبنائه السد وكيفية ما جرى له وفيه طول وغرابة ونكارة في أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وأذانهم وروى ابن أبي حاتم عن أبيه من وراء السد من هذه الجهة وإلا فهم أقرباء أولئك لكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أنرا طويلا عجيبا في ولد نوح ثلاثة: سام أبو العرب وحام أبو السودان و يافث أبو الترك قال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث أبي الترك وقال إنما سمي هؤلاء تركا لأنهم تركوا ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم وفي مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بالتراب فخلقوا من ذلك فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء وهذا قول غريب جدا لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد في شيء إلا كثرته بأجوج ومأجوج وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلف النار ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال إن فيكم أمتين ما كانتا ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين إن الله تعالى يقول: يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول ابعت بعث النار فيقول وما بعث حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحيان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيثون فيها فسادا ويهلكون الحرث والنسل ويأجوج

عظيما يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم ما لا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير. 94

قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا قال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أجرا

بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم الآية وهكذا قال ذو القرنين الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه ولكن ساعدوني بقوة أي بعملكم وآلات البناء. 95

ما مكني فيه ربي خير أي إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه كما قال سليمان عليه السلام أتمدونن

عال منيف شاهق لا يستطاع ولا ما حوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وعجائب ثم قال الله تعالى. 96
الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه أقفال عظيمة ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك وأن عنده حرسا من الملوك المتاخمة له وأنه أمرائه وجهز معه جيشا سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من ومأجوج قال انعت له قال كالبرد المجبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته هذا حديث مرسل. وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض له عين القطر ولهذا يشبه بالبرد المجبر قال ابن جرير: حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلا قال يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج نارا قال أتوتي أفرغ عليه قطرا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقاتة والسدي هو النحاس زاد بعضهم المذاب ويستشهد بقوله تعالى وأسلنا من الأساس حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولا وعرضا واختلفوا في مساحة عرضه وطوله على أقوال قال انفخوا أي أجاج عليه النار حتى صار كله منه قاله ابن عباس ومجاهد وقاتة وهي كاللينة يقال كل لينة زنة قنطار بالدمشقي أو تزيد عليه حتى إذا ساوى بين الصدفين أي وضع بعضه على بعض أجعل بينكم وبينهم ردما أتوني زبر الحديد والزبر جمع زبرة وهي القطعة

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: فتح اليو من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد التسعين وأخرجه البخاري ومسلم من حديث وهب به. 97

وقد روي نحو هذا عن أبي هريرة أيضا فقال البزار حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا وهب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده كلهن يروي بعضهن عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان ربيتان وثنان زوجتان ومسلم على إخراجهم من حديث الزهري ولكن سقط في رواية البخاري ذكر حبيبة وأثبتها مسلم وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الإسناد منها

تفسير ابن كثير

اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا كثر الخبيث هذا حديث صحيح اتفق البخاري قال سفيان أربع نسوة قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عنه أنه مرفوع فرفعه والله أعلم. ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه ومن نكارة هذا المرفوع قول الإمام أحمد حدثنا سفيان عن وهو كما قارقوه فيفتحونه وهذا متجه ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فإنه كان كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتحه ويلهمون أن يقولوا إن شاء الله فيصبحون وشدته ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون غدا نفتحه فيأتون من الغد وقد عاد كما لا يعرف إلا من هذا الوجه وإسناده جيد قوي ولكن متنه في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته ما جع عن أزهري بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال حدث أبو رافع وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة ثم قال غريب بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم ورواه أحمد أيضا عن حسن هو ابن موسى الأشهب عن سفيان عن قتادة به وكذا رواه ابن الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فبيعت الله عليهم نغفا في رقابهم فيقتلهم بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئته وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثني فيعودون إليه وهو ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم الذي رواه الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن يأجوج من نقبه قابل كلا بما يناسبه فقال فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على نقبه ولا على شيء منه. فأما الحديث يقول تعالى مخبرا عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله ولما كان الظهور عليه أسهل

جعله دكا أي مساويا للأرض وقال عكرمة في قوله: فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء قال طريقا كما كان وكان وعد ربي حقا أي كأننا لا محالة. 98 أي إذا اقترب الوعد الحق جعله دكاء أي ساواها بالأرض تقول العرب ناقة دكاء إذا كان ظهرها مستويا لاسنام لها وقال تعالى: فلما تجلى ربه للجبل نو القرنين قال هذا رحمة من ربي أي بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من العبث في الأرض والفساد فإذا جاء وعد ربي وقوله: قال هذا رحمة من ربي أي لما بناه

فجمعناهم جمعا أي أحضرنا الجميع للحساب قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا. 99 كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جبهته واستمع متى يؤمر قالوا كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقوله فيه والذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام كما قد تقدم في الحديث بطوله والأحاديث فيه كثيرة. وفي الحديث عن عطية عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعا ما شاءوا وشجر يلقحون ما شاءوا ولا يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وقوله ونفخ في الصور والصور كما جاء في الحديث قرن ينفخ وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعا إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون على الناس معاشيهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وإن من ورائهم ثلاث أمم تاويل وتايس ومنسك هذا حديث غريب بل منكر ضعيف بن مسلم عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا بعضهم في بعض. وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصبهاني حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة يعقوب القمي به ثم رواه من وجه آخر عن يعقوب عن هارون عن عنترة عن أبيه عن ابن عباس وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قال الإنس والجن يموج عليه فيقول به وبذريته بجناحيه فيقذفهم في النار فتزفر النار زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبتيه وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث فرض علي فريضة لعبده فيها عبادة لم يعبد مثلها أحد من خلقه فيقول: فإن الله قد فرض عليك فريضة فيقول ما هي فيقول يأمرك أن تدخل النار فيتلكأ إذ هجموا على النار فأخرج الله خازنا من خزان النار فقال: يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ألم تكن في الجنان ؟ فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله إلى أقصى الأرض فيجد الملائكة قد بطنوا الأرض فيقول ما من محيص فبينما هو كذلك إذ عرض له طريق كالشراك فأخذ عليه هو وذريته فبينما هم عليه الأمر فيظعن إلى المشرق فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ثم يظعن إلى المغرب فيجد الملائكة قد بطنوا الأرض فيقول ما من محيص ثم يظعن يميننا وشمالا عن هارون بن عنترة عن شيخ من بني فزارة في قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قال إذا ما ج الجن والإنس والجن قال إبليس: أنا أعلم لكم علم هذا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قال إذا ما ج الجن والإنس يوم القيامة يختلط الإنس والجن وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن يعقوب القمي وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قال هذا أول يوم القيامة ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا وقال آخرون بل المراد بقوله القيامة وبعد الدجال كما سيأتي بيانه عند قوله حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق الآية وهكذا قال ههنا الناس أموالهم ويتلفون وأشياءهم وهكذا قال السدي في قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قال ذاك حين يخرجون على الناس وهذا كله قبل يوم وقوله: وتركنا بعضهم أي الناس يومئذ أي يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على

سورة 19

كان صحيحاً أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطمت وأعظم والله أعلم. 1

محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأحرار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً. ثم قال قوموا عنه ثم قال فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك ألم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمشى حي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه ألم ذلك الكتاب لا ريب عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ألم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ألم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق وحرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل الم و المص وخمسة مثل كهيعص و حمعسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطاباً للمشركون فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضاً لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواسوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضاً وهو ضعيف أيضاً لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسمة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدء بها لتفتح لاستماعها أسمع المشركون التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعلياً اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيراً فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آمناً به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاماً فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثاً ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتوبة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردتها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في

تفسير ابن كثير

العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيتها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتلاف وقال خصيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها وص وحم وطسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل التاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكتمى بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وان شرا فالا وأريد الشر إلا أن تقول وإن شرا فشرا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكتمى بالفاء لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظليم عال كيف لا ينفذ عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجهها ولكن هذا ليس كما ذكره وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورة كثيرة بتحميده وتسميته وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهذلي عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهذلي الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسما للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيع عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيع عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاة القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه. قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في سورة مريم: وقد روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض

مالك عن زيد بن أسلم ثلاث ليال سويا من غير خرس وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها إلا رمزا أي إشارة. 10

أصح كما قال تعالى في آل عمران قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار وقال بن أسلم كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة وقال العوفي عن ابن عباس ثلاث ليال سويا أي متتابعات والقول الأول عنه وعن الجمهور صحيح سوي من غير مرض ولا علة. قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والسدي وقاتادة وغير واحد اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة قال ابن زيد

تفسير ابن كثير

قال أول لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال آيتك أي علامتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا أي أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت اجعل لي آية أي علامة ودليلا على وجود ما وعدتني لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني كما قال إبراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى يقول تعالى مخرجا عن زكريا عليه السلام أنه قال رب

قال مجاهد فأوحى إليهم أي أشار وبه قال وهب وقتادة وقال مجاهد في رواية عنه فأوحى إليهم أي كتب لهم في الأرض وكذا قال السدي. 11
إليهم أي أشار إشارة خفية سريعة أن سبحوا بكرة وعشيا أي موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكرا لله على ما أولاه. ولهذا قال في هذه الآية الكريمة فخرج على قومه من المحراب أي الذي بشر فيه بالولد فأوحى

حدث قال عبدالله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا لنعب فقال ما للعب خلقنا قال فلماذا أنزل الله وآتيناه الحكم صبيا. 12
تعلم الكتاب بقوة أي بجد وحرص واجتهاد وآتيناه الحكم صبيا أي الفهم والعلم والجد والعزم والإقبال على الخير والإكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار وقد كان سنه إذ ذاك صغيرا فلماذا نوه بذكره وبما أنعم به عليه وعلى والديه فقال يا يحيى خذ الكتاب بقوة أي محذوفا تقديره أنه وجد هذا الغلام المبشر به وهو يحيى عليه السلام وأن الله علمه الكتاب وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم ويحكم بها النبيون الذين وهذا أيضا تضمن

العمل الصالح وقال الضحاك وابن جريج العمل الصالح الزكي وقال العوفي عن ابن عباس وزكاة قال بركة وكان تقيا طهر فلم يعمل بذنب. 13
منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنائيك بعض الشر أهون من بعض وقوله وزكاة معطوف على وحنانا فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب وقال قتادة الزكاة رسول الله صلى الله عليه قال يبقى رجل في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان وقد يثني ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لغة بذاتها كما قال طرفة: أبا الرجل إلى وطنه ومنه التعطف والرحمة كما قال الشاعر: تعطف علي هداك المليك فإن لكل مقام مقالا وفي المسند للإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن ذا حنان وزكاة فالحنان هو المحبة في شفقة وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها وحت المرأة على زوجها ومنه سميت المرأة حنة من الحنية وحن عنها ابن عباس فلم يجد فيها شيئا والظاهر من السياق أن قوله وحنانا معطوف على قوله وآتيناه الحكم صبيا أي وآتيناه الحكم وحنانا وزكاة أي وجعلناه عباس أنه قال: لا والله ما أدري ما حنانا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير: عن منصور سألت سعيد بن جببر عن قوله وحنانا من لدنا فقال سألت ابن زيد أما الحنان فالمحبة وقال عطاء بن أبي رباح وحنانا من لدنا قال تعظيما من لدنا وقال ابن جريج: أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن لا يقدر عليها غيرنا وزاد قتادة رحم الله بها زكريا وقال مجاهد وحنانا من لدنا وتعطفنا من ربه عليه وقال عكرمة وحنانا من لدنا قال محبة عليه وقال وقوله وحنانا من لدنا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحنانا من لدنا يقول ورحمة من عندنا وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك وزاد لربه وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومجانبته عقوقهما قولاً وفعلًا أمراً ونهياً ولهذا قال ولم يكن جبارا عصيا. 14
وقوله وبراً بوالديه ولم يكن جبارا عصيا لما ذكر تعالى طاعته

له عيسى استغفر لي أنت خير مني فقال له الآخر أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلها. 15
لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة والله أعلم وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال: إن يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال وسلم قال ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وهذا أيضا ضعيف عنعن هذا الحديث فالحق أعلم وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه حدثني ابن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا ابن إسحاق مدلس وقد الله يوم القيامة إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا قال قتادة: ما أذن ولا هم بامرأة مرسل وقال محمد بن إسحاق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عنه وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله جبارا عصيا قال كان ابن المسيب يذكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقي يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور المروزي عن صدقة بن الفضل ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم قال فأكرم الله فيها جزاء له على ذلك وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا أي له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال وقال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون المرء في ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة

وقال قتادة مكانا شرقيا شاسعا متنحيا وقال محمد بن إسحاق ذهب بقلتها لتستقي الماء وقال نوف البكالي اتخذت لها منزلا تتعبد فيه فالحق أعلم. 16
عن ابن عباس قال: إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصرى المشرق قبله لقول الله تعالى فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا واتخذوا ميلاد عيسى قبله مكانا شرقيا فصلوا قبل مطلع الشمس رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وقال ابن جرير أيضا: حدثنا إسحاق بن شاهين حدثنا خالد بن عبدالله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال: إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عنه إلا قول ربك فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال خرجت مريم أي اعتزلتهم وتحت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس قال السدي لحيض أصابها وقيل لغير ذلك قال أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام انتبذت من أهلها مكانا شرقيا

تفسير ابن كثير

اللَّهُ إِنْ يَرْزُقُ مِنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا ثَمَرَ الشَّتَاءِ فِي الصَّيْفِ وَثَمَرَ الصَّيْفِ فِي الشَّتَاءِ كَمَا تَقْدُمُ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ فَلَمَّا أَرَادَ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ وَرَأَى لَهَا زَكَرِيَا مِنَ الْكَرَامَاتِ الْهَائِلَةِ مَا بِهِرَهُ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ إِحْدَى الْعَابِدَاتِ النَّاسِكَاتِ الْمَشْهُورَاتِ بِالْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ وَالتَّبَتُّلِ وَالِدَّوْبِ وَكَانَتْ فِي كِفَالَةِ زَوْجٍ أَخْتَهَا زَكَرِيَا نَبِيٌّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ ذَاكَ وَعَظِيمُهُمُ الَّذِي يَرْجِعُونَ مُحَرَّرَةً أَيْ تَخْدُمُ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَكَانُوا يَتَقَرَّبُونَ بِذَلِكَ فَتَقْبَلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَنَشَأَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ نَشْأَةً عَظِيمَةً فَكَانَتْ بِنْتُ عِمْرَانَ مِنْ سُلَالَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَتْ مِنْ بَيْتِ طَاهِرٍ طَيِّبٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ وَلَادَةِ أُمِّهَا لَهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَأَنَّهَا نَذَرَتْهَا يَقْرُنَ بَيْنَ الْقَصَتَيْنِ لِقَارِبٍ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى لِيَدُلَّ عِبَادُهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ فَقَالَ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ وَهِيَ مَرْيَمُ قِصَّةُ مَرْيَمَ فِي إِيجَادِهِ وَلَدَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أَبِي فَإِنَّ بَيْنَ الْقَصَتَيْنِ مَنَاسِبَةً وَمِثَابَةً وَلِهَذَا ذَكَرَهُمَا فِي آلِ عِمْرَانَ وَهَهُنَا وَفِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى قِصَّةَ زَكَرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ أَوْجَدَ مِنْهُ فِي حَالِ كِبَرِهِ وَعَقْمِ زَوْجَتِهِ وَلَدًا زَكِيًّا طَاهِرًا مَبَارَكًا عَظَفَ بِذِكْرِ

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الَّذِي تَمَثَّلَ لَهَا بِبَشَرٍ سَوِيًّا أَيْ رُوحَ عِيسَى فَحَمَلَتْ الَّذِي خَاطَبَهَا وَحَلَّ فِي فِيهَا وَهَذَا فِي غَايَةِ الْغَرَابَةِ وَالنَّكَارَةِ وَكَأَنَّهُ إِسْرَائِيلِيٌّ. 17
وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِي عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ قَالَ: إِنْ رُوحَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ جَمَلَةِ الْأَرْوَاحِ الَّتِي أَخَذَ عَلَيْهَا الْعَهْدُ فِي زَمَانٍ يَعْنِي جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ هُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ فَمَثَلُهَا بِبَشَرٍ سَوِيًّا أَيْ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ تَامَ كَامِلٍ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَابْنُ جَرِيرٍ وَوَهْبُ بْنُ مَنِبِهِ وَالسَّيِّدِي فِي قَوْلِهِ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا وَقَوْلِهِ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا أَيْ اسْتَتَرَتْ مِنْهُمْ وَتَوَارَتْ فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عِنْدَهَا مِنَ الْخَوْفِ عَلَى نَفْسِهَا لَسَتْ مِمَّا تَتَخَوَّنَ وَلَكِنِّي رَسُولُ رَبِّكَ أَيْ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَيْكَ وَيُقَالُ إِنَّهَا لَمَّا ذَكَرَتْ الرَّحْمَنَ انْتَفَضَ جِبْرِيلُ فَرَقَا وَعَادَ إِلَى هَيْئَتِهِ. 18
مَرْيَمَ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ التَّقِيَّ ذُو نَهْيَةٍ حِينَ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ أَيْ فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ مُجِيبًا لَهَا وَمَزِيلًا لَمَّا حَصَلَ فِي الدَّفْعِ أَنْ يَكُونَ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلُ فَخَوْفُهُ أَوَّلًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي أَبُو كَرِيبٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ قَالَ قَالَ أَبُو وَائِلٍ وَذَكَرَ قِصَّةَ قَوْمِهَا حِجَابَ خَافَتَهُ وَظَنَّتْ أَنَّهُ يَرِيدُهَا عَلَى نَفْسِهَا فَقَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا أَيْ إِنْ كُنْتُ تَخَافُ اللَّهُ تَذَكَّرَ لَهَا بِاللَّهِ وَهَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا أَيْ لَمَّا تَبَدَّى لَهَا الْمَلِكُ فِي صُورَةِ بَشَرٍ وَهِيَ فِي مَكَانٍ مُفْرَدٍ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ

قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ أَحَدَ مَشْهُورِي الْقِرَاءَةِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ لِأَهْلِ لِكَ غَلَامًا زَكِيًّا وَكَلَا الْقِرَاءَتَيْنِ لَهُ وَجْهٌ حَسَنٌ وَمَعْنَى صَحِيحٌ وَكُلٌّ تَسْتَلْزِمُ الْآخَرَى. 19
وَقَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لِيَهَبَ لَكَ غَلَامًا زَكِيًّا هَكَذَا

وَزَكَرِيَّا يَمْدُ وَيَقْصُرُ قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ. وَكَانَ نَبِيًّا عَظِيمًا مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ نَجَارًا يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ فِي النَّجَارَةِ. 2
قَوْلُهُ ذَكَرَ رَحِمْتَ رَبِّكَ أَيْ هَذَا ذَكَرَ رَحْمَةَ اللَّهِ بَعْدَهُ زَكَرِيَّا وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ ذَكَرَ رَحِمْتَ رَبِّكَ عِنْدَهُ زَكَرِيَّا

وَلَسْتُ بِذَاتِ زَوْجٍ وَلَا يَتَصَوَّرُ مِنِّي الْفُجُورُ وَلِهَذَا قَالَتْ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا وَبِغْيَا فِي الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنْ مَهْرِ الْبَغْيِ. 20
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ أَيْ فَتَعَجَّبَتْ مَرْيَمُ مِنْ هَذَا وَقَالَتْ كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ أَيْ عَلَى أَيْ صِفَةٍ يَوْجَدُ هَذَا الْغُلَامُ مِنِّي

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيًّا أَيْ إِنْ اللَّهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى هَذَا فَلَيْسَ مِنْهُ بَدٌّ وَاخْتَارَ هَذَا ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ وَلَمْ يَحْكُ غَيْرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. 21
النَّفْخُ فِي فَرْجِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَقَالَ وَالتِّي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا قَالَ لِمَرْيَمَ يُخْبِرُهَا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُقَدَّرٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَةِ وَمَشِئَتِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ خَبَرِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ كَتَبَ بِهَذَا عَنْ كُنْتُ إِذَا خَلُوتُ حَدَّثَنِي عِيسَى وَكَلَمَنِي وَهُوَ فِي بَطْنِي وَإِذَا كُنْتُ مَعَ النَّاسِ سَبَّحَ فِي بَطْنِي وَكَبَّرَ وَقَوْلُهُ وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيًّا يَحْتَمِلُ أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ جِبْرِيلَ وَكَهَوْلَتُهُ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ الْحَارِثِ الْكُوفِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَتْ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ أَيْ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ فِي مَهْدِهِ هَذَا الْغُلَامُ رَحْمَةُ مِنَ اللَّهِ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى إِذْ قَالَتْ الْمَلَانِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ عِيسَى فَإِنَّهُ أَوْجَدَهُ مِنْ أُنْثَى بَلَا ذَكَرَ فَتَمَّتِ الْقِسْمَةُ الرَّبَاعِيَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ وَقَوْلُهُ وَرَحْمَةً مِنَّا أَيْ وَنَجْعَلُ لِلنَّاسِ عَلَى قُدْرَةِ بَارئِهِمْ وَخَالْقِهِمُ الَّذِي نَوْعٌ فِي خَلْقِهِمْ فَخَلَقَ آبَاهُمْ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بَلَا أُنْثَى وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الذَّرِيَّةِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى إِلَّا إِنْ اللَّهُ قَدْ قَالَ إِنَّهُ سَيُوجَدُ مِنْكَ غُلَامًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بَعْلٌ وَلَا يَوْجَدُ مِنْكَ فَاحْشَةُ فَإِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ وَلِهَذَا قَالَ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ أَيْ دَلَالَةً وَعِلَامَةً قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئَةٍ أَيْ فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ مُجِيبًا لَهَا عَمَّا سَأَلَتْ

فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا إِنَّمَا صَاحِبُهَا يَوْسُفُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهَا فِي الْكَنِيسَةِ غَيْرُهُ وَتَوَارَتْ مِنَ النَّاسِ وَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَلَا يَرَاهَا أَحَدٌ وَلَا تَرَاهُ. 22
الْدَّمَ وَأَصَابَهَا مَا يَصِيبُ الْحَامِلَ عَلَى الْوَلَدِ مِنَ الْوَصْبِ وَالتَّوْحُمِ وَتَغْيِيرِ اللَّوْنِ حَتَّى فَطَرَ لِسَانَهَا فَمَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ زَكَرِيَّا وَشَاعَ الْحَدِيثُ بِالرَّبِّيَّةِ انْتَبَذَتْ مِنْهُمْ مَكَانًا قَصِيًّا أَيْ قَاصِيَا مِنْهُمْ بَعِيدًا عَنْهُمْ لئَلَّا تَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْهَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا حَمَلَتْ بِهِ وَمَلَأَتْ قَلْبَهَا وَرَجَعَتْ اسْتَمْسَكَ عَنْهَا مِنْ غَيْرِ حُبٍّ وَلَا بَذَرٍ وَهَلْ يَكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ أَبِي فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمَّ فَصَدَّقَهَا وَسَلَّمَ لَهَا حَالَهَا وَلَمَّا اسْتَشْعَرَتْ مَرْيَمُ مِنْ قَوْمِهَا اتِّهَامَهَا يَكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ أَبِي؟ فَقَالَتْ نَعَمْ وَفَهَمْتُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَمَا قَوْلُكَ هَلْ يَكُونُ شَجَرٌ مِنْ غَيْرِ حَبٍّ وَزَرْعٌ مِنْ غَيْرِ بَذَرٍ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ الشَّجَرَ وَالزَّرْعَ أَوَّلَ مَا خَلَقَهُمَا

تفسير ابن كثير

أن عرض لها في القول فقال يا مريم إنني سائلك عن أمر فلا تعجلي علي. قالت وما هو؟ قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر وهل أمرها ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها ثم تأمل ما هي فيه فجعل أمرها يجوس في فكره لا يستطيع صرفه عن نفسه فحمل نفسه على مخايل الحمل بها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس يقال له يوسف النجار فلما رأى ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة فالمشهور الظاهر والله على كل شيء قدير أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ولهذا لما ظهرت علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فهذه الفاء للتعقيب بحسبها وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوما وقال تعالى ألم فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة مريم قال لم يكن إلا أن حملت فوضعت وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى فحملته فانتبهت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة وقال عكرمة ثمانية أشهر قال ولهذا لا يعيش ولد الثمانية أشهر وقال ابن جريج أخبرني المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفي سمع ابن عباس وسئل عن حمل لأن الله جعله يحيي الموتى ويبرئ الأكفم والأبرص ثم اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم إنني أرى أن ما في بطني يسجد لما في بطنك قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام قال قرئ على الحارث بن مسكين وأنا أسمع أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال: قال مالك رحمه الله بلغني أن عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ولكن حرم في ملتنا هذه تكميلا لتعظيم جلال الرب تعالى قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين مريم تجد الذي في بطنها يسجد للذي في بطن مريم أي يعظمه ويخضع له فإن السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعا كما سجد ليوسف أبواه وإخوته حبلى؟ فقالت لها مريم وهل علمت أيضا أنني حبلى وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها وكانوا بيت إيمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت زكريا وذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب إلى ذلك فحملت امرأته فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتنقتها وقالت أشعرت يا مريم أنني تعالى فلما حملت به ضاقت ذرعا ولم تدر ماذا تقول للناس فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لأختها امرأة غير واحد من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت بالولد بإذن الله يقول تعالى مخبرا عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال إنها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر

وقال ابن زيد لم أكن شيئا قط وقد قدمنا الأحاديث الدالة على النهي عن تمني الموت إلا عند الفتنة عند قوله توفني مسلما وألحقني بالصالحين. 23 شيء نسي وترك فهو نسي وقال قتادة وكنت نسيا منسيا أي شيئا لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من أنا وقال الربيع بن أنس وكنت نسيا منسيا هو السقط الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل وكنت نسيا منسيا نسي فترك طلبه كخرق الحيض إذا ألقيت وطرحتم لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل الحال وكنت نسيا منسيا أي لم أخلق ولم أك شيئا قاله ابن عباس وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتني مت قبل هذا الكرب على السداد ولا يصدقونها في خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت يا ليتني مت قبل هذا أي قبل هذا الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى أنه ببيت لحم وقد تلقاه الناس وقد ورد به الحديث إن صح وقوله تعالى إخبارا عنها قالت يا ليتني تقدم في أحاديث الإسراء من رواية النسائي عن أنس رضي عنه والبيهقي عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن ذلك ببيت لحم فإله أعلم وهذا هو المشهور فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق وفي رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم قلت وقد جذع نخلة في المكان الذي تنحت إليه وقد اختلفوا فيه فقال السدي كان شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس وقال وهب بن منبه ذهب هاربة وقوله فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة أي فاضطرها وألجأها الطلق إلى

وبه قال الحسن والربيع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو إحدى الروايتين عن قتادة وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والقول الأول أظهر. 24 الحبلى قال فيه أبو حاتم الرازي ضعيف وقال أبو زرعة منكر الحديث وقال أبو الفتح الأزدی متروك الحديث وقال آخرون المراد بالسري عيسى عليه السلام إن السري الذي قال الله لمريم قد جعل ربك تحتك سريا نهر أخرجه الله لتشرب منه وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه وأيوب بن نهيك هذا هو حدثنا يحيى بن عبد الله البجلي حدثنا أيوب بن نهيك سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بن منبه: السري هو ربيع الماء وقال السدي هو النهر واختار هذا القول ابن جرير وقد ورد في ذلك حديث مرفوع فقال الطبراني حدثنا أبو شعيب الحراني النهر الصغير بالنبطية وقال الضحاك هو النهر الصغير بالسريانية وقال إبراهيم النخعي هو النهر الصغير وقال قتادة هو الجدول بلغة أهل الحجاز وقال وهب وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: السري النهر وبه قال عمرو بن ميمون نهر تشرب منه وقال مجاهد هو النهر بالسريانية وقال سعيد بن جبيل السري نادها قائلا لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا قال سفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول إحدى الروايتين عن سعيد بن جبيل أنه ابنها قال أو لم تسمع الله يقول فأشارت إليه واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره وقوله: أن لا تحزني أي نادها من أسفل الوادي وقال مجاهد فنادها من تحتها قال عيسى ابن مريم وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال الحسن هو ابنها وهو جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها وكذا قال سعيد بن جبيل والضحاك وعمرو بن ميمون والسدي وقاتدة إنه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام الذي تحتها وقرأ الآخرون من تحتها على أنه حرف جر واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟ فقال العوفي وغيره عن ابن عباس فنادها من تحتها

قرأ بعضهم من تحتها بمعنى

السين وآخرون بتخفيفها وقرأ أبو نهيك تسقط عليك رطباً جنياً وروى أبو إسحاق عن البراء أنه قرأها يساقط أي الجذع والكل متقارب. 25
من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران هذا حديث منكر جداً ورواه أبو يعلى عن شيبان به وقرأ بعضهم تساقط بتشديد منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلحق غيرها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر وليس عمرو الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية الكريمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسرور بن سعيد التميمي حدثنا عبد الرحمن بن بأن جعل عندها طعاماً وشراباً فقال تساقط عليك رطباً جنياً فكلني واشربي وقرني عينا أي طيبي نفساً ولهذا قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير للنفساء عجوة وقال الثوري عن أبي داود نفع الأعمى كانت صرافانة والظاهر أنها كانت شجرة ولكن لم تكن في إبان ثمرها قاله وهب بن منبه ولهذا امتن عليها بذلك ولهذا قال بعده وهزي إليك بجذع النخلة أي وخذي إليك بجذع النخلة قيل كانت يابسة قاله ابن عباس وقيل مثمرة قال مجاهد كانت

أنا أكفيك الكلام فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسياً قال هذا كله من كلام عيسى لأمه وكذا قال وهب. 26
لا تحزني قالت وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة أي شيء عذري عند الناس؟ يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً قال لها عيسى غير زوج يعني بذلك مريم عليها السلام ليكون عذراً لها إذا سئلت ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله وقال عبد الرحمن بن زيد لما قال عيسى لمريم ما شأنك؟ قال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبدالله بن مسعود كلم الناس وسلم عليهم فإن تلك امرأة علمت أن أحداً لا يصدقها أنها حملت من نص على ذلك السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد قال ابن إسحاق عن حارثة قال: كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال قال ابن عباس والضحاك وفي رواية عن أنس: صوما وصمتا وكذا قال قتادة وغيرهما والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام الإشارة إليه بذلك لا أن المراد به القول اللفظي لئلا ينافي فلن أكلم اليوم إنسياً قال أنس بن مالك في قوله إني نذرت للرحمن صوما قال صمتا وكذا وقوله: فإما ترين من البشر أحداً أي مهما رأيت من أحد فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسياً المراد بهذا القول

فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهن قعدت وحملت ابنتها في حجرها فجاءوا حتى قاموا عليها وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فرياً. 27
الليلة من بقري ما لم أره منها قط قالوا وما رأيت قال رأيتها الليلة تسجد نحو هذا الوادي قال عبدالله بن أبي زياد وأحفظ عن شيبان أنه قال رأيت نورا ساطعاً قال: وخرج قومها في طلبها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا منها شيئاً فلقوا راعي بقر فقالوا رأيت فتاة كذا وكذا نعتها قال لا ولكني رأيت والسدي وغير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدالله بن أبي زياد حدثنا شيبان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي فأخذت ولدها فأثت به قومها تحمله فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه جداً وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فرياً أي أمراً عظيماً قاله مجاهد وقتادة مخبراً عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك وأن لا تكلم أحداً من البشر فإنها ستكفي أمرها ويقام بحجتها فسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه يقول تعالى

في عشرينه وليس بهارون أخي موسى ولكنه هارون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل. 28
بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هارون مصلحاً محبباً سنة قال فسكت وفي هذا التاريخ نظر. وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله: يا أخت هارون الآية قال كانت من أهل ليس بهارون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر وإلا فإني أجد بينهما ستمائة ابن إدريس وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال أنبت أن كعباً قال إن قوله: يا أخت هارون انفرد بإخراجه مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبدالله بن إدريس عن أبيه عن سماك به وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالوا أرايت ما تقرأون يا أخت هارون أم عيسى وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحهم كما قال الإمام أحمد حدثنا عبدالله بن إدريس سمعت أبي بنت عمران أخت موسى وهارون النبيين تضرب بالدفع هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرن على ما أنعم به على بني إسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي داود جالوت الآية والذي جراً القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر وإغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم وفي قوله تعالى: ألم تر إلى المأى من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله وذكر القصة إلى أن قال وقتل كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخراً عن الرسل سوى محمد وكان قبل سليمان وداود فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي ولو محض فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بعثاً وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا ثبت هارون قال هي أخت هارون لأبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هارون التي قصت أثر موسى فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وهذا القول خطأ حاتم حدثنا علي بن الحسين الهجستاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا المفضل يعني ابن أبي فضالة حدثنا أبو صخر عن القرظي في قول الله عز وجل يا أخت

تفسير ابن كثير

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له هارون ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي وكانت من نسله كما يقال للتميمي يا أبا تميم ولل مصري يا أبا مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تقاس به في الزهادة والعبادة أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال علي بن أبي طلحة والسدي قيل لها يا أخت هارون أي أخي موسى أمرا عظيما يا أخت هارون أي شبيهة هارون في العبادة ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أملك بغيا أي

أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبيا أي من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره كيف يتكلم؟. 29 قالت كلموه فقالوا على ما جاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهدي صبيا وقال السدي لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حتى تأمرنا لهم إلى خطابه وكلامه فقالوا متهمين بها ظانين أنها تزدرى بهم وتلعب بهم كيف نكلم من كان في المهدي صبيا قال ميمون بن مهران فأشارت إليه لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية وقد كانت يومها ذلك صائمة صامته فأحالت الكلام عليه وأشارت وقوله فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبيا أي أنهم

الخفي وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام أصحابه فجعل يهتف بربه يقول خفية يا رب يا رب يا رب فقال الله له: لبيك لبيك لبيك. 3 حكاها الماوردي وقال آخرون إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله كما قال قتادة في هذه الآية إذ نادى ربه نداء خفيا إن الله يعلم القلب التقى ويسمع الصوت وقوله إذ نادى ربه نداء خفيا قال بعض المفسرين إنما أخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد إلى الرعونة لكبره.

ابن مريم قد درس التوراة وأحكمها وهو في بطن أمه فذلك قوله: إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا يحيى بن سعيد العطار الحمصي متروك. 30 وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد المصفي حدثنا يحيى بن سعيد هو العطار عن عبد العزيز بن زياد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عيسى أصعبه السبابة فوق منكبه وهو يقول: إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا الآية وقال عكرمة أتاني الكتاب أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى النبي من فمه واثكا على جنبه الأيسر وقال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا إلى قوله ما دمت حيا وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع لنفسه العبودية لربه وقوله: أتاني الكتاب وجعلني نبيا تربة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة قال نوف البكالي لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديها فنزع قال إني عبد الله أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت

بن القاسم عن مالك بن أنس في قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا قال أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت ما اثبتتها لأهل القدر. 31 المنكر أينما كان وقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقال عبدالرحمن فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده وقد أجمع الفقهاء على قول الله وجعلني مباركا أينما كنت وقيل ما بركته؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن وهيب بن الورد مولى بني مخزوم قال لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له: يرحمك الله ما الذي أعلن من عملي؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثوري وجعلني معلما للخير وفي رواية عن مجاهد نفاعا وقال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي سمعت وقوله وجعلني مباركا أينما كنت قال مجاهد وعمرو بن قيس

للبطن الذي حملك وطوبى للثدي الذي أرضعت به فقال نبي الله عيسى عليه السلام يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا. 32 كان مختالا فخورا وقال قتادة ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص في آيات سلطه الله عليهم وأذن له فيهن فقالت طوبى جبارا شقيا ثم قرأ وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا قال ولا تجد سيء الملكة إلا وجدته مختالا فخورا ثم قرأ وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك: قال سفيان الثوري: الجبار الشقي الذي يقتل على الغضب وقال بعض السلف لا تجد أحدا عاقا لوالديه إلا وجدته ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وقال أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وقوله: ولم يجعلني جبارا شقيا أي ولم يجعلني جبارا مستكبرا وقوله وبر بوالدي أي وأمرني ببر والدتي ذكره بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيرا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى وقضى من خلق الله يحيى ويمات ويبعث كسائر الخلائق ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه. 33 وقوله والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا إثبات منه لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق

قال الحق والرفع أظهر إعرابا ويشهد له قوله تعالى: الحق من ربك فلا تكن من الممترين ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبدا نبيا نزه نفسه المقدسة فقال: 34 ممن آمن به وكفر به ولهذا قرأ الأكثر قول الحق برفع قول وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر قول الحق وعن ابن مسعود أنه قرأ ذلك عيسى ابن مريم لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذي قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام قول الحق الذي فيه يمترون أي يختلف المبطلون والمحقون يقول تعالى

فإنما يأمر به فيصير كما يشاء كما قال إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين. 35 كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه أي عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علوا كبيرا إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون أي إذا أراد شيئا

ما

فقال فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي هذا الذي جنتكم به عن الله صراط مستقيم أي قويم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه ضل وغوى. 36

تفسير ابن كثير

وقوله وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وأمرهم بعبادته عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل . 37

المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ولهذا قال ههنا فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أي يوم القيامة. وقد جاء في الحديث الصحيح وهو يرزقهم ويعافيههم وقد قال الله تعالى وكأين من قرية أهلكنا ثم أخذتها وإلي المصير وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل ظالمة إن أخذه أليم شديد وفي الصحيحين أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا عصاه كما جاء في الصحيحين إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ووعيد شديد لمن كذب على الله وافترى وزعم أن له ولدا ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلما وثقة بقدرته عليهم فإنه الذي لا يعجل على من المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله إلى السماء وقوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم تهديد حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشر ألف كنيسة وبنيت أمه هيلانة قمامة على فوضعوا له الأمانة الكبيرة بل هي الخيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعا كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيروه فابتنى لهم ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلثمائة وثمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فمال إليهم الملك وكان فيلسوفا فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم السلام اختلافا متباينا جدا فقالت كل شردمة فيه قولا فمائة تقول فيه شيئا وسبعون تقول فيه قولا آخر وخمسون تقول شيئا آخر ومائة وستون تقول شيئا جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفا فاختلفوا في عيسى ابن مريم عليه أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريبا من ذلك وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين ويقتلون الذين يأمرهم بالقسط من الناس قال قتادة وهم الذين قال الله فاختلف الأحزاب من بينهم قال اختلفوا فيه فصاروا أحزابا وقد روى ابن الرابع كذبت بل هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون. فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا فاقتتلوا وظهر على المسلمين وذلك قول الله تعالى فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنان للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الإسرائيلي ملوك النصارى عليهم لعائن الله قال فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية الذي فيه يمترون قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتمروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف. قال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الله وقال آخرون بل هو ابن الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبدالله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله إليه المؤمنين وقد روي نحو ألقاها إلى مريم وروح منه فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على أنه ولد زنية وقالوا كلامه هذا سحر وقالت طائفة أخرى إنما تكلم وقوله: فاختلف الأحزاب من بينهم أي اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله وأنه عبده ورسوله وكلمته

أي في الدنيا في ضلال مبين أي لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك. 38

العذاب لكان نافعا لهم ومنقذا من عذاب الله ولهذا قال أسمع بهم وأبصر أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم يأتوننا يعني يوم القيامة لكن الظالمون اليوم ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا الآية أي يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئا ولو كان هذا قبل معاينة يقول تعالى مخبرا عن الكفار يوم القيامة أنهم يكونون أسمع شيء وأبصره كما قال تعالى

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله. 39

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله وأنذرهم يوم الحسرة من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده أحد ميتا من فرح ماتوا ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتا من شهقة ماتوا فذلك قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر يقول إذا ذبح الموت جهنم إلا نظر إليه ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادي يا أهل الجنة هو الخلود أبد الأبدين ويا أهل النار هو الخلود أبد الأبدين فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان درجة في الجنة إلا نظر إليه ثم ينادي مناد يا أهل النار هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى أحد في ضحاح من نار ولا في أسفل درك من كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادي مناد يا أهل الجنة هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى أحد في أهل عليين ولا في أسفل زياد عن زر بن حبيش عن ابن مسعود في قوله وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت في صورة النار البيت الذي في الجنة ويقال لهم لو علمتهم فتأخذهم الحسرة قال: ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار فيقال لهم لولا أن الله من عليكم وقال السدي عن حدثنا أبو الزعراء عن عبدالله هو ابن مسعود في قصة ذكرها قال فليس نفس إلا وهي تنتظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار وهو يوم الحسرة فيرى أهل قبله نحوه ورواه أيضا عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير يقول في قصصه يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح والناس ينظرون وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل ماجه وغيره من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة نحوه وهو في الصحيحين عن ابن عمر ورواه ابن جريج قال: قال ابن عباس فذكر من ولفظهما قريب من ذلك وقد روى هذا الحديث الحسن بن عرفة حدثني أسباط بن محمد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا مثله وفي سنن ابن وهب لا يؤمنون وأشار بيده ثم قال أهل الدنيا في غفلة الدنيا هكذا رواه الإمام أحمد وقد خرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث الأعمش به

تفسير ابن كثير

ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة ويقولون نعم هذا الموت قال فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون لا يؤمنون أي لا يصدقون به قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر أي فصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إلى ما صار إليه مخلدا فيه وهم أي اليوم في غفلة عما أنذروا به يوم الحسرة والندامة وهم ثم قال تعالى وأُنذِرهم يوم الحسرة أي أنذر الخلائق يوم الحسرة إذ قضي

وقال مجاهد وقتادة والسدي: أراد بالموالي العصبية وقال أبو صالح الكلاله وروي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يقرؤها. 4
يباري الشمس ألفت قناعها أو القمر الساري لألقى المقالدا ومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي: تغاير الشعر منه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل الياء من الموالي على أنه مفعول وعن الكسائي أنه سكن الياء كما قال الشاعر: كأن أيديهن في القاع القرق أيدي جوار يتعاطين الورق وقال الآخر: فتى لو ولم أكن بدعائك رب شقيا أي ولم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك وقوله وإني خفت الموالي من ورائي قرأ الأكثر بنصب تحت أذيال الدجا واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جمر الغضا والمراد من هذا الإخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة وقوله مني أي ضعفت وخارت القوى واشتعل الرأس شيبا أي اضطرم المشيب في السواد كما قال ابن دريد في مقصورته: أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح قال رب إني وهن العظم

الموت فجعل مصيرهم إليه وقال فيما أنزل في كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حفظه أنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون. 40
حدثنا حزم بن أبي حزم القطعي قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة: أما بعد فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم تصرفا بل هو الوارث لجميع خلقه الباقي بعدهم الحاكم فيهم فلا تظلم نفس شيئا ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة قال ابن أبي حاتم ذكر هذبة بن خالد القيسي نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون يخبر تعالى أنه الخالق المالك المتصرف وأن الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو تعالى وتقدس ولا أحد يدعي ملكا ولا وقوله: إنا

هؤلاء الذين يعبدون الأصنام واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع أبيه. 41
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر في الكتاب إبراهيم وأتلى على قومك

كيف نهاه عن عبادة الأصنام فقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا أي لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررا. 42
على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك بعد فاتبعني أهدك صراطا سويا أي طريقا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب والنجاة من المروءة. 43
يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك يقول وإن كنت من صلبك وتراني أصغر منك لأنني ولدك فاعلم أنني قد اطلعت من العلم من الله
إلا إنا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا وقوله إن الشيطان كان للرحمن عصيا أي مخالفا مستكبرا عن طاعة ربه فطرده وأبعده فلا تتبعه تصر مثله. 44
الأصنام فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به كما قال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وقال إن يدعون من دونه يا أبت لا تعبد الشيطان أي لا تطعه في عبادتك هذه

اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك كما قال تعالى تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزین لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم. 45
على شركك وعصيانك لما أمرك به فتكون للشيطان ولها يعني فلا يكون لك مولى ولا ناصرا ولا مغيبا إلا إبليس وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء بل يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن أي

ابن عباس واهجرني مليا قال سويا سالما قبل أن تصيبك مني عقوبة وكذا قال الضحاك وقتادة وعطية الجدلي ومالك وغيرهم واختاره ابن جرير. 46
بن جبير ومحمد بن إسحاق يعني دهرًا وقال الحسن البصري زمانا طويلا وقال السدي واهجرني مليا قال أبدا وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن منك وشتمتك وسببتك وهو قوله لأرجمك قاله ابن عباس والسدي وابن جريج والضحاك وغيرهم وقوله واهجرني مليا قال مجاهد وعكرمة وسعيد دعاه إليه أنه قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها فانت عن سبها وشتمها وعيها فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتضت يقول تعالى مخبرا عن جواب أبي إبراهيم لولده إبراهيم فيما

يستغفروا للمشركين إلى قوله وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم. 47
لك من الله من شيء الآية يعني إلا في هذا القول فلا تتأسوا به ثم بين تعالى أن إبراهيم أقلع عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله إلى قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك الحساب وقد استغفر المسلمون لقرباتهم وأهلهم من المشركين في ابتداء الإسلام وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى قد كانت طويلة وبعد أن هاجر إلى الشام وبنى المسجد الحرام وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في قوله ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم له وقال قتادة ومجاهد وغيرهما إنه كان بي حفيا قال عوده الإجابة. وقال السدي الحفي الذي يهتم بأمره وقد استغفر إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأبيه مدة

تفسير ابن كثير

سأستغفر لك ربي ولكن سأسال الله فيك أن يهديك ويغفر ذنبك إنه كان بي حفيا قال ابن عباس وغيره لطيفا أي في أن هداني لعبادته والإخلاص أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ومعنى قول إبراهيم لأبيه سلام عليك يعني أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى وذلك لحرمة الأبوة إبراهيم لأبيه سلام عليك كما قال تعالى في صفة المؤمنين وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا فعندها قال

وحده لا شريك له عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا وعسى هذه موجبة لا محالة فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم. 48 وقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي أي أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله وأدعوا ربي أي وأعبد ربي إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله وفي اللفظ الآخر إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . 49 نبي أيضا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته حين سئل عن خير الناس فقال يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن أقر الله بهم عينه في حياته ولهذا قال وكلا جعلنا نبيا فلو لم يكن يعقوب عليه السلام قد نبى في حياة إبراهيم لما اقتصر عليه ولذكر ولده يوسف فإنه إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولهذا إنما ذكر ههنا إسحاق ويعقوب أي جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء نافلة وقال ومن وراء إسحاق يعقوب ولا خلاف أن إسحاق والد يعقوب وهو نص القرآن في سورة البقرة أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فلما اعتزل الخليل أباه وقومه في الله أبدله الله من هو خير منهم ووهب له إسحاق ويعقوب يعني ابنه وابن إسحاق كما قال في الآية الأخرى ويعقوب يقول تعالى

أن الولد يرث أباه فلولا أنها وراثته خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره ويثبتته ما صح في الحديث نحن معاصر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة. 5 داود أي في النبوة إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والمال الأنبياء لا نورث وعلى هذا فتعين حمل قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني على ميراث النبوة ولهذا قال ويرث من آل يعقوب كقوله وورث سليمان قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح نحن معشر أنه لم يذكر أنه كان ذا مال بل كان نجارا يأكل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالا ولا سيما الأنبياء فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا الثالث أنه منزلة وأجل قدرا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا وحده وأن يأنف من وراثته عصباته له ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه الثاني في الناس تصرفا سيما فسأل الله ولدا يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى إليه فأجيب في ذلك لا أنه خشي من وراثتهم له ماله فإن النبي أعظم وإنني خفت الموالي من ورائي بتشديد الفاء بمعنى قلت عصباتي من بعدي وعلى القراءة الأولى وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده وكذا قال السدي ومالك بن أنس وقال ابن جرير إنما قال عليا لأن جميع الملل والأديان يثنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. 50 وقوله ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الثناء الحسن

فإنه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين. 51 أن يحمد الله الناس وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى أنه كان مصطفى كما قال تعالى إني اصطفتك على الناس وكان رسولا نبيا جمع الله له بين الوصفين من الإخلاص في العبادة قال الثوري عن عبدالعزيز بن ربيع عن أبي لبابة قال: قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن المخلص لله قال الذي يعمل لله لا يحب لما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأثنى عليه عطف بذكر الكليم فقال وأذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا قرأ بعضهم بكسر اللام

يا موسى إذا خلقت لك قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة تعين على الخير فلم أظن عنك من الخير شيئا ومن أظن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئا. 52 بن عاصم حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي واصل عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معد يكرب قال لما قرب الله موسى نجيا بطور سيناء قال: قال أدخل في السماء فكلم وعن مجاهد نحوه وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة وقربناه نجيا قال نجا بصدقه وروى ابن أبي حاتم حدثنا عبدالجبار وقربناه نجيا قال أدنى حتى سمع صريف القلم وهكذا قال مجاهد وأبو العالية وغيرهم يعنون صريف القلم بكتابة التوراة وقال السدي وقربناه نجيا فكلمه الله تعالى وناداه وقربه فواجهه روى ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى هو القطان حدثنا سفيان عن عطاء بن يسار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أي الجانب الأيمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة فأراها تلوح فقصدتها فوجدتها في جانب الطور الأيمن منه غربية عند شاطئ الوادي وقوله وناديناه من جانب الطور

أخاه هارون نبيًا قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته وقد ذكره ابن أبي حاتم معلقا عن يعقوب وهو ابن إبراهيم الدورقي به. 53 ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًا قال ابن جرير: حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال: قال ابن عباس قوله ووهبنا له من رحمتنا علي ذنب فأخاف أن يقتلوا ولهذا قال بعض السلف ما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون أن يكون نبيا قال الله تعالى هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون وقال ولقد أوتيت سؤالك يا موسى وقال فأرسل إلى هارون ولهم وقوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًا أي وأجبنا سؤاله وشفاعته في أخيه فجعلناه نبيا كما قال في الآية الأخرى وأخي

في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل وذكر تمام الحديث فدل على صحة ما قلناه. 54

تفسير ابن كثير

معها وقوله وكان رسولا نبيا في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق لأنه إنما وصف بالنبوة فقط وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة وقد ثبت هكذا وهكذا وهكذا يعني ملء كفيه فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابرا فغرف بيده من المال ثم أمره بعده فإذا هو خمسمائة درهم فأعطاه مئليها صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتني أنجز له فجاءه جابر بن عبدالله فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لو قد جاء مال البحرين أعطيتك زوج ابنته زينب فقال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال الخليفة أبو بكر الصديق: من كان له عند رسول الله إسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد أيضا لا يعد أحدا شيئا إلا وفى له به وقد أثنى على أبي العاص بن الربيع إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ولما كانت هذه صفات المنافقين كان التلبس بصددها من صفات المؤمنين ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث له صادق الوعد لأنه قال لأبيه ستجدني إن شاء الله من الصابرين فصدق في ذلك فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات الذميمة في ذلك ورواه ابن منده أبو عبدالله في كتاب معرفة الصحابة بإسناده عن إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الكريم به وقال بعضهم إنما قيل يومي والغد فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك فقال لي يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك لفظ الخرائطي وساق آثارا حسنة أبيه عن عبدالله بن أبي الحمساء قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فبقيت له علي بقية فوعده أن آتيه بها في مكانه ذلك قال فنسيت وأبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي في كتابه مكارم الأخلاق من طريق إبراهيم بن طهمان عن عبدالله بن ميسرة عن عبد الكريم يعني ابن عبدالله بن شقيق عن وقال سفيان الثوري بلغني أنه أقام في ذلك المكان ينتظره حولا حتى جاءه وقال ابن شاذب: بلغني أنه اتخذ ذلك الموضع مسكنا وقد رواه أبو داود في سننه فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا؟ قال لا قال إني نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتيني فذلك كان صادق الوعد يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبي عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه فيه فجاء ونسي الرجل الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد. قال ابن جريج لم يعد ربه عدة إلا أنجزها يعني ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفاهها حقها وقال ابن جريج: حدثني هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهو والد عرب

قال إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبها من الذاكبين الله كثيرا والذاكرات رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له. 55 وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء أخرجه أبو داود وابن ماجه. وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ويفعلون ما يؤمرون أي مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر ولا تدعوهم هملا فتأكلهم النار يوم القيامة وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: قال بالصلاة واصطبر عليها الآية وقال يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم هذا أيضا من الثناء الجميل والصفة الحميدة والخلة السديدة حيث كان صابرا على طاعة ربه عز وجل أمرا بها لأهله كما قال تعالى لرسوله وامرأهك وقوله وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا

العجب بعثت وقيل لي اقبط روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبط روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك. 56 فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرًا فكلّم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس فقال وأين إدريس؟ فقال هو ذا على ظهري قال ملك الموت فاتاه خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى إلي كذا وكذا فكلّم لي ملك الموت فليؤخّرني حتى أزداد عملا فحملة بين جناحيه حتى صعد به إلى السماء قول الله عز وجل لإدريس ورفعناه مكانا عليا فقال كعب أما إدريس فإن الله أوحى إليه أنى أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم فأحب أن يزداد عملا عبدالأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن سليمان الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال ابن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به في ليلة الإسراء وهو في السماء الرابعة. وقد روى ابن جرير ههنا أثرًا غريبًا عجيبًا فقال: حدثني يونس بن ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه بأنه كان صديقًا نبيا وأن الله رفعه مكانا عليا وقد تقدم في

مكانا عليا قال رفع إلى السماء السادسة فمات بها وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال الحسن وغيره في قوله ورفعناه مكانا عليا قال الجنة. 57 قال إدريس رفع ولم يمّت كما رفع عيسى وقال سفيان عن منصور عن مجاهد ورفعناه مكانا عليا قال السماء الرابعة وقال العوفي عن ابن عباس ورفعناه يمسي حين يمسي وليس في الأرض أحد أفضل عملا منه وذكر بقبته كالذي قبله أو نحوه وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله ورفعناه مكانا عليا جناحه فإذا هو قد قبض عليه السلام وهو لا يشعر به ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس أن إدريس كان خياطا فكان لا يغرز إبرة إلا قال سبحان الله فكان وذكر باقيه وفيه أنه لما سأله عما بقي من أجله قال لا أدري حتى أنظر فنظر ثم قال إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين فنظر الملك تحت من وجه آخر عن ابن عباس أنه سأل كعبا فذكر نحو ما تقدم غير أنه قال لذلك الملك هل لك أن تسأله يعني ملك الموت كم بقي من أجلي لكى أزداد من العمل فذلك قول الله تعالى ورفعناه مكانا عليا هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات وفي بعضه نكارة والله أعلم. وقد رواه ابن أبي حاتم

عنه سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكى يريد البكاء رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وسقط من روايته ذكر أبي معمر فيما رأيت فالله أعلم. 58 العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعا لمثولهم. قال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر قال قرأ عمر بن الخطاب رضي الله كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعا واستكانة حمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة والبكى جمع بك فلهاذا أجمع

تفسير ابن كثير

ممن أمر أن يقتدى بهم قال وهو منهم يعني داود. وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا أي إذا سمعوا عليك وفي صحيح البخاري عن مجاهد أنه سأل ابن عباس أفي ص سجدة؟ فقال نعم ثم تلا هذه الآية أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فنيكم وهديناهم إلى صراط مستقيم إلى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال سبحانه وتعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقص وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل وإيسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم حكيم عليم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وجل ومما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء أنها كقوله تعالى في سورة الأنعام وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك يزيد ابن أبي حبيب عن عبد الله بن عمر أن إدريس أقدم من نوح فبعثه الله إلى قومه فأمرهم أن يقولوا لا إله إلا الله ويعملوا ما شاءوا فأبوا فأهلكهم الله عز بالنبي الصالح والأخ الصالح ولم يقل والولد الصالح كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام وروى ابن أبي حاتم حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن في عمود نسب نوح عليهما السلام. وقد قيل إنه من أنبياء بني إسرائيل أخذوا من حديث الإسراء حيث قال في سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم: مرحبا أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس فإنه جد نوح قلت هذا هو الأظهر أن إدريس به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل والذي عنى به من ذرية إسرائيل موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم قال ابن جرير ولذلك فرق النبيين من ذرية آدم الآية قال السدي وابن جرير رحمه الله فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم والذي عنى هؤلاء النبيون وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط بل جنس الأنبياء عليهم السلام استطراد من ذكر الأشخاص إلى الجنس الذين أنعم الله عليهم يقول تعالى

كتابه أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله في الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما هذا حديث غريب ورفعه منكر. 59 خمسين خريفا ثم تنتهي إلى غي وأثم قال قلت ما غي وأثم قال: قال بئران في أسفل جهنم يسيل فيها صديد أهل النار وهما اللذان ذكرهما الله في من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بطعام ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه لو أن صخرة زنة عشر أواق كذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها أبي طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا شريقي بن قطامي عن لقمان بن عامر الخزاعي قال: جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت حدثنا حديثا سمعته الطعم وقال الأعمش عن زياد عن أبي عياض في قوله فسوف يلقون غيا قال واد في جهنم من قيح ودم وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني عباس بن الثوري وشعبة ومحمد بن إسحاق عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود فسوف يلقون غيا قال واد في جهنم بعيد القعر خبيث به مرفوعا بنحوه تفرد به وقوله فسوف يلقون غيا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فسوف يلقون غيا أي خسرا وقال قتادة شرا وقال سفيان ويتبعون الشهوات ويتركون الصلاة وأما القرآن فيتعلمه المنافقون فيجادلون به المؤمنين ورواه عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا أبو قبيل عن عقبة عن أبي قبيل أنه سمع عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخاف على أمتي اثنتين: القرآن واللبن أما اللبن فيتبعون الزيف عني محجوبة وإن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا أثر شهوة من شهواته أن أحرمه طاعتي وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو زيد التميمي الضيعات وقال أبو الأشهب العطاردى: أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها للجمعات قال ثم تلا هذه الآية فخلف من بعدهم خلف أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال الحسن البصري: عطلوا المساجد ولزموا والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل شرايين للشهوات تراكين للصلوات لعابيين بالكعبات رقادين عن العتومات مفترطين في الغدوات تراكين المدينة أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول في قول الله فخلف من بعدهم خلف الآية قال هم أهل الغرب يملكون وهم شر من ملك وقال كعب الأحبار فخلف من بعدهم خلف أضعوا الصلاة هذا حديث غريب وقال أيضا حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن الضحاك حدثنا الوليد بن جرير عن شيخ من أهل بالشيء صدقة لأهل الصفة وتقول لا تعطوا منه بربريا ولا بربرية فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هم الخلف الذين قال الله تعالى فيهم حاتم أيضا حدثني أبي حدثنا إبراهيم ابن موسى أنبأنا عيسى بن يونس حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن وهب عن مالك عن أبي الرجال أن عائشة كانت ترسل وقال بشير قلت للوليد ما هؤلاء الثلاثة؟ قال المؤمن مؤمن به والمنافق كافر به والفاجر يأكل به وهكذا رواه أحمد عن أبي عبد الرحمن المقرئ وقال ابن أبي خلف بعد ستين سنة أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم يكون خلف يقرأون القرآن لا يعدو تراقيهم ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر حيوة حدثنا بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون الطرق لا يخافون الله في السماء ولا يستحيون من الناس في الأرض وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد فخلف من بعدهم خلف أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال هم في هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحرر في الجعفي عن مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح أنهم من هذه الأمة يعنون في آخر الزمان وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا الحسن الأشيب حدثنا شريك قال عند قيام الساعة وذهاب صالحي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة وكذا روى ابن جريج عن مجاهد مثله وروى جابر يلقون غيا ثم قال لم تكن إضاعتهم تركها ولكن أضعوا الوقت وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد فخلف من بعدهم خلف أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات إضاعتهن عن وقتهن وقال الأوزاعي عن إبراهيم بن يزيد أن عمر بن عبد العزيز قرأ فخلف من بعدهم خلف أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف قالوا ما كنا نرى ذلك إلا على الترك قال ذلك الكفر وقال مسروق: لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين وفي إفراطهن الهلكة وإفراطهن

تفسير ابن كثير

إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن الذين هم عن صلاتهم ساهون و على صلاتهم دائمون و على صلاتهم يحافظون فقال ابن مسعود على مواقيتها الصلاة قال إنما أضعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفرا وقال وكيع عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعيد عن ابن مسعود أنه قيل له تركها فقد كفر وليس هذا محل بسط هذه المسألة وقال الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة في قوله فخلف من بعدهم خلف أضعوا الإمام أحمد وقول عن الشافعي إلى تكفير تارك الصلاة للحديث بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة والحديث الآخر العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها بالكلية قاله محمد بن كعب القرظي وابن زيد بن أسلم والسدي واختاره ابن جرير ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو المشهور عن ورثوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أي خسارا يوم القيامة وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون: المراد بإضاعتها قرون أخر أضعوا الصلاة وإذا أضعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد وأقبلوا على شهوات الدنيا وملأوها السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجه ذكر أنه خلف من بعدهم خلف أي لما ذكر تعالى حزب

وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح والله أعلم وقوله واجعله رب رضا أي مرضيا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه. 6
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من وراثته ماله حين قال هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب عليه من وراثته ماله ويرحم الله لوطا إن كان ليأوي إلى ركن شديد. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن مبارك هو ابن فضالة عن الحسن من آل يعقوب النبوة وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا وما كان نبوتهم وقال جابر بن نوح ويزيد بن هارون كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال: يرث ما بي من يرث عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه وقال السدي يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب وعن مالك عن زيد بن أسلم ويرث من آل يعقوب قال يعقوب وقال هشيم أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء وقال عبد الرزاق قال مجاهد في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب كان وراثته علما وكان زكريا من ذرية

ههنا كقوله في سورة الفرقان والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق إلى قوله وكان الله غفورا رحيما. 60
عملوها شيئا ولا قبلوا بما عملوه قبلها فينقص لهم مما عملوه بعدها لأن ذلك ذهب هدرًا وترك نسيًا وذهب مجانا من كرم الكريم وحلم الحليم وهذا الاستثناء ولا يظلمون شيئا وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها وفي الحديث الآخر التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي صالحا أي إلا من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فإن الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم ولهذا قال فأولئك يدخلون الجنة وقوله إلا من تاب وآمن وعمل

ومنهم من قال مأثيا بمعنى آثيا لأن كل ما أذاك فقد أثيته كما تقول العرب: أتت علي خمسون سنة وأتيت على خمسين سنة كلاهما بمعنى واحد. 61
ذلك وثبوته واستقراره فإن الله لا يخلف الميعاد ولا يبدله كقوله كان وعده مفعولا أي كائنا لا محالة وقوله ههنا مأثيا أي العباد صانرون إليه وسيأتونه التي وعد الرحمن عباده بظهر الغيب أي هي من الغيب الذي يؤمنون به وما رآوه وذلك لشدة إيقانهم وقوة إيمانهم وقوله إنه كان وعده مأثيا تأكيد لحصول يقول تعالى الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أي إقامة

وكل الجنة غدوات إلا أنه يزف إلى ولي الله فيها زوجة من الحور العين أدناهن التي خلقت من الزعفران قال أبو محمد هذا حديث غريب منكر. 62
زياد قاضي أهل شمام عن عبدالله بن حدير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من غداة من غدوات الجنة على العشي والعشي يرد على البكور ليس فيها ليل وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثني أبي حدثني محمد بن النعيم فقال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال: البكور يرد يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا وقال الحسن وقاتلة وغيرهما كانت العرب الأنعم فيهم من يتغدى ويتعشى فنزل القرآن على ما في أنفسهم من قتادة في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيها ساعتان بكرة وعشي ليس ثم ليل ولا نهار وإنما هو ضوء ونور. وقال مجاهد ليس بكرة ولا عشي ولكن عن الوليد بن مسلم عن خلد عن الحسن البصري وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فنهم انفتحت انغلقي فتفعل وقال هم في نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وبفتح الأبواب وبهذا الإسناد ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال: ليس في الجنة ليل رزقهم من الجنة بكرة وعشيا تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال الضحاك عن ابن عباس ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال مقادير الليل والنهار وقال عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم الله بكرة وعشيا أخرجه في الصحيحين من حديث معمر به وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري الألوثة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبيضون فيها ولا يتمخضون فيها ولا يتغوطون أنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار كما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير ابن كثير

ولا تأثيما إلا قليلا سلاما سلاما وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات لا أن هناك ليلا ونهارا ولكنهم في أوقات فيها لغوا أي هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد في الدنيا وقوله إلا سلاما استثناء منقطع كقوله لا يسمعون فيها لغوا وقوله لا يسمعون

تعالى في أول سورة المؤمنون قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون إلى أن قال الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون. 63 وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله عز وجل في السراء والضراء والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس وكما قال وقوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا أي هذه الجنة التي

حلال وما حرمه فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا هذه الآية وما كان ربك نسيا. 64 محمد بن عثمان يعني أبا الجماهر حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عاصم بن رجا بن حيرة عن أبيه عن أبي الدرداء يرفعه قال ما أحل الله في كتابه فهو تقدم عنه أن هذه الآية كقوله والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي حدثنا بن جبيرة والضحاك وقتادة وابن جريج والثوري واختاره ابن جرير أيضا والله أعلم. وقوله وما كان ربك نسيا قال مجاهد والسدي: معناه ما نسيك ربك وقد ما بين أيدينا ما يستقبل من أمر الآخرة وما خلفنا أي ما مضى من الدنيا وما بين ذلك أي ما بين الدنيا والآخرة ويروى نحوه عن ابن عباس وسعيد أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفتين هذا قول أبي العالية وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة في رواية عنهما والسدي والربيع بن أنس وقيل وسلم أصلحي لنا المجلس فإنه ينزل ملك إلى الأرض لم ينزل إليها قط وقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا قيل المراد ما بين أيدينا أمر الدنيا وما خلفنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار حدثني شيخ من أهل المدينة عن أم سلمة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه ولا تقصون شواربكم ولا تنقون براجمكم؟ وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي اليمان عن إسماعيل بن عياش عن ابن عباس بنحوه وقال الإمام أحمد حدثنا أبي كعب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن جبرائيل أبطأ عليه فذكر له ذلك فقال وكيف وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم حدثنا أبو عامر النهوي حدثنا محمد بن إبراهيم الصوري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا إسماعيل بن عياش أخبرني ثعلبة بن مسلم عن ناتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون؟ ثم قرأ وما تنتزل إلا بأمر ربك إلى آخر الآية. وقد قال الطبراني معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال أبطأت الرسل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتاه جبريل فقال له ما حبسك يا جبريل؟ فقال له جبريل وكيف فأوحى الله إلى جبرائيل أن قل له وما تنتزل إلا بأمر ربك الآية رواه ابن أبي حاتم رحمه الله وهو غريب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو الله عليه وسلم أربعين يوما ثم نزل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما نزلت حتى اشتقت إليك فقال له جبريل بل أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور قال الضحاك بن مزاحم وقتادة والسدي وغير واحد أنها نزلت في احتباس جبرائيل وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال أبطأ جبرائيل النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاءه قال يا جبرائيل لقد رثت علي حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت وما تنتزل إلا بأمر ربك الآية قال وهذه الآية كالتي في الضحي وكذلك وحزن فأتاه جبرائيل وقال يا محمد وما تنتزل إلا بأمر ربك الآية. وقال مجاهد لبث جبرائيل عن محمد صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة ليلة ويقولون الله عليه وسلم وقال العوفي عن ابن عباس احتبس جبرائيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الآية عن أبي نعيم عن عمر بن ذر به ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عمر بن ذر به وعندهما زيادة في آخر الحديث فكان ذلك الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم لجبرائيل ما يمنعه أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال فنزلت وما تنتزل إلا بأمر ربك إلى آخر الآية. انفرد بإخراجه البخاري فرواه عند تفسير هذه قال الإمام أحمد: حدثنا يعلى ووكيع قالا حدثنا عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه

قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة وابن جريج وغيرهم وقال عكرمة عن ابن عباس ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه. 65 فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هل تعلم للرب مثلا أو شبيها وكذلك وقوله رب السموات والأرض وما بينهما أي خالق ذلك ومدبره والحاكم

قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وقال هاهنا ويقول الإنسان أنذا ما مت لسوف أخرج حيا. 66 تعجب فعجب قولهم أنذا كنا ترابا أنذا لفي خلق جديد وقال أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه يخبر تعالى عن الإنسان أنه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته كما قال تعالى وإن

كما بدائي وليس أول الخلق بأهون علي من آخره وأما أذاه إياي فقله إن لي ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. 67 أهون عليه وفي الصحيح يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني أما تكذيبه إياي فقله لن يعيدني يستدل تعالى بالبداة على الإعادة يعني أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئا أفلا يعيده وقد صار شيئا كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو

قال العوفي عن ابن عباس يعني قعودا كقوله وتري كل أمة جاثية وقال السدي في قوله جثيا يعني قياما وروي عن ابن مسعود مثله. 68 أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعا وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله ثم لنحضرهم حول جهنم جثيا وقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين

تفسير ابن كثير

وهذا كقوله تعالى حتى إذا ادركوا فيها جميعا قالت أوراهاهم لأولاهاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتاهم عذابا ضعفا من النار إلى قوله بما كنتم تكسبون. 69
ثم لنزاع من كل شعبة أيهم أشد على الرحمن عتيا قال ثم لنزاع من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر وكذا قال ابن جريج وغير واحد من السلف على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أتاهم جميعا ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرما وهو قوله ثم لنزاع من كل شعبة أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال قتادة كل شعبة يعني من كل أمة قاله مجاهد أيهما أشد على الرحمن عتيا قال الثوري عن علي بن الأقرع عن ابن الأخص عن ابن مسعود قال: يحبس الأول وقوله ثم لنزاع من

يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد. 7
باسحاق لكبرهما لا لعقرهما ولهذا قال أبشروني على أن مسني الكبر فبم تبشرون مع أنه كان قد ولد له قبله إسماعيل بثلاث عشرة سنة وقالت امرأته دليل على أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له وكذلك امرأته كانت عاقرا من أول عمرها بخلاف إبراهيم وسارة عليهما السلام فإنهما إنما تعجبا من البشارة أي شبيها أخذه من معنى قوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا أي شبيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لم تلد العواقر قبله مثله وهذا له من قبل سميا. قال قتادة وابن جريج وابن زيد: أي لم يسم أحد قبله بهذا الاسم واختاره ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد لم نجعل له من قبل سميا الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يشرك بيجبي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحسورا ونبيا من الصالحين وقوله لم نجعل إلى ما سأل في دعائه فقيل له يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى كما قال تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع هذا الكلام يتضمن محذوفا وهو أنه أجيب

بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها وبمن يستحق تضعيف العذاب كما قال في الآية المتقدمة قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون. 70
وقوله ثم لنح أعلم بالذين هم أولى بها صليا ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر والمراد أنه تعالى أعلم

يا الله سلم وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود في قوله كان على ربك حتما مقضيا قال قسما واجبا: وقال مجاهد حتما قال قضاء. 71
وورود المشركين أن يدخلوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ سباطان من الملائكة دعاؤهم منكم إلا واردها قال هو الممر عليها: وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وإن منكم إلا واردها قال ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها صلى الله عليه وسلم إن الصلاة علي والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمئة ضعف وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قوله وإن ضعف وفي رواية بسبعمئة ألف ضعف وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب وعن يحيى بن أيوب كلاهما عن زبآن عن سهل عن أبيه عن رسول الله الله متطوعا لا بأجر سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم قال الله تعالى: وإن منكم إلا واردها وإن الذكر في سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبعمئة ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل في الجنة فقال عمر إذا نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكثر وأطيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ فائد عن سهل بن معاذ ابن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ قل هو الله أحد حتى يخطمها عشر مرات بنى الله له قصرا عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبآن بن تعالى قول هي ناري أسلطها على عبدی المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو اليمان عن حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال إن الله الآية وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكر الكلاعي حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن تميم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم قال الزهري كأنه يريد هذه الله عليه وسلم قال: من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم يعني الورود وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم. وقال عبدالرزاق قال معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى ثم نجى الذين اتقوا الآية وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في بيت حفصة فقال: لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت حفصة أليس الله يقول وإن منكم إلا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جثيا وقال أحمد أيضا حدثنا ابن إدريس حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية قالت فقلت أليس الله يقول وإن منكم إلا واردها قالت: فسمعتة يقول ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن لا يدخل النار قال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود ذو شعبتين يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمئة ألف وقال الإمام أحمد برهم وفاجرهم ثم يناديها مناد أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي قال فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم ابن علية عن الجريري عن أبي السليك عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب: تمسك النار الناس كأنها متن إهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم. وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم ولهذا

تفسير ابن كثير

جرير حدثنا خالد بن أسلم حدثنا النضر حدثنا إسرائيل أخبرنا أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله وإن منكم إلا واردها قال الصراط على جهنم والصراط دحض ملة عليه حرك كحسك القتاد حافظه ملائكة معهم كلاليب من النار يختطفون بها الناس وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم وقال ابن من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كأجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا هكذا وقع هذا الحديث ههنا مرفوعا وقد رواه أسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: يرد الناس جميعا وسلم يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي به ورواه من طريق شعبة عن بصادر. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود وإن منكم إلا واردها قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تسمع إلى قول الله لفرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار الآية ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا فسمى الورد على النار دخولا وليس منهم إلا واردها قال وهم الظلمة كذلك كنا نقرؤها رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس قوله وإن منكم إلا واردها يعني البر والفاجر عبد الله بن السائب عمن سمع ابن عباس يقرؤها وإن منهم إلا واردها يعني الكفار وهكذا روى عمرو بن الوليد البستي أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها فانظر هل تصدر عنها أم لا وقال أبو داود الطيالسي قال شعبة أخبرني عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس أرايت قول الله وإن إلا واردها والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما وأدخلني الجنة غانما وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أسباط يسمعون حسيبها فقال ابن عباس ويلك أمجنون أنت أين قوله: يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا وإن منكم فانظر هل نخرج منها أو لا وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع. وروى ابن جريج عن عطاء قال قال أبو راشد الحاروري وهو نافع بن الأزرق لا إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وردوا أم لا وقال يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار أوردتها أم لا أما أنا وأنت فسندخلها عبدالرزاق أيضا أخبرنا ابن عيينة عن عمرو أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق فقال ابن عباس الورد الدخول فقال نافع لا فقرأ ابن عباس قال: قال رجل لأخيه هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال لا قال ففيم الضحك؟ قال فما رأيي ضاحكا حتى لحق بالله وقال يا ليت أمني لم تلدن ثم يبكي فليل له ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادر عنها وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري أم لا وفي رواية وكان مريضا وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي إسحاق كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته قال ما يبكيك؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت قال إني ذكرت قول الله عز وجل وإن منكم إلا واردها فلا أدري أنجو منها قال قد مررتم عليها وهي خادمة وقال عبدالرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة ألم يعدنا ربنا الورد على النار؟ المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا غريب ولم يخرجوه وقال يدخلونها جميعا وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له إنا اختلفنا في الورد فقال يردونها جميعا وقال سليمان بن مرة قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا خالد بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال اختلفنا في الورد فقال بعضنا لا يدخلها الخلود كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا. 72

كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر لا إله إلا الله وإن لم يعمل خيرا قط ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان فيخرجون أولا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم الذي يليه حتى يخرجون من الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقا كثيرا قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهي مواضع السجود وإخراجهم إياهم بحسبهم نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في أصحاب وكذا قال ابن جريج وقوله: ثم ننجي الذين اتقوا أي إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي قوم نوح أنؤمن لك واتبك الأزدلون وقال تعالى وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين. 73

في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبرا عنهم وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وقال ندبا وهو مجتمع الرجال للحديث أي نادبهم أعمر وأكثر واردا وطارقا يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك الذين هم مختفون مستترون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل بأنهم خير مقاما وأحسن ندبا أي أحسن منازل وأرفع دورا وأحسن يخبر تعالى عن الكفار حين تتلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان أنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون

قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وقال الحسن البصري يعني الصور وكذا قال مالك أثنائا ورثيا أكثر أموالا وأحسن صورا والكل متقارب صحيح. 74

خير مقاما وأحسن ندبا وكذا قال مجاهد والضحاك ومنهم من قال في الأثاث هو المال ومنهم من قال الثياب ومنهم من قال المتاع والرئي المنظر كما تسمي المجلس النادي وقال قتادة لما رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيشهم خشونة وفيهم قشافة فعرض أهل الشرك ما تسمعون أي الفريقين

تفسير ابن كثير

المسكن والنعيم والندي المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه وقال تعالى فيما قص على رسوله من أمر قوم لوط وتأتون في ناديكم المنكر والعرب والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم في القرآن كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم فالمقام مقاما وأحسن نديا قال المقام المنزل والندي المجلس والأثاث المتاع والرئي المنظر وقال العوفي عن ابن عباس المقام المسكن والندي المجلس والنعمة قد أهلكناهم بكفرهم هم أحسن أثاثا ورئيا أي كانوا أحسن من هؤلاء أموالا وأمتعة ومناظر وأشكالا قال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس خير ولهذا قال تعالى رادا عليهم شبهتهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن أي وكم من أمة وقرن من المكذبين

ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين فنكلوا أيضا عن ذلك. 75 والغلو في دعواهم أن عيسى ولد الله وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى وأنه مخلوق كآدم قال تعالى بعد ذلك فمن حاجك فيه من بعد تقدم تقدير ذلك في سورة البقرة مبسوطا ولله الحمد وكما ذكر تعالى المباهلة مع النصارى في سورة آل عمران حين صمموا على الكفر واستمروا على الطغيان الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين أي ادعوا بالموت على المبطل منا أو منكم إن كنتم تدعون أنكم على الحق فإنه لا يضركم الدعاء فنكلوا عن ذلك وقد مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدى فيما هم فيه كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون به من خيرية المقام وحسن الندي قال مجاهد في قوله فليمدد له الرحمن مدا فليدعه الله في طفليانه هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله وهذه حتى يلقي ربه وينقضي أجله إما العذاب يصيبه وإما الساعة بغتة تأتيه فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا وأضعف جندا في مقابلة ما احتجوا المشركين بربهم المدعين أنهم على الحق وأنكم على الباطل من كان في الضلالة أي منا ومنكم فليمدد له الرحمن مدا أي فأمله الرحمن فيما هو فيه يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء

عن أبي الدرداء والله أعلم وهكذا وقع في سنن ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن عمر بن راشد عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي الدرداء فذكر نحوه. 76 هذا الحديث قال لأهلن الله ولأكبرن الله ولأسبحن الله حتى إذا رأي الجاهل حسب أي مجنون وهذا ظاهره أنه مرسل ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء إذا ذكر الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأخذ عودا يابساً فحط ورقه ثم قال: إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط جزاء وخير مردا أي عاقبة ومردا على صاحبها وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال جلس رسول هذه إيمانا الآيتين. وقوله: والباقيات الصالحات قد تقدم تفسيرها والكلام عليها وإيراد الأحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف خير عند ربك ثوابا أي إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه أخبر بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أأيكم زادته لما ذكر تعالى

وولدا وقال الشاعر: فليت فلانا كان في بطن أمه وليت فلانا كان ولد حمار وقيل إن الولد بالضم جمع والولد بالفتح مفرد وهي لغة قيس والله أعلم. 77 من ولدا وقرأ آخرون بضمها وهو بمعناه قال ربيعة: الحمد لله العزيز فردا لم يتخذ من ولد شيء ولدا وقال الحارث بن حلزة: ولقد رأيت معاشرا قد ثمروا مالا كفر بآياتنا إلى قوله ويأتينا فردا وهكذا قال مجاهد وقتادة وغيرهم إنها نزلت في العاص بن وائل وقوله لأوتين مالا وولدا قرأ بعضهم بفتح الواو كل الثمرات؟ قالوا بلى قال فإن موعدهم الآخرة فوالله لأوتين مالا وولدا ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به فضرب الله مثله في القرآن فقال أفرأيت الذي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين فأتوه يتقاضونه فقال أستم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا ومن مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله أفرأيت الذي كفر بآياتنا الآيات وقال العوفي عن ابن عباس إن رجلا من أصحاب بن وائل فاجتمعت لي عليه دراهم فجئت لأتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فإذا بعثت كان لي عهدا قال موثقا. وقال عبدالرزاق أخبرنا الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: قال خباب بن الأرت كنت قينا بمكة فكنت أعمل للعاص من غير وجه عن الأعمش به وفي لفظ البخاري كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت أتقاضاه فذكر الحديث وقال أم اتخذ عند الرحمن جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيتك فأنزل الله أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا إلى قوله ويأتينا فردا أخرجه صاحبنا الصحيح وغيرهما أتقاضاه منه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم تبعث قال فإني إذا مت ثم تبعث وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيتته

إلا الله فيرجو بها وقال محمد بن كعب القرظي إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال شهادة أن لا إله إلا الله ثم قرأ إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا. 78 عهدا أم له عند الله عهد سيؤتيه ذلك؟ وقد تقدم عند البخاري أنه الموثق وقال الضحاك عن ابن عباس أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا قال لا إله وقوله أطلع الغيب إنكار على هذا القائل لأوتين مالا وولدا يعني يوم القيامة أي أعلم ما له في الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك أم اتخذ عند الرحمن أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما يتمناه وكفره بالله العظيم ونمد له من العذاب مدا أي في الدار الآخرة على قوله ذلك وكفره بالله في الدنيا. 79 وقوله كلا هي حرف ردع لما قبلها وتأكيدها لما بعدها سنكتب ما يقول

أنني لا أدري أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا؟ ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف وقد بلغت من الكبر عتيا أو عسيا. 8

تفسير ابن كثير

عتيا يعني الكبر والظاهر أنه أخص من الكبر وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن ابن عباس قال لقد علمت السنة كلها غير لقاح ولا جماع والعرب تقول للعود إذا يبس عتيا يعتو عتيا وعتوا وعسا يعسو عسوا وعسيا وقال مجاهد: عتيا يعني قحول العظم وقال ابن عباس وغيره: كيفية ما يولد له والوجه الذي يأتيه منه الولد مع أن امرأته كانت عاقرا لم تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا أي عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه هذا تعجب من ذكرها عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد ففرح فرحا شديدا وسأل عن

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ونرثه ما يقول قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال ويأتينا فردا قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير. 80 عن قتادة ونرثه ما يقول قال ما عنده وهو قوله لأوتين مالا وولدا وفي حرف ابن مسعود ونرثه ما عنده وقال قتادة ويأتينا فردا لا مال له ولا ولد بن أبي طلحة عن ابن عباس ونرثه ما يقول قال نرثه وقال مجاهد ونرثه ما يقول ماله وولده وذلك الذي قال العاص بن وائل. وقال عبدالرازق عن معمر الآخرة مالا وولدا زيادة على الذي له في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ولهذا قال تعالى ويأتينا فردا أي من المال والولد قال علي ونرثه ما يقول أي من مال وولد نسلبه منه عكس ما قال إنه يؤتى في الدار

المشركين بربهم أنهم اتخذوا من دونه آلهة لتكون تلك الآلهة عزا يعتزون بها ويستنصرونها ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا ولا يكون ما طمعوا. 81 يخبر تعالى عن الكفار

ضدا قال الخصماء الأعداء في الخصومة وقال الضحاك ويكونون عليهم ضدا قال أعداء وقال ابن زيد: الضد البلاء وقال عكرمة: الضد الحسرة. 82 العوفي عن ابن عباس ويكونون عليهم ضدا قال قرناء وقال قتادة قرناء في النار يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم ببعض وقال السدي ويكونون عليهم ضدا أي بخلاف ما رجوا منهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ويكونون عليهم ضدا قال أعوانا قال مجاهد عوننا عليهم تخاصمهم وتكذبهم وقال أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقرأ أبو نهيك كل سيكفرون بعبادتهم وقال السدي كلا سيكفرون بعبادتهم أي بعبادة الأوثان وقوله ويكونون عليهم ما ظنوا فيهم كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم قال كلا سيكفرون بعبادتهم أي يوم القيامة ويكونون عليهم ضدا أي بخلاف

استعجالا وقال السدي تطغيهم طغيانا وقال عبدالرحمن بن زيد هذا كقوله تعالى ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين. 83 عنه تحرضهم على محمد وأصحابه وقال مجاهد تشليهم إشلاء وقال قتادة تزعجهم إزعاجا إلى معاصي الله وقال سفيان الثوري تغريهم إغراء وتستعجلهم وقوله: ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس تغويهم إغواء وقال العوفي السدي إنما نعد لهم عدا: السنين والشهور والأيام والساعات وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إنما نعد لهم عدا قال نعد أنفاسهم في الدنيا. 84 الآية فمهل الكافرين أمهلهم رويدا إنما نملي لهم ليزدادوا إثما نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار وقال بهم إنما نعد لهم عدا أي إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقوله فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا أي لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب

معها سواد في نور هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعا وقد روينا في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة والله أعلم. 85 فتذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم تلك الجنة التي أورتموها بما كنتم تعملون ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت لأهل الأرض لأضاءت الشمس تلا ودانية عليهم ظللالها وذلك قطوفها تذليلا فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض وربما قال أخضر فترفع أجنتها فأكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم تطير لهم يعترضها الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيستجلي الثمار فإن شاء أكل قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء متكئا ثم الأنهار من تحتهم تترد أنهار من ماء غير آسن قال صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يخرج من ضروع الماشية وأنهار من خمر لذة للشاربين كل سرير سبعون حسبة على كل حسبة سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الحلل يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه بيتا من أسه إلى سقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أحمر وأصفر وأخضر ليس منها طريقة تشاكل صاحبها وفي البيت سبعون سريرا على حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل قال مسلمة أراه قال ساجدا فيقول ارفع رأسك فإنما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين يا علي فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فإذا رآه خر له دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداها فتغسل ما في بطونهم من إلا الركب يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة وعليها أبا معاذ البصري قال إن عليا كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ هذه الآية يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا فقال ما أظن الوفد وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا مرفوعا عن علي فقال حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي سمعت يضربوا أبواب الجنة وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عبدالرحمن بن إسحاق المدني به وزاد عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد والباقي مثله

تفسير ابن كثير

الرحمن وفدا قال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى سعيد أخبرنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق حدثنا النعمان بن سعيد قال كنا جلوسا عند علي رضي الله عنه فقرأ هذه الآية يوم نحشر المتقين إلى وقال الثوري على الإبل النوق وقال قتادة يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا قال إلى الجنة وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثنا سويد بن المثني حدثنا ابن مهدي عن سعيد عن إسماعيل عن رجل عن أبي هريرة يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا قال على الإبل وقال ابن جريج على النجائب يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا قال ركبانا وقال ابن جرير حدثني ابن الله قد طيب ربحك وحسن وجهك. فيقول أنا عملك الصالح وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل طيبه فطالما ركبكت في الدنيا فلهم اركبني فيركبه فذلك قوله المتقين إلى الرحمن وفدا قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رآها وأطيبها ريحا فيقول من أنت فيقول أما تعرفني؟ فيقول لا إلا أن أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن خالد عن عمرو بن قيس الملائي عن ابن مرزوق يوم نحشر المكذوبون للرسول المخالفون لهم فإنهم يساقون عنفا إلى النار وردا عطاشا قاله عطاء وابن عباس ومجاهد والحسن وقاتدة وغير واحد وههنا يقال القادمون ركبانا ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه وأما المجرمون في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم وأطاعوهم فيما أمروهم به وانتهوا عما عنه زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفدا إليه والوفد هم يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه

وقوله ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا أي عطاشا. 86

عن القاسم بن عبد الرحمن أخبرنا ابن مسعود وكان يلحق بهن خائفا مستجيرا مستغفرا راهبا راغبا إليك ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي بنحوه. 87 يقربني من الشر ويباعدني من الخير وإنني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا تؤديه إلي يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد قال المسعودي فحدثني زكريا فليقم قالوا يا أبا عبد الرحمن فعلمنا قال قولوا: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أن لا تكلني إلى عمل قال قرأ عبد الله يعني ابن مسعود هذه الآية إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فإن الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد وقال ابن أبي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الأسود بن يزيد علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال العهد شهادة أن لا إله إلا الله ويبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عز وجل حميم وقوله إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها قال لا يملكون الشفاعة أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبرا عنهم فمالنا من شافعين ولا صديق وذكر خلقه من مريم بلا أب شرع في مقام الإنكار على من زعم أن له ولدا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا فقال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. 88 لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام

في قولكم هذا شيئا إذا قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة ومالك أي عظيما ويقال إذا بكسر الهمزة وفتحها ومع مدها أيضا ثلاث لغات أشهرها الأولى. 89 لقد جئتم أي

له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما قال تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. 9 مجيبا لذكرها عما استعجب منه كذلك قال ربك هو علي هين أي إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها هين أي يسير سهل على الله ثم ذكر ورواه الإمام أحمد عن شريح بن النعمان وأبو داود عن زياد بن أيوب كلاهما عن هشيم به قال أي الملك

قال عون لهي للخير أسمع أفيسمعن الزور والباطل إذا قيل ولا يسمعن غيره ثم قرأ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. 90 حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مسعر عن عون بن عبد الله قال: إن الجبل لينادي الجبل باسمه يا فلان هل مر بك اليوم ذكر الله عز وجل؟ فيقول نعم ويستبشر الجبال هدا قال ابن عباس هدا وقال سعيد بن جبير هدا ينكسر بعضها على بعض متتابعات وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد المقبري أعلم وقال الضحاك تكاد السموات يتفطرن منه أي يتشققن فرقا من عظمة الله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وتنشق الأرض أي غضبا له عز وجل وتخر وما تحتهن فوضعن في كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن هكذا رواه ابن جرير ويشهد له حديث البطاقة والله الجنة فقالوا يا رسول الله فمن قالها في صحته؟ قال تلك أوجب وأوجب ثم قال: والذي نفسي بيده لو جيء بالسموات والأرضين وما فيهن وما بينهن المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له للرحمن ولدا قال إن الشرك فزع من السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله وكما لا ينفع مع الشرك إحسان ابن جرير: حدثني علي حدثنا عبد الله حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا توحيد أنه لا إله إلا هو وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفاء له بل هو الأحد الصمد. وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد. قال منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم إعظاما للرب وإجلالا لأنهن مخلوقات ومؤسسات على وقوله تكاد السموات يتفطرن

تفسير ابن كثير

أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيههم ويدفع عنهم ويرزقهم أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ أنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيههم . 91
عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله
بها اقشعرت الأرض وشاك الشجر. وقال كعب الأحبار غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش
منها منفعة أو قال كان لهم فيها منفعة ولم تزل الأرض والشجر بذلك حتى تكلم فجرة بني آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الرحمن ولدا فلما تكلموا
حدثني رجل من أصل الشام في مسجد منى قال بلغني أن الله لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا
أن دعوا للرحمن ولدا وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا هوزة حدثنا عوف عن غالب بن عجر

وقوله وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا أي لا يصلح له ولا يليق به لجلاله وعظمته لأنه لا كفاء له من خلقه لأن جميع الخلق عبيد له. 92

لا يوجد تفسير لهذه الآية 93

لقد أحصاهم وعدهم عدا أي قد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة ذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم. 94

يوم القيامة فردا أي لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ولا يظلم أحدا. 95
وكلمهم آتية

هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف وهو خطأ فإن هذه السورة بكماها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك والله أعلم. 96
يعمله فكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم الله فلانا الآن وتلا الحسن إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقد روى ابن جرير أثرا أن
قالوا انظروا إلى هذا المرائي فأقبل على نفسه فقال لا أراني أذكر إلا بشر لأجعلن عملي كله لله عز وجل فلم يزد على أن قلب نيته ولم يزد على العمل الذي كان
أذكر بها فكان لا يرى في حين صلاة إلا قائما يصلي وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم فمكث بذلك سبعة أشهر وكان لا يمر على قوم إلا
حاتم رحمه الله حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الربيع بن صبيح عن الحسن البصري رحمه الله قال: قال رجل والله لأعبدن الله عبادة
يرزقه مودتهم ورحمتهم وقال قتادة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول ما من عبد يعمل خيرا أو شرا إلا كساه الله عز وجل رداء عمله وقال ابن أبي
لهم الرحمن ودا أي والله في قلوب أهل الإيمان وذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى
وقال العوفي عن ابن عباس أيضا: الود من المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق وقال قتادة إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد بن جبير عنه يحبهم ويحبهم يعني إلى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضا والضحاك وغيرهم
الدراوردي به وقال الترمذي حسن صحيح وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال حبا وقال مجاهد عنه سيجعل
أهل الأرض فذلك قول الله عز وجل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبد الله عن قتيبة عن
هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلانا فأحبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في
يخرجه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو داود الحفري حدثنا عبدالعزيز يعني ابن محمد وهو الدراوردي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي
عبدا قال لجبريل إني أبغض فلانا فأبغضه قال فينادي جبريل إن ربكم يبغض فلانا فأبغضوه أرى شريكا قال فيجري له البغض في الأرض غريب ولم
لجبريل عليه السلام إني أحب فلانا فينادي جبريل إن ربكم يمحى يعني يحب فلانا فأحبه أرى شريكا قد قال فتنزل له المحبة في الأرض وإذا أبغض
أبي ظبية عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المقرة من الله قال شريك هي المحبة والصبت من السماء فإذا أحب الله عبدا قال
السبع ثم يهبط إلى الأرض غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن محمد بن سعد الواسطي عن
إن فلانا عبدي يلتمس أن يرضيني ألا وإن رحمتي عليه فيقول جبريل: رحمة الله على فلان ويقولها حملة العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات
المخزومي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد ليلتمس مرضات الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المرائي حدثنا محمد بن عباد
ثم يوضع له البغضاء في الأرض ورواه مسلم من حديث سهيل ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج عن موسى بن عتبة عن نافع مولى ابن عمر عن
عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضه أهل السماء
فأحبه قال فيحبه جبريل قال ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبهوه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإن الله إذا أبغض
حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل إني أحب فلانا
ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وجه قال الإمام أحمد: حدثنا عفان
لعباد المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضي الله عز وجل لتابعها الشريعة المحمدية يغفر لهم في قلوب عباده الصالحين محبة
يخبر تعالى أنه يغفر

العوفي عن ابن عباس قوما لدا فجارا وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد: وقال ابن زيد الألد الظلوم وقرأ قوله تعالى وهو ألد الخصام. 97

الضحاك الألد الخصم وقال القرظي الألد الكذاب وقال الحسن البصري قوما لدا صما وقال غيره صم آذان القلوب وقال قتادة قوما لدا يعني قريشا وقال

تفسير ابن كثير

الباطل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوما لا يستقيمون وقال الثوري عن إسماعيل وهو السدي عن أبي صالح وتندر به قوما لدا عوجا عن الحق وقال وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل لتبشر به المتقين أي المستجيبين لله المصدقين لرسوله وتندر به قوما لدا أي عوجا عن الحق مائلين إلى وقوله فإنما يسرناه يعني القرآن بلسانك أي يا محمد

ركز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيس سقامها آخر تفسير سورة مريم ولله الحمد والمنة ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة طه ولله الحمد. 98
بن جبير والضحاك وابن زيد يعني صوتا وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا أو تسمع صوتا والركز في أصل اللغة هو الصوت الخفي قال الشاعر: فتوحشت
رسله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أي هل ترى منهم أحدا أو تسمع لهم ركزا قال ابن عباس وأبو العالية وعكرمة والحسن البصري وسعيد
وقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن أي من أمة كفروا بآيات الله وكذبوا

سورة 20

الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ثم قال ولا يخفى ما في هذا من الإكرام وحسن المعاملة. 1
من طريق عبد بن حميد في تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن ابن جعفر عن الربيع بن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع
يا رجل وفي رواية عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثوري أنها كلمة بالنبطية معناها يا رجل وقال أبو صالح هي معربة وأسند القاضي عياض في كتابه الشفاء
عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء محمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفي والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن أبيزى أنهم قالوا: طه بمعنى
محمد بن شيبه الواسطي حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري أنبأنا إسرائيل عن سالم الأقطس عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: طه يا رجل وهكذا روى
وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيها. قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن
آدم بألف عام فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم بهذا هذا حديث غريب وفيه نكارة
بن ذكوان عن مولى الحرقة يعني عبد الرحمن بن يعقوب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق
الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد بن أيوب عن إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسمار عن عمر بن حفص
سورة طه: روى إمام

على النار هدى قال من يهديني إلى الطريق وكانوا شاتين وضلوا الطريق فلما رأى النار قال إن لم أجد أحدا يهديني إلى الطريق أتيتكم بنار توقدون بها. 10
أو أجد على النار هدى أي من يهديني الطريق دل على أنه قد تاه عن الطريق كما قال الثوري عن أبي سعد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله أو أجد
أي شهاب من نار وفي الآية الأخرى أو جذوة من النار وهي الجمر الذي معه لهب لعلكم تصطلون دل على وجود البرد وقوله بقبس دل على وجود الظلام وقوله
فبينما هو كذلك إذ أنس من جانب الطور نارا أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه فقال لأهله يبشروهم إني آنست نارا لعلني أتيتكم منها بقبس
شعاب وجبال في برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليوري نارا كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئا ولا يخرج منه شرر ولا شيء
في رعاية الغنم وسار بأهله قيل قاصدا بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ومعه زوجته فأضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلا بين
من ههنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره
لأنذرهم به ومن بلغ فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدي ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشقي في الدنيا والنار موعده يوم القيامة. 100
القيامة وزرا أي إنما كما قال تعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم أهل الكتاب وغيرهم كما قال
عنه أي كذب به وأعرض عن اتباعه أمرا وطلبا وابتغى الهدى من غيره فإن الله يضلّه ويهديه إلى سواء الجحيم ولهذا قال من أعرض عنه فإنه يحمل يوم
قال تعالى من أعرض

قال من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه أي لا محيد لهم عنه ولا انفكاك وساء لهم يوم القيامة حملا أي بئس الحمل حملهم. 101
قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال. 102
ينفخ فيه إسرافيل وجاء في الحديث كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له فقالوا يا رسول الله كيف نقول؟ قال
الله عليه وسلم سئل عن الصور فقال قرن ينفخ فيه وقد جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة أنه قرن عظيم الدائرة منه بقدر السموات والأرض
ثبت في الحديث أن رسول الله صلى

قال ابن عباس يتساورون بينهم أي يقول بعضهم لبعض إن لبثتم إلا عسرا أي في الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها. 103
يتخافتون بينهم

أي إنما كان لبثكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف قدمتم الحاضر الفاني على الدائم الباقي. 104
وجاءكم النذير الآية وقال تعالى كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوم أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون

تفسير ابن كثير

قال تعالى يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة إلى قوله ولكنكم كنتم لا تعلمون وقال تعالى أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة ولهذا إذ يقول أمثلهم طريقة أي العاقل الكامل فيهم إن لبثتم إلا يوما أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت قال الله تعالى نحن أعلم بما يقولون أي في حال تناجيهم بينهم

يقول تعالى ويسألونك عن الجبال أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول؟ فقل ينسفها ربي نسفا أي يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرا. 105
أي بساطا واحدا والقاع هو المستوي من الأرض والصفصف تأكيد لمعنى ذلك وقيل الذي لا نبات فيه والأول أولى وإن كان الآخر مرادا أيضا باللازم. 106
فيذرهما أي الأرض قاعا صفصفا

يومئذ واديا ولا رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف. 107
قال لا ترى فيها عوجا ولا أمنا لا ترى في الأرض

مسيهم في سكون وخضوع وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال فقد قال تعالى يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد. 108
سعيد بن جبير فلا تسمع إلا همسا الحديث وسره ووطء الأقدام فقد جمع سعيد كلا القولين وهو محتمل أما وطء الأقدام فالمراد سعي الناس إلى المحشر وهو والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فلا تسمع إلا همسا الصوت الخفي وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال للرحمن قال ابن عباس سكنت وكذا قال السدي فلا تسمع إلا همسا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني وطء الأقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك يؤمنه فذلك قوله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وقال قتادة لا عوج له لا يميلون عنه وقال أبو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله وخشعت الأصوات وقال محمد بن كعب القرظي يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ويطوي السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادي مناد فيتبع الناس الصوت حيثما أمروا بادروا إليه ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا وقال مهطعين إلى الداع يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له أي يوم يرون هذه الأحوال والأحوال يستجيبون مسارعين إلى الداعي

من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرة من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان الحديث. 109
وعلى سائر الأنبياء. وفي الحديث أيضا يقول تعالى أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فيخرجوا خلقا كثيرا ثم يقول أخرجوا من النار أن يدعني ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع قال فيحذ لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على الله عز وجل أنه قال أتيت تحت العرش وأخر لله ساجدا ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن فيدعني ما شاء الله أنن له وقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وقال ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أي يوم القيامة لا تنفع الشفاعة أي عنده إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا كقوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وقوله وكم من ملك في السموات لا تغني يقول تعالى يومئذ

الآية الأخرى نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله وقال ههنا إنى أنا ربك أي يكلمك ويخاطبك. 11
يقول تعالى فلما أتاهما أي النار واقترب منها نودي يا موسى وفي

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي يحيط علما بالخالق كلهم ولا يحيطون به علما كقوله ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. 110

إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة والخبية كل الخيبة من لقي الله وهو به مشرك فإن الله تعالى يقول إن الشرك ظلُمٌ عظيم . 111
كل إلى صاحبه حتى يقتصر للشاة الجماء من الشاة القراء وفي الحديث يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم وفي الصحيح على كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به وقوله وقد خاب من حمل ظلما أي يوم القيامة فإن الله سيؤدي وقوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت لجلالها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحد فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص. 112
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما لما ذكر الظالمين ووعيدهم ثنى بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون أي لا يزداد في سيئاتهم وقوله ومن يعمل من

به إن علينا جمعه وقرآنه أي أن نجمعه في صدرك ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئا فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه . 113
جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لئلا يشق عليه فقال لا تحرك به لسانك لتعجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك به لسانه فأنزل الله هذه الآية يعني أنه كان إذا جاءه جبريل بالوحي كلما قال سورة لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه وثبت في الصحيح عن ابن عباس أحدا قبل الإنذار وبعثة الرسل والإعذار إلى خلقه لئلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة وقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه كقوله تعالى في

تفسير ابن كثير

الملك الحق أي تنزهه وتقدس الملك الذي هو حق ووعدته حق ووعدته حق وورسله حق والجنة حق والنار حق وكل شيء منه حق وعدله تعالى أن لا يعذب فيه ولا عي وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أي يتركون المآثم والمحارم والفواحش أو يحدث لهم ذكرا وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات فتعالى الله يقول تعالى ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقع لا محالة أنزلنا القرآن بشيرا ونذيرا بلسان عربي مبين فصيح لا لبس

غريب من هذا الوجه ورواه البزار عن عمرو بن علي الفلاس عن أبي عاصم عن موسى بن عبيدة به وزاد في آخره وأعوذ بالله من حال أهل النار. 114 يقول: اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال وأخرجه الترمذي عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير به وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا جاء في الحديث إن الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن ماجه حدثنا عليك فإقرأه بعده وقل رب زدني علما أي زدني منك علما قال ابن عيينة رحمه الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة حتى توفاه الله عز وجل وقال في هذه الآية ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه أي بل أنصت فإذا فرغ الملك من قراءته

الأعمش عن سعيد بن جببر عن ابن عباس قال: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي وكذا رواه علي بن أبي طلحة عنه وقال مجاهد والحسن ترك. 115 قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أسباط بن محمد حدثنا

الملائكة بالسجود له تشريفا وتكريما ويبين عداوة إبليس لبني آدم ولأبيهم قديما ولهذا قال تعالى فسجدوا إلا إبليس أبى أي امتنع واستكبر. 116 خلق تفضيلا وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الأعراف في الحجر والكهف وسيأتي في آخر سورة ص يذكر تعالى فيها خلق آدم وأمره وقوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير ممن

من الجنة فتشقى أي إياك أن تسعى في إخراجك منها فتتعبد وتعنى وتشقى في طلب رزقك فإنك ههنا في عيش رغيد هنيء بلا كلفة ولا مشقة. 117 فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك يعني حواء عليهما السلام فلا يخرجكما

إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى إنما قرن بين الجوع والعري لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر. 118

وأنت لا تظمؤا فيها ولا تضحى وهذان أيضا متقابلان فالظمأ حر الباطن وهو العطش والضحى حر الظاهر. 119

عطف بيان وقيل عبارة عن الأمر بالوطء بقدميه وقيل لأنه قدس مرتين وطوى له البركة وكررت والأول أصبح كقوله إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى. 120 بقدميه حافيا غير منتعل وقيل غير ذلك والله أعلم وقوله طوى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو اسم للوادي وكذا قال غير واحد فعلى هذا يكون غير ذكي وقيل إنما أمره بخلع نعليه تعظيما للبيعة وقال سعيد بن جببر كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة وقيل ليطأ الأرض المقدسة قال علي بن أبي طالب وأبو ذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كانتا من جلد حمار

يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد ورواه الإمام أحمد. 120 الخلد يعني التي من أكل منها خلد ودام مكثه وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد فقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي الضحى سمعت أبا هريرة وقد تقدم أن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجه أن يأكلا من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها وكانت شجرة وقوله فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قد تقدم أنه دلاهما بغرور وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين

ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعد بن جببر عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ينزعان ورق التين فيجعلانه على سواتنهما. 121 وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال مجاهد يرقعان كهية الثوب وكذا قال قتادة والسدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن عون حدثنا سفيان عن إلى الجنة؟ قال نعم فذلك قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر أيضا وقوله يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناده الرحمن يا آدم مني تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يا رب لا ولكن استحياء أرايت إن تبت ورجعت أعاندي وسلم إن الله خلق آدم رجلا طولا كثيرا شعر الرأس كأنه نخلة سحق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل حدثنا علي بن الحسين بن أشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلا منها فبدت لهما سواتنهما قال ابن أبي حاتم

الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. 122 آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى؟ قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فيكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عام قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك؟ قال آدم أنت موسى الحارث بن أبي ذئاب عن يزيد بن هرمز قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني أو قدره الله علي قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

تفسير ابن كثير

النبي صلى الله عليه وسلم قال: حاج موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن وقوله وعصى

يأتينكم مني هدى قال أبو العالية: الأنبياء والرسول والبيان فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. 123 لآدم وحواء وإبليس اهبطوا منها جميعا أي من الجنة كلكم وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة بعضكم لبعض عدو قال آدم وذريته وإبليس وذريته وقوله: فإما يقول تعالى

أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضا كما قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكم وصما مأواهم جهنم الآية. 124 إسناده جيد وقوله ونحشرهم يوم القيامة أعمى قال مجاهد وأبو صالح والسدي لا حجة له وقال عكرمة عمي عليه كل شيء إلا جهنم ويحتمل أن يكون المراد حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن له معيشة ضنكا قال عذاب القبر فإن له معيشة ضنكا قال المعيشة الضنك الذي قال الله إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة . وقال أيضا حدثنا أبو زرعة الأزدي حدثنا بن عمرو حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن حجرية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون . رفعه منكر جدا وقال البزار حدثنا محمد بن يحيى أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما التنين؟ قال المؤمن في قبره في روضة خضراء ويفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية فإن له معيشة ضنكا سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح عن ابن حجرية واسمه عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل فإن له معيشة ضنكا قال ضمة القبر له والموقوف أصح. وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا الربيع بن يكنى أبا سلمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبد الله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال: قال رسول عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قوله معيشة ضنكا قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه قال أبو حاتم الرازي: النعمان بن أبي عياض الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك وقال الضحاك هو العمل السيئ والرزق الخبيث وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار وقال سفيان بن عيينة متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلقا لهم معاشيتهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فإذا كان العبد يكذب بالله ويسيء أعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وقال أيضا إن قوما ضللا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا يتردد فهذا من ضنك المعيشة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فإن له معيشة ضنكا قال الشفاء وقال العوفي عن ابن عباس فإن له معيشة ضنكا قال كلما لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه فإن له معيشة ضنكا أي ضنك في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ل صدره بل صدره ضيق حرج ومن أعرض عن ذكرى أي خالف أمري وما

ولهذا يقول رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا أي في الدنيا. 125

أجزم ثم رواه الإمام أحمد من حديث يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء. 126 بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن رجل عن سعيد بن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه وهو وإن كان متوعدا عليه من جهة أخرى قاله قد وردت السنة بالنهي الأكيد والوعيد الشديد في ذلك قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا خالد عن يزيد نساها كما نسوا لقاء يومهم هذا فإن الجزاء من جنس العمل. فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك اليوم نعاملك معاملة من ينساك فاليوم قال كذلك أترك آياتنا فنسيته وكذلك اليوم تنسى

من عذاب الدنيا وأدوم عليهم فهم مخلصون فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . 127 بآيات الله في الدنيا والآخرة لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق ولهذا قال ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي أشد ألما يقول تعالى وهكذا نجازي المفسرين المكذبين

الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال في سورة الم السجدة أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم الآية. 128 لأولي النهى أي العقول الصحيحة والألباب المستقيمة كما قال تعالى أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأمم المكذبين بالرسول قبلهم فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم فيها يمشون فيها إن في ذلك لآيات يقول تعالى أفلم يهد لهؤلاء المكذبين بما جنتهم به يا محمد كم أهلكنا من

من الله وهو أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه والأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة. 129

تفسير ابن كثير

قال تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى أي لولا الكلمة السابقة

لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ قال لا قال لأنني لم يتواضع إلي أحد تواضعك وقوله فاستمع لما يوحى أي استمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك. 13 اخترتك كقوله إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه وقد قيل إن الله تعالى قال يا موسى أتدري وقوله وأنا

وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم خيرا من النظر إليه وهي الزيادة . 130 أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وفي الحديث الآخر يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو؟ ألم يبيض رضيتكم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول إنى أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول الليل لعلك ترضى كما قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الصحيح يقول الله تعالى يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل الله تعالى في اليوم مرتين وقوله ومن آناء الليل فسبح أي من ساعاته فتعبد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء وأطراف النهار في مقابلة آناء الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه وإن أعلاه منزلة لمن ينظر إلى لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير به وفي المسند والسنن عن ابن عمر قال قال رسول ثم قرأ هذه الآية وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن ربيعة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا يعني صلاة العصر كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ولهذا قال لنبيه مسليا له فاصبر على ما يقولون أي من تكذيبهم لك وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها

زهرة الدنيا يا رسول الله قال بركات الأرض وقال قتادة والسدي: زهرة الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وقال قتادة لنفتنهم فيه لنبتليهم. 131 بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا وما القدرة عليها إذا حصلت له ينفعها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئا لقد قال ابن أبي حاتم أنبأنا يونس أخبرني ابن وهب أخبرني مالك عن زيد الله من خلقه فقال أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا فكان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا مع فابتدرت عينا عمر بالبكاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر؟ فقال يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين ألى منهم فرأه متوسدا مضطجعا على رمال حصير وليس في البيت إلا صبرة من قرظ واهية معلقة تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ولهذا قال ورزق ربك خير وأبقى وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية الأخرى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك وكذا ما ادخره الله تعالى لرسوله في الآخرة أمر عظيم لا يحد ولا يوصف كما قال النعيم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور وقال مجاهد أزواجهم يعني الأغنياء فقد آتاك خيرا مما آتاهم كما قال في يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من

قال رأيت الليلة كأنما في دار عقبة بن رافع وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب . 132 الدنيا وهي راغمة وقوله والعاقبة للثقوى أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته هلك وروى أيضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هم واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته أملاً صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك وروى ابن ماجه من حديث الضحاك عن الأسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوالبي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهلاه صلوا صلوا قال ثبت وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه ثم يقول الصلاة الصلاة رحمكم الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطراني حدثنا سيار حدثنا جعفر عن ثابت قال كان النبي صلى غياث عن هشام عن أبيه أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ ولا تمدن عينيك إلى قوله نحن نرزقك القوة المتين ولهذا قال لا نسألك رزقا نحن نرزقك وقال الثوري لا نسألك رزقا أي لا تكلفك الطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون إلى قوله إن الله هو الرزاق ذو استيقظ أقام يعني أهله وقال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وقوله لا نسألك رزقا نحن نرزقك يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب كما بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يبني عنده أنا ويرفأ وكان له ساعة من الليل يصلي فيها فربما لم يقيم فنقول لا يقوم الليلة كما كان يقوم وكان إذا كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد وقوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها أي استنذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها

تفسير ابن كثير

- وإنما ذكر ههنا أعظم الآيات التي أعطيها السلام وهو القرآن وإلا فله من المعجزات ما لا يحصى ولا يحصر كما هو مودع في كتبه ومقرر في مواضعه. 133
- وسلم إنه قال ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة
- الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه
- عليها يصدق الصحيح ويبين خطأ المكذوب فيها وعليها وهذه الآية كقوله تعالى في سورة العنكبوت وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند
- الكتابة ولم يدرس أهل الكتاب وقد جاء فيه أخبار الأولين بما كان منهم في سالف الدهور بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها فإن القرآن مهيمن
- صدقه في أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال الله تعالى أو لم تأتكم بينة ما في الصحف الأولى يعني القرآن الذي أنزله عليه الله وهو أُمِّي لا يحسن
- يقول تعالى مخبرا عن الكفار في قولهم لولا أي هلا يأتينا محمد بآية من ربه أي بعلامة دالة على
- وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم الآية وقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها الآيتين. 134
- ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم كما قال تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون إلى قوله بما كانوا يصدفون وقال
- إلينا رسولا قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه كما قال فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لا يؤمنون
- لولا أرسلت إلينا رسولا أي لو أننا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم ونزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا ربنا لولا أرسلت
- قال تعالى ولو أننا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا
- أضل سبيلا وقال سيعلمون غدا من الكذاب الأشر. آخر تفسير سورة طه والله الحمد والمنة ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة الأنبياء والله الحمد. 135
- من أصحاب الصراط السوي أي الطريق المستقيم ومن اهتدى إلى الحق وسبيل الرشده وهذا كقوله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من
- قال تعالى قل أي يا محمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده كل متربص أي منا ومنكم فتربصوا أي فانتظروا فستعلمون
- وفي الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصلحها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك . 14
- قتادة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى قال وأقم الصلاة لذكري
- قيل معناه صل لتذكركني وقيل معناه وأقم الصلاة عند ذكرك لي ويشهد لهذا الثاني ما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا المثنى بن سعيد عن
- هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وقوله فاعبدني أي وحدني وقم بعبادتي من غير شرك وأقم الصلاة لذكري
- بما تسعى أي أقيمها لا محالة لأجزي كل عامل بعمله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وإنما تجزون ما كنتم تعملون. 15
- نال السدي الغمير نبت رطب ينبت في خلال بيس والأريكين موضع والدميك الشهر التام وهذا الشعر لكعب ابن زهير. وقوله سبحانه وتعالى لتجزى كل نفس
- سعيد بن جبير أكاد أخفيها يعني بنصب الألف وخفض الفاء يقول أظهرها ثم قال أما سمعت قول الشاعر: داب شهرين ثم شهرا دميكا بأريكين يخفيان غميرا
- ثقل علمها على أهل السموات والأرض وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب حدثنا أبو نميلة حدثني محمد بن سهل الأسدي عن ورقاء قال أقرأنيها
- ومن الأنبياء والمرسلين قلت وهذا كقوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وقال ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة أي
- حتى لو استطعت أن أكتنمها من نفسي لفعلت. وقال قتادة أكاد أخفيها وهي في بعض القراءات أخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين
- ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهي في قراءة ابن مسعود إني أكاد أخفيها من نفسي يقول كتمتها عن الخلائق
- عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح ويحيى بن رافع وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أكاد أخفيها يقول لا أطلع عليها أحدا غيري وقال السدي
- وقوله أكاد أخفيها قال الضحاك عن ابن عباس إنه كان يقرؤها أكاد أخفيها من نفسي يقول لأنها لا تخفى من نفس الله أبدا وقال سعيد بن جبير عن ابن
- وقوله إن الساعة آتية أي قائمة لا محالة وكائنة لا بد منها
- ملاده في دنياه وعصى مولاه واتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر فتردى أي تهلك وتعطب قال الله تعالى وما يغني عنه ماله إذا تردى. 16
- وقوله فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها الآية المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين أي لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على
- إنما قال له ذلك على وجه التقرير أي أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها فسترى ما نصنع بها الآن وما تلك بيمينك يا موسى استفهام تقرير. 17
- على مثل هذا إلا الله عز وجل وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل وقوله وما تلك بيمينك يا موسى قال بعض المفسرين إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له وقيل
- هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وخرق للعادة باهر دل على أنه لا يقدر
- لادم عليه الصلاة والسلام وقول الآخر إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة وروي عن ابن عباس أنه قال كان اسمها ما شاء والله أعلم بالصواب. 18
- كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعبانا فما كان يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية وكذا قول بعضهم إنها كانت
- أبهمت ففعلت كانت تضيء له بالليل وتحرس له الغنم إذا نام ويغرسها فتصير شجرة تظله وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو
- وكذا قال ميمون بن مهران أيضا وقوله ولي فيها مآرب أخرى أي مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي
- قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك: الهش أن يضع الرجل المحجن في الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره ولا يكسر العود فهذا الهش ولا يخبط
- قال هي عصاي أتوكؤا عليها أي أعتمد عليها في حال المشي وأهش بها على غنمي أي أهز بها الشجرة ليتساقط ورقها لترعاه غنمي

تفسير ابن كثير

وقوله تعالى قال ألقها يا موسى أي هذه العصا التي في يدك يا موسى ألقها. 19

وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة وقال قتادة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة. 2
وقال نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة وروى عنه سماك بن حرب وقال مجاهد في قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى هي كقوله فاقراءوا ما تيسر منه
لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي إسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو الليثي ذكره أبو عمر في استيعابه
عن سماك بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عبادته إني
الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلاء بن سالم حدثنا إبراهيم الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سفيان
به خيرا كثيرا كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وما أحسن الحديث
على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى فليس الأمر كما زعمه المبطلون بل من آتاه الله العلم فقد أراد
لتشقى قال جوير عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن
قوله ما أنزلنا عليك القرآن

ورأى أنه قد أعجز الحية ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه مم نودي يا موسى أن ارجع حيث كنت فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال خذها بيمينك. 20
قيل شعر مثل النيازك وعاد الشعبان فما مثل القلب الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف فلما عين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب فذهب حتى أمعن
أخذه يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتقمها ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها عيناها تتقدان نارا وقد عاد المحجن منها عرفا
في قوله فألقها فإذا هي حية تسعى قال فألقها على وجه الأرض ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يدب يلتمس كأنه يبتغي شيئا يريد
جوفها فولى مدبرا ونودي أن يا موسى خذها فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف فقيل له في الثالثة إنك من الأمنين فأخذها. وقال وهب بن منبه
عكرمة عن ابن عباس فألقها فإذا هي حية تسعى ولم تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعها فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في
في غاية الكبر وفي غاية سرعة الحركة تسعى أي تمشي وتضطرب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سماك عن
إذا هي حية تسعى أي صارت في الحال حية عظيمة ثعبانا طويلا يتحرك حركة سريعة فإذا هي تهتز كأنها جان وهو أسرع الحيات حركة ولكنه صغير فهذه
فألقها

التي عهدا وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين ولهذا قال تعالى سنعيدها سيرتها الأولى أي إلى حالها التي تعرف قبل ذلك. 21
تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب ثم قبض فإذا هي عصاه
بأخذها لف طرف المدرعة على يده فقال له ملك: أرايت يا موسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة
ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقاتدة والضحاك والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري أخرجها والله كأنها مصباح فعلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل. 22
عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تتلألا كأنها قلقة قمر وقوله تخرج بيضاء من غير سوء أي من غير برص ولا أذى ومن غير شين قاله
مكان آخر واضم إليك جناحك من الرهب فذائك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه وقال مجاهد واضم يدك إلى جناحك كفك تحت عضدك وذلك أن موسى
ثان لموسى عليه السلام وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه كما صرح به في الآية الأخرى وههنا عبر عن ذلك بقوله واضم يدك إلى جناحك وقال في
وهذا برهان

وقال وهب قال له ربه: أدنه فلم يزل يدينه حتى أسند ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يده في العصا وخضع برأسه وعنقه. 23
ولهذا قال تعالى لنريك من آياتنا الكبرى

أن يعجزني أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيري رواه ابن أبي حاتم. 24
أخافه فقد بارزني بالمحاربة وباداني وعرض لي نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصره أوليائي أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أم يظن الذي يعاديني
والخشوع وسيماهم في وجوههم من أثر السجود أولئك أوليائي حقا حقا فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك واعلم أنه من أهان لي وليا أو
موفرا لم تكلمه الدنيا واعلم أنه لا يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا فإنها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة
في ذلك فإني لأدودهم عن نعيمها وزخارفها كما يدود الراعي الشقيق إبله عن مبارك الغرة وما ذاك لهوائهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم في دار كرامتي سالما
ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن قدرته تعجز عن مثل ما أوتيتها فعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما وكذلك أفعل بأوليائي وقديما ما جرت عادتي
الفئة الكثيرة بإذني ولا تعجبكم زينتته ولا ما متع به ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة
بجهاده فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبت نفسه وجموعه أن الفئة القليلة ولا قليل مني تغلب
لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء الله أن يعجل لك العقوبة لفعل ولكنه ذو أناة وحلم عظيم وجاهده بنفسك وأخيك وأنتم تحتسبان
له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعمائة سنة في كلها أنت مبارزه بالمحاربة تسبه وتتمثل به وتصد عبادته عن سبيله وهو يمطر عليك السماء وينبت
إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني وقل

تفسير ابن كثير

وتوحيدي وإخلاصي وذكره أيامي وحذره نقمتي وبأسي وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي وقل له فيما بين ذلك قولا ليأله يتذكر أو يخشى وأخبره أنني أمرت البحار غرقته ولكنه هان علي وسقط من عيني ووسع حلمي واستغفبت بما عندي وحقي أنني أنا الغني لا غني غيري فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار فإن أمرت السماء حصبته وإن أمرت الأرض ابتلعته وإن أمرت الجبال دمرته وإن خلق بطر نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا عني حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني فأني أقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت بيني وبين خلقي بسمعي وعيني وإن معك يدي وبصري وإنني قد أبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري فأنت جند عظيم من جندي بعثتك إلى خلق ضعيف من فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم فإنه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الرب الأعلى. قال وهب بن منبه قال الله لموسى انطلق برسالتني فإنك وقوله اذهب إلى فرعون إنه طغى أي اذهب إلى فرعون ملك مصر الذي خرجت فارا منه وهاربا فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ومره

خافهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكمالها ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيرا يدعوههم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له. 25 أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه إله غيره وهذا وقد مكث موسى في داره مدة ولیدا عندهم في حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفسا بأمر عظيم وخطب جسيم: بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفرا وأكثرهم جنودا وأعمرهم ملكا وأطغاهم وأبلغهم تمردا بلغ من قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به فإنه قد أمره

قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري إن لم تكن أنت عونني ونصيري وعضدي وظهيري وإلا فلا طاقة لي بذلك. 26

أفهمك إذا حدثتك. قال نعم قال فإن موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها هذا لفظه. 27 بعض أصحاب محمد ابن كعب عنه قال أتاه ذو قرابة له فقال له ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك فقال القرظي يا ابن أخي ألسنتي ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فاتاه سؤله فحل عقدة من لسانه وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن عثمان حدثنا بقية عن أرطاة بن المنذر حدثني إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردا ولا يكاد يبين أي يفصح بالكلام وقال الحسن البصري واحلل عقدة من لساني قال حل عقدة واحدة ولو سألت أكثر من ذلك أعطي وقال ابن عباس شكى موسى ولو سألت الجميع لزال ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى إخبارا عن فرعون أنه قال أم أنا خير من هذا الذي هو مهين والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه كما سيأتي بيانه وما سأل أن يزول ذلك بالكلية بل بحيث يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة

أفهمك إذا حدثتك. قال نعم قال فإن موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها هذا لفظه. 28 بعض أصحاب محمد ابن كعب عنه قال أتاه ذو قرابة له فقال له ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك فقال القرظي يا ابن أخي ألسنتي ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فاتاه سؤله فحل عقدة من لسانه وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن عثمان حدثنا بقية عن أرطاة بن المنذر حدثني إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردا ولا يكاد يبين أي يفصح بالكلام وقال الحسن البصري واحلل عقدة من لساني قال حل عقدة واحدة ولو سألت أكثر من ذلك أعطي وقال ابن عباس شكى موسى ولو سألت الجميع لزال ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى إخبارا عن فرعون أنه قال أم أنا خير من هذا الذي هو مهين والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه كما سيأتي بيانه وما سأل أن يزول ذلك بالكلية بل بحيث يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة يفقهوا قولي وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة

لأخيه قال موسى حين سأل لأخيه النبوة فقلت صدق والله قلت ومن هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام وكان عند الله وجيها. 29 رجلا يقول أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا لا ندري قال أنا والله أدري ؟ قالت فقلت في نفسي في حلفه لا يستثنى إنه ليعلم أي أخ كان في الدنيا أنفع وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن نمير حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تعتمر فنزلت ببعض الأعراب فسمعت أمر خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هارون له. قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: نبي هارون ساعنذ حين نبي موسى عليهما السلام وقوله واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي وهذا أيضا سؤال من موسى عليه السلام في

وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه. 3

لأخيه قال موسى حين سأل لأخيه النبوة فقلت صدق والله قلت ومن هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام وكان عند الله وجيها. 30 رجلا يقول أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا لا ندري قال أنا والله أدري ؟ قالت فقلت في نفسي في حلفه لا يستثنى إنه ليعلم أي أخ كان في الدنيا أنفع وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن نمير حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تعتمر فنزلت ببعض الأعراب فسمعت أمر خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هارون له. قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: نبي هارون ساعنذ حين نبي موسى عليهما السلام وقوله واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي وهذا أيضا سؤال من موسى عليه السلام في

وقوله اشد به أزي قال مجاهد ظهري. 31

تفسير ابن كثير

وأشركه في أمري أي في مشاورتي. 32

كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا. 33

ونذكرك كثيرا قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا. 34

وقوله إنك كنت بنا بصيرا أي في اصطفاك لنا وإعطائك إيانا النبوة وبعثتك لنا إلى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك. 35

حذرا من وجود موسى فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له. 36
على قلبها فذهب به البحر إلى دار فرعون فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أي قدرا مقدورا من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كانت لتبدي به لولا أن ربطنا قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النيل وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان هذا إجابة من الله لرسوله موسى

حذرا من وجود موسى فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له. 37
قلبها فذهب به البحر إلى دار فرعون فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أي قدرا مقدورا من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كانت لتبدي به لولا أن ربطنا على ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النيل وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربط السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد هذا إجابة من الله لرسوله موسى عليه

حذرا من وجود موسى فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له. 38
قلبها فذهب به البحر إلى دار فرعون فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أي قدرا مقدورا من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كانت لتبدي به لولا أن ربطنا على ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النيل وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربط السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد هذا إجابة من الله لرسوله موسى عليه

ولتصنع على عيني بحيث أرى وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة. 39
وألقيت عليك محبة مني قال حبيبك إلى عبادي ولتصنع على عيني قال أبو عمران الجوني تربي بعين الله وقال قتادة تغذى على عيني وقال معمر بن المثنى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له ولهذا قال الله تعالى يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني أي عند عدوك جعلته يحبك قال سلمة بن كهيل حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل حذرا من وجود موسى فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون ويغذى موسى فارغا إن كانت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها فذهب به البحر إلى دار فرعون فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أي قدرا مقدورا من الله وهو النيل وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله وأصبح فؤاد أم وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر هذا إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه

والتي تليها مسيرة خمسمائة عام وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديث الأوعال من رواية العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم و رضي الله عنه. 4
وكتافتها وخلق السموات العلى في ارتفاعها ولطافتها وقد جاء في الحديث الذي صححه الترمذي وغيره أن سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبعد ما بينها خلق الأرض والسموات العلى أي هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه القادر على ما يشاء الذي خلق الأرض بانخفاضها وقوله تنزيلا ممن

وكانه تلقاه ابن عباس مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره والله أعلم وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضا. 40
وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه الذي أفشى عليه أم الفرعوني ؟ قال إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره وهكذا رواه النسائي في السنن الكبرى به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له يا أبا إسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون ؟ الإسرائيلي موسى أمر القتل الذي قتل فقال كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فأخذ بيد معاوية وانطلق هذا الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على

تفسير ابن كثير

ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عنهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من مكان إلا وجدوا ذلك الحجر بينهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس رفع ابن عباس عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجرا مربعا وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل كما سماهم موسى فاسقين وحرما عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار وظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل قاعدون فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له وسماهم غالبون ويقول أناس إنهم من قوم موسى فقال الذين يخافون بنو إسرائيل قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا إليه قالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فإنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم لنا بهم ولا ندخلها ما داموا فيها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قرأت قال نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر وذكروا من ثمارهم أمرا عجيبا من عظمها فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين لا طاقة خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصفون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا بعدما سكت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمرهم به أن يبلغهم من الوظائف فقل ذلك عليهم وأبوا أن يقرأوا بها فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح له إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد فيقلته بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان خفى على موسى وهارون في التوراة والإنجيل فقال يا رب سألتك التوبة لقومي فقلت إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي هلا أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة فقال ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيهم من كان الله اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمانه به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال رب لو شئت فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فيكفر عنا ما عملنا فاختر موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألو الخير خيار بني إسرائيل عليه عاكفا لحرقة ثم لنسفته في اليم نسفا ولو كان إلها لم يخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون لها وعميت عليكم فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بعذره واستغفر له وانصرف إلى السامري فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت موسى وقال له ما قال أخبره بما لقي قومه من بعده فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى فأتبعوني وأطيعوا أمري قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا هذه أربعين يوما قد مضت وقال سفهاؤهم أخطأ ربه فهو يطلبه يتبعه فلما كلم الله نؤمن به ولا نصدق وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هارون يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن يرجع إلينا موسى فإن كان ربنا لم تكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس ربنا ولا من ذلك فتفرق بنو إسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم به ؟ قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق فقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى فصار عجلا أجوف ليس فيه روح وله خوار قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه وكان ذلك الصوت إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يجعلها ما أريد فألقاها ودعا له هارون فقال أريد أن يكون عجلا فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فقال له هارون يا سامري ألا تلقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقياها لشيء البقر جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا فقضى له أن رأى أثرا فقبض منه قبضة فمر بهارون وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يذفوه في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقته فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان السامري من قوم يعبدون ذلك فإني أرى أنكم تحتسبون ما لكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين إليهم شيئا من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا فحفر حفيرا موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءهم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال إنكم قد خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع ولكم فيهم مثل الريح قال أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ارجع فصم عشرين يوما ففعل موسى عليه السلام ما أمر به فلما رأى قوم فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئا فمضغه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان قال يا رب إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب ذاهب إلى ربي وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم فيها فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه ثلاثين يوما وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه ويربح فيه ربح إن هؤلاء متبر ما هم فيه الآفة قد رأيتم من العبر وسمعتكم ما يكفيكم ومضى فأنزلهم موسى منزلا وقال أطيعوا هارون فإني قد استخلفته عليكم فإني ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا ذلك العصي فضرِب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرد البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما أن جاز موسى وأصحابه أصحاب موسى إنا لمردكون افعل ما أمرك به ربك فإنه لم يكذب ولم تكذب قال وعدني ربي إذا أتيت البحر انفرد اثنتي عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد موسى أن يضرب البحر بالعصا وانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال

تفسير ابن كثير

الله إلى البحر إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفلق اثني عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التق على من بقي بعد من فرعون وأشياعه فنسي حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرح بهم ليلا فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويوائقه على أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كف ذلك أخلف موعده ونكث عهده أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا مضت أخلف موعده وقال هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسى فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانتقلوا صاغرين وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون أمر من الله عز وجل آمنا بالله وبما جاء به موسى من عند الله ونتوب إلى الله مما كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه وظهر الحق صارت جرزا إلى الشعبان تدخل فيه حتى ما أبقت عصا ولا حبالا إلا ابتلعته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرة فاها فجعلت العصي تلتبس بالحبال حتى وهارون استهزاء بهما فقالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال بل ألقوا فألقوا بحبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فرأى هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الأمر لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين يعنون موسى فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى قال سعيد بن جبيرة فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي يعمل فما أجرا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم أنتم أقاربي وخاصتي وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم حتى تغلب بسحركم سحرهما فأرسل إلى المدائن فحشر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا بما يعمل هذا الساحر ؟ قالوا يعمل بالحيات قالوا فلا والله ما ويذهب بطريقتكم المثلى يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له اجمع لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير غير سوء يعني من غير برص ثم ردها فعادت إلى لونها الأول فاستشار المأ حوله فيما رأى فقالوا له هذان ساحران يريدان أن يخرجاكما من أرضكم بسحرهما فاها مسرعة إلى فرعون فلما رآها فرعون قاعدة إليه خافها فاقترح عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فرأها بيضاء من قد سمعت قال أريد أن تؤمن بالله وترسل معنا بني إسرائيل فأبى عليه وقال انت بآية إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي حية تسعى عظيمة فاغرة لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا إنا رسولا ربك قال فمن ربكما ؟ فأخبراه بالذي قص الله عليك في القرآن قال فما تريدان ؟ وذكره القتييل فاعتذر بما وحل عقدة من لسانه وأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون فانطلقا جميعا إلى فرعون فأقاما على بابه حين لا يؤذن فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رداء ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فأثاه الله سؤاله وأولى فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكا إلى الله تعالى ما يحذر من آل فرعون في القتييل وعقدة لسانه أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التي كان وعده فإنه قضى عشر سنين فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك قلت أجل ؟ قلت لا وأنا يومئذ لا أدري فلقيت ابن عباس فذكرت له ذلك فقال أما علمت أن ثمانيا كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئا ويعلم عدة منه ففقدى الله عنه عدته فأتمها عشرا قال سعيد وهو ابن جبيرة: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أي الأجلين قضى موسى فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت سنتان لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج منه وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم أنني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لي امشي خلفي وانعتي الأمين فاحتلمته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته وما أمانته فقالت أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته فقالت إحداها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي واستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا فقال إن لكما اليوم لسانا فأخبرته بما صنع موسى فأمر إحداها أن تدعوه فأتت موسى فدعته فلما كلمه يغترف في الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرعاء فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى فاستظل بشجرة وقال ربي إني لما أنزلت إلي من خير فقير بذلك حابستين غنمهما فقال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس ؟ قالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما نسقي من فضول حياضهم فسقى لهما فجعل ظنه بربه عز وجل فإنه قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان يعني طريقا حتى سبقهم إلى موسى فأخبره وذلك من الفتون يا ابن جبيرة فخرج موسى متوجها نحو مدين ولم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هينتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم فجاء رجل من شعبة موسى من أقصى المدينة فاقتصر الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى إنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي وقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس وإنما قاله مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله فتتاركا وانطلق بعدما قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعدما قال له إنك لغوي مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أراداه منه وكره الذي رأى فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم إنك لغوي مبين فنظر الإسرائيلي إلى موسى لا يجدون ثبنا إذا بموسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى فندم على ما كان

تفسير ابن كثير

قاتله ومن يشهد عليه فإن الملك وإن كان صفوة مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم فبينما هم يطوفون الرحيم فأصبح في المدينة خائفا يترقب الأخبار فأتى فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغوني عز وجل والإسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ثم قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور إلا إنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكل موسى الفرعوني فقتله وليس يراها أحد إلا الله والآخر إسرائيلي فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني فقالت المرأة: ألا ترى فصرفه الله عنه بعدما كان قد هم به وكان الله بالغا فيه أمره فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده اجعل بيني وبينك أمرا يعرف الحق به أنت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن إليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين ولم بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به فتونا فجاءت امرأة فرعون فقالت ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ فقال ألا تربينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني فقالت الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويعطوك ويصرعك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير أمه لحسن أثرها عليه ثم قالت لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض فقال منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها بجلته وأكرمته وفرحت به ونحلت وقالت امرأة فرعون لخزانها وظهورها وقهارمتها لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك وأنا باعثة أمينا يحصي ما يصنع كل إنسان إسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيبرني ابني فدعتها يوما تزيبرها إياه فيه فيه فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت به إلى بيتها من يومها وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو وولدي فيضيع فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آله خيرا فإنني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ظنرا فأرسلت إليها فأنت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثي ترضعي ابني هذا فإنني لم أحب شيئا حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع أن أدع بيتي فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ربا وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك؟ حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها فانطلقت إلى أمها لا يشعر به فقالت من الفرحة حين أعياهم الظورات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها فقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل تعرفينه قد أكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدها فيه فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه وهو السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظنرا تأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والهال فقالت لأخته قصي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحبي ابني أم له ظنرا فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل على ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قررة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك فأرسلت إلى من حولها إلى كل امرأة لها لأن تختار وإن أمر بذبحه لم ألكم فأتت فرعون فقالت قررة عين لي ولك فقال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم أقروه فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فاستوهبه منه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى فلما سمع الذبايحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملته كهيئته لم يخرج من شينا حتى دفعه إليها فلما فتحت رأت فيه غلاما فألقى الله عليه منها محبة لم يلق فأنتهى الماء به حتى أوفى به عند فريضة مستقي جوارى امرأة فرعون فلما رأيته أخذته فأردن أن يفتحن التابوت فقال بعضهم إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه ذلك فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقه إلى دواب البحر وحيثانه يراد به فأوحى الله إليها أن لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجعلوه من المرسلين فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت فولدته علانية أمانة فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه وهو في بطن أمه مما منهم فتخافوا مكائرتهم وإياكم ولم يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان يكتفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكرا واتركوا بناتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فإنهم لن يكتفوا بمن تستحيون فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم والصغار يذبحون قالوا ليوشكن أن تقنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي فقال فرعون كيف ترون فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا ذلك ذمته أبناء وملوكا فقال بعضهم إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد إبراهيم فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام وفتناك فتونا فسألته عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثا طويلا وفتناك فتونا حديث الفتون حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ ابن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخبرني سعيد بن جبير قال:

تفسير ابن كثير

الصالح لا تخف نجوت من القوم الظالمين وقوله وفتنك فتونا قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه قوله أي عليك وقتلت نفسا يعني القبطي فنجيناك من الغم وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربا حتى ورد ماء مدين وقال له ذلك الرجل مثل الصانع الذي يحتسب في صناعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها وقال تعالى ههنا فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحا شديدا واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة أعظم وأجزل ولهذا جاء في الحديث أخته وقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون تعني هل أدلكم على من يرضعه لكم بالأجرة فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأبأها قال الله تعالى وحرمننا عليه المراضع من قبل فجاءت وقوله إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله

اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة ؟ قال نعم قال فوجدته مكتوبا علي قبل أن يخلقني قال نعم فحج آدم موسى أخرجاه. 41 أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التقى آدم وموسى فقال موسى أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم وأنت الذي اصطفيتك واجتبيتك رسولا لنفسي أي كما أريد وأشاء وقال البخاري عند تفسيرها حدثنا الصلت ابن محمد حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن مجاهد أي على موعد وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ثم جئت على قدر يا موسى قال على قدر الرسالة والنبوة وقوله واصطنعتك لنفسي أي ثم جاء موافقا لقدر الله وإرادته من غير ميعاد والأمر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء ولهذا قال ثم جئت على قدر يا موسى قال يقول تعالى مخاطبا لموسى عليه السلام إنه لبث مقبلا في أهل مدين فارا من فرعون وملئه يروى على صهره حتى انتهت المدة وانقضى الأجل فرعون ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه وقوة لهما وسلطانا كاسرا له كما جاء في الحديث إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه . 42 قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تبطننا وقال مجاهد عن ابن عباس لا تضعفا والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله بل يذكران الله في حال مواجهة وقوله اذهب انت وأخوك بأياتي أي بحججي وبراهيني ومعجزاتي ولاتنيا في ذكرى وقوله اذهبا إلى فرعون إنه طغى أي تمرد وعتا وتجبر على الله وعصاه. 43

مامست من الأرض ضاحيا وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رايبا ويخرج منه حبه في رءوسه ففي ذلك آيات لمن كان واعيا 44 كما هيا وقولا له أنت رفعت هذه بلا عمد أرفق إذن بك بانبا وقولا له أنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنة الليل هاديا قولا له من يخرج الشمس بكرة فيصبح من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا فقلت له فاذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان باغيا فقولاً له هل أنت سويت هذه بلا وتد حتى استقلت وأخوك هارون أهلكه قبل أن أعذر إليه وههنا نذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ويروي لأمية بن أبي الصلت فيما ذكره ابن إسحاق. وأنت الذي من فضل أراد أن يذكر أو يخشى فالتذكر الرجوع عن المحذور والخشية تحصيل الطاعة وقال الحسن البصري لعله يتذكر أو يخشى يقول: لا تقل أنت يا موسى بالتي هي أحسن وقوله لعله يتذكر أو يخشى أي لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة أو يخشى أي يوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالى لمن أن دعوتهم له تكون بكلام رقيق لين سهل رقيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع كما قال تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم رجل عن الضحك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن علي في قوله فقولاً له قولاً لنا قال كنه وكذا روى عن سفيان الثوري كنه بأبي مرة والحاصل من أقوالهم وقال عمرو بن عبيد عن الحسن البصري فقولاً له قولاً لنا أعذرا إليه قولاً له إن لك ربا ولك معادا لأن بين يديك جنة ونارا وقال بقة عن علي بن هارون عن يتولاه ويناديه؟ وقال وهب بن منبه قولاً له إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة وعن عكرمة في قوله فقولاً له قولاً لنا قال لا إله إلا الله إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي عند قوله فقولاً له قوله لينا. يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه لا يستحقان منه ذلك. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن يفرط يعجل وقال مجاهد يبسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يطغى: يعتدي. 45 السلام أنهما قالا مستجيرين بالله تعالى شاكيين إليه إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى يعنيان أن يبدر إليهما بعقوبة أو يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما يقول تعالى إخبارا عن موسى وهارون عليهما

إلى فرعون فقال رب أي شيء أقول قال قل هيا شراهما قال الأعمش فسر ذلك أنا الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء إسناده جيد وشيء غريب. 46 حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عز وجل موسى لا يخفى علي من أمركم شيء واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي وقال ابن أبي قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى أي لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه

سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولهذا قال موسى وهارون عليهما السلام لفرعون. 47 قد أشرتكم في الأمر فلك المدر ولي الوبر ولكن قريش قوم يعتدون. فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب مرتين وكذلك لما كتب مسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا صورته من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فإني الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك

تفسير ابن كثير

- والسلام على من اتبع الهدى أي والسلام عليك إن اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله بسم مجنونا يقول إنه رسول الله فقال علي به فلما وقفا بين يديه قال وقال لهما ما ذكر الله في كتابه وقوله قد جنناك بآية من ربك أي بدلالة ومعجزة من ربك فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجترئ على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والبوابون بأن ههنا رجلا اللفت ثم عرفاه وسلموا عليه فقال له موسى يا هارون إن ربي قد أمرني أن آتي هذا الرجل فرعون فادعوه إلى الله وأمرك أن تعاونني قال افعل ما أمرك ربك على فرعون قال إني رسول رب العالمين فعرفه فرعون وذكر السدي أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامهما ليلتنذ الطفيل وهو إن على بابك رجلا يقول قولا عجيبا يزعم أن له إله غيرك أرسله إليك قال ببابي ؟ قال نعم قال أدخلوه فدخل ومعه أخوه هارون وفي يده عصا فلما وقف فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطلان له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك محمد بن إسحاق بن يسار أن موسى وأخاه هارون خرجا فوقفا باب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان إنا رسولا رب العالمين فأذنوا بنا هذا الرجل فأتياه فقالوا إنا رسولا ربك قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال مكثا على بابه حين لا يؤذن لهما حتى أذن لهما بعد حجاب شديد وذكر وقال تعالى فأندرتكم نارا تلتظي لا يصلاحها إلا الأشقي الذي كذب وتولى وقال تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى أي كذب بقلبه وتولى بفعله. 48
- إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متحمض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه وجود الصانع الخالق إله كل شيء وربّه ومليكه قال فمن ربكما يا موسى أي الذي بعثك وأرسلك من هو فإني لا أعرفه وما علمت لكم من إله غيري. 49
- يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال لموسى منكرا أيضا وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكليف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل. 5
- وقوله الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته والأرزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحييدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج يقول ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر وجبل الخليقة على ما أراد. 50
- والرزق والنكاح وقال بعض المفسرين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كقوله تعالى الذي قدر فهدى أي قدر قدرا وهدى الخلائق إليه أي كتب الأعمال والأجال من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح وهباً كل شيء على ذلك ليس شيء منها يشبه شيئا من أفعاله في الخلق قوله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة ولا للدابة هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الأولى أي الذين لم يعبدوا الله أي فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره. 51
- قال فما بال القرون الأولى أصح الأقوال في معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله ينسى شيئا تبارك وتعالى وتقدس وتنزه فإن علم المخلوق يعتريه نقصانين أحدهما عدم الإحاطة بالشيء والآخر نسيانه بعد علمه فنزه نفسه عن ذلك. 52
- المحفوظ وكتاب الأعمار لا يضل ربي ولا ينسى أي لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط وأنه لا فقال له موسى في جواب ذلك هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزئهم بعملهم في كتاب الله وهو اللوح
- لعملهم يهتدون وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى أي من أنواع النباتات من زروع وثمار ومن حامض وحلو ومر وسائر الأنواع. 53
- عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على ظهرها وسلك لكم فيها سبلا أي جعل لكم طرقا تمشون في منابها كما قال تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا عنه فقال الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ثم اعترض الكلام بين ذلك ثم قال الذي جعل لكم الأرض مهذا وفي قراءة بعضهم مهذا أي قرارا تستقرون هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون
- خضرا ويسا إن في ذلك لآيات أي لدلالات وحجج وبراهين لأولي النهي أي لذوي العقول السليمة المستقيمة على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه. 54
- كلوا وارعوا انعامكم أي شيء لطعامكم وفاكهتكم وشيء لأنعامكم لأقواتها فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر وقال منها خلقناكم ثم أخذ أخرى وقال وفيها نعيدكم ثم أخرى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى. 55
- قليلًا وهذه الآية كقوله تعالى قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وفي الحديث الذي في السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر جنازة من تراب من أديم الأرض وفيها نعيدكم أي وإليها تصيرون إذا متم ولبيتهم ومنها نخرجكم تارة أخرى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى أي من الأرض مبدؤكم فإن أباكم آدم مخلوق
- الحجج والآيات والدلالات وعابن ذلك وأبصره فكذب بها وأبأها كفرا وعنادا وبغيا كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا الآية. 56
- وقوله ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى يعني فرعون أنه قامت عليه يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتكاثرنا بهم ولا يتم هذا معك. 57
- يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانا عظيما ونزع

تفسیر ابن کثیر

يغرنك ما أنت فيه فاجعل بيننا وبينك موعداً يوما نجتمع نحن وأنت فيه فنعارض ما جئت به بما عندك من السحر في مكان معين ووقت معين. 58

فإن عندنا سحرا مثل سحرك فلا

فعدلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مكانا سوى مستو بين الناس وما فيه لا يكون صوت ولا شيء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى. 59

الله إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل هو قال فرعون اجعله إلى أربعين يوما ففعل وقال مجاهد وقتادة مكانا سوى منصفا وقال السدي وقال وهب بن منبه قال فرعون يا موسى اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه قال موسى لم أؤمر بهذا إنما أمرت بمناجزتك إن أنت لم تخرج دخلت إليك فأوحى وقال السدي وقتادة وابن زيد كان يوم عيدهم وقال سعيد بن جبير كان يوم سوقهم ولا منافاة قلت وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت في الصحيح وأوضح وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويح ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا ضحى قال ابن عباس وكان يوم الزينة يوم عاشوراء الأنبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال وأن يحشر الناس أي جميعهم ضحى أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين ذلك قال لهم موسى موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات

فعدن

عدي لا يعرف قلت وقد خلط في هذا الحديث ودخل عليه شيء في شيء وحديث في حديث وقد يحتمل أنه تعمد ذلك أو أدخل عليه فيه والله أعلم.

6

هذا حديث غريب جدا وسياق عجيب تفرد به القاسم بن عبد الرحمن هذا وقد قال فيه يحيى بن معين ليس يساوي شيئا وضعفه أبو حاتم الرازي وقال ابن
قال فقال صدقت أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس هل تدرون من هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا جبريل
تحت الثرى ؟ ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء وقال انقطع علم الخلق عند علم الخالق أيها السائل ما المسئول عنها بأعلم من السائل
فما تحت الأرض ؟ قال الماء قال فما تحت الماء ؟ قال ظلمة قال فما تحت الظلمة قال الهواء قال فما تحت الهواء ؟ قال الثرى قال فما
والشعر قال صدقت ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعني الأرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق فقال فما تحتهن؟ قال أرض قال
فأي المائين غلب على الآخر نزع الولد فقال صدقت فقال ما للرجل من الولد وما للمرأة منه فقال للرجل العظام والعروق والعصب وللمرأة اللحم والدم
ينام قلبه قال صدقت ثم قال يا محمد من أين يشبه الولد أباه وأمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق
إلا رجل أو رجлан فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سل عما شئت قال يا محمد أينام النبي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا
بخطام راحتته فكف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت محمد ؟ قال نعم قال إني أريد أن أسألك عن خصال لا يعلمهن أحد من أهل الأرض
العسكر على جبل أحمر مقنع بثوبه على رأسه من الشمس فقالت أيها السائل هذا رسول الله قد أتاك فقال أيهم هو ؟ فقلت صاحب البكر الأحمر فدنا منه فأخذ
قال وكنت في أول العسكر إذ عارضنا رجل فلسم ثم قال أيكم محمد ومضى أصحابي ووقف معه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقبل في وسط
عن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فأقبلنا راَجعين في حر شديد فنحن متفرقون بين واحد واثنين منتشرين
أبو يعلى في مسنده حدثنا أبو موسى الهروي عن العباس بن الفضل قال: قلت لابن الفضل الأنصاري ؟ قال نعم عن القاسم بن عبد الرحمن عن محمد بن علي
فيها سقر وفيها إبليس مصفف بالحديد أمامه ويد خلفه فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه وهذا حديث غريب جدا ورفع له فيه نظر وقال الحافظ
بيد الملك والثانية سجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم السادسة فيها عقارب جهنم والسابعة
وسلم إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعلية منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة
حدثنا عمي حدثنا عبد الله بن عباس حدثنا عبد الله بن سلمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفی عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه
الملك ؟ قال حوت معلق طرفاه بالعرش قيل: وما تحت الحوت ؟ قال الهواء والظلمة وانقطع العلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله بن أخي بن وهب
قيل: وما تحت الأرض ؟ قال الماء قيل: وما تحت الماء ؟ قال الأرض قيل: وما تحت الأرض ؟ قال صخرة قيل: وما تحت الصخرة ؟ قال: ملك قيل: و ما تحت
الماء ؟ قال الأرض قيل: وما تحت الأرض ؟ قال الماء قيل: وما تحت الماء ؟ قال الأرض قيل: وما تحت الأرض ؟ قال الماء ؟ قال الأرض
محمد بن كعب أي ما تحت الأرض السابعة وقال الأوزاعي إن يحيى بن أبي كثير حدثه أن كعباً سئل فقيل له: ما تحت هذه الأرض ؟ فقال الماء قيل: وما تحت
الثرى أي الجميع ملكه وفي قبضته وتحت تصرفه ومشيعته وإرادته وحكمه وهو خالق ذلك ومالكه وإنه لا إله سواه ولا رب غيره وقوله وما تحت الثرى قال
وقوله له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت

في إجابة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم يقولون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين. 60

ووقفت الرعايا يمنية ويسرة وأقبل موسى متوكئا على عصاه ومعه أخوه هارون ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفا وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم وقال فرعون اثنوني بكل ساحر عليم ثم أتى أي اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرير مملكته واصطف له أكابر دولته معلومين تولى أي شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب إلى السحر في ذلك الزمان وقد كان السحر فيهم كثيرا نافقا جدا كما قال تعالى يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه لما تواجد هو وموسى إلى وقت ومكان

قد كذبتُم على الله فيسحتكم بعذاب أي يهلككم بعقوبة هلاك لا بقية له فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى أي يهلككم بعقوبة هلاك لا بقية له. 61 قال موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذا أي لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها وإنها مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون

تفسير ابن كثير

فقال يقول ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبي وقائل يقول بل هو ساحر وقيل غير هذا والله أعلم وقوله وأسروا النجوى أي تناجوا فيما بينهم. 62
قيل معناه أنهم تشاجروا فيما بينهم

بنو إسرائيل وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا فقال عدو الله يريدان أن يذهبا بها لأنفسهما وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقتهما المثلث بالذي أنتم عليه. 63
المثلث قال أولو الشرف والعقل والأسنان. وقال أبو صالح بطريقتهما المثلث أشرافكم وسرواتكم وقال عكرمة بخيركم وقال قتادة وطريقتهما المثلث يومئذ
عن عبد الرحمن بن إسحاق سمع الشعبي يحدث عن علي في قوله ويذهبا بطريقتهما المثلث قال يصرفان وجوه الناس إليهما وقال مجاهد ويذهبا بطريقتهما
الفتون أن ابن عباس قال في قوله ويذهبا بطريقتهما المثلث يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم
بسببها لهم أموال وأرزاق عليها يقولون إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض وتقردا بذلك وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم وقد تقدم في حديث
ويقاتلا فرعون وجنوده فينصر عليه ويخرجاكم من أرضكم وقوله ويذهبا بطريقتهما المثلث أي ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر فإنهم كانوا معظمين
وأخاه يعنون موسى وهارون ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستولوا على الناس وتتبعهما العامة
وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أن هذا الرجل
قالوا إن هذان لساحران وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على إعرابها ومنهم من قرأ إن هذين لساحران

الأبصار وتغلبوا هذا وأخاه وقد أفلح اليوم من استعلى أي منا ومنه أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل وأما هو فينال الرياسة العظيمة. 64
وقوله فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا أي اجتمعوا كلكم صفا واحدا وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة لتبهروا

يقول تعالى مخبرا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى إما أن تلقى أي أنت أولا. 65

أنها تسعى باختيارها وإنما كانت حيلة وكانوا جما غفيرا وجمعا كثيرا فألقى كل منهم عصا وحبالا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضا. 66
ههنا فإذا حبالهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وذلك أنهم أودعوها من الزنبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناس
تسعى وفي الآية الأخرى أنهم لما ألقوا قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون وقال تعالى سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وقال
قال بل ألقوا أي أنتم أولا لنرى ماذا تصنعون من السحر وليظهر للناس جليلة أمرهم فإذا حبالهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها

حتى لم تبق منها شيئا إلا تلففته والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جهرة نهارا ضحوة فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر. 67
أن ألق ما في يمينك يعني عصاك فإذا هي تلقف ما صنعوا وذلك أنها صارت تنينا عظيما هائلا ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي
فأوجس في نفسه خيفة موسى أي خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويغفروا بهم قبل أن يلقى ما في يمينه فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة
وقوله

لا يوجد تفسير لهذه الآية 68

ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح بمكة حدثنا ابن المبارك قال: قال الأوزاعي لما خر السحرة سجدا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها. 69
ابن حمزة حدثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء قال
عشر ألفا وقال محمد بن إسحاق كانوا خمسة عشر ألفا وقال كعب الأحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن علي
ألفا وقال القاسم بن أبي بزة كانوا سبعين ألفا وقال السدي بضعة وثلاثين ألفا وقال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي تمامة كان سحرة فرعون تسعة
رب العالمين رب موسى وهارون ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير: كانوا أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء بررة وقال محمد بن كعب كانوا ثمانين
الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وأنه حق لا مرية فيه ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون فعند ذلك وقعوا سجدا لله وقالوا آمنا
حيث وجد وقد روى أصله الترمذي موقوفا ومرفوعا فلما عين السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علموا علم اليقين أن هذا
عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذتم يعني الساحر فاقتلوه ثم قرأ ولا يفلح الساحر حيث أتى قال لا يؤمن
يفلح الساحر حيث أتى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن موسى الشيباني حدثنا حماد بن خالد حدثنا ابن معاذ أحسبه الصائغ عن الحسن
إنما صنعوا كيد ساحر ولا

يعلم ما تسر اليوم وما تسر غدا وقال مجاهد وأخفى يعني الوسوسة وقال أيضا هو وسعيد بن جببر وأخفى أي ما هو عامله مما لم يحدث به نفسه. 7
يعلم السر وأخفى قال السر ما تحدث به نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك بعد وقال سعيد بن جببر أنت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله
كله فعله فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة وهو قوله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وقال الضحاك
أبي طلحة عن ابن عباس يعلم السر وأخفى قال السر ما أسره ابن آدم في نفسه وأخفى ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه فإله يعلم ذلك
الذي خلق الأرض والسماوات العلى الذى يعلم السر وأخفى كما قال تعالى قل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيمًا قال علي بن
قوله وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى أي أنزل هذا القرآن

عن سالم الأفطس عن سعيد بن جببر قوله ألقى السحرة سجدا قال رأوا منازلهم تبين لهم وهم في سجودهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبي بزة. 70

تفسير ابن كثير

قال وذكر عن سعيد بن سلام حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سلمان

مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل. 71
ولأشهرنكم قال ابن عباس فكان أول من فعل ذلك رواه ابن أبي حاتم وقوله ولتعلمن أيننا أشد عذابا وأبقى أي أنتم تقولون إني وقومي على ضلالة وأنتم المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ثم أخذ يهددهم فقال لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل أي لأجعلنكم مثله ولأقتلنكم علمكم السحر أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى واتفقتم أنتم وإياه علي وعلى رعيتي لتظهروه كما قال تعالى في الآية الأخرى إن هذا لمكر مكرتموه في أنتم له أي صدقتموه قبل أن آذن لكم أي وما أمرتكم بذلك وافيتم علي في ذلك وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب إنه لكبيركم الذي استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة فتهدهم وتوعدهم وقال يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورأى الذين قد

أي فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك إنما تقضي هذه الحياة الدنيا أي إنما لك تسلط في هذه الدار وهي دار الزوال ونحن قد رغبتنا في دار القرار. 72
على البيئات يعنون لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم المبتدي خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت فاقض ما أنت قاض وقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات أي لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين والذي فطرنا يحتمل أن يكون قسما ويحتمل أن يكون معطوفا أيضا والظاهر أن فرعون لعنه الله صمم على ذلك وفعله بهم رحمة لهم من الله ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف أصبحوا سحرة وأمساوا شهداء. 73
وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله وقال محمد بن كعب القرظي والله خير أي لنا منك إن أطيع وأبقى أي منك عذابا إن عصي وروي نحوه عن ابن إسحاق وما أكرهتنا عليه من السحر وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقوله والله خير وأبقى أي خير لنا منك وأبقى أي أدوم ثوابا مما كنت وعدتنا ومنيتنا يعلموا السحر بالفرماء وقال علموهم تعليما لا يعلمه أحد في الأرض قال ابن عباس فهم من الذين آمنوا بموسى وهم من الذين قالوا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا سفيان بن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وما أكرهتنا عليه من السحر قال أخذ فرعون أربعين غلاما من بني إسرائيل فأمر أن أي ما كان منا من الآثام خصوصا ما أكرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا

فإن النار تمسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فتجعل الضبائر فيؤتى بهم نهرا يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما ينبت العشب في حميل السيل. 74
مجرا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى قال النبي صلى الله عليه وسلم أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين ليسوا من أهلها قال حدثنا أبي حدثنا حبان سمعت سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فأتى على هذه الآية إنه من يأت ربه كتابه الصحيح من رواية شعبة وبشر ابن المفضل كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية وهكذا أخرجه مسلم في ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتصيرهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة جيء بهم ضبائر ضبائر فتبوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى وقال تعالى ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك قال إنكم ما تكون وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا إسماعيل أخبرنا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وقال ويتجنبها الأشقى الذي يصلى لفرعون يحذرونه من نعمة الله وعذابه الدائم السرمدي ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد فقالوا إنه من يأت ربه مجرما أي يلقي الله يوم القيامة وهو مجرم الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة

قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وفي السنن إن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعم. 75
في كل درجة أمير يرون له الفضل والسودد وفي الصحيحين إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل ما بينهم خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال كان يقال الجنة مائة درجة في كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فيهن الياقوت والحلي الله فاسألوه الفردوس ورواه الترمذي من حديث يزيد بن هارون عن همام به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي أخبرنا عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألتهم والغرف الآمات والمسكن الطيبات. قال الإمام أحمد حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عباد بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عمل الصالحات أي ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله فأولئك لهم الدرجات العلى أي الجنة ذات الدرجات العاليات وقوله تعالى ومن يأتيه مؤمنا

أبدا وذلك جزاء من تزكى أي طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك وعبد الله وحده لا شريك له واتباع المرسلين فيما جاءوا به من خير وطلب. 76
وقوله جنات عدن أي إقامة وهي بدل من الدرجات العلى تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أي ماكثين فلفحته حتى صار يابس كوجه الأرض فهذا قال فاضرب لهم طريقا ييسر لا تخاف دركا أي من فرعون ولا تخشى يعني من البحر أن يغرق قومك. 77

تفسير ابن كثير

طريقا في البحر يبسا فضرب البحر بعصاه وقال انفلق علي بإذن الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أي الجبل العظيم فأرسل الله الريح على أرض البحر أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين ووقف موسى ببني إسرائيل البحر أمامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله إليه أن اضرب لهم ثم لما جمع جنده واستوثق له جيشه ساق في طلبهم فأتبعوهم مشرقين أي عند طلوع الشمس فلما تراءى الجمعان أي نظر كل من الفريقين إلى الآخر قال فغضب فرعون غضبا شديدا وأرسل في المدائن حاشرين أي من يجمعون له الجند من بلدانه ورساتيقه يقول إن هؤلاء لشردمة قليلون وإنهم لنا لغائظون من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة وذلك أن موسى لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا مجيب يقول تعالى مخبرا أنه أمر موسى حين أبى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل أن يسري بهم في الليل ويذهب بهم

وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فأضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود. 78
يقال عند الأمر المعروف المشهور كما قال تعالى والمؤتفة أهوى فغشاها ما غشى وقال الشاعر: أنا أبو النجم وشعري شعري. أي الذي يعرف وهو مشهور قال تعالى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم أي البحر ما غشيهم أي الذي هو معروف ومشهور وهذا

لا يوجد تفسير لهذه الآية 79

الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنی والصفات العلی وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة في الأسماء الحسنی في أواخر سورة الأعراف ولله الحمد والمنة. 8
أي الذي أنزل عليك القرآن هو الله

فالمن حلوى كانت تنزل عليه من السماء والسلوى طائر يسقط عليهم فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد لطفا من الله ورحمة بهم وإحسانا إليهم. 80
التوراة هنالك وفي غضون ذلك عبد بنو إسرائيل العجل كما يقصه الله تعالى قريبا وأما المن والسلوى فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وغيرها أيضا في صحيحه ثم إنه تعالى وأعد موسى وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن وهو الذي كلمه الله تعالى عليه وسأل فيه الرؤية وأعطاه وسلم المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى على فرعون فقال نحن أولى بموسى فصوموه رواه مسلم البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وعلوه فرعون وأقر أعينهم منه وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة لم ينج منهم أحد كما قال وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وقال يذكر تعالى نعمه على بني إسرائيل العظام ومننه الجسام حيث أنجاهم من

قصرا يرمى الكافر من أعلاه فيهوي في جهنم أربعين خريفا قبل أن يبلغ الصلصال وذلك قوله ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى رواه ابن أبي حاتم. 81
فيحل عليكم غضبي أي أغضب عليكم ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فقد شقي وقال شفي بن مانع إن في جهنم ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي أي كلوا من هذا الرزق الذي رزقكم ولا تطغوا في رزقي فتأخذه من غير حاجة وتخالقوا ما أمرتكم به قال تعالى كلوا من طيبات

يموت وقال سقيان الثوري ثم اهتدى أي علم أن لهذا ثوابا وثم ههنا لترتيب الخبر على الخبر كقوله ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. 82
جبير ثم اهتدى أي استقام على السنة والجماعة وروي نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف وقال قتادة ثم اهتدى أي لزم الإسلام حتى أو نفاق وقوله وآمن أي بقلبه وعمل صالحا أي بجوارحه وقوله ثم اهتدى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي ثم لم يشكك وقال سعيد بن إلي تبت عليه من أي ذنب كان حتى إنه تاب تعالى على من عبد العجل من بني إسرائيل وقوله تعالى تاب أي رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية وقوله وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا أي كل من تاب

أي يصومها ليلا ونهارا وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك فسارع موسى عليه السلام مبادرا إلى الطور واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون. 83
اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وواعده ربه ثلاثين ليلة ثم أتبعها عشرة فتمت أربعين ليلة لما سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى

على بني إسرائيل أخاه هارون ولهذا قال تعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري أي قادمون ينزلون قريبا من الطور. 84
ليلة ثم أتبعها عشرة فتمت أربعين ليلة أي يصومها ليلا ونهارا وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك فسارع موسى عليه السلام مبادرا إلى الطور واستخلف يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وواعده ربه ثلاثين لما سار موسى ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون وأتوا على قوم

شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين أي عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمرى. 85
وفي الكتب الإسرائيلية أنه كان اسمه هارون أيضا وكتب الله تعالى له في هذه المدة الألواح المتضمنة للتوراة كما قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري. قال فإنا

إلى الثاني كأنه يقول بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا أي بنو إسرائيل في جواب ما أنبهم موسى وقرعهم. 86

تفسير ابن كثير

ما وعدكم الله ونسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من قدم أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم أم ههنا بمعنى بل وهي للإضراب عن الكلام الأول وعدول كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم وإظهاركم عليه وغير ذلك من أيادي الله أفعال عليكم العهد أي في انتظار مجاهد غضبان أسفا أي جزعا وقال قتادة والسدي أسفا حزينا على ما صنع قومه من بعده قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أي أما وعدكم على لساني قد عبدوا غير الله ما يعلم كل عاقل له لب وحزم بطلان ما هم فيه وسخافة عقولهم وأذهانهم ولهذا قال رجع إليهم غضبان أسفا والأسف شدة الغضب وقال أي بعد ما أخبره تعالى بذلك في غاية الغضب والحنق عليهم هو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم وفيها شرف لهم وهم قوم وقوله فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا

وهو لا يعلم ما يريد فأجيب له فقال السامري عند ذلك أسأل الله أن يكون عجلا فكان عجلا له خوار أي صوت استدراجا وإمهالا ومحنة واختبارا. 87 فيه ما يشاء ثم جاء ذلك السامري فألقى عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول وسأل من هارون أن يدعو الله أن يستجيب له في دعوة فدعا له هارون نار وهي في رواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس إنما أراد هارون أن يجتمع الحلي كله في تلك الحفيرة ويجعل حجرا واحدا حتى إذا رجع موسى رأى كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر فقتلناها أي ألقيناها عنا وقد تقدم في حديث الفتون أن هارون هو الذي كان أمرهم بالقاء الحلي في حفرة فيها ما أخلفنا موعدك بملكنا أي عن قدرتنا واختيارنا ثم شرعوا يعتذرون بالعدو البارد يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي

الله فنسي أي ترك ما كان عليه من الإسلام يعني السامري قال الله تعالى ردا عليهم وتقريعا لهم وبيانا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه. 88 بن إسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقال هذا إلهكم وإله موسى قال فعكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط يعني مثله يقول يتطلبه كذا تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس فنسي أي نسي أن يذكركم أن هذا إلهكم وقال محمد ما ينفع ولا يضر وقال السدي كان يخور ويمشي فقالوا أي الضلال منهم الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه هذا إلهكم وإله موسى فنسي أن نسيه ههنا وذهب ومضى هارون وقال السامري اللهم إني أسألك أن يخور فخار فكان إذا خار سجدوا له وإذا خار رفعوا رءوسهم. ثم رواه من وجه آخر عن حماد وقال أعمل جبير عن ابن عباس أن هارون مر بالسامري وهو ينحت العجل فقال له ما تصنع فقال أصنع ما يضر ولا ينفع فقال هارون اللهم أعطه ما سأل على ما في نفسه السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبادة بن البختري. حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد عن سماك عن سعيد بن قال فكذلك ألقى

أم لا فقال ابن عمر رضي الله عنهما انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الحسين وهم يسألون عن دم البعوضة. 89 وفعلوا الأمر الكبير كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه سأل رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب يعني هل يصلي فيه عن الحسن البصري أن هذا العجل اسمه بهموت وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل فتورعوا عن الحقيق في أخراهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره فيخرج من فمه فيسمع له صوت وقد تقدم في حديث الفتون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعاً العجل أفلا يرون أنه لا يجيبهم إذا سألوه ولا إذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعاً أي في دنياهم ولا أفلا يرون

وتعالى في ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم. 9 من ههنا شرع تبارك

ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ذو العرش المجيد الفعال لما يريد فاتبعوني وأطيعوا أمري أي فيما أمركم به واتركوا ما أنهاكم عنه. 90 يخبر تعالى عما كان من نهي هارون لهم عن عبادتهم العجل وإخباره إياهم إنما هذا فتنة لكم وإن

لن نبرج عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى أي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه. 91 قالوا

لي لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ولم ترقب قولي أي وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم قال ابن عباس وكان هارون هائبا مطيعا له. 92 هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال إني خشيت أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول قال يا ابن أم ترفق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف ولهذا قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي الآية. ضلوا ألا تتبعني أي فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع أفعصيت أمري أي فما كنت قدمت إليك وهو قوله اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين برأس أخيه يجره إليه وقد قدمنا في سورة الأعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث ليس الخبر كالمعاينة وشرع يلوم أخاه هارون فقال ما منعك إذ رأيتهم عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم فامتأ عند ذلك غضبا وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية وأخذ يخبر تعالى

لي لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ولم ترقب قولي أي وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم قال ابن عباس وكان هارون هائبا مطيعا له. 93 هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال إني خشيت أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول

تفسير ابن كثير

قال يا ابن أم ترفق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف ولهذا قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي الآية. ضلوا ألا تتبعن أي فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع أف عصيت أمري أي فما كنت قدمت إليك وهو قوله اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين برأس أخيه يجره إليه وقد قدمنا في سورة الأعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث ليس الخبر كالمعاينة وشرع يلوم أخاه هارون فقال ما منعك إذ رأيتهم عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم فامتلاً عند ذلك غضبا وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية وأخذ يخبر تعالى

لي لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ولم ترقب قولي أي وما راعيت ما أمرك به حيث استخلفتك فيهم قال ابن عباس وكان هارون هائبا مطيعا له. 94 هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال إنى خشيت أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول قال يا ابن أم ترفق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف ولهذا قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي الآية. ضلوا ألا تتبعن أي فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع أف عصيت أمري أي فما كنت قدمت إليك وهو قوله اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين برأس أخيه يجره إليه وقد قدمنا في سورة الأعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث ليس الخبر كالمعاينة وشرع يلوم أخاه هارون فقال ما منعك إذ رأيتهم عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم فامتلاً عند ذلك غضبا وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية وأخذ يخبر تعالى

نفسه وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل وكان اسمه موسى بن ظفر وفي رواية عن ابن عباس أنه كان من كرمان وقال قتادة كان من قرية سامرا. 95 بن إسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان السامري رجلا من أهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في يقول موسى عليه السلام للسامري ما حملك على ما صنعت وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت قال محمد

فكان عجلا جسدا له خوار فقال هذا إلهكم وإله موسى ولهذا قال فنبذتها أي ألقيتها مع من ألقى وكذلك سولت لي نفسي أي حسنته وأعجبها إذ ذاك. 96 هذا الحلي فاجمعوا فجمعوه فأوقدوا عليه فذاب فرآه السامري فألقى في روعه أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه فقلت كن فكان فقذف القبضة وقال كن من أمر الرسول فبيست أصابعه على القبضة فلما ذهب موسى للميقات وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلي آل فرعون فقال لهم السامري إنما أصابكم من أجل حدثنا عماره حدثنا عكرمة أن السامري رأى الرسول فألقى في روعه أنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء فقلت له كن فكان فقبط قبضة بني إسرائيل فأنسبك عجلا جسدا له خوار حفيف الريح فيه فهو خواره وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا علي بن المديني حدثنا يزيد بن زريع من أثر الرسول قال من تحت حافر فرس جبريل قال والقبضة ملء الكف والقبضة بأطراف الأصابع قال مجاهد نبذ السامري أي ألقى ما كان في يده على حلية الألواح وهو يسمع صرير الأقلام في الألواح فلما أخبره أن قومه قد فتنوا من بعده قال نزل موسى فأخذ العجل فأحرقه غريب وقال مجاهد فقبطت قبضة بموسى إلى السماء بصر به السامري من بين الناس فقبط قبضة من أثر الفرس قال: وحمل جبريل موسى خلفه حتى إذا دنا من باب السماء صعد وكتب الله حدثنا محمد بن عمار بن الحارث أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن السدي عن أبي بن عمار عن علي رضي الله عنه قال إن جبريل لما نزل فصعد أي رأيته جبريل حين جاء لهلاك فرعون فقبطت قبضة من أثر الرسول أي من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم وقال ابن أبي حاتم قال بصرت بما لم يبصروا به

مثل الذهب فقالوا لموسى ما توبتنا؟ قال يقتل بعضكم بعضا وهكذا قال السدي وقد تقدم في تفسير سورة البقرة ثم في حديث الفتون بسط ذلك. 97 ثم صورته عجلا قال فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه عن عماره بن عبد الله وأبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: إن موسى لما تعجل إلى ربه عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي نساء بني إسرائيل فحرقه بالنار ثم ألقى رماده في البحر ولهذا قال ثم لننسفنه في اليم نسفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق أقمت على عبادته يعني العجل لنحرقنه قال الضحاك عن ابن عباس والسدي سحله بالمبارد وألقاه على النار وقال قتادة استحال العجل من الذهب لحما ودما لا مساس. وقوله وإن لك موعدا لن تخلفه قال الحسن وقتادة وأبو نهيك لن تغيب عنه وقوله وانظر إلى إلهك أي معبودك الذي ظلت عليه عاكفا أي لا تماس الناس ولا يمسونك وإن لك موعدا أي يوم القيامة لن تخلفه أي لا محيد لك عنه وقال قتادة أن تقول لا مساس قال عقوبة لهم وبقياتهم اليوم يقولون قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس أي كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس أي

ولا يابس إلا في كتاب مبين وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين والآيات في هذا كثيرة جدا. 98 هو عالم بكل شيء أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا فلا يعزب عنه مثقال ذرة وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب الله الذي لا إله إلا هو أي لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له فإن كل شيء فقير إليه عبد له وقوله وسع كل شيء علما نصب على التمييز أي وقوله تعالى إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما يقول لهم موسى عليه السلام ليس هذا إلهكم إنما إلهكم

لم يعط نبي من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن ختموا بمحمد كتابا مثله ولا أكمل منه ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين الناس منه. 99 غير زيادة ولا نقص هذا وقد آتيناك من لدنا أي من عندنا ذكرا وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي

تعالى لنبيه محمد كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والأمر الواقع كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من يقول

سورة 21

وهم في غفلة معرضون ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال. 1
وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر لا حاجة لي في قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا اقترب للناس حسابهم
العرب فأكرم عامر مثنواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الرجل فقال إني استقطعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا في العرب
وروى في ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيد الآمدي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر ابن ربيعة أنه نزل به رجل من
حيث يقول: الناس في غفلاتهم ورحا المنية تطحن فليل له من أين أخذ هذا؟ قال من قول الله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون
القمر وإن يروا آية يعرضوا الآية وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أبي نواس الشاعر أنه قال: أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية
سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غفلة معرضون قال في الدنيا وقال تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال اقتربت الساعة وانشق
يستعدون من أجلها وقال النسائي حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي
ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادي. هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس في غفلة عنها أي لا يعملون لها ولا
سورة الأنبياء: قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله قال بنو إسرائيل والكهف
وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم أفلا تعقلون أي هذه النعمة وتلقونها بالقبول كما قال تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون. 10
يقول تعالى منبها على شرف القرآن ومحرضا لهم على معرفة قدره لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم قال ابن عباس شرفكم

لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد عن المسعودي عن يونس بن حبان عن ابن مسعود فذكره. 100
أبيه قال: قال ابن مسعود إذا بقي من يخلد في النار جعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره ثم تلا عبد الله
ولوح أنفاسهم وهم فيها لا يسمعون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابن فضيل حدثنا عبد الرحمن يعني المسعودي عن
لهم فيما زفير كما قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق والزفير خروج أنفاسهم والشهيق

وقال هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله ما بهم وثوابهم ونجاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب. 101
السعداء من المؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
سبقت لهم منا الحسنى قال عكرمة الرحمة وقال غيره السعادة أولئك عنها مبعدون لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر
وقوله إن الذين

يهاجي المسلمين أولا ثم قال معتذرا يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور. 102
عبده وعول ابن جرير في تفسيره في الجواب على أن ما لما لا يعقل عند العرب وقد أسلم عبد الله بن الزبيري بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين وقد كان
لعابديها ولهذا قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فكيف يورد على هذا المسيح والعزيز ونحوهما ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من
مستقيم وهذا الذي قاله ابن الزبيري خطأ كبير لأن الآية إنما نزلت خطابا لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل ليكون ذلك تقريرا وتوبيخا
فلا تمترن بها أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى لأبراء الأسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط
لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة
يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه
ولدا سبحانه بل عباد مكرمون إلى قوله ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ونزل فيما ذكر من أمر عيسى وأنه
مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن
لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيبها وهم فيها اشتتت أنفسهم خالدون أي عيسى وعزير ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذين
الله عليه وسلم فقال: كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته وأنزل الله إن الذين سبقت
تعبد المسيح عيسى ابن مريم فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبيري ورأوا أنه قد احتج وخصم فذكر ذلك لرسول الله صلى
الله بن الزبيري أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا كل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى
بن المغيرة لعبد الله بن الزبيري: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفا ولا قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد
لها واردون إلى قوله وهم فيها لا يسمعون ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبيري السهمي حتى جلس معهم فقال الوليد
وسلم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه وتلا عليه وعليهم إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم

تفسير ابن كثير

يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله في كتاب السيرة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني الآلهة التي يعبدون وكل فيها خالدون وروي عن أبي كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل ذلك وقال فنزلت إن الذين وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال المشركون فالملائكة وعزير وعيسى يعبدون من دون الله فنزلت لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها المختارة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان يعني الثوري عن الأعمش عن أصحابه عن ابن عباس قال لما نزلت إنكم ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ثم نزلت إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه الأحاديث والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا ؟ فنزلت ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو الله عليه وسلم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقال ابن الزبير قد عبت الشمس حسن الأنماطي حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة حدثنا بن أبي حكيم حدثنا الحكم يعني ابن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء عبد الله الزبيرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعزير والملائكة وذكر بعضهم قصة بن الزبيرى ومناظرة المشركين قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي بن سهل حدثنا محمد بن عبد الملك حدثنا الليث بن أبي سليم عن مغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون عن سعيد بن جبير وأبي صالح وغير واحد وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا غريبا جدا فقال حدثنا الفضل بن يعقوب المرخاني حدثنا سعد بن مسلمة بن وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أولئك عنها مبعدون قال عيسى وعزير والملائكة وقال الضحاك عيسى ومريم والملائكة والشمس والقمر وكذا روي الأصم عن علي في قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى قال كل شيء يعبد من دون الله في النار إلا الشمس والقمر وعيسى ابن مريم إسناده ضعيف. في عيسى ابن مريم وعزير عليه الصلاة والسلام وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن عيسى بن ميسرة حدثنا أبو زهير حدثنا سعد بن طريف عن مما يعبد من دون الله عز وجل وكذا قال عكرمة والحسن وابن جريج وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى قال نزلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ثم استثنى فقال إن الذين سبقت لهم منا الحسنى فيقال هم الملائكة وعيسى ونحو ذلك وقال آخرون بل نزلت استثناء من المعبودين وخرج منهم عزير والمسيح كما قال حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج وعثمان عن عطاء عن ابن عباس سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فأولئك أولياء الله يمرزون على الصراط مرا هو أسرع من البرق ويبقى الكفار فيها جثيا فهذا مطابق لما ذكرناه حديث يوسف بن سعد وليس بابن ماهر عن محمد بن حاطب عن علي فذكره ولفظه عثمان منهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله إن الذين عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا يقول في قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى قال عثمان وأصحابه ورواه ابن أبي حاتم أيضا ورواه ابن جرير من وعبد الرحمن منهم أو قال سعد منهم قال وأقيمت الصلاة فقام وأظنه يجر ثوبه وهو يقول لا يسمعون حسيها وقال شعبة عن أبي بشر عن يوسف المكي قال وسمر مع علي ذات ليلة فقرأ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون قال أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم وطلحة منهم حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحسن بن أبي زيد الهمداني عن ليث بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير عن النعمان بن بشير فإذا لسعته قال حس حس وقوله وهم فيما اشتت أنفسم خالدون فسلمهم من المحذور والمهروب وحصل لهم المطلوب والمحبوب قال ابن أبي حدثنا محمد بن عمار حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن أبي عثمان الحريرى أبي عثمان لا يسمعون حسيها قال حيات على الصراط تلسعهم لا يسمعون حسيها أي حريقها في الأجساد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي

الذي كنتم توعدون يعني تقول لهم الملائكة تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون أي فأملا ما يسركم. 103 واختاره ابن جرير في تفسيره وقيل حين يذبح الموت بين الجنة والنار قاله أبو بكر الهذلي فيما رواه ابن أبي حاتم عنه. وقوله وتلقاهم الملائكة هذا يومكم سعيد بن سنان الشيباني واختاره ابن جرير في تفسيره وقيل حين يؤمر بالعبد إلى النار قاله الحسن البصري وقيل حين تطبق النار على أهلها قاله سعيد سنان قيل المراد بذلك الموت رواه عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة عن عطاء وقيل المراد بالفزع الأكبر النفخة في الصور قاله العوفي عن ابن عباس وأبو سنان وقوله لا يحزنهم الفزع الأكبر

رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وقال العوفي عن ابن عباس في قوله كما بدأنا أول خلق نعيده قال: يهلك كل شيء كما كان أول مرة. 104 وذكر تمام الحديث أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة ذكره البخاري عند هذه الآية في كتابه وقد روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة عن قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غللا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين قال إنا كنا فاعلين وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع أبو جعفر وعبيدة العمى قالوا حدثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: يعبد الله الخلق خلقا جديدا كما بدأهم هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل وهو القادر على ذلك ولهذا أسلما وتله للجبين أي على الجبين وله نظائر في اللغة والله أعلم وقوله كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين يعني هذا كائن لا محالة يوم واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة فعلى هذا يكون معنى الكلام يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب أي على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله فلما لا على غيره والله أعلم والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة قاله علي بن أبي طلحة والعوفي عنه ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد أحد اسمه السجل وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث وأما من ذكره في أسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث

تفسير ابن كثير

جعفر بن جرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال: لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم معروفون وليس فيهم الكبير أبو الحجاج المزي فسح الله في عمره ونسأ في أجله وختم له بصالح عمله وقد أفردت لهذا الحديث جزءا على حدته ولله الحمد. وقد تصدى الإمام أبو وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضا وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود منهم شيخنا الحافظ بن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا منكر جدا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا البغدادي في تاريخه أنبأنا أبو بكر البرقاني أنبأنا محمد بن محمد بن يعقوب الحجاجي أنبأنا أحمد بن الحسين الكرخي أن حمدان ابن سعد حدثهم عن عبد الله السجل وهو قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب قال كما يطوي السجل كذلك تطوى السماء ثم قال وهو غير محفوظ وقال الخطيب تقدم ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يسمى بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابن جرير عن نصر ابن علي الجهضمي كما أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتيبة بن سعيد عن نوح بن قيس عن يزيد الجوزاء عن ابن عباس يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب قال السجل هو الرجل قال نوح وأخبرني يزيد بن كعب هو العوزي عن عمرو بن مالك عن كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي السدي في هذه الآية السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعاه إلى يوم القيامة وقيل المراد به اسم رجل صحابي قال اكتبها نورا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به قال ابن أبي حاتم: وروي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أن السجل ملك وقال بن يمان حدثنا أبو الوفاء الأشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب قال السجل ملك فإذا صعد بالاستغفار للكتب قيل المراد بالسجل الكتاب وقيل المراد بالسجل ههنا ملك من الملائكة قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى السموات السبع بما فيها من الخليفة والأرضين السبع بما فيها من الخليفة يطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة وقوله كطي السجل حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقي حدثنا محمد بن سلمة عن أبي الواصل عن أبي المليلح الأزدي عن أبي الجوزاء الأزدي عن ابن عباس قال: يطوي الله الله عليه وسلم قال: إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه انفرد به من هذا الوجه البخاري رحمه الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي سبحانه وتعالى عما يشركون وقد قال البخاري حدثنا مقدم بن محمد حدثني عمي القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى يوم القيامة يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه يقول تعالى هذا كائن

ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وأبو صالح والربيع بن أنس والثوري وقال أبو الدرداء نحن الصالحون وقال السدي هم المؤمنون. 105 الله عليه وسلم الأرض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون وقال مجاهد عن ابن عباس إن الأرض يرثها عبادي الصالحون قال أرض الجنة وكذا قال أبو العالية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أخبر الله سبحانه وتعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد صلى وقال الثوري هو اللوح المحفوظ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الزبور الكتب التي أنزلت على الأنبياء والذكر أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك الذكر الذي في السماء وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر والذكر أم الكتاب عند الله واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وكذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول الكتاب وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد: الزبور الذي أنزل على داود والذكر التوراة وعن ابن عباس الذكر القرآن وقال سعيد بن جبير الذكر قال الأعمش: سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر فقال الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن وقال مجاهد الزبور لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأخبر تعالى أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية وهو كائن لا محالة ولهذا قال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنهم والآخره ووراثه الأرض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا

عليه وسلم لبلاغا لمنفعة وكفاية لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم. 106 وقوله إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين أي إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صلى الله

إلا رحمة للعالمين قال من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والفسخ والقذف. 107 عن عبدان بن أحمد عن عيسى بن يونس الرملي عن أيوب بن سويد عن المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس وما أرسلناك من حديث المسعودي عن أبي سعد وهو سعيد بن المرزبان البقال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم وقد رواه أبو القاسم الطبراني من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف وهكذا رواه ابن أبي حاتم بن شاهين حدثنا إسحاق الأزرق عن المسعودي عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال عليه يوم القيامة ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس عن زائدة فإن قيل فأى رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير حدثنا إسحاق وسلم خطب فقال أيما رجل سببته في غضبي أو لعنته لعنة فإنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون وإنما بعثني الله رحمة للعالمين فأجعلها صلاة

تفسير ابن كثير

قال كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حذيفة إلى سلمان فقال سلمان يا حذيفة إن رسول الله صلى الله عليه عليه أحمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحا. وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثني عمرو بن قيس عن عمرو بن أبي قرة الكندي حتى يظهر الله دينه لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقال بعد جد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم وهم كارهون إني رحمة بعثني الله ولا يتوفاني ما هما وأهل دهلك في المذلة إلا سواء وسأكفيكم حدهم وقال: سأمنح جانباً مني غليظاً على ما كان من قرب وبعد رجال الخزرجية أهل ذل إذا ما كان هزل ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة وإن أطعتموني ألجأتهم حير كنانة أو تخرجوا محمداً من بين ظهرانيهم فيكون وحيداً مطروداً وأما ابنا قيلة فوالله ولا أصدق موعداً من أخيكم الذي طردتم وإذ فعلتم الذي فعلتم فكونوا أكف الناس عنه قال أبو سفيان بن الحارث كونا أشد ما كنتم عليه إن ابني قيلة إن الشياطين وإنكم قد عرفتم عداوة ابني قيلة يعني الأوس والخزرج فهو عدو استعان بعدو فقال له مطعم بن عدي: يا أبا الحكم والله ما رأيت أحداً أصدق لساناً أو مقاربوه فإنه كالأسد الضاري إنه حنق عليكم لأنكم نفيتموه نفي القردان عن المناسم والله إن له لسحرة ما رأيته قط ولا أحداً من أصحابه إلا رأيته معهم قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن خمره يا معشر قريش إن محمداً نزل يثرب وأرسل طلائعه وإنما يريد أن يصيب منكم شيئاً فاحذروا أن تمروا طريقه بن محمد بن عمر ابن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عمرو بن عوف عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال: آخرين . قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن نافع الطحان حدثنا أحمد بن صالح قال وجدت كلباً بالمدينة عن عبدالعزيز الدراوردي وإبراهيم بن عيينة عن مسعر عن سعيد بن خالد عن رجل عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله إنما أنا رحمة مهداة ثم أوردته من طريق الصلت ابن مسعود عن سفيان ثم ساقه من طريق أبي بكر بن المقرئ وأبي أحمد الحاكم كلاهما عن بكر ابن محمد بن إبراهيم الصوفي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي أسامة عن الحديث فقال كان عند حفص بن غياث مرسل. قال الحافظ ابن عساكر وقد رواه مالك بن سعيد بن الخمس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً قال إبراهيم الحربي وقد رواه غيره عن وكيع فلم يذكر أبا هريرة. وكذا قال البخاري وقد سئل عن هذا قال إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة انفرد بإخراجه مسلم وفي الحديث الآخر إنما أنا رحمة مهداة رواه عبد الله بن أبي عوانة وغيره عن مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر حدثنا مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن ابن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله أدع على المشركين القرار وقال تعالى في صفة القرآن قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد وقال في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس إلا رحمة للعالمين يخبر تعالى أن الله جعل محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل الرحمة وشكر هذه النعمة سعد وقوله وما أرسلناك الله وسلامه عليه أن يقول للمشركين إنما يوحى إلي أنما إليهم إله واحد فهل أنتم مسلمون أي متبعون على ذلك مستسلمون منقادون له . 108 يقول تعالى أمراً رسوله صلوات براءتي منكم وبراءتكم مني لعلمي بذلك. وقوله وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون أي هو واقع لا محالة ولكن لا علم لي بقربة ولا ببعده. 109 تخافن من قوم خيانة فانذب إليهم على سواء أي لكن علمك وعلمهم بنبذ العهود على السواء وهكذا ههنا فإن تولوا فقل أذنتكم على سواء أي أعلمكم كما أنكم حرب لي برئ منكم كما أنتم برآء مني كقوله فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم أعمالكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون وقال وإما فإن تولوا أي تركوا ما دعوتهم إليه فقل أذنتكم على سواء أي أعلمتكم أني حرب لكم وقال تعالى وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها الآية. وقوله وأنشأنا بعدها قوماً آخرين أي أمة أخرى بعدهم. 110 وقاله وكما قصصنا من قرية كانت ظالمة هذه صيغة تكثير كما قال وكما أهلكنا من القرون من بعد نوح العباد وما يسرون يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى ويعلم ما العباد عاملون في إجهارهم وإسرارهم وسيجزيهم على ذلك القليل والجليل. 110 إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون أي إن الله يعلم الغيب جميعه ويعلم ما يظهره أدري لعل هذا فتنة لكم ومتاع إلى حين قال ابن جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع إلى أجل مسمى وحكاة عون عن ابن عباس فالله أعلم. 111 وقاله وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين أي وما ما يقولون ويفترون من الكذب ويتنوعون في مقامات التكذيب والإفك والله المستعان عليكم في ذلك. آخر تفسير سورة الأنبياء والله الحمد والمنة. 112 عن زيد بن أسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد غزاة قال رب احكم بالحق وقوله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون أي على كانت الأنبياء عليهم السلام يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك وعن مالك قال رب احكم بالحق أي افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق قال قتادة فلما أحسوا بأسنا أي تيقنوا أن العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم إذا هم منها يركضون أي يفرون هاربين. 12

تفسير ابن كثير

- إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة قال قتادة استهزاء بهم لعلمكم تسئلون أي عما كنتم فيه من أداء شكر النعم. 13
لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم هذا تهكم بهم نذرا أي قيل لهم نذرا لا تركضوا هاربين من نزول العذاب وارجعوا
قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفذهم ذلك. 14
حتى جعلناهم حصيدا خامدين أي ما زالت تلك المقالة وهي الاعتراف بالظلم هجيراهم حتى حصدناهم حصدا وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودا. 15
فما زالت تلك دعواهم
بالحسنى والله لم يخلق ذلك عبثا ولا لعبا كما قال وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا من النار. 16
يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق أي بالعدل والقسط ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا
وقوله إن كنا فاعلين قال قتادة والسدي وإبراهيم النخعي ومغيرة بن مقسم أي ما كنا فاعلين وقال مجاهد: كل شيء في القرآن إن فهو إنكار. 17
القهار فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقا ولا سيما عما يقولون من الإفك والباطل من اتخاذ عيسى أو العزيز أو الملائكة سبحانه الله عما يقولون علوا كبيرا
والسدي: المراد بالله ههنا الولد وهذا والذي قبله متلازمان وهو كقوله تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد
حسابا وقال الحسن وقاتدة وغيرهما لو أردنا أن نتخذ لهوا الله المرأة بلسان أهل اليمن وقال إبراهيم النخعي لاتخذناه من الحور العين وقال عكرمة
إن كنا فاعلين قال ابن أبي نجيح عن مجاهد لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا يعني من عندنا يقول وما خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا
قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
ولكم الويل أي أيها القاتلون لله ولد مما تصفون أي تقولون وتفترون ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم في طاعته ليلا ونهارا. 18
وقوله بل تقذف بالحق على الباطل أي نبين الحق فيدحض الباطل ولهذا قال فيدمغه فإذا هو زاهق أي ذاهب مضمحل
يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا وقوله ولا يستحسرون أي لا يعتبرن ولا يملون. 19
فقال وله من في السموات والأرض ومن عنده يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته أي لا يستنكفون عنها كما قال لن يستنكف المسيح أن
تسألون أهل الكتب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابتكم أحدث الكتب بالله تقرأونه محضا لم يشب رواه البخاري بنحوه. 2
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث أي جديد إنزاله إلا استمعوه وهم يلعبون كما قال ابن عباس: ما لكم
فقالوا من بني عبد المطلب قال فقبل رأسي ثم قال: يا بني إنه جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس أليس تتكلم وأنت تتنفس وتمشي وأنت تتنفس؟ 20
وأنا غلام فقلت له رأيت قول الله تعالى للملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون أما يشغلهم عن التسييح الكلام والرسالة والعمل. فقال من هذا الغلام؟
يزيد بن أبي زريع عن سعيد عن قتادة مرسل وقال محمد بن إسحاق عن حسان بن مخارق عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: جلست إلى كعب الأحمار
. إني لأسمع أطيح السماء وما تلام أن تنط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم غريب ولم يخرجوه ثم رواه أعني ابن أبي حاتم من طريق
قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه إذ قال لهم هل تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يؤمرون وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام
يسبحون الليل والنهار لا يفترون فهم دائبون في العمل ليلا ونهارا مطيعون قصدا وعملا قادرين عليه كما قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
الأرض أي لا يقدرين على شيء من ذلك فكيف جعلوها لله ندا وعبدها معه ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفست السموات والأرض. 21
ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال: أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون أي أهم يحيون الموتى وينشرونهم من
فسبحان الله رب العرش عما يصفون أي عما يقولون إن له ولدا أو شريك سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علوا كبيرا. 22
لفسدنا كقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون وقال ههنا
فقال لو كان فيهما آلهة أي في السموات والأرض
يسئلون أي وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وهذا كقوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه. 23
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه وهم
وقوله
ما تقولونه وتزعمون فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطق بأنه لا إله إلا الله ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق فأنتم معرضون عنه ولهذا. 24
آلهة قل يا محمد هاتوا برهانكم أي دليلكم على ما تقولون هذا ذكر من معي يعني القرآن وذكر من قبلي يعني الكتب المتقدمة على خلاف
أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون يقول تعالى أم اتخذوا من دونه
إلى عبادة الله وحده لا شريك له والفطرة شاهدة بذلك أيضا والمشركون لا برهان لهم وحجتهم داحضة عند ربهم وعليم غضب ولهم عذاب شديد. 25
من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فكل نبي بعثه الله يدعو

تفسير ابن كثير

- قال وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون كما قال واسأل من أرسلنا بنات الله فقال سبحانه بل عباد مكرمون أي الملائكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات سامية وهم له في غاية الطاعة قولاً وفعلاً. 26 يقول تعالى رادا على من زعم أن له تعالى وتقدس ولدا من الملائكة كمن قال ذلك من العرب إن الملائكة يعملون أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم به بل يبادرون إلى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليهم منه خافية . 27 لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يشفع عنده إلا بإذنه وقوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له في آيات كثيرة في معنى ذلك وهم من خشيته أي من خوفه ورهيبته. 28 مشفقون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى كقوله من ذا الذي وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه كقوله قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وقوله لنن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . 29 ومن يقل منهم إني إله من دونه أي من ادعى منهم أنه إله من دون الله أي مع الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين أي كل من قال ذلك أفتأتون السحر وأنتم تبصرون أي أفتتبعونه فتكونون كمن يأتي السحر وهو يعلم أنه سحر فقال تعالى مجيباً لهم عما افتروا واختلقوه من الكذب . 3 بينهم خفية هل هذا إلا بشر مثلكم يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبعدون كونه نبياً لأنه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال وقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا أي قائلين فيما على شرط الصحيحين إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن واسمه سليم والترمذي يصح له وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا والله أعلم. 30 السلام وأطعم الطعام وصل الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام ورواه أيضاً عبد الصمد وعفان وبهز عن همام تفرد به أحمد وهذا إسناد إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من ماء قال قلت أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة قال أفش عن كل شيء قال كل شيء خلق من ماء . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أنه قال يا نبي الله إذا رأيتك قررت عيني وطابت نفسي فأخبرنا ذكر الله في كتابه وقال الحسن وقاتلة كانتا جميعاً ففصل بينهما بهذا الهواء وقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي أي أصل كل الأحياء. قال ابن أبي حاتم وزاد ولم تكن السماء والأرض متماسكتين وقال سعيد بن جبير بل كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض كان ذلك ففتقهما الذي أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سموات وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين وهكذا قال مجاهد علما وقال عطية العوفي كانت هذه رتقا لا تمطر فأمطرت وكانت هذه رتقا لا تنبت فأنبئت وقال إسماعيل بن أبي خالد سألت أبا صالح الحنفي عن قوله قد أوتي في القرآن علما صدق هكذا كانت قال ابن عمر قد كنت أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن علمت أنه قد أوتي في القرآن الأرض رتقا لا تنبت فلما خلق للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال ابن عمر الآن قد علمت أن ابن عباس قال اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله. ثم تعال فأخبرني بما قال لك قال فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس نعم كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت إبراهيم بن أبي حمزة حدثنا حاتم عن حمزة بن أبي محمد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما. كان قبل أو النهار؟ فقال أرايتم السموات والأرض حين كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء. ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد قال سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال سئل ابن عباس: الليل السماء وأنبتت الأرض ولهذا قال وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئاً فشيئاً عياناً وذلك كله دليل على متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعاً والأرض سبعاً وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمطرت بالخلق المستبد بالتدبير فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه ألم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا أي كان الجميع متصلاً ببعضه بعض العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات فقال أو لم ير الذين كفروا أي الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو المستقل يقول تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه
- الأرض يكون الجبل حائلاً بين هذه البلاد وهذه البلاد فيجعل الله فيه فجوة ثغرة ليسلك الناس فيها من ههنا إلى ههنا ولهذا قال لعلمهم يهتدون . 31 تميد بهم أي لئلا تميد بهم وقوله وجعلنا فيها فجاجاً سهلاً أي ثغراً في الجبال يسلكون فيها طرقاً من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم كما هو المشاهد في قرار عليها لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع فإنه باد للهواء والشمس ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات والحكم والدلالات. ولهذا قال أن وقوله وجعلنا في الأرض رواسي أي جبالاً أرسى الأرض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم هممت قال لا ولا هممت قالت فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر فقال نعم كثيراً قالت فمن ههنا أتيت ثم قال منها على بعض آياته. 32 فلم ير ذلك الرجل شيئاً مما كان محصل لغيره فشكى ذلك إلى أمه فقالت له يا بني فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه فقال لا والله ما أعلمه قالت فلعلك ذكر ابن أبي الدنيا رحمه الله في كتابه التفكير والاعتبار: أن بعض عباد بني إسرائيل تعبد ثلاثين سنة وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلمته غمامة والسيارات في ليلاها ونهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذي قدرها وسخرها وسيرها. وقد

تفسير ابن كثير

السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون أي لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر وما زينت به من الكواكب الثوابت ابن عباس قال رجل يا رسول الله ما هذه السماء قال موج مكفوف عنكم إسناده غريب وقوله وهم عن آياتها معرضون كقوله وكأين من آية في علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث يعني ابن إسحاق القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن أبي خمسة دعائم وهذا لا يكون إلا في الخيام كما تعهده العرب محفوظا أي عاليا محروسا أن ينال وقال مجاهد مرفوع. وقال ابن أبي حاتم حدثنا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والبناء هو نصب القبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس وجعلنا السماء سقفا محفوظا أي على الأرض وهي كالقبة عليها كما قال والسماء بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون وقال والسماء وما بناها أفلم ينظروا وقوله

والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا كما قال تعالى فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . 33 في فلك يسبحون أي يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور المغزل الفلكة قال مجاهد فلا يدور المغزل إلا بالفلكة ولا الفلكة إلا بالمغزل كذلك النجوم الآخر والشمس والقمر هذه لها نور يخصصها وفلك بذاته وزمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا بنور آخر وفلك آخر وسير آخر وتقدير آخر وكل وهو الذي خلق الليل والنهار أي هذا في ظلامه وسكونه وهذا بضائه وأنسه يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى وعكسه وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقوله أفان مت أي يا محمد فهم الخالدون أي يؤملون أن يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل إلى الفناء. 34 استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام مات وليس بحي إلى الآن لأنه بشر سواء كان وليا أو نبيا أو رسولا وقد قال تعالى يقول تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك أي يا محمد الخلد أي في الدنيا بل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وقد والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله وإلينا ترجعون أي فنجازيكم بأعمالكم. 35 أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونبلوكم يقول نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة لست فيها بأوحد فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تهيا لأخرى مثلها فكان قد وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم قال تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد روي عن الشافعي رحمه الله أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين: تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلک سبيل ولهذا

رأوك إن يتخذونك إلا هزوا هذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا . 36 قال تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون أي وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال في الآية الأخرى وإذا جهل وأشباهه إن يتخذونك إلا هزوا أي يستهزئون بك وينتقصونك يقولون هذا الذي يذكر آلهتكم يعنون هذا الذي يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه إذا رآك الذين كفروا يعني كفار قريش كأبي إذا أخذه لم يفلته يؤجل ثم يعجل وينظر ثم لا يؤخر ولهذا قال سأريك آياتي أي نقمي وحكمي واقتداري علي من عصاني فلا تستعجلون . 37 بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك فقال الله تعالى خلق الإنسان من عجل لأنه تعالى يملئ للظالم حتى التي خلق الله فيها آدم قال الله تعالى خلق الإنسان من عجل سأريك آياتي فلا تستعجلون والحكمة في ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لما ذكر المستهزئين أصابعه يقللها فسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه قال أبو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة وهي خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي وقبض حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر النهار من يوم خلق الخلق فلما أحيا الروح عيني ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال يا رب استعجل بخلقك. قبل غروب الشمس وقال ابن أبي حاتم وقوله خلق الإنسان من عجل كما قال في الآية الأخرى وكان الإنسان عجولا أي في الأمور قال مجاهد خلق الله آدم بعد كل شيء عن المشركين أنهم يستعجلون أيضا بوقوع العذاب بهم تكذيبا وجحودا وكفرا وعنادا واستبعادا فقال ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . 38 يخبر تعالى

من قطران وتغشى وجوههم النار فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم ولا هم ينصرون أي لا ناصر لهم كما قال ومالهم من الله من واق . 39 ومن تحتهم ظلل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال في هذه الآية حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم وقال: سراويلهم ظهورهم أي لو تيقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا به ولو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم لهم من فوقهم ظل من النار قال الله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن

أن يأتي بمثله إلا الذي يعلم السر في السموات والأرضى وقوله وهو السميع العليم أي السميع لأقوالكم العليم بأحوالكم وفي هذا تهديد لهم ووعيد. 4 يعلم القول في السماء والأرض أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين الذي لا يستطيع أحد قال ربي

تفسير ابن كثير

لها حائرين لا يدرون ما يصنعون فلا يستطيعون ردها أي ليس له حيلة في ذلك ولا هم ينظرون أي ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة. 40 وقوله بل تأتيهم بغتة أي تأتيهم النار بغتة أي فجأة فتبتهتهم أي تدعهم فيستسلمون

كما قال تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين. 41 من الاستهزاء والتكذيب ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون يعني من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه يقول تعالى مسلما لرسوله عما آذاه به المشركون

تذق بدل البقول الفستق وقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون أي لا يعترفون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم بل يعرضون عن آياته وآلائه. 42 تنام فقال قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن أي بدل الرحمن يعني غيره كما قال الشاعر: جارية لم تلبس المرققا ولم تذق من البقول الفستقا أي لم ثم ذكر تعالى نعمته على عبده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا

قال العوفي عن ابن عباس لا هم منا يصحبون أي يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره ولا هم منا يصحبون يمعنون. 43 لا ولا كما زعموا ولها قال لا يستطيعون نصر أنفسهم أي هذه الآلهة التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم وقوله ولا هم منا يصحبون ثم قال أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا استفهام إنكار وتقرير. وتوبيخ أي ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا ذلك إلا عما أوحاه الله إلي ولكن لا يجدي هذا عمن أعمى الله بصيرته وختم على سمعه وقلبه ولهذا قال ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون. 44 يعني بل هم المغلوبون الأسفلون الأخسرون الأردلون وقوله قل إنما أنذركم بالوحي أي إنما أنا مبلغ عن الله ما أنذرتكم به من العذاب والنكال ليس على الكفر والمعنى أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه وإهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة وإنجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال أفهم الغالبون سورة الرعد وأحسن ما فسر بقوله تعالى ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون وقال الحسن البصري يعني بذلك ظهور الإسلام العمر فيما هم فيه قاعتقدوا أنهم على شيء ثم قال واعظا لهم أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها اختلف المفسرون في معناه وقد أسلفناه في . يقول تعالى مخبرا عن المشركين إنما غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال أنهم متعوا في الحياة الدنيا ونعموا وطال عليهم

ذلك إلا عما أوحاه الله إلي ولكن لا يجدي هذا عمن أعمى الله بصيرته وختم على سمعه وقلبه ولهذا قال ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون. 45 قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون وقوله قل إنما أنذركم بالوحي أي إنما أنا مبلغ عن الله ما أنذرتكم به من العذاب والنكال ليس ربك ليقولن يا ولينا إنا كنا ظالمين أي ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله ليعترفون بذنوبهم وأنهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا. 46 وقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب

من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فقال الرجل يا رسول الله ما أجد شيئا خيرا من فراق هؤلاء يعني عبده إنني أشهدك أنهم أحرار كلهم. 47 ويهتف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما له لا يقرأ كتاب الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة كان فضلا لك وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم : يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم جلس بين يديه فقال يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضرهم وأشتهم فكيف أنا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد أيضا: حدثنا أبو نوح مرارا أنبأنا ليث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الرحمن عز وجل يقول لا تعجلوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها: لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان وقال الإمام توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان قال فيبيعت به إلى النار قال فإذا أدير به إذا صائح حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البطاقة قال ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد وقال الترمذي حسن غريب وقال الإمام أحمد أحضروه فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات ونقلت فيقول لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر لم يقول أنتكرن هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال لا يا رب قال أفلك عذر أو حسنة؟ قال فبهت الرجل عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر العظيم وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن ليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله لقمان يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير وفي الصحيحين عن أبي بها وكفى بنا حاسبين كما قال تعالى ولا يظلم ربك أحدا وقال إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وقال ليوم القيامة الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه وقوله فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا

تفسير ابن كثير

وقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا أي ونضع الموازين العدل

والحلال والحرام وعلى ما يحصل نورا في القلوب وهداية وخوف وإنابة وخشية ولهذا قال الفرقان وضيء وذكر للمتقين أي تذكيرا لهم وعظة. 48
الحق والباطل وقال ابن زيد يعني النصر وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد
ولهذا قال ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان قال مجاهد يعني الكتاب وقال أبو صالح التوراة وقال قتادة التوراة حلالها وحرامها وما فرق الله بين
قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيرا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وبين كتابيهما

بالغيب وجاء بقلب منيب وقوله إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وهم من الساعة مشفقون أي خائفون وجلون. 49

ثم وصفهم فقال الذين يخشون ربهم بالغيب كقوله من خشي الرحمن

فليأتنا بآية كما أرسل الأولون يعنون كناية صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الآية. 5
سحرا وتارة يجعلونه شعرا وتارة يجعلونه أضغاث أحلام وتارة يجعلونه مفتري كما قال انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلو فلا يستطيعون سبيلا وقوله
بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه
وقوله

العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أفأنتم له منكرون أي أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟. 50

ثم قال تعالى وهذا ذكر مبارك أنزلناه يعني القرآن

من هذه الأمة. والمقصود ههنا أن الله تعالى أخبر أنه قد أتى إبراهيم رشده من قبل أي من قبل ذلك وقوله وكنا به عالمين أي وكان أهلا لذلك. 51
لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون
ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة والذي نسله في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية
نكذبه بل نجعله وفقا وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته وكثير من ذلك ما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين
إسرائيل فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح وما خالف شيئا من ذلك رددناه وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا
أبيه له في السرب وهو رضيع وأنه خرج بعد أيام فنظر إلى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني
آتاه رشده من قبل أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال
يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه

رضي الله عنه على قوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطفأ خير له من أن يمسها. 52
معتكفون على عبادتها قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا سعيد بن طريف عن الأصمغ بن نباته قال: مر علي
عاكفون هذا هو الرشد الذي أوتيته من صغره الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله عز وجل فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون أي
ثم قال إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها

قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين لم يكن لهم حجة سوى صنع آباءهم الضلال. 53

مع آباءكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم فلما سفه أحلامهم وضلل آباءهم واحتقر آلهتهم. 54
ولهذا قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين أي الكلام

قالوا أجنثنا بالحق أم أنت من اللاعبين يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبا أو محقا فيه فإننا لم نسمع به قبلك. 55

وما حوت من المخلوقات الذي ابتدأ خلقهن وهو الخالق لجميع الأشياء وأنا على ذلكم من الشاهدين أي وأنا أشهد أنه لا إله غيره ولا رب سواه. 56
قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن أي ربكم الذي لا إله غيره وهو الذي خلق السموات والأرض

مروا عليه فقالوا يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ قال إني سقيم وقد كان بالأمس قال تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعه ناس منهم. 57
عامتهم وبقي ضعفاؤهم قال تالله لأكيدن أصنامكم فسمعه أولئك وقال ابن إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم
ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم فجعلوا يمشون عليه وهو صريع فيقولون: مه فيقول إني سقيم فلما جاز
بعد أن يولوا مدبرين أي إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون إليه قال السدي: لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبوه يا بني لو خرجت معنا إلى عيدك لأعجبك
ثم أقسم الخليل قسما أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم أي ليحرضن على أذاهم وتكسيرهم

لعلهم إليه يرجعون ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها. 58
وقوله فجعلهم جذاذا أي حطاما كسرها كلها إلا كبيرا لهم يعني إلا الصنم الكبير عندهم كما قال فراغ عليهم ضربا باليمين وقوله

بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها لا وعلى سخافة عقول عابديها قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين أي في صنيعه هذا. 59

تفسير ابن كثير

قالوا من فعل هذا بالهتتا إنه لمن الظالمين أي حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل

في جنات النعيم فليس فوقه أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش وأجل لي ولأمتي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلنا وهذا الحديث غريب جدا. 6
وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس وأدخل في شفاعتي سبعين ألفا من أمتي الجنة بغير حساب وآتاني السلطان والمك وجعلني في أعلى غرفة في الجنة وآتاني النصر وجعل الرعب أمامي وآتاني الكوثر وجعل حوضي من أكثر الحياض يوم القيامة ووعدي المقام المحمود والناس مهطعون مقنعو رءوسهم بها فيبشروني أنني بعثت إلى الأحمر والأسود وأمرني أن أنذر الجن وآتاني كتابه وأنا أُمي وغفر دنبي ما تقدم وما تأخر وذكر اسمي في الأذان وأمدني بالملائكة يقيم الله عز وجل فقلنا يا رسول الله: إنا لقينا من هذا المنافق فقال: إن جبريل قال لي اخرج فأخبر بنعم الله التي أنعم بها عليك وفضيلته التي فضلت وسلم فقال أبو بكر قوموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نستغيث به من هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه لا يقيم لي إنما موسى بالألواح وجاء داود بالزبور وجاء صالح بالناقة وجاء عيسى بالإنجيل وبالمائدة. فبكى أبو بكر رضي الله عنه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن فجاء عبد الله بن أبي سلول ومعه نمرقة وزربية فوضع وانتكأ وكان صبيحا فصيحيا جدلا فقال يا أبا بكر قل لمحمد يأتيينا بآية كما جاء الأولون؟ جاء الحارث بن زيد الحضرمي عن علي ابن رباح اللخمي حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول: كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ بعض وأقطع وأقهر مما شوهه مع غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. قال ابن أبي حاتم رحمه الله ذكر عن زيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة حدثنا الأئيم هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو أظهر وأجلى وأبهر كذبوا فأهلكناهم بذلك أهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك؟ كلا بل إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب ولهذا قال تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون أي ما آتينا قرية من القرى الذي بعث فيهم الرسل آية على يدي نبيها فآمنوا بها بل عن أبيه عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. 60
ليكيدنهم سمعنا فتى أي شابا يذكرهم يقال له إبراهيم قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبد الحميد عن قابوس قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم أي قال من سمعه يحلف إنه

المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرا ولا تملك لها نصرا فكيف يطلب منها شيء من ذلك؟. 61
فأتوا به على أعين الناس أي على رءوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين في هذا وقوله قالوا

قالوا أنت فعلت هذا بالهتتا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا يعني الذي تركه لم يكسره. 62

قالت كفى الله كيد الكافر الفاجر وأخذ مني هاجر قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال تلك أمكم يا بني ماء السماء. 63
إنك لم تأتني بإنسان ولكنك أتيتني بشيطان أخرجه وأعطها هاجر فأخرجت وأعطيت هاجر فأقبلت فلما أحس إبراهيم بمجنيتها انفتل من صلاته وقال مهمهم؟ إليها فتناولها فأخذ بمثلها أو أشد ففعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل المرتين الأوليين فقال ادعي الله فلا أضرك فدعت له فأرسل ثم دعا أدنى حجابها فقال فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي فلما أن دخلت عليه فرأها أهوى إليها فتناولها فأخذ أخذاً شديدا فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت له فأرسل فأهوى فانطلق إلى سارة فقال إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله وإنه ليس في الأرض مسلم غيبي وغيرك الجبار رجل فقال إنه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه فجاء فقال ما هذه المرأة منك؟ قال أختي. قال فاذهب فأرسل بها إلي ثلاث: ثنتين في ذات الله قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله إني سقيم قال وبيننا هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة إذ نزل منزلا فأتى من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير إن كانوا ينطقون وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد. وفي الصحيحين فأسألوهم

فرجعوا إلى أنفسهم أي بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون أي في ترككم لها مهملة لا حافظ عندها. 64
يقول تعالى مخبرا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال

قالوا له لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تقول لنا سلوهم إن كانوا ينطقون وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك. 65
وقال السدي ثم نكسوا على رءوسهم أي في الفتنة وقال ابن زيد أي في الرأي وقول قتادة أظهر في المعنى لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزا ولهذا على رءوسهم أي ثم أطفقوا في الأرض فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال قتادة أدركت القوم حيرة سوء فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ثم نكسوا

أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أي إذا كانت لا تنطق وهي لا تنفع ولا تضر فلم تعبدونها من دون الله. 66
والكفر الغليظ الذي لا يروح إلا على جاهل ظالم فاجر فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها ولهذا قال تعالى وتلك حجتنا آتينا إبراهيم على قومه الآية. 67
أي أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال

تفسير ابن كثير

سعيد بن جبير ويروى عن ابن عباس أيضا قال لما ألقى إبراهيم جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فأرسله قال فكان أمر الله أسرع من أمره. 68
كان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة فآله أعلم وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما من الله فبلى وقال السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك ويروى أنه لما جعلوا يوثقونه قال: لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك وقال شعيب الجبائي عن أبي جعفر عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال الله إنك في حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وروى الحافظ أبو يعلى حدثنا ابن هشام حدثنا إسحاق بن سليمان حسبي الله ونعم الوكيل كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبي الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد عليه الصلاة والسلام المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد قال شعيب الجبائي اسمه هيزن فحسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة فلما ألقوه قال: لحريق إبراهيم ثم جعلوه في جوبة من الأرض وأضرموها نارا فكان لها شرر عظيم ولهيب مرتفع لم توقد نار قط مثلها وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة ملكهم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين فجمعوا حطباً كثيراً جداً قال السدي حتى إن كانت المرأة تمرض فتندثر إن عوفيت أن تحمل حطباً لما دحضت حجبتهم وبان عجزهم وظهر الحق اندفع الباطل عدلوا إلى استعمال جاه

حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفئ النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ على إبراهيم فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله. 69
فأريت في بيتها رمحا فقلت: يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح؟ فقالت تقتل به هذه الأوزاغ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبراهيم حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثني عمي حدثنا جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال حدثني مولاة الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت دخلت على عائشة إبراهيم وقال قتادة لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ وقال الزهري أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا. وقال ابن أبي حاتم زرعة ابن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال إن أحسن شيء قال أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وجده يرش جبينه قال عند ذلك نعم الرب ربك يا قال فكان فيها إما خمسين وإما أربعين قال ما كنت أياما وليالي قط أطيب عيشا إذ كنت فيها وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها وقال أبو أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن المنهال بن عمرو قال أخبرنا أن إبراهيم ألقى في النار حتى أحمدها الله قال ويذكرون أن جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك وقال السدي كان معه فيها ملك الظل. وقال علي بن جويبر عن الضحاك كوني بردا وسلاما على إبراهيم قالوا صنعوا له حظيرة من حطب جزل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فأصبح ولم يصبه منها شيء قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم قال لا تضر به وقال ابن عباس وأبو العالية لولا أن الله عز وجل قال وسلاما لأذى إبراهيم بردها وقال الأرض إلا طفت وقال كعب الأحبار لم ينتفع أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه وقال الثوري عن الأعمش عن شيخ عن علي بن أبي طالب قال الله يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم قال لم يبق نار في

الذين آتوهم بشرا أو ملائكة وإنما كانوا بشرا وذلك من تمام نعمة الله على خلقه إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم. 7
أبشر يهودونا ولهذا قال تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون أي اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى وقال تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وقال تعالى حكاية عن تقدم من الأمم لأنهم أنكروا ذلك فقالوا وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم أي جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال في الآية الأخرى وما يقول تعالى رادا على من أنكر بعثة الرسل من البشر

من النار فغلبوا هنالك وقال عطية العوفي لما ألقى إبراهيم في النار جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقعت على إبهامه فأحرقته مثل الصوفة. 70
وقوله وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين أي المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بنبي الله كيدا فكادهم الله ونجاه
ابن عباس إلى مكة ألا تسمع إلى قوله إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا. 71
وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على أن يفر بها رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهاجرا من بلاده وقال العوفي عن الأحبار في قوله إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين إلى حران وقال السدي انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام فلقي إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال وقال كعب الصخرة وكذا قال أبو العالية أيضا وقال قتادة كان بأرض العراق فأنجاه الله إلى الشام وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد في الشام منها. قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين قال الشام وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت يقول تعالى مخبرا عن إبراهيم إنه سلمه الله من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرا إلى بلاد الشام إلى الأرض المقدسة

أسلم سأل واحدا فقال رب هب لي من الصالحين فأعطاه الله إسحاق وزاده يعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين أي الجميع أهل خير وصلاح. 72
وقتادة والحكم بن عبيدة النافلة ولد الولد يعني أن يعقوب ولد إسحاق كما قال فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحق يعقوب وقال عبد الرحمن بن زيد بن وقوله ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة قال عطاء ومجاهد عطية وقال ابن عباس

وكانوا لنا عابدين أي فاعلين لما يأمرون الناس به ثم عطف بذكر لوط وهو بن هاران بن آزر كان قد آمن بإبراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه. 73

تفسير ابن كثير

يقتدى بهم يهدون بأمرنا أي يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من باب عطف الخاص على العام وجعلناهم أئمة أي

من كتابه العزيز ولهذا قال ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين . 74 إلى ربي فأتاه الله حكما وعلما وأوحى إليه وجعله نبيا وبعثه إلى سدوم وأعمالها فخالقوه وكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم كما قص خبرهم في غير موضع كانوا قوم سوء فاسقين كما قال تعالى فأمن له لوط وقال إني مهاجر

من كتابه العزيز ولهذا قال ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين . 75 إلى ربي فأتاه الله حكما وعلما وأوحى إليه وجعله نبيا وبعثه إلى سدوم وأعمالها فخالقوه وكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم كما قص خبرهم في غير موضع كما قال تعالى فأمن له لوط وقال إني مهاجر

إلا خمسين عاما يدعوههم إلى الله عز وجل فلم يؤمن به منهم إلا القليل وكانوا يتصدون لأذاه ويتواصون قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل على خلافه. 76 قال وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل وقوله من الكرب العظيم أي من الشدة والتكذيب والأذى فإنه لبث فيهم ألف سنة الكافرين ديارا إنك إن نذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ولهذا قال ههنا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله أي الذين آمنوا به كما تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لما كذبوه فدعا ربه أني مغلوب فانتصر وقال نوح رب لا تذر على الأرض من يخبز

القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين أي أهلكهم الله بعامته ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم. 77 وقوله ونصرناه من القوم أي ونجيناه وخلصناه منتصرا من

الحوائط حفظها بالنهار وما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها وقد علل هذا الحديث وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب الأحكام وبالله التوفيق. 78 بن سعد عن الزهري عن حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطا فأفسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل كان ليلا ضمن ثم قرأ داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث الآية وهذا الذي قاله شريح شبيه بما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث الليث إسماعيل عن عامر قال جاء رجلان إلى شريح فقال أحدهما إن شياه هذا قطعت غزلا لي فقال شريح نهارا أم ليلا؟ فإن كان نهارا فقد برئ صاحب الشياه وإن الغنم غنمهم وأهل الكرم كرمهم. وهكذا قال شريح ومرة ومجاهد وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا تؤخذ الغنم فيعطاها أهل الكرم فيكون لهم لبنها ونفعها ويعطى أهل الغنم الكرم فيعمروه ويصلحوه حتى يعود كالذي كان ليلة نفشت فيه الغنم ثم يعطى أهل مرة عن مسروق قال الحرث الذي نفشت فيه الغنم إنما كان كرما فلم تدع فيه ورقة ولا عنقودا من غنم إلا أكلته فأتوا داود فأعطاهم رقابها فقال سليمان لا بل الحرث الذي كان عليه أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا خديج عن أبي إسحاق عن فقال كيف تقضي بينهم؟ قال أدفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له أولادها وألبانها وسلأوها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا بلغ بالغنم لأصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال لهم سليمان كيف قضى بينكم فأخبروه فقال لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه صاحبها فذلك قوله ففهمناها سليمان وكذا روى العوفي عن ابن عباس. وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد حدثني خليفة عن ابن عباس قال قضى داود الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى قال كرم قد أنبتت عناقيده فأفسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله قال وما ذاك؟ قال تدفع الكرم إلى صاحب الأصم قال حدثنا المحاربي عن أشعث عن أبي إسحق عن مرة عن ابن مسعود في قوله داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ابن عباس النفس الرعي وقال شريح والزهري وقتادة: النفس لا يكون إلا بالليل زاد قتادة والهمل بالنهار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس قال ابن إسحاق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحرث كرما قد تدلت عناقيده وكذا قال شريح وقال

صوت صنج ولا يربط ولا يربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه ومع هذا قال عليه الصلاة والسلام لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود . 79 واستمع لقراءته وقال: لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود قال يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا وقال أبو عثمان النهدي ما سمعت فتجاوبه وترد عليه الجبال تأويبا ولهذا لما مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل وكان له صوت طيب جدا فوقف عليه فأمر بقتلهم وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير الآية وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء أغبش وقال الآخر أبيض فأمر عند ذلك بقتلهم فحكي ذلك لداود عليه السلام فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب فاختلفوا بأنها مكنت من نفسها كلبا فقال سليمان فرقوا بينهم فسأل أولهم ما كان لون الكلب فقال أسود فعزله واستدعى الآخر فسأله عن لونه فقال أحمر وقال الآخر منها فأمر برجمها فلما كان عشية ذلك اليوم جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فانتصب حاكما وتزيا أربعة منهم بزى أولئك وآخر بزى المرأة وشهدوا عليها عن نفسها أربعة من رؤسائهم فامتنعت على كل منهم فاتفقوا فيما بينهم عليها فشهدوا عند داود عليه السلام أنها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك بن صالح عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشر عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس فذكر قصة مطولة ملخصها أن امرأة حسناء في زمان بني إسرائيل راودها

تفسير ابن كثير

ليستعلم الحق وهكذا القصة التي أوردها الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه السلام من تاريخه عن طريق الحسن بن سفيان عن صفوان الله هو ابنها لا تشقه فقصى به للصغرى وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وبوب عليه النسائي في كتاب القضاة باب الحاكم يوههم خلاف الحكم لهما إذ جاء الذئب فأخذ أحد الابنين فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا فدعاهما سليمان فقال هاتوا السكين أشقه بينكما فقالت الصغرى يرحمك حيث قال حدثنا علي بن حفص أخبرنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما امرأتان معهما ابنان بين الناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى خلافه فهو في النار وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن ما رواه الإمام أحمد في مسنده إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار والله أعلم وفي السنن: القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم الله صلى الله عليه وسلم: إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر فهذا الحديث يرد نسا ما توهمه إياس من أن القاضي وجل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص أنه قال قال رسول الله وقال فلا تخشوا الناس واخشون وقال ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا قلت أما الأنبياء عليهم السلام فكلهم معصومون مؤيدون من الله عز به ثمنا قليلا ولا يتبعوا فيه الهوى ولا يخشوا فيه أحدا ثم تلا يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين فأتى الله على سليمان ولم يذم داود ثم قال يعني الحسن إن الله اتخذ على الحكام ثلاثا لا يشتروا إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليه الصلاة والسلام والأنبياء حكما يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم قال الله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان في قال يا أبا سعيد بلغني أن القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن البصري: وعلمنا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن حميد أن إياس ابن معاوية لما استقصى أتاها الحسن فبكى فقال ما يبكيك؟ وقوله ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وخصتهم أنهم يوحى إليهم من الله عز وجل تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكمه في خلقه مما يأمر به وينهى عنه. 8 أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها الآية وقوله وما كانوا خالدين أي في الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضرار لهم ولا ناقص منهم شيئا كما توهمه المشركون في قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا قال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق أي قد كانوا بشرا من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون وقوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أي بل قد كانوا أجسادا يأكلون الطعام كما

الحلقة ولهذا قال لتحصنكم من بأسكم يعني في القتال فهل أنتم شاكرون أي نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعلمه ذلك من أجلكم. 80 وهو أول من سردها حلقا كما قال تعالى وألنا له الحديد أن عمل سابغات وقدر في السرد أي لا توسع الحلقة فتقلق المسمار ولا تغلظ المسمار فتقد وقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم يعني صنعة الدروع قال قتادة إنما كانت الدروع قبله صفائح رأسه ما يلتفت يمينه ولا شمالا تعظيما لله عز وجل وشكرا لما يعلم من صغره ما هو فيه في ملك الله عز وجل حتى تضعه الريح حيث شاء أن تضعه. 81 فيوضع على أعلى مكان منها ثم يدعو بفارس من ذوات الأجنحة فترتفع حتى يصعد على فراشه ثم يأمر الريح فترتفع به كل شرف دون السماء وهو مطأطئ ثم يأمر الريح فتحملهم صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله ابن عبيد بن عمير كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالطود العظيم كالجبل ثم يأمر بفراشه سنان عن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي فيجلس مما يليه مؤمنو الإنس ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ثم يأمر الطير فتظلمهم الله تعالى فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وقال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر قال ابن أبي حاتم ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبي الجند ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته ثم تحمله وترفعه وتسير به وتظله الطير تقيه الحر إلى حيث يشاء من الأرض فينزل وتوضع آلاته وحشمه قال يعني أرض الشام وكنا بكل شيء عالمين وذلك أنه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة والخيال والجمال والخيام وقوله ولسليمان الريح عاصفة أي وسخرنا لسليمان الريح العاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها

أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه بل هو يحكم فيهم إن شاء أطلق وإن شاء حبس منهم من يشاء ولهذا قال وآخرين مقرنين في الأصفاد. 82 وآخرين مقرنين في الأصفاد وقوله وكنا لهم حافظين أي يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر من يغوصون له أي في الماء يستخرجون اللآلئ والجواهر وغير ذلك ويعملون عملا دون ذلك أي غير ذلك كما قال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وقوله ومن الشياطين

يأخذ منه بيده ويجعله في ثوبه قال فقيل له يا أيوب أما تشيع؟ قال يا رب ومن يشيع من رحمتك؟ أصله في الصحيحين وسيأتي في موضع آخر. 83 عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل فيه شفاءك وقرب عن صاحبك قربانا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك رواه ابن أبي حاتم. وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام ابن عباس ورد عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى أيوب قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معه فاغتسل بهذا الماء فإن لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب فجعلت تكلمه ساعة. فقال ويحك أنا أيوب قالت أتسخر مني يا عبد الله؟ فقال ويحك أنا أيوب قد رد الله علي جسدي وبه قال

تفسير ابن كثير

عن ابن عباس قال: وألبسه الله حلة من الجنة فتحنى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله أين ذهب هذا المبتلى الذي كان ههنا بارد وشراب رفع هذا الحديث غريب جدا. وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبيل فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق قال وكان له صاحبه وما ذاك؟ قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه السلام ما أدري من إخوانه كانا من أخص إخوانه له كانا يغدوان إليه فقال ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال عن الزهري عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين رأسه حتى كشف عنه وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعا ينحو هذا فقال أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل أعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال: اللهم بعزتكم لا أرفع رأسي أبدا حتى تكشف عني فما رفع تعلم أنني لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم يكن لي قميصان قط وأنا ريحهما فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يجزع من شيء قط فقال: اللهم إن كنت وحدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب عليه السلام أخوان فجاءوا يوما فلم يستطيعا أن يدنوا منه من حتى مر به نفر من بني إسرائيل فقال بعضهم لبعض ما أصابه ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه فعند ذلك قال رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي أن الشيطان الذي عرج في أيوب كان يقال له مبسوط قال وكانت امرأة أيوب تقول ادع الله فيشفيك فجعل لا يدعو شديدا فعند ذلك دعا الله عز وجل فقال رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد من تلك الجارية فأعطوها أيضا من ذلك الطعام فأنت به أيوب فقال والله لا أطعمه حتى أعلم من أين هو فوضعت خمارها فلما رأى رأسها محلوفا جزع جزعا به أيوب فلما رآه أنكره وقال من أين لك هذا قالت عملت لأناس فأطعموني فأكل منه فلما كان الغد خرجت فطلبت أن تعمل فلم تجد فلحقت أيضا قرنا فباعته بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب الجوع حلفت من شعرها قرنا فباعته من صبية من بنات الأشراف فأعطوها طعاما طيبا كثيرا فأنت ويتوب بعد ذلك فقالت ذلك لأيوب فقال قد أتاك الخبيث. لله علي إن برأت أن أجلك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فحضر عنها الرزق فجعلت لا تأتي أهل القرص ورجعت ثم إن إبليس أتاه في صورة طبيب فقال لها إن زوجك قد طال سقمه فإن أراد أن يبرأ فليأخذ ذابا فليذبحه باسم صنم بني فلان فإنه يبرأ أيوب الخطاء فلما صعدت وجدت الصبي قد استيقظ وهو يطلب القرص ويبكي على أهله لا يقبل منهم شيئا غيره فقالت: رحمه الله يعني أيوب فدفعت إليه قال فلعل الصبي قد استيقظ فطلب القرص فلم يجده فهو يبكي على أهله فانطلق به إليه فأقبلت حتى بلغت درجة القوم فنطحت شاة لهم فقالت تعس لهم صبي فجعلت لهم قرصا وكان ابنهم نائما فكروه أن يوقظوه فوهبه لها فأنت به إلى أيوب فأنكره وقال ما كنت تأتيني بهذا فما بالك اليوم فأخبرته الخبر برأت قال فغضب وقال جاءكما الخبيث فأمركما بهذا؟ كلامكما وطعامكما وشرابكما علي حرام فقاما من عنده وخرجت امرأته تعمل للناس فخبزت لأهل بيت رأسه إلى السماء فقال: هو يعلم ما أسررت شيئا أظهرت غيره ولكن ربي ابتلاني لينظر أأصبر أم أجزع فقالا له يا أيوب اشرب من خمرنا فإنك إن شربت منه فقال من أنتما فقالا نحن فلان وفلان فرحب بهما وقال مرحبا بمن لا يجفوني عند البلاء فقالا يا أيوب لعلك كنت تسر شيئا وتظهر غيره فلذلك ابتلاك الله فرفع له وأخوين فأتاها فقال أخوكما أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فأتياه وزوراه واحملا معكما من خمر أرضكما فإنه إن شرب منه برئ فأتياه فلما نظرا إليه بكيا له سبعين سنة فجزع من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالأجر وتأتيه بما تصيب فتطعمه وإن إبليس انطلق إلى رجلين من أهل فلسطين كانا صديقين عليه وتأتيه بالرماد يكون فيه فقالت له امرأته لما طال وجعه يا أيوب لو دعوت ربك يفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله أن أصبر الثناء. وقال وهب بن منبه مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال السدي: تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام فكانت امرأته تقوم وقاتلة ابتلي أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهرها ملقى على كناسة بني إسرائيل تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن عليه من متأخري المفسرين وفيها غرابة تركناها لحال لطول وقد روى أنه مكث في البلاء مدة طويلة ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء فقال الحسن ذلك إلا ابتغاء وجهك. رواه ابن أبي حاتم وقد روي عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه وذكرها غير واحد فلم يبق على بابي أحد يشكوني لظلم ظلمته وأنت تعلم ذلك وإنه كان يوطأ لي الفراش فأتركها وأقول لنفسِي: يا نفس إنك لم تخلق لوطء الفراش ما تركت بيني وبينك شيء لو يعلم عدوي إبليس بالذي صنعت حسدني. قال فلقي إبليس من ذلك منكرا قال وقال أيوب عليه السلام يا رب إنك أعطيتني المال والولد ثم قال: أحمذك رب الأرباب الذي أحسنت إلي أعطيتني المال والولد فلم يبق من قلبي شعبة آلا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله مني وفرغت قلبي فليس يحول غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك. وقال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب الأهل والمال والولد ولم يبق شيء له أحسن الذكر ثم الأمثل فالأمثل وفي الحديث الآخر يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام سوى زوجته كانت تقوم بأمره ويقال إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافه الجليس وأفرد في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية فابتلي في ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلي في جسده يقال بالجذام

تفسير ابن كثير

يذكر تعالى عن أيوب ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده

لئلا يظن أهل البلاء إنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا وليتأسوا به في الصبر على مقذورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء وله الحكمة البالغة في ذلك. 84 قتادة والسدي وغير واحد من السلف والله أعلم وقوله رحمة من عندنا أي فعلنا به ذلك رحمة من الله به وذكرى للعابدين أي وجعلناه في ذلك قدوة عمران الجوني عن نوف البكالي قال أوتي أجرهم في الآخرة وأعطيت مثلهم في الدنيا قال فحدثت به مطرفا فقال ما عرفت وجهها قبل اليوم وكذا روي عن بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل أتركهم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا وقال حماد بن زيد عن أبي بن إبراهيم قال ويقال ليا بنت يعقوب عليه السلام زوجة أيوب كانت معه بأرض الثنية وقال مجاهد قيل له يا أيوب إن أهلك لك في الجنة فإن شئت أتيناك ذلك عنهم فهو مما لا يصدق ولا يكذب وقد سماها ابن عساكر في تاريخه رحمه الله تعالى قال ويقال اسمها ليا بنت ميسا بن يوسف ابن يعقوب بن إسحاق وبه قال الحسن وقتادة وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة وإن كان أخذه من نقل أهل الكتاب وصح وقوله وأتيناها أهله ومثلهم معهم قد تقدم عن ابن عباس أنه قال ردوا عليه بأعيانهم وكذا رواه العوفي عن ابن عباس أيضا وروى عن ابن مسعود ومجاهد لم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان الكفل ولم يقل ذو الكفل فلعله رجل آخر والله أعلم. 85 لا يعصي الله الكفل أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله للكفل هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم وهذا الحديث أكرهته؟ قالت لا ولكن هذا عمل لم عمله قط وإنما حملني عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعلينه قط ثم نزل فقال اذهب بالدنانير لك ثم قال: والله من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاه ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك عمر قال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لو لم أسمعته إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال كان الكفل منقطعاً والله أعلم وقد روى الإمام أحمد حديثا غريبا فقال حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن من بعده فكان يصلي كل يوم مائة صلاة فسمي ذا الكفل وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال أبو موسى الأشعري فذكره الأشعري وهو يقول على هذا المنبر: ما كان ذو الكفل بنبي ولكن كان يعني في بني إسرائيل رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من السلف نحو هذه القصة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر أخبرنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة ابن الأخنس قال سمعت حتى أجيء معك قال فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه نشر يده منه ففر. وهكذا روي عن عبد الله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبي حنيفة الأكبر وغيرهم بك تجيء كل يوم حين ينأى لا تدعه ينأى قال فجعل يصيح من أجل أني مسكين لو كنت غنيا قال فسمع أيضا فقال ما لك؟ قال ذهبت إليه فضربني قال امش ما لك؟ قال ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأسا قال اذهب إليه فقل له يعطيك حقا فذهب ثم جاء من الغد حين قال: قال فقال له أصحابه أخرج فعل الله يوقظه قال فسمع فقال ما لك؟ قال إنسان مسكين له على رجل حق قال فاذهب فقل له يعطيك قال قد أبي قال اذهب أنت إليه فذهب ثم جاء من الغد فقال فقال له أصحابه ما لك؟ قال إنسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا كما أنت حتى يستيقظ قال وهو فوق نائم قال فجعل يصيح عمدا حتى فقال رجل: أنا فسمي ذا الكفل قال فكان ليله جميعا يصلي ثم يصبح صائما فيقضي بين الناس قال وله ساعة يقبضها قال فكان كذلك فأتاه الشيطان عند نومته حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن مسلم قال: قال ابن عباس كان قاض في بني إسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامي على أن لا يغضب قال: لأنه تكفل بأمر فوفى به. وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث زهير بن إسحاق عن داود عن مجاهد بمثله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن يونس إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله؟ قال نعم. أعيتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فسماه الله ذا الكفل منها فإذا هو في البيت وإذا هو يدق الباب من داخل قال واستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلي والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت قال فقام فقال له الرجل: وراءك وراءك قال إني قد أتيت أمس وذكرت له أمري فقال لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور فراح فجعل ينتظره ولا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدع أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإني قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء أقل لك إذا قعدت فأتني قال إنهم أخبرت قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقا وإذا قمت جحدوني قال فانطلق فإذا رحلت فأتني قال ففاتته القائلة الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أنه فدى الباب فقال من هذا؟ قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم حتى حضر الرواح وذهبت القائلة فقال إذا رحلت فأتني أخذ لك حقا فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان هذا؟ قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا وجعل يطول عليه ذلك فقال دعوني وإياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النوم فدى الباب فقال من قال فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر فسكت الناس. وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم يتقبل مني بثلاث استخلفه فيصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدرية الأعين فقال أنا فقال أن تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال نعم وهيب حدثنا داود عن مجاهد قال لما كبر البسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل فجمع الناس فقال من له ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل وكذا روى ابن أبي نجيع عن مجاهد أيضا وروى ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عفان حدثنا ابن جرير في ذلك والله أعلم قال ابن جرير عن مجاهد في قوله وذا الكفل قال رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه ويقمهم عليه السلام وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي وقال آخرون إنما كان رجلا صالحا وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا وتوقف

تفسير ابن كثير

وأما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا إدريس

لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان الكفل ولم يقل ذو الكفل فلعله رجل آخر والله أعلم. 86
لا يعصي الله الكفل أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله للكفل هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم وهذا الحديث أكرهته ؟ قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنما حملني عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعلينه قط ثم نزل فقال اذهبي بالدنانير لك ثم قال: والله من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاهما ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك عمر قال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لو لم أسمعته إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال كان الكفل منقطعا والله أعلم وقد روى الإمام أحمد حديثا غريبا فقال حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن من بعده فكان يصلي كل يوم مائة صلاة فسمي ذا الكفل وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال أبو موسى الأشعري فذكره الأشعري وهو يقول على هذا المنبر: ما كان ذو الكفل بنبي ولكن كان يعني في بني إسرائيل رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من السلف نحو هذه القصة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر أخبرنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة ابن الأخنس قال سمعت حتى أجيء معك قال فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه نشر يده منه ففر. وهكذا روي عن عبد الله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبي حنيفة الأكبر وغيرهم بك تجيء كل يوم حين ينام لا تدعه ينام قال فجعل يصيح من أجل أنني مسكين لو كنت غنيا قال فسمع أيضا فقال ما لك ؟ قال ذهبت إليه فضربني قال امش ما لك ؟ قال ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأسا قال اذهب إليه فقل له يعطيك حقا فذهب ثم جاء من الغد حين قال: قال فقال له أصحابه أخرج فعل الله يوقظه قال فسمع فقال ما لك ؟ قال إنسان مسكين له على رجل حق قال فاذهب فقل له يعطيك قال قد أبي قال اذهب أنت إليه فذهب ثم جاء من الغد فقال فقال له أصحابه ما لك ؟ قال إنسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا كما أنت حتى يستيقظ قال وهو فوق نائم قال فجعل يصيح عمدا حتى فقال رجل: أنا فسمي ذا الكفل قال فكان ليله جميعا يصلي ثم يصبح صائما فيقضي بين الناس قال وله ساعة يقيها قال فكان كذلك فأثاه الشيطان عند نومه حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن مسلم قال: قال ابن عباس كان قاض في بني إسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامي على أن لا يغضب قال: لأنه تكفل بأمر فوفى به. وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث زهير بن إسحاق عن داود عن مجاهد بمثله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله؟ قال نعم. أعيتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فسماه الله ذا الكفل منها فإذا هو في البيت وإذا هو يدق الباب من داخل قال واستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلي والله فلم تؤت فأنظر من أين أتيت قال فقام فقال له الرجل: وراءك وراءك قال إني قد أتيت أمس وذكرت له أمري فقال لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتصور فراح فجعل ينتظره ولا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدع أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإني قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء أقل لك إذا قعدت فأتني قال إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقا وإذا قمت جحدوني قال فانطلق فإذا رحلت فأتني قال ففاته القائلة الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أنه فدق الباب فقال من هذا ؟ قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم حتى حضر الرواح وذهبت القائلة فقال إذا رحلت فأتني أخذ لك حقا فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان هذا؟ قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا وجعل يطول عليه ذلك فقال دعوني وإياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من قال فردد ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر فسكت الناس. وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم يتقبل مني بثلاث استخلفه فيصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدرية الأعين فقال أنا فقال أن تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال نعم وهيب حدثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل فجمع الناس فقال من له ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل وكذا روى ابن أبي نجيع عن مجاهد أيضا وروى ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عفان حدثنا ابن جرير في ذلك والله أعلم قال ابن جرير عن مجاهد في قوله وذو الكفل قال رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه ويقمهم عليه السلام وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي وقال آخرون إنما كان رجلا صالحا وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا وتوقف وأما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا إدريس

لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة قالوا يا رب أولا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحة في العراء. 87
العرش فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذلك؟ قالوا لا يا رب ومن هو؟ قال عبيد يونس قالوا عبيدك يونس الذي النبي عليه السلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فأقبلت هذه الدعوة تحت عمي حدثني أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه قال سمعت أنس ابن مالك ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يونس بنحوه ثم قال لا نعلمه يروي عن النبي إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب حدثنا الساحل كما قال الله تعالى وهو سقيم رواه ابن جرير ورواه البزار في مسنده من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة فذكره في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقفه في

تفسير ابن كثير

البحر قال وسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته له لحما ولا تكسر له عظما فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش وقال سعيد بن أبي الحسن البصري مكث في بطن الحوت أربعين يوما رواهما ابن جرير وقال محمد بن إسحاق بن يسار عمن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجله فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس انتهى به إلى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى في قراره فعند ذلك وهنالك قال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقال عوف الأعرابي سالم بن أبي الجعد: ظلمة حوت في بطن حوت آخر في ظلمة البحر قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وذلك أنه ذهب به الحوت في البحار يشقها حتى بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذا روي عن ابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والضحاك والحسن وقتادة وقال قوله تعالى فالتقى الماء على أمر قد قدر أي قدر وقوله فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال ابن مسعود: ظلمة عليه كأنه جعل ذلك بمعنى التقدير فإن العرب تقول قدر وقدر بمعنى واحد وقال الشاعر: فلا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يكن ذلك الأمر ومنه ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا وقال عطية العوفي أي فظن أن لن نقدر عليه أي نقضي أن لن نقدر عليه أي نضيق عليه في بطن الحوت. يروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى رزقا وإنما بطنك تكون له سجنا وقوله وذا النون يعني الحوت صحت الإضافة إليه بهذه النسبة. وقوله إذ ذهب مغاضبا قال الضحاك لقومه فظن حوتا يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحما ولا تهشم له عظما فإن يونس ليس لك أي وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الأخضر فيما قاله ابن مسعود منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا قال الله تعالى فساهم فكان من المدحضين الدنيا ومتعناهم إلى حين . وأما يونس فإنه ذهب فركب قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون الغم وسخاها فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ورغبت الإبل وفصلانها وخارت البقر وأولادها وثقت عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء سورة الصافات وفي سورة ن وذلك أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا هذه القصة المذكورة ههنا وفي

وذا النون إذ ذهب مغاضبا إلى قوله وكذلك ننجي المؤمنين ابن أخي هذا اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. 88
عن كثير بن معبد قال سألت الحسن فقلت يا أبا سعيد اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى؟ قال ابن أخي أما تقرأ القرآن قول الله تعالى وكذلك ننجي المؤمنين فهو شرط من الله لمن دعاه به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا داود بن المحبر بن محزم المقدسي المؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله عز وجل فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم به أعطى دعوة يونس بن متى قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال ليونس بن متى خاصة ولجماعة بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل ننجي المؤمنين وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر ابن منصور عن علي أحسبه عن مصعب يعني ابن سعد عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا بدعاء يونس استجيب له قال أبو سعيد يريد به وكذلك بن محمد بن سعد عن أبيه سعد به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب قال أبو خالد أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث إبراهيم الله عليه وسلم قال فمه قلت لا والله إلا أن ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك قال نعم دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت لا إله إلا وسلم فاتبعته فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي الأرض فالتفت إلي رسول الله فقال من هذا أبو إسحاق قال قلت نعم يا رسول الله صلى بصري وقلبي غشاوة قال سعد فأنأ أنبك بها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فقال بلى وأستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بي أنفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله ما ذكرتها قط إلا تغشى قال فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه فقال ما منعك أن لا تكون رددت على أخيك السلام قال ما فعلت قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت قال ثم إن عثمان المؤمنين هل حدث في الإسلام شيء مرتين قال لا وما ذاك قلت لا إلا أنني مررت بعثمان أنفا في المسجد فسلمت عليه فمأ عينيه مني ثم لم يرد علي السلام فقلت يا أمير رضي الله عنه قال مررت بعثمان بن عفان رضي الله عنه في المسجد فسلمت عليه فمأ عينيه مني ثم لم يرد علي السلام فأتيت عمر بن الخطاب فقلت يا أمير أحمد حدثنا إسماعيل بن عمير حدثنا يونس بن أبي إسحاق الهمداني حدثنا إبراهيم بن محمد ابن سعد حدثني والدي محمد عن أبيه سعد هو ابن أبي وقاص أي إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء فقد جاء الترغيب في الدعاء به عن سيد الأنبياء قال الإمام

تفسير ابن كثير

وقوله فاستجبنا له ونجيناه من الغم أي أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات وكذلك ننجي المؤمنين

ربه أي خفية عن قومه رب لا تذرني فردا أي لا وله لى ولا وارث يقوم بعدي في الناس وأنت خير الوارثين دعاء وثناء مناسب للمسألة. 89 حين طلب أن يهبه الله ولدا يكون من بعده نبيا وقد تقدمت القصة مبسطة في أول سورة مريم وفي سورة آل عمران أيضا وههنا أخصر منها إذا نادى يخبر تعالى عن عبده زكريا

صدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال فأنجيناهم ومن نشاء أي أتباعهم من المؤمنين وأهلكنا المسرفين أي المكذبين بما جاءت به الرسل. 9 وقوله ثم صدقناهم الوعد أي الذي وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين

الإلحاف بالمسألة فإن الله عز وجل أتى على زكريا وأهل بيته فقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين . 90 عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وتثبنا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرغبة وتجمعوا وجل وكل هذه الأقوال متقاربة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشي أبو سنان الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبدا وعن مجاهد أيضا خاشعين أي متواضعين وقال الحسن وقتادة والضحاك خاشعين أي متذللين لله عز مما عندنا وكانوا لنا خاشعين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي مصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد مؤمنين حقا وقال أبو العالية خائفين وقال من السياق الأول وقوله إنهم كانوا يسارعون في الخيرات أي في عمل القربات والطاعات ويدعوننا رغبا ورهبا قال الثوري رغبا فيما عندنا ورهبا مهدي عن طلحة بن عمرو عن عطاء كان لسانها طول فأصلحها الله وفي رواية كان في خلقها شيء فأصلحها الله وهكذا قال محمد بن كعب والسدي والأظهر تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه أي امرأته قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كانت عاقرا لا تلد فولدت وقال عبد الرحمن بن ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين قال الله

عمر بن علي حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مجلد عن شعيب يعني ابن بشير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله للعالمين قال العالمين الجن والإنس. 91 على كل شيء قدير وأنه يخلق ما يشاء وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وهذا كقوله ولنجعل آية للناس قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا كما قال في سورة التحريم ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين أي دلالة على أن الله بلا ذكر هكذا وقع في سورة آل عمران وفي سورة مريم وههنا ذكر قصة زكريا ثم أتبعها بقصة مريم بقوله والتي أحصنت فرجها يعني مريم عليها السلام فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب فإنها إيجاد ولد من أنثى هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى فيذكر أولا قصة زكريا ثم يتبعها بقصة مريم لأن تلك مربوطة بهذه

أولاد علات ديننا واحد يعني أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . 92 وكما قال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - إلى قوله - وأنا ربكم فاتقون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء إن هذه إن واسمها و أمتكم خبر إن أي هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم وقوله أمة واحدة نصب على الحال ولهذا قال وأنا ربكم فاعبدون دينكم دين واحد وقال الحسن البصري في هذه الآية يبين لهم ما يتقون وما يأتون ثم قال إن هذه أمتكم أمة واحدة أي سنتكم سنة واحدة فقوله قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله إن هذه أمتكم أمة واحدة يقول

الأمم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال وكل إلينا راجعون أي يوم القيامة فيجازي كل بحسب عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 93 وقوله وتقطعوا أمرهم أي اختلف

أحسن عملا أي لا يكفر سعيه وهو عمله بل يشكر فلا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال وإننا له كاتبون أي يكتب جميع عمله فلا يضيع عليه منه شيء. 94 وهذا قال فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن أي قلبه مصدق وعمل عملا صالحا فلا كفران لسعيه كقوله: إنا لا نضيع أجر من

هكذا صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد وفي رواية عن ابن عباس أنهم لا يرجعون أي لا يتوبون والقول الأول أظهر والله أعلم. 95 يقول تعالى وحرام على قرية قال ابن عباس وجب يعني قد قدر أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة

عتبة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج انفراد بإخراجه البخاري. 96 الأخبار وقد ثبت في الحديث أن عيسى ابن مريم يحج البيت العتيق. وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد الله بن أبي حول فرسه متى تضع قال كعب فمن قال بعد قلبي هذا شيئا أو بعد علمي هذا شيئا فهو المتكفل وهذا من أحسن سياقات كعب الأخبار لما شهد له من صحيح ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة فيقبض فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج الناس فيتسافدون كما تتساف البهائم فمثل الساعة كمثل رجل يطيف البيت قال فبينما الناس كذلك إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده قال فبعث عيسى ابن مريم طليعة سبعمائة أو بين السبعمائة والثمانمائة حتى إذا كانوا بمنافيرها فتلقاهم في البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياة يطهر الله الأرض وينبتها حتى أن الرمانة لبشيع منها السكن قيل وما السكن يا كعب ؟ قال أهل عليه السلام فيقول اللهم لا طاقة ولا يدى لنا بهم فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغم فيفترس رقابهم ويبعث الله عليهم طيرا تأخذهم منهم فلا يقوم له شيء ثم يرمون بسهامهم إلى السماء فترجع إليهم مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الأرض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى ابن مريم

تفسير ابن كثير

يخرجوا فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا ماء فيفر الناس قرع فئوسهم فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول: نجىء غدا فنخرج إن شاء الله فيجدونه كما ترموه فيحفرون حتى الله على لسان رجل منهم يقول نجىء غدا فنخرج فيعيده الله كما كان فيجدونه من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم واحد عن حميد بن هلال عن أبي الصيف قال: قال كعب إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم فإذا كان الليل ألقى ورواه ابن جرير ههنا من حديث جبلة به والأحاديث في هذا كثيرة جدا والآثار عن السلف كذلك. وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث معمر عن غير عن العوام بن حوشب به نحوه وزاد قال العوام ووجد تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ربي أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلا أو نهارا ورواه ابن ماجة عن محمد بن بشار عن يزيد بن هارون يشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم وبميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجتري أجسادهم حتى يقذفهم في البحر فبيما عهد إلي ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤون بلادهم ولا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلى أوطانهم حتى أن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج يأجوج فقال أما وجبتنا فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج ومعني قضيبان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رأيته وعيسى قال فتذكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى العوام بن جبلة بن سحيم عن مرثد بن عمار عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى عن خالة له عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره مثله سواء. الحديث الرابع: قد تقدم في آخر تفسير سورة الأعراف من رواية الإمام أحمد عن هشيم عن الشعاف من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المطرقة وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث محمد بن عمرو عن خالد بن عبد الله بن حرملة المدلجي عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال: إنكم تقولون لا عدو لكم لأنكم لا تزالون تقتلون عدوا حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الحديث الثالث: قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تقوم الساعة انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري ورواه مع بقية أهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي حسن صحيح. على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحا طيبا فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم أو قال مؤمن ويبقى سرار الناس يتهارجون تهارج الحمر وعليهم بقحفها وبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر تكفي الفخذ والشاة من الغنم تكفي أهل البيت قال فيبيناهم منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوما فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ويقال للأرض أنبتي ثمرك ودري بركتك قال فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال فتطرحهم بالمهيل: قال ابن جابر فقلت يا أبا يزيد وأبن المهمل قال مطلع الشمس قال ويرسل الله مطرا لا يكن وتنتهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملمهم فتطرحهم حيث شاء الله قال ابن جابر فحدثني عطاء إلى الله عز وجل فيرسل عليهم نغفا في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة فيهب عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض بيتا إلا قد ملأه زهمهم لا يدان لك بقتالهم فحرر عبادي إلى الطور فيبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج كما قال تعالى: وهم من كل حدب ينسلون فيرغب عيسى وأصحابه فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقي قال فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم عليه السلام أني قد أخرجت عبادا من عبادي فيقبل إليه فينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهودتين واضعا يديه على أجنحة ملكين ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فشبعة كنوزها كيعاسيب النحل قال ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه أطول ما كانت ذرى وأمه خواصر وأسبغه ضروعا ويمر بالحي فيدعوهم فيردون عليه قوله فتتبعه أموالهم فصيحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شيء في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح قال فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم وهي وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذي هو كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة قال لا أقدروا له قدره قلنا يا رسول الله فما إسراره خلة بين الشام والعراق فعات يمينا وشمالا يا عباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله ما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وأنا فيكم فأنما حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وإنه شاب جعد قطط عينه طافية وإنه يخرج من قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في ناحية النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم فإن يخرج بن يزيد بن جابر حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص حدثني عبد الرحمن بن جبيرة بن نفيير الحضرمي عن أبيه أنه سمع النواس بن سميان الكلابي ابن ماجة من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق به الحديث الثاني: قال الإمام أحمد أيضا حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي حدثنا عبد الرحمن من مدائنهم وحصونهم و يسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعي إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط ورواه نفسه قد أوطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين: ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون الذي يخرج في أعناقهم فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو قال فينحدر رجل منهم محتسبا قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فيبينما هم على ذلك بعث الله عز وجل دودا في أعناقهم كتغف الجراد النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء

تفسير ابن كثير

وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابساً حتى إن من بعدهم ليمر بذلك تفتح بأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل وهم من كل حذب ينسلون فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلعبون فقال ابن عباس: هكذا يخرج مأجوج ومأجوج وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية. فالحديث الأول قال الإمام أحمد حدثنا لا إله إلا هو. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الله بن يزيد قال: رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض وهذه صفتهم في حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك ولا ينبئك مثل خبير هذا إخبار عالم ما كان وما يكون الذي يعلم غيب السموات والأرض ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون أي يسرعون في المشي إلى الفساد والحذب هو المرتفع من الأرض قاله ابن عباس وعكرمة وأبو صالح والثوري وغيرهم من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض الآية. وقال في هذه الآية الكريمة حتى إذا فتحت بأجوج آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث أي أبي الترك والترك شذمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين وقال: هذا رحمة وقوله حتى إذا فتحت بأجوج ومأجوج قد قدمنا أنهم من سلالة

من الأمور العظام يا ويلنا أي يقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا أي في الدنيا بل كنا ظالمين يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينفعهم ذلك. 97 أزفت الساعة واقتربت فإذا كانت وقعت قال الكافرون هذا يوم عسر ولهذا قال تعالى فإذا هي شاخصة أبصار الله الذين كفروا أي من شدة ما يشاهدونه وقوله واقترب الوعد الحق يعني يوم القيامة إذا حصلت هذه الأحوال والزلزال والبلابل

وقتادة حطبها وهي كذلك في قراءة علي وعائشة وقال الضحاك جهنم. وكذا قال غيره والجميع قريب وقوله أنتم لها واردون أي داخلون. 98 الناس والحجارة وقال ابن عباس أيضاً حصب جهنم يعني شجر جهنم وفي رواية قال حصب جهنم يعني حطب جهنم بالزنجية وقال مجاهد وعكرمة مكة من مشركي قريش ومن دان بدينهم من عبدة الأوثان إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن عباس أي وقودها يعني كقوله وقودها يقول تعالى مخاطباً لأهل

والأنناد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها وكل فيها خالدون أي العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون. 99 لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها يعني لو كانت هذه الأصنام

سورة 22

مفزع وحادث هائل وكائن عجيب والزلازل هو ما يحصل للنفوس من الرعب والفرع كما قال تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً. 1 والأحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار كثيرة جداً لها موضع آخر ولهذا قال تعالى إن زلزلة الساعة شيء عظيم أي أمر عظيم وخطب جليل وطارق الناس عليه كالبرق والظفر والريح وكأجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون: يا رب سلم ففناج مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه بكل جبار عنيد قال فينطوي عليهم ويرميهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بمن ادعى مع الله إلهاً آخر ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ووكلت أما عند ثلاث فلا أما عند الميزان حتى ينقل أو يخف فلا وأما عند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا وحين يخرج عنق من النار فيطوي حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال يا عائشة ينظر بعضهم إلى بعض قال يا عائشة إن الأمر أشد من أن يهمهم ذاك أخرجاه في الصحيحين الحديث السابع قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق محمد أخبره عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء انفرد بهذا السند وهذا السياق الإمام أحمد الحديث السادس قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن حاتم بن أبي صفيرة حدثنا ابن أبي مليكة أن القاسم بن له من كل مائة تسعة وتسعون فقال رجل من القوم من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله قال هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر البعير الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن الله يبعث يوم القيامة منادياً يا آدم إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً من ذريتك إلى النار فيقول آدم يا رب من هم فيقال قال الإمام أحمد حدثنا عمارة بن محمد ابن أخت سفيان الثوري وعبيدة العمي كلاهما عن إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا وقد رواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع ومسلم والنسائي في تفسيره من طرق عن الأعمش به الحديث الخامس السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قال النبي صلى الله عليه وسلم من بأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم في الناس كالشعرة أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعون له فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق تعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل ألف البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله

تفسير ابن كثير

أن تكونوا ثلث أهل الجنة ثم قال إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ففرحوا وزاد أيضا وإنما أنتم جزء من ألف جزء الحديث الرابع قال عكرمة عن ابن عباس قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فذكر نحوه وقال فيه إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثم قال إني لأرجو ابن جرير بطوله من حديث معمر. الحديث الثالث قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام حدثنا هلال بن حباب عن عن قتادة عن أنس قال نزلت إن زلزلة الساعة شيء عظيم وذكر يعني نحو سياق الحسن عن عمران غير أنه قال ومن هلك من كثرة الجن والإنس ورواه الحديث فذكر نحو سياق ابن جدعان والله أعلم الحديث الثاني قال ابن أبي حاتم حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو سفيان يعني المعمر عن معمر الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم وذكر عن قتادة عن الحسن والعلاء بن زياد العدوي عن عمران بن الحصين فذكره وهكذا روى ابن جرير عن بندار عن غندر عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول به ثم قال الترمذي أيضا هذا حديث صحيح وقد روى عن عروة عن الحسن عن عمران بن الحصين وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث سعيد بن أبي عروبة أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا ثم قال ولا أدري أقال الثلثين أم لا وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة الأُمم إلا كمثّل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث وسلم قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا كملت من المنافقين وما مثلكم ومثّل ابعت بعث النار قال يا رب وما بعث النار ؟ قال تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فأنشأ المسلمون بيبكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوه ولكن عذاب الله شديد قال نزلت عليه هذه الآية وهو في سفر فقال أتدرون أي يوم ذلك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم عمر حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا ابن جدعان عن الحسن عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم إلى عن يحيى وهو القطان عن هشام وهو الدستوائي عن قتادة به بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح. طريق آخر لهذا الحديث: قال الترمذي حدثنا ابن أبي أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو الرقمة في ذراع الدابة وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما عن محمد بن بشار ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من بني آدم وبني إبليس قال فسري عنهم ثم قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما في النار وواحد في الجنة قال فأبلس أصحابه حتى ما أوضحوا أيضا حكمه فلما رأى ذلك قال أبشروا واعملوا فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خلتين يوم ينادى آدم عليه السلام فيناديه ربه عز وجل فيقول يا آدم ابعت بعثك إلى النار فيقول يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطي وعرفوا أنه عند قول يقوله فلما دنوا حوله قال أتدرون أي يوم ذلك ذاك صوته: يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى حدثنا قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في بعض أسفاره وقد تقارب من أصحاب السير رفع بهاتين الآيتين ولبال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيامة من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا بأحاديث: الأول قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن هشام أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أضيفت إلى الساعة لقربها منها كما يقال أشراط الساعة ونحو ذلك والله أعلم وقال آخرون بل ذلك هول وفزع وزلزال سكارى وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد وهذا الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير وابن أبي حاتم وغير واحد مطولا جدا والغرض منه أنه دل على وهو الذي يقول الله يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس قال أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه الله عليه وسلم والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك قال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول فزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كسخت عنهم قال رسول الله صلى التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك إذا تصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمرا عظيما الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهي التي يقول الله تعالى يوم تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير ترابا وترج الأرض بأهلها رجا وهي التي يقول الله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعتها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الأرض كالسفينة الموقفة في البحر إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهي التي يقول الله تعالى وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق فتسير الجبال فتكون الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور ؟ قال قرن قال فكيف هو ؟ قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره حديث الصور من رواية إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم قال هذا في الدنيا قبل يوم القيامة وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك في عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن علقمة فذكره قال وروي عن الشعبي وإبراهيم وعبيد بن عمير نحو ذلك وقال أبو كدينة عن عطاء عن عامر الشعبي يحيى حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة في قوله إن زلزلة الساعة شيء عظيم قال قبل الساعة ورواه ابن أبي حاتم من حديث الثوري

تفسير ابن كثير

إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال تعالى وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة الآية وقال تعالى زلزلة الساعة هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجدانهم كما قال تعالى سورة الحج يقول تعالى أمرا عباده بتقواه ومخبراً لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها وقد اختلف المفسرون في

ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن الصباح حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام عن الحسن قال بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين ألف مرة. 10 للعبيد كقوله تعالى خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم إن هذا ما كنتم به تمترون وقال ذلك بما قدمت يداك أي يقال له هذا تقرّيعاً وتوبيخاً وأن الله ليس بظلام

فقد كفر بالله العظيم فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة ولهذا قال تعالى ذلك هو الخسران المبين أي هذه هي الخسارة العظيمة والصفقة الخاسرة. 11 ورجع إلى الكفر وقال مجاهد في قوله انقلب على وجهه أي ارتد كافراً وقوله خسر الدنيا والآخرة أي فلا هو حصل من الدنيا على شيء وأما الآخر دنياه أقام على العبادة وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختيار أو ضيق ترك دينه شراً وذلك الفتنة وهكذا ذر قتادة والضحاك وابن جريج وغير واحد من السلف في تفسير هذه الآية وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم هو المنافق إن صلحت له فتنة والفتنة البلاء أي وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا دونه فإن صح بها جسمه ونتجت فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته غلاماً رضي به واطمأن إليه وقال ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيراً وإن أصابته الله على نبيه ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به الآية وقال العوفي عن ابن عباس: كان أحدهم إذا قدم المدينة وهم أرض غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا إن ديننا هذا لصالح تمسكوا به وإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا ما في ديننا هذا خير فأنزل المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسلمون فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام قال هذا دين سوء وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبدالرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق القمي عن جعفر بن أبي ومن الناس من يعبد الله على حرف قال كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال هذا صالح وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله ما يحبه استقر وإلا انشمر وقال البخاري حدثنا إبراهيم بن الحارث حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا إسرائيل عن أبي الحصين عن سعد بن جبيرة عن ابن عباس قال مجاهد وقتادة وغيرهما على حرف على شك وقال غيرهم على طرف ومنه حرف الحبل أي طرفه أي دخل في الدين على طرف فإن وجد دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه أي من الأصنام والأنداد يستغيث بها ويستنصرها ويستترزقها وهي لا تنفعه ولا تضره ذلك هو الضلال البعيد. 12 وقوله يدعو من

على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه وقول مجاهد أن المراد به الوثن أولى وقرب إلى سياق الكلام والله أعلم. 13 الذي دعاه من دون الله مولى يعني ولياً وناصراً وبنس العشير وهو المخالط والمعاشر واختار ابن جرير أن المراد لبئس ابن العم والصاحب من يعبد الله في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن وقوله لبئس المولى ولبئس العشير قال مجاهد يعني الوثن يعني بئس هذا وقوله يدعو لمن ضره أقرب من نفعه أي ضرره

وتركوا المنكرات فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات في روضات الجنات ولما ذكر تعالى أنه أضل أولئك وهدي هؤلاء قال إن الله يفعل ما يريد. 14 لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء عطف بذكر الأبرار السعداء من الذين آمنوا بقلوبهم وصدقوا بإيمانهم بأفعالهم فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات

فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ قال السدي يعني من شأن محمد وقال عطاء الخراساني فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ. 15 فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فإن الله ناصره لا محالة قال الله تعالى: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد الآية ولهذا قال: قدر على ذلك وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم فإن المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه فليذهب عبدالرحمن بن زيد بن أسلم فليمدد بسبب إلى السماء أي ليتوصل إلى بلوغ السماء فإن النصر إنما يأتي محمداً من السماء ثم ليقطع ذلك عنه إن فليمدد بسبب أي بحبل إلى السماء أي سماء بيته ثم ليقطع يقول ثم ليختنق به وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم وقال قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الدنيا والآخرة

القاطعة في ذلك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أما هو فلحكمته ورحمته وعدله وعلمه وقهره وعظمته لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. 16 بينات أي واضحات في لفظها ومعناها حجة من الله على الناس وأن الله يهدي من يريد أي يضل من يشاء ويهدي من يشاء وله الحكمة التامة والحجة وقوله وكذلك أنزلناه أي القرآن آيات

ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فإنه تعالى شهيد على أفعالهم حفيظ لأقوالهم عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم. 17 قدمنا في سورة البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم والنصارى والمجوس والذين أشركوا فعبدوا مع الله غيره فإنه تعالى يفصل بينهم يوم القيامة يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين وقد

تفسير ابن كثير

رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان فهذه شواهد يشد بعضها بعضا. 18 الحج وهو بالجابية وقال إن هذه فضلت بسجدين وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الحارث بن سعيد العتقي عن عبد الله بن منين عن عمرو بن العاص أن ابن أبي داود حدثنا يزيد بن عبد الله حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو حدثنا حفص ابن غياث حدثني نافع قال: حدثني أبو الجهم أن عمر سجد سجدين في فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدين ثم قال أبو داود وقد أسند هذا يعني من غير هذا الوجه ولا يصح وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي حدثني أحمد بن عمرو بن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن عامر بن جشبه عن خالد بن معدان رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بن لهيعة به وقال الترمذي ليس بقوي وفي هذا نظر فإن ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع وأكثر ما نقموا عليه تدليسه وقد قال أبو داود في المراسيل حدثنا قال قلت يا رسول الله أفضل سورة الحج على سائر القرآن بسجدين قال نعم فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم وأبو عبد الرحمن المقرئ قال: حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا مشر بن هاعان أبو مصعب المعافري قال سمعت عقبة بن عامر ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار رواه مسلم وقال الإمام أحمد شاء قال بل حيث يشاء قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ أو كما شاء قال بل كما شاء قال فيمضك إذا شاء أو إذا شئت قال إذا شاء قال فيدخلك حيث شئت أو حيث شيبان الرملي حدثنا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال قيل لعلي إن ههنا رجلا يتكلم في المشيئة فقال له علي يا عبد الله خلقك الله كما يشاء بذلك وكثير حق عليه العذاب أي ممن امتنع وأبى واستكبر ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد ابن وسلم نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر قرب مركوبة خيرا أو أكثر ذكرا لله تعالى من ركبها وقوله: وكثير من الناس أي يسجد لله طوعا مختارا متعبدا الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقوله والدواب أي: الحيوانات كلها وقد جاء في الحديث عن الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدة ثم سجد فسمعتة وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة. رواه خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول: اللهم أكتب لي بها عندك أجرا وضع عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني وأما الجبال والشجر فسجودهما يفيا لظلالهما عن اليمين والشمائل وعن ابن عباس قال جاء رجل فقال يا رسول الله إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي له وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته ماجه في حديث الكسوف إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل إذا تجلى لشيء من خلقه خشع ورسوله أعلم قال فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت وفي المسند وسنن أبي داود والنسائي وابن له الذي خلقهن الآية وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري أين تذهب هذه الشمس؟ قلت الله والنجوم إنما ذكر هذه على التنصيص لأنها قد عبت من دون الله فبين أنها تسجد لخالقها وأنها مربوبة مسخرة لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا الملائكة في أقطار السموات والحيوانات في جميع الجهات من الإنس والجن والدواب والطير وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقوله والشمس والقمر خلق الله من شيء يتفيا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وقال ههنا ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض أي من تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به كما قال تعالى أو لم يروا إلى ما يخبر

ثياب من نار أي فصلت لهم مقطعات من النار قال سعيد بن جبير من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي يصب من فوق رءوسهم الحميم. 19 دين الله عز وجل والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل وهذا اختيار ابن جرير وهو حسن ولهذا قال فالذين كفروا قطعت لهم اجعلني للرحمة وقول مجاهد وعطاء أن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها فإن المؤمنين يريدون نصرة في هذه الآية هم المؤمنون والكافرون وقال عكرمة هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هي الجنة والنار قالت النار اجعلني للعقوبة وقالت الجنة اختصموا في ربهم قال مصدق ومكذب وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث وقال في رواية هو وعطاء الله الإسلام على من ناواه وأنزل هذان خصمان اختصموا في ربهم وكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال شعبة عن قتادة في قوله هذان خصمان نبينا قبل نبينا قبل كتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء فنحن أولى بالله منكم فأفلح به البخاري. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله هذان خصمان اختصموا في ربهم قال اختصم المسلمون أهل الكتاب فقال أهل الكتاب وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمة وعبيدة وشيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. انفرد بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجتو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس: في ربهم نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر لفظ البخاري عند تفسيرها ثم قال البخاري حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا المعتمر ثبت في الصحيح من حديث أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر أنه كان يقسم قسما أن هذه الآية هذان خصمان اختصموا

أي من شدة الأمر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم وغابت أذهانهم فمن رآهم حسب أنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. 2 وقال عما أرضعت أي عن رضيعها فطامه وقوله وتضع كل ذات حمل حملها أي قبل تمامه لشدة الهول وترى الناس سكارى وقرئ سكرى

تفسير ابن كثير

أي فتشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها والتي هي أشفق الناس عليه تدهش عنه في حال إرضاعها له ولهذا قال كل مرضعة ولم يقل مرضع
ثم قال تعالى يوم ترونها هذا من باب ضمير الشأن ولهذا قال مفسرا له تذهل كل مرضعة عما أرضعت

مقمة معه فيضرب بها رأسه فيفرغ دماغه ثم يفرغ الإناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه فذلك قوله يصهر به ما في بطونهم والجلود . 20
بن الحسين حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت عبدالله بن السري قال: يأتيه الملك يحمل الإناء بكلبتين من حرارته فإذا أدناه من وجهه تكرهه قال فيرفع
ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي نعيم عن ابن المبارك به ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي
وسلم قال إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان
بن المثنى حدثني إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن ابن حجرية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
من الشحم والأمعاء قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم وكذلك تذوب جلودهم وقال ابن عباس وسعيد تساقط. وقال ابن جرير حدثني محمد
به ما في بطونهم والجلود أي إذا صب على رءوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة وقال سعيد ابن جبير هو النحاس المذاب أذاب ما في بطونهم
يصهر

يهراق في الدنيا لأتنت أهل الدنيا وقال ابن عباس في قوله ولهم مقامع من حديد قال يضربون بها فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالثبور. 21
أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان ولو أن دلوا من غساق
لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن
وقوله ولهم مقامع من حديد قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله قال
مقامعها وقوله وذوقوا عذاب الحريق كقوله وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولا وفعلًا. 22
بلغني أن أهل النار في النار يتنفسون وقال الفضيل بن عياض: والله ما طعموا في الخروج إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لموثقة ولكن يرفعهم لهبها وتردهم
جمرها ثم قرأ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وقال زيد بن أسلم في هذه الآية كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها قال
وقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها قال الأعمش عن أبي ظبيان عن سلمان قال: النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا

لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قال عبد الله بن الزبير من لم يلبس الحرير في الآخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير . 23
أساور من فضة وسقاهاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وفي الصحيح لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا فإنه من
فيها حرير في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم لباس هؤلاء من الحرير إستبرقه وسندسه كما قال عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا
يصوغ لأهل الجنة الحلي منذ خلقه الله إلى يوم القيامة لو أبرز قلب منها أي سوار منها لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر وقوله ولباسهم
صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء وقال كعب الأحبار: إن في الجنة ملكا لو شئت أن أسميه لسميته
وتحت أشجارها وقصورها يصرفونها حيث شاءوا وأين أرادوا يحلون فيها من الحلية من أساور من ذهب ولؤلؤ أي في أيديهم كما قال النبي
نسأل الله من فضله وكرمه فقال إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار أي تتخرق في أكتافها وأرجائها وجوانبها
لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عياذا بالله من حالهم وما هم فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال وما أعد لهم من الثياب من النار ذكر حال أهل الجنة

وقيل لا إله إلا الله وقيل الأذكار المشروعة وهدوا إلى صراط الحميد أي الطريق المستقيم في الدنيا وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه والله أعلم. 24
في الحديث الصحيح إنهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وقد قال بعض المفسرين في قوله وهدوا إلى الطيب من القول أي القرآن
لهم ذوقوا عذاب الحريق وقوله وهدوا إلى صراط الحميد أي إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسأده إليهم كما جاء
فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب وقوله ويلقون فيها تحية وسلاما لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يوبخون به ويقرعون به يقال
سلام وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قولا سلاسا
وهذا إلى الطيب من القول كقوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها
وقوله

يحلها ويحل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها قال فانظر لا تكن هو لم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين. 25
عبدالله بن عمر عبدالله بن الزبير وهو جالس في الحجر فقال يا ابن الزبير إياك الإلحاد في الحرم فإني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بذنوب الثقلين لرجحت فانظر لا تكن هو وقال أيضا في مسند عبدالله بن عمرو بن العاص حدثنا هاشم حدثنا إسحق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمرو قال أتى
بن الزبير فقال يا ابن الزبير إياك والإلحاد في حرم الله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه سيلحد فيه رجل من قريش لو توزن ذنوبه
ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم الحديث وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن كناسة حدثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه قال أتى عبدالله بن عمر عبدالله
أي دمرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراد به سوء ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يغزو هذا البيت جيش حتى إذا كانوا
تنبيه على ما هو أغلظ منها ولهذا لما هم أصحاب الفيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول

تفسير ابن كثير

فيه بإلحاد بظلم يعني من لجأ إلى الحرم بإلحاد يعني بميل عن الإسلام وهذه الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد ولكن هو أعم من ذلك بل فيها أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار فافتخروا في الأنساب فغضب عبدالله بن أنيس فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام ثم هرب إلى مكة فنزلت فيه ومن يرد بن جبير قال قال ابن عباس في قول الله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم قال نزلت في عبدالله بن أنيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه مع رجلين قال احتكار الطعام بمكة إلحاد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا عطاء بن دينار حدثني سعيد بن إسحاق الجوهري أنبأنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى عن عمه عمارة بن ثوبان حدثني موسى بن باذان عن علي بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة إلحاد وقال حبيب بن أبي ثابت ومن يرد فيه بإلحاد بظلم قال المحنكر بمكة وكذا قال غير واحد. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدالله الثوري عن عبدالله بن عطاء عن ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم قال تجارة الأمير فيه وعن ابن عمر بيع الطعام عن منصور عن مجاهد إلحاد فيه لا والله وبلى والله وروي عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو مثله وقال سعيد بن جبير شتم الخادم ظلم فما فوقه وقال سفيان يهيم بسينة فتكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أبين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم وكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال سفيان الثوري مسعود وكذلك رواه أسباط وسفيان الثوري عن السدي عن مرة عن ابن مسعود موقوفا والله أعلم وقال الثوري عن السدي عن مرة عن عبدالله قال ما من رجل هو قد رفعه ورواه أحمد عن يزيد بن هارون به قلت هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري ووقفه أشبه من رفعه ولهذا صمم شعبة على وقفه من كلام ابن يرد فيه بإلحاد بظلم قال لو أن رجلا أراد فيه بإلحاد بظلم وهو بعدن أبين لأذاقه الله من العذاب الأليم قال شعبة هو رفعه لنا وأنا لا أرفعه لكم قال يزيد ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شعبة عن السدي أنه سمع مرة يحدث عن عبدالله يعني ابن مسعود في قوله ومن وجب له العذاب الأليم وقال مجاهد بظلم يعمل فيه عملا سيئا وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادي فيه الشر إذا كان عازما عليه وإن لم يوقعه كما قال وقال العوفي عن ابن عباس بظلم هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد كما قال ابن جريج عن ابن عباس هو التعمد. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بظلم بشرك وقال مجاهد أن يعبد فيه غير الله وكذا قال قتادة وغير واحد معنى يهيم ولهذا عاده بالبلاء فقال ومن يرد فيه بالحد أي يهيم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار وقوله بظلم أي عامدا قاصدا أنه ظلم ليس بمأول ضمنت برزق عيالنا أراحنا بين المراحل والصريح الأجرد وقال الآخر: بواد يمان ينبت العشب صدره وأسفله بالمرخ والشبهان والأجود أنه ضمن الفعل ههنا بعض المفسرين من أهل العربية الباء ههنا زائدة كقوله تنبت بالدهن أي تنبت الدهن وكذا قوله ومن يرد فيه بإلحاد تقديره إلحادا وكما قال الأعشى: مكة أكل نارا وتوسط الإمام أحمد فقال تملك وتورث ولا تؤجر جمعا بين الأدلة والله أعلم وقوله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال يقول سواء العاكف فيه والباد قال ينزلون حيث شاءوا وروى الدارقطني من حديث ابن أبي نجيح عن عبدالله بن عمرو موقوفا من أكل كراء بيوت عن معمر عن منصور عن مجاهد أن عمر بن الخطاب قال يا أهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادي حيث يشاء قال وأخبرنا معمر عن سمع عطاء إليه عمر بن الخطاب في ذلك فقال أنظرنى يا أمير المؤمنين إني كنت امرأ تاجرا فأردت أن أتخذ بابين يحبسان لي ظهري قال فلك ذلك إذا وقال عبد الرزاق عن الكراء في الحرم وأخبرني أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن تبويب دور مكة لأن ينزل الحاج في عرساتها فكان أول من بوب داره سهيل بن عمرو فأرسل استغنى أسكن وقال عبد الرزاق بن مجاهد عن أبيه عن عبدالله بن عمرو أنه قال لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها وقال أيضا عن ابن جريج كان عطاء ينهى عثمان بن أبي سليمان عن علقمة بن نضلة قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة إلا السوائب من احتاج سكن ومن نص عليه مجاهد وعطاء واحتج إسحاق بن راهوية بما رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عيسى ابن يونس عن عمر بن سعيد بن أبي حيوه عن دارا بمكة فجعلها سجنا بأربعة آلاف درهم وبه قال طاوس وعمر بن دينار وذهب إسحاق بن راهوية إلى أنها لا تورث ولا تؤجر وهو مذهب طائفة من السلف من رباع ثم قال لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية واحتج بحديث الزهري عن علي بن الحسن عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله أنزل غدا في دارك بمكة؟ فقال وهل ترك لنا عقيل التي اختلف فيها الشافعي وإسحق بن راهوية بمسجد الخيف وأحمد ابن حنبل حاضر أيضا فذهب الشافعي رحمه الله إلى أن رباع مكة تملك وتورث وتؤجر وكذا قال أبو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سواء فيه أهله وغير أهله وهذه المسألة هي سواء العاكف فيه والباد قال ينزل أهل مكة وهم في المسجد الحرام وقال مجاهد سواء العاكف فيه والباد أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل والنائي عنه البعيد الدار منه سواء العاكف فيه والباد ومن ذلك استواء الناس في رباع مكة وسكنائها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد أي يمنعون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام وقد جعله الله شرعا سواء لا فرق فيه بين المقيم فيه الترتيب في هذه الآية كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب أي ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله وقوله أنهم مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أي ويصدون عن الوصول إلى المسجد الحرام ومن أراد من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر وهذا الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله وقال ههنا إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أي ومن وصفتهم إلا المتقون الآية وفي هذه الآية دليل على أنها مدنية كما قال في سورة البقرة يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل يقول تعالى منكرا على الكفار في صدهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم أنهم أولياؤه وما كانوا أولياءه إن أولياؤه بالبيت فالطواف عنده والصلاة إليه في غالب الأحوال إلا ما استثنى من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب وفي النافلة في السفر والله أعلم. 26

تفسير ابن كثير

البيت فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها والقائمين أي في الصلاة ولهذا قال والركع السجود فقرن الطواف بالصلاة لأنهما لا يشترعان إلا مختصين من الشرك للطائفين والقائمين والركع السجود أي اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له فالطائف به معروف وهو أخص العبادات عند بناء البيت من الصحاح والآثار بما أغنى عن إعادته ههنا وقال تعالى ههنا أن لا تشرك بي شيئا أي ابنه على اسمي وحدي وطهر بيتي قال قتادة ومجاهد للناس للذي ببكة مباركا وآيتين وقال تعالى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وقد قدمنا ذكر ما ورد وضع أول؟ قال المسجد الحرام قلت ثم أي؟ قال بيت المقدس قلت كم بينهما؟ قال أربعون سنة وقد قال الله تعالى إن أول بيت وضع به كثير ممن قال إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وأنه لم يبن قبله كما ثبت في الصحيح عن أبي ذر قلت يا رسول الله أي مسجد أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فذكر تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت أي أرشده إليه وسلمه له وأذن له في بنائه واستدل هذا فيه تقرير وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقعة التي

أفندة من الناس تهوي إليهم فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف والناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار. 27
أي بعيد قاله مجاهد وعطاء والسدي وقاتلة ومقاتل ابن حيان والثوري وغير واحد وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبراهيم حيث قال في دعائه فاجعل الله عليه وسلم فإنه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام وقوله يأتين من كل فج يعني طريق كما قال وجعلنا فيها فجاجا سبلا وقوله عميق ابن عباس قال شيء إلا أنني وددت أنني كنت حججت ماشيا لأن الله يقول يأتوك رجلا والذي عليه الأكثر أن الحج راكبا أفضل اقتداء برسول الله صلى من الحج راكبا لأنه قدمهم في الذكر فدل على الاهتمام بهم وقوة همهم وشدة عزمهم وقال وكعب عن أبي العميس عن أبي حلحلة عن محمد بن كعب عن جرير وابن أبي حاتم مطولة وقوله يأتوك رجلا وعلى كل ضامر الآية قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل أنه يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف والله أعلم وأوردها ابن فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من في الأرحام والأصلاص وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله لا ينفذهم فقال ناد وعلينا البلاغ فقام على مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه وقوله وأذن في الناس بالحج أي ناد في الناس بالحج داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه فذكر أنه قال يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي عكرمة هو المضطر الذي عليه البؤس وهو الفقير المتعفف وقال مجاهد هو الذي لا يبسط يده وقال قتادة هو الزمن وقال مقاتل بن حيان هو الضرب. 28
به لقوله تعالى في الآية الأخرى فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر وسبأتي الكلام عليها عندها إن شاء الله وبه الثقة وقوله البائس الفقير قال فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير فجزأها نصفين نصف للمضحي ونصف للفقراء والقول الآخر أنها تجزأ ثلاثة أجزاء ثلث له وثلث يهديه وثلث يتصدق فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره واستدل من نصر القول بأن الأضاحي يتصدق منها بالنصف بقوله في هذه الآية لم يشأ لم يأكل وروي عن مجاهد وعطاء نحو ذلك قال هشيم عن حصين عن مجاهد في قوله فكلوا منها قال هي كقوله فإذا حللتم فاصطادوا فقال لي مثل ذلك وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم فكلوا منها قال كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين فمن شاء أكل ومن فأكل من لحمها وحسا من مرقها قال عبد الله بن وهب قال لي مالك أحب أن يأكل من أضحيته لأن الله يقول فكلوا منها قال ابن وهب وسألت الليث قول غريب والذي عليه الأكثر أنه من باب الرخصة أو الاستحباب كما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ كما فصلها تعالى في سورة الأنعام ثمانية أزواج الآية فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير استدلت بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأضاحي وهو حدثني ابن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق وقوله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام يعني الإبل والبقر والغنم على ما رزقهم من بهيمة الأنعام يعني به ذكر الله عند ذبحها قول رابع إنها يوم عرفة ويوم النحر ويوم آخر بعده وهو مذهب أبي حنيفة وقال ابن وهب والأيام المعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر هذا إسناد صحيح إليه وقاله السدي وهو مذهب الإمام مالك بن أنس وبعض هذا القول والذي قبله قوله تعالى بن سعيد حدثنا ابن عجلان حدثني نافع أن ابن عمر كان يقول: الأيام المعلومات المعدودات هن جميعهن أربعة أيام فالأيام المعلومات يوم النحر ويومان بعده هذا عن ابن عمر وإبراهيم النخعي وإليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه قول ثالث قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن المديني حدثنا يحيى وبهذا يجتمع شمل الأدلة والله أعلم قول ثان في الأيام المعلومات قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس الأيام المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده ويروى باختصاصه بأداء فرض الحج فيه وقيل ذلك أفضل لاشتتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وتوسط آخرون فقالوا أيام هذا أفضل وليالي ذلك أفضل أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث وفضله كثير على عشر رمضان الأخير لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره ويمتاز هذا يكفر به السنة الماضية والآتية ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله وبالجمله فهذا العشر قد قيل إنه مشتمل على يوم عرفة الذي ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عرفة فقال احتسب على الله أن في قوله والفجر وليال عشر وقال بعض السلف إنه المراد بقوله وأتمناها بعشر وفي سنن أبي داود أن رسول الله كان يصوم هذا العشر وهذا العشر ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما وقد روى أحمد عن جابر مرفوعا أن هذا هو العشر الذي أقسم الله به أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد وروي من وجه آخر مجاهد عن ابن عمر بنحوه وقال البخاري وكان الإمام أحمد حدثنا عثمان أنبأنا أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام أعظم عند الله ولا

تفسير ابن كثير

حسن غريب صحيح. وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر قلت وقد تقصيت هذه الطرق وأفردت لها جزءاً على حدة فمن ذلك ما قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه وقال الترمذي حديث البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما العمل في أيام أفضل منها في هذه قالوا ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال الخراساني وإبراهيم النخعي وهو مذهب الشافعي والمشهور عن أحمد ابن حنبل وقال البخاري حدثنا محمد بن عرعة حدثنا شعبة عن سليمان عن مسلم المعلومات أيام العشر وعلقه البخاري عنه بصيغة الجزم به وروي مثله عن أبي موسى الأشعري ومجاهد وقتادة وعطاء بن جبير والحسن والضحاك وعطاء ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام قال شعبة وهشيم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما: الأيام فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات وكذا قال مجاهد وغير واحد إنها منافع الدنيا والآخرة ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم وقوله عباس ليشهدوا منافع لهم قال منافع الدنيا والآخرة: أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى وأما منافع الدنيا

بن سهل المحاربي عن عبد الله بن صالح به وقال إن كان صحيحاً وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مراسلاً. 29 بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار وكذا رواه ابن جرير عن محمد من الجابرة وقال الترمذي حدثنا محمد بن إسماعيل وغير واحد حدثنا عبد الله بن صالح أخبرني الليث عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن محمد الحسن بن مسلم عن مجاهد لأنه لم يرد أحد بسوء إلا هلك وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن الزبير قال إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه لأنه لم يظهر عليه جبار قط وقال ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد أعتق من الجابرة أن يسלטوا عليه وكذا قال قتادة وقال حماد بن سلمة عن حميد عن للناس وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وعن عكرمة أنه قال إنما سمي البيت العتيق لأنه أعتق يوم الفرق زمان نوح وقال خصيف إنما سمي البيت العتيق بالبيت العتيق طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه وقال قتادة عن الحسن البصري في قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال لأنه أول بيت وضع ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر العدني حدثنا سفيان عن هشام بن حجر عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وليطوفوا طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر وأخبر أن الحجر من البيت ولم يستلم الركنين الشاميين لأنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم العتيقة لمن ذهب إلى أنه يجب الطواف من وراء الحجر لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم وإن كانت قريش قد أخرجه من البيت حين قصرت بهم النفقة ولهذا وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلا أنه خفف عن المرأة الحائض وقوله بالبيت العتيق فيه مستدل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ برمي الجمرة فرماها بسبع حصيات ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أفاض فطاف بالبيت أبي حمزة قال: قال لي ابن عباس أتقرأ سورة الحج يقول الله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فإن آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق: قلت وهكذا صنع وقوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال مجاهد يعني الطواف الواجب يوم النحر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن الحج فكل من دخل الحج فعليه من العمل فيه الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وعرفة ومزدلفة ورمي الجمار على ما أمروا به وروي عن مالك نحو هذا وليوفوا نذورهم قال حجههم وكذا روى الإمام أحمد وابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان في قوله وليوفوا نذورهم قال نذور وقال إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد وليوفوا نذورهم قال الذبائح وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد وليوفوا نذورهم كل نذر إلى أجل وقال عكرمة ابن عباس يعني نحر ما نذر من أمر البدن وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد وليوفوا نذورهم نذر الحج والهدي وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج ومحمد بن كعب القرظي وقال عكرمة عن ابن عباس ثم ليقضوا تفثهم قال التفث المناسك وقوله وليوفوا نذورهم قال علي بن أبي طلحة عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو وضع الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظافر ونحو ذلك وهكذا روى عطاء ومجاهد عنه وكذا قال عكرمة وقوله ثم ليقضوا تفثهم قال

إلى البدع بالأهواء والآراء ولهذا قال في شأنهم وأشباههم ومن الناس من يجادل في الله بغير علم أي علم صحيح ويتبع كل شيطان مريد. 3 وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين ويتبعون أقوال رءوس الضلالة الدعاة ذاماً لمن كذب بالبعث وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى معرضاً عما أنزل الله على أنبيائه متبعاً في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد من الإنس والجن يقول تعالى

فلما انصرف قام قائماً فقال: عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عز وجل ثم تلا هذه الآية: فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور. 30 محمد بن عبيد حدثنا سفيان العصفري عن أبيه عن حبيب بن النعمان الأسدي عن خريم بن فاتك الأسدي قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من حديث سفيان بن زياد وقد اختلف عنه رواية هذا الحديث ولا نعرف لأيمن خريم سماعاً من النبي صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا ثلاثاً ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن مروان بن معاوية به ثم قال غريب إنما نعرفه أنبأنا سفيان بن زياد عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال: أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وقال الإمام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الغزاري الصحيحين عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ومنه شهادة الزور وفي

تفسير ابن كثير

الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور من ههنا لبيان الجنس أي اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وقرن الشرك بالله بقول الزور كقوله قل إنما حرم ربي إلا ما يتلى عليكم أي من تحريم الميتة والدّم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة الآية. قال ذلك ابن جرير وحكاه عن قتادة وقوله فاجتنبوا كلها وكذا قال ابن زيد. قوله وأحلّت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم أي أحلنا لكم جميع الأنعام وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله: واجتنب المحظورات. قال ابن جريج قال مجاهد في قوله ذلك ومن يعظم حرمات الله قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه عظيما في نفسه فهو خير له عند ربه أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل فكما على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل كذلك على ترك المحرمات الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك وما يلقي عليها من الثواب الجزيل ومن يعظم حرمات الله أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها يقول تعالى هذا

ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى الآية. 31 في سورة إبراهيم بحروفه وألفاظه وطرقه وقد ضرب تعالى للمشرّكين مثلاً آخر في سورة الأنعام وهو قوله قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرّحا من هناك ثم قرأ هذه الآية وقد تقدم الحديث سقط منها فتخطفه الطير أي تقطعه الطيور في الهواء أو تهوى به الريح في مكان سحيق أي بعيد مهلك لمن هوى فيه ولهذا جاء في حديث البراء قصداً إلى الحق ولهذا قال غير مشركين به ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء أي عن وائل بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال: تعدل شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ هذه الآية وقوله حنفاء لله أي مخلصين له الدين منحرفين عن الباطل حنفاء لله غير مشركين به وقال سفيان الثوري عن عاصم بن أبي النجود

البدن من شعائر الله وقال محمد بن أبي موسى الوقوف ومزدلفة والجمار والرمي والحلق والبدن من شعائر الله وقال ابن عمر أعظم الشعائر البيت. 32 عليه وسلم فقال يا رسول الله إني أهديت نجيباً فأعطيت بها ثلثمائة دينار فأبغيتها واشترت بثمانها بدناً قال لا انحرها إياها وقال الضحاك عن ابن عباس تكون الهدية والأضحية سمينة حسنة كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر قال أهدى عمر نجيباً فأعطى بها ثلثمائة دينار فأثنى النبي صلى الله عليه وآله فسألت النبي صلى الله عليه وآله عليه وسلم فقال: ضح به ولهذا جاء في الحديث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نستشرف العين والأذن أي أن العيب بعد تعيين الأضحية فإنه لا يضر عند الشافعي خلافاً لأبي حنيفة وقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال: اشترت كبشاً أضحي به فعدا الذنب فأخذ القرن والبخقاء هي العوراء والمشيمة هي التي لا تزال تشبع خلف الغنم ولا تتبع لضعفها والكسيرة العرجاء فهذه العيوب كلها مائعة من الإجزاء فإن طرأ الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن المصفرة والمستأصلة والبخقاء والمشيمة والكسيرة فالمصفرة قبل الهزيلة وقيل المستأصلة الأذن والمستأصلة مكسورة وغيره من الأئمة كما هو ظاهر الحديث واختلف قول الشافعي في المريضة مرضاً يسيراً على قولين وروى أبو داود عن عتبة بن عبد السلمي أن رسولاً وصحه الترمذي وهذه العيوب تنقص اللحم لضعفها وعجزها عن استكمال الرعي لأن الشاء يسبقونها إلى المرعى فلذلك لا تجزئ التضحية بها عند الشافعي عليه وسلم أربع لا تجوز في الأضاحي العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ضلعها والكسيرة التي لا تنقى رواه أحمد وأهل السنن التي قطعت أذنهما طولاً قاله الشافعي والأصمعي وأما الخرقاء فهي التي خرقت السمّة أذنهما خرقاً مدوراً والله أعلم. وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحديث وقال مالك: إن كان الدم يسيل من القرن لم يجزئ وإلا أجزأ والله أعلم وأما المقابلة فهي التي قطع مقدم أذنهما والمدابرة من مؤخر أذنهما والشرقاء هي العضب فهو كسر الأسفل وعضب الأذن قطع بعضها وعند الشافعي أن الأضحية بذلك مجزئة لكن تكره وقال أحمد لا تجزئ الأضحية بأعضب القرن والأذن لهذا الله عليه وسلم أن نضحي بأعضب القرن والأذن قال سعيد بن المسيب: العضب النصف فأكثر وقال بعض أهل اللغة: إن كسر قرنهما الأعلى فهي قصماء فأما نستشرف العين والأذن وأن لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا شرعاء ولا خرقاء. ورواه أحمد وأهل السنن وصحه الترمذي ولهم عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذبحهما الخصيان وقيل للذنان رض خصيائهما ولم يقطعهما والله أعلم وعن علي رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوعين وكذا روى أبو داود وابن ماجه عن جابر ضحى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكبشين أقرنين أملحين سواد رواه أهل السنن وصحه الترمذي أي فيه نكتة سوداء في هذه الأماكن وفي سنن ابن ماجه عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين وعن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحى بكبش أقرن كحيل يأكل في سواد وينظر في سواد ويمشي في هي البيضاء بياضاً ليس بناصع فالبيضاء أفضل من غيرها وغيرها يجزئ أيضاً لما ثبت في صحيح البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواه البخاري. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: دم عفرأ أحب إلى الله من دم سوداوين رواه أحمد وابن ماجه قالوا والعفراء ذلك ومن يعظم شعائر الله قال: الاستسمان والاستحسان والاستعظام وقال أبو أمامة عن سهل: كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون. استسمانها واستحسانها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ليلى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس تعالى هذا ومن يعظم شعائر الله أي أوامره فإنها من تقوى القلوب ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن كما قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس تعظيمها يقول

قريباً ولله الحمد وقال ابن جريج عن عطاء قال: كان ابن عباس يقول كل من طاف بالبيت فقد حل قال الله تعالى ثم محلها إلى البيت العتيق. 33 وانتهاه إلى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة وقال والهدي معكوكاً أن يبلغ محله وقد تقدم الكلام على معنى البيت العتيق

تفسير ابن كثير

بدنة ومعها ولدها فقال لا تشرب من لبنها إلا ما فضل عن ولدها فإذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها وقوله ثم محلها إلى البيت العتيق أي محل الهدى الله عليه وسلم أنه قال اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها وقال شعبة عن زهير عن أبي ثابت الأعمى عن المغيرة بن أبي الحر عن علي أنه رأى رجلا يسوق عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة قال اركبها قال إنها بدنة قال اركبها ويحك في الثانية أو الثالثة وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله صلى وعطاء الخراساني وغيرهم وقال آخرون بل له أن ينتفع بها وإن كانت هدي إذا احتاج إلى ذلك كما ثبت في الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى وقال مجاهد في قوله لكم فيها منافع إلى أجل مسمى قال الركوب واللبن والولد فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله وكذا قال عطاء والضحاك وقتادة من لبنها وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها إلى أجل مسمى قال مقسم عن ابن عباس في قوله لكم فيها منافع إلى أجل مسمى قال ما لم تسم بدنا لكم فيها منافع أي لكم في البدن منافع

لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقال الثوري وبشر المخبتين قال المظمنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له وأحسن بما يفسر بما بعده. 34 لحكمه وطاعته وبشر المخبتين قال مجاهد المظمنين وقال الضحاك وقتادة المتواضعين وقال السدي الوجليين وقال عمرو بن أوس: المخبتين الذين إلى عبادة الله وحده لا شريك له وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ولهذا قال فله أسلموا أي أخلصوا واستسلموا سنته من حديث سلام بن مسكين به وقوله فإلهم إله واحد فله أسلموا أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعض فالجميع يدعون قالوا ما لنا منها؟ قال: بكل شعرة حسنة قال فالصوف؟ قال بكل شعرة من الصوف حسنة وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في عائد الله المجاشعي عن أبي داود وهو نفع بن الحارث عن زيد بن أرقم قال قلت أو قالوا يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال سنة أبيكم إبراهيم الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسقى وكبر ووضع رجله على صفاحهما قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا سلام بن مسكين عن لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها وقوله ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال أتى رسول الله صلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولكل أمة جعلنا منسكا قال عيدا وقال عكرمة ذبحا وقال زيد بن أسلم في قوله ولكل أمة جعلنا منسكا إنها مكة يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل وقال

ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله وهذه بخلاف صفات المنافقين فإنهم بالعكس من هذا كله كما تقدم تفسيره في سورة براءة. 35 حق الله فما أوجب عليهم من أداء فرائضه ومما رزقناهم ينفقون أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاوليهم الحسن البصري والمقيمي الصلاة وإنما حذف النون ههنا تخفيفا ولو حذف للإضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف فنصبت أي المؤدين البصري والله لنصبرن أو لنهلكن والمقيمي الصلاة قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية العشرة أيضا وقرأ ابن السميع والمقيمين الصلاة بالنصب وعن هو قوله الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت منه قلوبهم والصابرين على ما أصابهم أي من المصائب قال الحسن

خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون إلى قوله فلا يشكرون وقال في هذه الآية الكريمة كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . 36 من أجل هذا سخرناها لكم أي ذللناها لكم وجعلناها منقادة لكم خاضعة إن شئتم ركبتهم وإن شئتم حلبتم وإن شئتم ذبحتهم كما قال تعالى أو لم يروا أنا الذبح يمتد إلى آخر ذي الحجة وبه قال إبراهيم النخعي وأبو سلمة بن عبد الرحمن وهو قول غريب وقوله كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون يقول تعالى بعده وبه قال الشافعي لحديث جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيام التشريق كلها ذبح رواه أحمد وابن حبان وقيل إن وقت وأيام التشريق بعده وبه قال سعيد بن جبير وقيل يوم النحر ويوم بعده للجميع وقيل ويومان بعده وبه قال الإمام أحمد وقيل يوم النحر وثلاثة أيام التشريق حتى يصلي الإمام والله أعلم. ثم قيل لا يشرع الذبح إلا يوم النحر وحده وفي يوم النحر لأهل الأمصار لتيسر الأضاحي عندهم وأما أهل القرى فيوم النحر الإمام وقال أبو حنيفة أما أهل السواد من القرى ونحوها فلهم أن يذبحوا بعد طلوع الفجر إذ لا صلاة عيد تشرع عنده لهم وأما أهل الأمصار فلا يذبحوا إذا طلعت الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والخطبتين زاد أحمد وأن يذبح الإمام بعد ذلك لما جاء في صحيح مسلم وأن لا تذبحوا حتى يذبح سنتنا ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء أخرجه فهذا قال الشافعي وجماعة من العلماء إن أول وقت ذبح الأضاحي أعلم مسألة عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فنحرم فمن فعل فقد أصاب النعمان في حديث الأضاحي فكلوا وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها ومن العلماء من رخص في بيعها ومنهم من قال يقاسم الفقراء فيها والله يضمنها كلها بمثلها أو قيمتها وقيل يضمن نصفها وقيل ثلثها وقيل أدنى جزء منها وهو المشهور من مذهب الشافعي وأما الجلود ففي مسند أحمد عن قتادة ابن وأطعموا البائس الفقير ولقوله في الحديث فكلوا وادخروا وتصدقوا فإن أكل الكل فليل لا يضمن شيئا وبه قال ابن سريج من الشافعية وقال بعضهم وتصدقوا وفي رواية فكلوا وأطعموا وتصدقوا والقول الثاني: أن المضحي يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله في الآية المتقدمة فكلوا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث فكلوا وادخروا ما بدا لكم وفي رواية فكلوا وادخروا فثلث لصاحبها يأكله وثلث يهديه لأصحابه وثلث يتصدق به على الفقراء لأنه تعالى قال فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز وفي الحديث الصحيح أن بيده إذا رفعها للسؤال والمعتز من الاعتراء وهو الذي يتعرض لأكل اللحم وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء وعنه أن القانع هو الطامع والمعتز هو الذي يعتز بالبدن من غني أو فقير وعكرمة نحوه وعنه القانع أهل مكة واختار ابن جرير أن القانع هو السائل لأنه من أقنع الذي يزور وهو رواية عن ابنه عبد الرحمن بن زيد أيضا وعن مجاهد أيضا القانع جارك الغني الذي يبصر ما يدخل بيتك والمعتز الذي يعتزل من الناس

تفسير ابن كثير

المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع قال يغني من السؤال وبه قال ابن زيد وقال يد بن أسلم القانع المسكين الذي يطوف والمعتز الصديق والضعيف هو الذي يقنع إليك ويسألك والمعتز الذي يعتريك يتضرع ولا يسألك وهذا لفظ الحسن وقال سعيد بن جبيرة القانع هو السائل قال أما سمعت قول الشماخ: لعل قول قتادة وإبراهيم النخعي ومجاهد في رواية عنه وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم والكلبي والحسن البصري ومقاتل بن حيان ومالك بن أنس القانع ويملك بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس القانع المتعفف والمعتز السائل وهذا وهو وجه لبعض الشافعية واختلفوا في المراد بالقانع والمعتز فقال العوفي عن ابن عباس القانع المستغني بما أعطيته وهو في بيته والمعتز الذي يتعرض لك والترمذي وصححه وقوله فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز قال بعض السلف قوله: فكلوا منها أمر إباحة وقال مالك يستحب ذلك وقال غيره يجب شفرته وليرح ذبيحته وعن أبي واقد الليثي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة رواه أحمد وأبو داود ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح مسلم إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم مرفوع لا تعجلوا النفوس أن تزهق وقد رواه الثوري في جامعه عن أيوب عن يحيى بن أبي كثير قرافصة الحنفي عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك فإذا وجبت جنوبها يعني ماتت وهذا القول هو مراد ابن عباس ومجاهد فإنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحرحت حتى تموت وتبرد حركتها وقد جاء في حديث إلى الأرض وهو رواية عن ابن عباس وكذا قال مقاتل بن حيان وقال العوفي عن ابن عباس فإذا وجبت جنوبها يعني نحرحت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الزهري وقال عبد الرحمن بن زيد صوافي ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لأصنامهم وقوله فإذا وجبت جنوبها قال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني سقطت ومن قرأها صواف قال تصف بين يديها وقال طاوس والحسن وغيرهما فاذكروا اسم الله عليها صوافي يعني خالصة لله عز وجل وكذا رواه مالك عن الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال في حرف ابن مسعود صوافن أي معقلة قياما وقال سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد من قرأها صوافن قال معقولة صحيح مسلم عن جابر في صفة حجة الوداع قال فيه فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثا وستين بدنة جعل يطعنها بحربة في يده وقال عبد قوائمه رواه أبو داود وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار أن سالم بن عبد الله قال لسليمان بن عبد الملك قف من شقها الأيمن وانحر من شقها الأيسر وفي فقال ابعتها قياما مقيدة سنة أبي القاسم وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من ثلاث وروى ابن أبي نجيح عنه نحوه وقال الضحاك يعقل رجلا فتكون على ثلاث. وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أناخ بدنة وهو ينحرها إلا الله اللهم منك ولك: وكذلك روي عن مجاهد وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس نحو هذا. وقال ليث عن مجاهد إذا عقلت رجلها اليسرى قامت على عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف قال قيام على ثلاث قوائم معقولة يدها اليسرى يقول بسم الله والله أكبر لا إله ثم يؤتي بالآخر فيذبحه بنفسه ثم يقول هذا عن محمد وآل محمد فيطعمهما جميعا للمسلمين ويأكل هو وأهله منهما رواه أحمد وابن ماجه. وقال الأعمش صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدينة ثم يقول: اللهم هذا عن أمتي جميعها من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ ثم سمى الله وكبر وذبح وعن علي بن الحسين عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ضحى اشترى كبشين سميين أقرنين أملحين فإذا حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمهته عن ابن عباس عن جابر قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجههما وجهي للذي فطر السموات والأرض فذبحه فقال: بسم الله والله أكبر اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عليها صواف وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن جابر بن عبد الله قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الأضحى فلما انصرف أتى بكبش رواه الدارقطني في سننه وقال مجاهد لكم فيها خير قال أجر ومنافع وقال إبراهيم النخعي يركبها ويحلبها إذا احتاج إليها. وقوله فاذكروا اسم الله إني سمعت الله يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد الأرض فطيبوا بها نفسا رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه وقال سفيان الثوري كان أبو حازم يستدين ويسوق البدن فقيل له تستدين وتسوق البدن؟ فقال ما عمل ابن آدم يوم النحر عمل أحب إلى الله من إهراق دم وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأخلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله بكان قبل أن يقع من لكم فيها خير أي ثواب في الدار الآخرة وعن سليمان بن يزيد الكعبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سبعة وقال إسحاق بن راهوية وغيره بل تجزئ البقرة والبغير عن عشرة وقد ورد به حديث في مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وغيرهما فالله أعلم. وقوله كما ثبت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الأضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة إطلاق البدنة على البقرة على قولين أحدهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح الحديث ثم جمهور العلماء على أنه تجزئ البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة روي عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري وقال مجاهد إنما البدن من الإبل. قلت أث إطلاق البدنة على البغير فمتفق عليه واختلفوا في صحة الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الآية قال ابن جريج قال عطاء في قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله قال البقرة والبغير وكذا فيما خلق لهم من البدن وجعلها من شعائره وهو أنه جعلها تهدي إلى بيته الحرام بل هي أفضل ما يهدي إليه كما قال تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر يقول تعالى ممتنا على عبده

سنة أشهر وهو أقل ما قيل في سنه وما دونه فهو حمل والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم والجذع شعر ظهره نائم قد انفرك صدغين والله أعلم. 37 ودخل في الثالثة وقيل ما له ثلاث ودخل في الرابعة ومن المعز ما له سنتان وأما الجذع من الضأن فقيل ما له سنة وقيل عشرة أشهر وقيل ثمانية وقيل

تفسير ابن كثير

الجمهور إنما يجزئ الثني من الإبل والبقر والمعز أو الجذع من الضأن فأما الثني من الإبل فهو الذي له خمس سنين ودخل في السادسة ومن البقر ما له سنتان جذعة من الضأن ومن ههنا ذهب الزهري إلى أن الجذع لا يجزئ وقابله الأوزاعي فذهب إلى أن الجذع يجزئ من كل جنس وهما غريبان والذي عليه أهله رواه البخاري وأما مقدار سن الأضحية فقد روى مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن تعسر عليكم فتذبحوا أهل بيته فيأكلون ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما ترى رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وكان عبدالله بن هشام يضحى بالشاة الواحدة عن جميع ؟ هي التي تدعونها الرجبية وقد تكلم في إسناده وقال أبو أيوب كان الرجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحى بالشاة الواحدة عنه وعن الترمذي عن محنف بن سليم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعرفات على كل أهل بيت في كل عام أضحية وعتيرة هل تدرون ما العتيرة الأضحية سنة كفاية إذا قام بها واحد من أهل دار أو محلة أو بيت سقطت عن الباقيين لأن المقصود إظهار الشعائر: وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن وحسنه والسلام ضحى عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم وقال أبو سريحة كنت جارا لأبي بكر وعمر فكانا لا يضحيان خشية أن يقتدي الناس بهما وقال بعض الناس رواه الترمذي وقال الشافعي وأحمد لا تجب الأضحية بل هي مستحبة لما جاء في الحديث ليس في المال حق سوى الزكاة وقد تقدم أنه عليه الصلاة وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا على أن فيه غرابة واستنكره أحمد بن حنبل وقال ابن عمر: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين يضحى الأضحية على من ملك نصابا وزاد أبو حنيفة اشتراط الإقامة أيضا واحتج لهم بما رواه أحمد وابن ماجه بإسناد رجاله كله ثقات عن أبي هريرة مرفوعا من الله المتبعين ما شرع له المصدقين الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل مسألة وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري إلى القول بوجوب لدينه وشرعه وما يحبه ويرضاه ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه وقوله وبشر المحسنين أي وبشر يا محمد المحسنين أي في عملهم القائمين بحدود وإن شئت فأمسك وإن شئت فتصدق وقوله كذلك سخرها لكم أي من أجل ذلك سخر لكم البدن لتكبروا الله على ما هداكم أي لتعظموه كما هداكم هذا والله أعلم وقال وكيع عن يحيى بن مسلم بن الضحاك سألت عامرا الشعبي عن جلود الأضاحي فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها إن شئت فبع ابن ماجه والترمذي وحسنه عن عائشة مرفوعا فمعناه أنه سيق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى وجاء في الحديث إن الصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد السائل إن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع إلى الأرض كما تقدم في الحديث رواه ولكن يناله التقوى منكم أي يتقبل ذلك ويجزي عليه كما جاء في الصحيح إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ينضحون البيت بلحوم الإبل ودماؤها فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق أن ننضح فأنزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها لحومها ولا دماؤها وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج قال كان أهل الجاهلية تعالى هو الغني عما سواه وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لأهلهم وضعوا عليها من لحوم قرايبنهم ونضحوا عليها من دماؤها فقال تعالى لن ينال الله يقول تعالى إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا الضحايا لتذكروه عند ذبحها فإنه الخالق الرازق لا يناله شيء من لحومها ولا دماؤها فإنه لا يحب كل خوان كفور أي لا يحب من عباده من اتصف بهذا وهو الخيانة في العهود والمواثيق لا يفي بما قال والكفر الجحد للنعم فلا يعترف بها. 38 وينصرهم كما قال تعالى أليس الله بكاف عبده وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا وقوله إن الله يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ويحفظهم ويكلؤهم يلجئون إليه شرع الله جهاد الأعداء فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك فقال تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. 39 إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة فلما استقروا بالمدينة وافاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلا وسلم إني لم أؤمر بهذا فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم وهما يقتله وشردوا أصحابه شذر مذر فذهب منهم طائفة الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نيفا وثمانين قالوا: يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي يعنون أهل ليالي مني فنقتلهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم به لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقيين لشق عليهم ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول ونبلو أخباركم والآيات في هذا كثيرة ولهذا قال ابن عباس في قوله وإن الله على نصرهم لقدير وقد فعل وإنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق تعملون وقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين والله عليم حكيم وقال أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما عرفها لهم وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته كما قال فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أخنتهموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع وقد رواه غير واحد عن الثوري وليس فيه ابن عباس وقوله وإن الله على نصرهم لقدير أي هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ولكن هو يريد والنسائي في التفسير من سننهما وابن أبي حاتم من حديث إسحاق بن يوسف زاد الترمذي وويع كلاهما عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حديث حسن الله تعالى عنه فعرفت أنه سيكون قتال. ورواه الإمام أحمد عن إسحاق بن يوسف الأزرق به وزاد قال ابن عباس وهي أول آية نزلت في القتال رواه الترمذي نبههم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير قال أبو بكر رضي يوسف عن سفيان عن الأعمش عن مسلم هو البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا

تفسير ابن كثير

وغيرهم هذه أول آية نزلت في الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية وقال ابن جرير حدثني يحيى بن داود الواسطي حدثنا إسحاق بن في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف كابن عباس وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة قال العوفي عن ابن عباس نزلت

يديه وقال لي ابن أبي سليم عن مجاهد: جاء يهودي فقال يا محمد أخبرنا عن ربك من أي شيء هو من در أم من ياقوت ؟ قال فجاءت صاعقة فأخذته. 4 أخبرنا عن ربكم من ذهب هو أو من فضة هو أو من نحاس هو؟ فتقعقت السماء قعقة والقعقة في كلام العرب: الرعد فإذا قحف رأسه ساقط بين وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن مسلم البصري حدثنا عمرو بن البخري أبو قتادة حدثنا المعتمر حدثنا أبو كعب المكي قال: قال خبيث من خبيث قريش في الآخرة إلى عذاب السعير وهو الحار المؤلم المقلق المزعج وقد قال السدي عن أبي مالك نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث وكذلك قال ابن جريج. قال مجاهد يعني الشيطان كتب عليه كتابة قدرية أنه من توله أي اتبعه وقلده فإنه يضل ويهديه إلى عذاب السعير أي يضل في الدنيا ويقوده كتب عليه

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز. 40 تقديرا وبعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب بل كل شيء ذليل لديه فقير إليه ومن كان القوي العزيز ناصر فهو المنصور وعدوه هو المقهور قال الله تعالى الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم وقوله إن الله لقوي عزيز وصف نفسه بالقوة والعزة فيقوته خلق كل شيء فقدره أن انتهى إلى المساجد وهي أكثر عمارا وأكثر عبادا وهم ذوو القصد الصحيح وقوله ولينصرن الله من ينصره كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب وقال بعض العلماء هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى لأنها أقرب المذكورات وقال الضحاك الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهي لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق وأما المساجد فهي للمسلمين وقوله يذكر فيها اسم الله كثيرا فقد قيل الضمير في قوله يذكر فيها عائد إلى المساجد وحكى السدي عن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس النصارى وقال أبو العالية وغيره الصلوات معابد الصابئين وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد الصلوات مساجد والله أعلم وقوله وصلوات قال العوفي عن ابن عباس الصلوات الكنائس وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة: إنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات وغيرهم وحكى ابن جبير عن مجاهد وغيره أنها كنائس اليهود وحكى السدي عن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس اليهود ومجاهد إنما قال هي الكنائس التي على الطرق وبيع وهي أوسع منها وأكثر عابدين فيها وهي للنصارى أيضا قاله أبو العالية وقتادة والضحاك وابن صخر ومقاتل بن حيان وخصيف ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم وقال قتادة هي معابد الصابئين وفي رواية عنه صوامع المجوس وقال مقاتل بن حيان هي البيوت قوم ويكف ضرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض ولأهلك القوي الضعيف لهدمت صوامع وهي المعابد الصغار للرهبان قاله آخر كل قافية فإذا قالوا إذا أرادوا فتنة أبيتنا يقول أبيتنا يمد بها صوته ثم قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض أي لولا أنه يدفع بقوم عن صلينا فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبيتنا فيوافقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوم معهم وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ويقولون: لاهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا في نفس الأمر وأما عند المشركين فإنه أكبر الذنوب كما قال تعالى يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم وقال تعالى في قصة أصحاب الأخدود إلا أن يقولون ربنا الله أي ما كان لهم إلى قومهم إساءة ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله وعبدوه لا شريك له وهذا استثناء منقطع بالنسبة إلى ما الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق قال العوفي عن ابن عباس أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق يعني محمدا وأصحابه

ليستخلفهم في الأرض وقوله ولله عاقبة الأمور كقوله تعالى والعاقبة للمتقين وقال زيد بن أسلم ولله عاقبة الأمور وعند الله ثواب ما صنعوا. 41 من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكره بها ولا المخالف سرها علانيتهما وقال عطية العوفي هذه الآية كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات للوالي عليكم منه إن لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم وأن يأخذ لبعضكم من بعض وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع وإن عليكم الذين إن مكناهم في الأرض الآية ثم قال ألا إنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والمولى عليه ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما فهي لي ولأصحابي وقال أبو العالية هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال الصباح بن سواده الكندي سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول المنكر فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله ثم مكننا في الأرض فأقمنا الصلاة وآتيناهم الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولله عاقبة الأمور بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال: قال عثمان بن عفان فينا نزلت الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد

خالفه من قومه وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح إلى أن قال وكذب موسى أي مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات. 42 يقول تعالى مسليا لنبيه محمد في تكذيب من

خالفه من قومه وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح إلى أن قال وكذب موسى أي مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات. 43 يقول تعالى مسليا لنبيه محمد في تكذيب من

تفسير ابن كثير

- اللَّهُ عليه وسلم أنه قال إن الله ليملي لظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . 44
- بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه أنا ربكم الأعلى وبين إهلاك الله له أربعون سنة وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى فألميت للكافرين أي أنطرتهم وأخرتهم ثم أخذتهم فكيف كان نكير أي فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم ؟! وذكر
- أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة . 45
- وأبي المليح والضحاك نحو ذلك وقال آخرون هو المنيف المرتفع وقال آخرون المشيد المنيع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة. ولا منافاة بينها فإنه لم يحم أحد بعد كثرة واردتها والازدحام عليها وقصر مشيد قال عكرمة يعني المبيض بالجص وروي عن علي بن أبي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير أي مكذبة لرسله فهي خاوية على عروشها قال الضحاك سقوفها أي قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها وبئر معطلة أي لا يستقي منها ويردها ثم قال تعالى فكأين من قرية أهلكناها أي كم من قرية أهلكناها وهي ظالمة
- العين والأثر لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الأعلى ولا النيران الشمس والقمر ليرحلن عن الدنيا وإن كرها فراقها الثاويان البدن والحضر 46
- نادى به الناعيان الشيب والكبر إن كنت لا تسمع الذكرى ففيم ترى في رأسك الواعيان السمع والبصر ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل لم يهده الهاديان هذا المعنى وهو أبو محمد عبدالله بن محمد بن حيان الأندلسي الشنتريني وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة يا من يصيخ إلى داعي الشقاء وقد ليس العمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصيرة وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدري ما الخبر وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في من النقم والنكال فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها أي فيعتبرون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور أي عليه أخبار الماضين وذكره ما أصاب من كان قبله وسيره في ديارهم وآثارهم وانظروا ما فعلوا وأين حلوا وعم انقلبوا أي فانظروا ما حل بالأمم المكذبة قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكر وموته بالزهد وقوه باليقين وذلك بالموت وقدره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام واعرضي موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح في الأرض ثم اطلب الآثار والعبر حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا وقال ابن أبي الدنيا قال بعض الحكماء أحي في كتاب التفكير والاعتبار حدثنا هارون بن عبدالله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار: قال أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن: يا وقوله أفلم يسيروا في الأرض أي بأبدانهم وبفكرهم أيضا وذلك كاف كما قال ابن أبي الدنيا
- ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر وأنه لا يفوته شيء وإن أجل وأنظر وأملى ولهذا قال بعد هذا. 47
- المتهدد فإني وإن أوعده أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز مواعيدي وقوله وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو تعالى لا يعجل فإن مقدار فقال له أمن العجم أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الإيعاد كرما أما سمعت قول الشاعر: ليرهب ابن العم والجار سطوتي ولا أنثني عن سطوة من أعدائه والإكرام لأوليائه قال الأصمعي كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاءه عمرو بن عبيد فقال يا أبا عمرو هل يخلف الله الميعاد؟ فقال لا فذكر آية وعيد من السماء أو اثنتا بعذاب أليم وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله ولن يخلف الله وعده أي الذي وعد من إقامة الساعة والانتقام أي هؤلاء الكفار الملحدون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر كما قال تعالى وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ويستعجلونك بالعذاب
- عند ربك كألف سنة مما تعدون فقد مضت الستة أيام وأنتم في اليوم السابع فمثل ذلك كمثل الحامل إذا دلت شهرها ففي أية لحظة ولدت كان تماما. 48
- خلق السموات والأرض في ستة أيام وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وجعل أجل الدنيا ستة أيام وجعل الساعة في اليوم السابع وإن يوما حدثنا أبي حدثنا عارم بن محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال: إن الله تعالى على الجهمية وقال مجاهد هذه الآية كقوله يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وقال ابن أبي حاتم: من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن المهدي وبه قال مجاهد وعكرمة ونص عليه أحمد بن حنبل في كتاب الرد أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم قيل لسعد وما نصف يوم ؟ قال خمسمائة سنة. وقال ابن تعدون وقال أبو داود في آخر كتاب الملاحم من سننه حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم قلت وما مقدار نصف يوم ؟ قال أو ما تقرأ القرآن قلت بلى ؟ قال وإن يوما عند ربك كألف سنة مما رواه ابن جرير عن أبي هريرة موقوفا فقال: حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه حدثنا سعيد الجبري عن أبي نضرة عن سمير بن نهار قال: قال أبو هريرة: يدخل المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام ورواه الترمذي والنسائي من حديث الثوري عن محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح وقد حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثني عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء وكأين من قرية ألميت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير قال ابن أبي
- إليه وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب و إنما أنا لكم نذير مبين . 49
- نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد وليس إلي من حسابكم من شيء أمركم إلى الله إن شاء عجل لكم العذاب وإن شاء أخره عنكم وإن شاء تاب على من يتوب

تفسير ابن كثير

تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجلوه به قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين أي إنما أرسلني الله إليكم يقول

وزروع وأشوات في اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى وأنبتت من كل زوج بهيج أي حسن المنظر طيب الريح. 5
أي فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أي تحركت بالنبات وحيث بعد موتها وربت أي ارتفعت لما سكن فيها الثرى ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون من ثمار الهامدة وهي المقحلة التي لا ينبت فيها شيء وقال قتادة غبراء متهشمة. وقال السدي ميتة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وقوله وترى الأرض هامدة هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيى الأرض الميتة الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله وأحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما أنواع من البلاء الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين سنة لين الله الحساب فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يحب فإذا بلغ سبعين سنة غفر عن أبي قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ما من عبد يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه البلاء: الجنون والبرص والجذام وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبد الله بن شبيب عن أبي شعبة عن عبد الله بن عبد الملك عمرو بن أمية الضمري عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من بن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ورواه الإمام أحمد أيضا حدثنا أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي بردة الأنصاري عن جعفر بن أسير الله في أرضه وشفع في أهله ثم قال حدثنا هشام حدثنا الفرج حدثني محمد بن عبد الله العامري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن عبد الله بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ومحا عنه سيئاته وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أربعين سنة أمه الله من أنواع البلاء من الجنون والبرص والجذام فإذا بلغ الخمسين لين الله حسابه وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه الله عليها وإذا ومرفوعا فقال: حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج حدثنا محمد بن عامر عن محمد بن عبد الله العاملي عن عمرو بن جعفر عن أنس قال إذا بلغ الرجل المسلم في صحته من الخير فإذا عمل سيئة لم تكتب عليه هذا حديث غريب جدا وفيه نكارة شديدة ومع هذا قد رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده موقوفا ذنبه وما تأخر وشفعه في أهل بيته وكتب أمين الله وكان أسير الله في أرضه فإذا بلغ أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا كتب الله له مثل ما كان يعمل الله الإنابة إليه بما أحب فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من وأن يشدد فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمه الله من البلاء الثلاث: الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ الخمسين خفف الله عنه حسابه فإذا بلغ ستين رزقه من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فإذا بلغ الحنث أجرى الله عليه القلم أمر الملكان اللذان كانا معه أن يحفظا الزيات حدثني داود أبو سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الأنصاري عن أنس بن مالك رفع الحديث قال المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير وقد قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا خالد وضعف الفكر ولهذا قال لكي لا يعلم من بعد علم شيئا كما قال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا من يتوفى أي في حال شبابه وقواه ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وهو الشيخوخة والهزم وضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الأحوال من الخوف عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار ولهذا قال ثم لتبلغوا أشدكم أي يتكامل القوي ويتزايد ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر ومنكم بنحو معناه وقوله ثم نخرجكم طفلا أي ضعيفا في بدنه وسمعه وبصره وحواسه وبطشه وعقله ثم يعطيه الله القوة شيئا فشيئا ويلطف به ويحسن عمله وأثره ورزقه وأجله ثم تطوى الصحف فلا يزداد على ما فيها ولا ينتقص ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ومن طريق آخر عن أبي الطفيل بعد ما تستقر في الرحم بأربعين يوما أو خمس وأربعين فيقول أي رب أشقي أم سعيد فيقول الله ويكتبان فيقول أذكر أم أنثى فيقول الله ويكتبان ويكتب بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك على النطفة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمة وإن كانت غير مخلقة قذفها الأرحام دما وإن كانت مخلقة نكست نسمة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله عامر الشعبي يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة فإذا بلغت مضغة له اذهب إلى الكتاب فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فتخلق فتعيش في أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك ثم تلا قال أي رب ذكرا أو أنثى شقي أو سعيد ما الأجل وما الأثر وبأي أرض يموت. قال فيقال للنطفة من ربك ؟ فتقول الله فيقال من رازقك ؟ فتقول الله فيقال قال: النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك بكفه فقال يا رب مخلقة أو غير مخلقة فإن قيل غير مخلقة لم تكن نسمة وقذفها الأرحام دما وإن قيل مخلقة رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله إن خلق أحدكم بجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب أو سعيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أربعين يوما ثم مضغة أرسل الله تعالى إليها ملكا فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكر وأنثى وكتب رزقها وأجلها وشقي تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها كما قال مجاهد في قوله تعالى مخلقة وغير مخلقة قال هو السقط مخلوق وغير مخلوق فإذا مضى عليها شكل وتخطيط ولهذا قال تعالى ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة أي كما تشاهدونها لنبيين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى أي وتارة

تفسير ابن كثير

والتخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقىها وقد صارت ذات إليها ثم تنقلب علقه حمراء بإذن الله فتمكث كذلك أربعين يوما ثم تستحيل فتصير مضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ثم يشرع في التشكيل جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم من علقه ثم من مضغة وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوما كذلك يضاف إليه ما يجتمع المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة فإننا خلقناكم من تراب أي أصل برئه لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام ثم من نطفة أي ثم للمعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدنه للخلق فقال يا أيها الناس إن كنتم في ريب أي في شك من البعث وهو لما ذكر تعالى المخالف للبعث المنكر

لما سلف من سيناتهم ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم قال محمد بن كعب القرظي إذا سمعت الله تعالى يقول ورزق كريم فهو الجنة. 50 فالذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم لهم مغفرة ورزق كريم أي مغفرة الموجعة الشديد عذابها ونكالها أجارك الله منها قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون. 51 عن متبعة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال عبدالله بن الزبير مثبطي وقال ابن عباس معاجزين مراغمين أولئك أصحاب الجحيم وهي النار الحارة وقوله والذين سعوا في آياتنا معاجزين قال مجاهد يثبطون الناس الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم. 52 بن المغيرة على التراب على كفه وحدثوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة فأقبلوا سراعا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته وحفظه من القرية وقال ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود الوليد وحدثهم به الشيطان أن رسول الله قد قرأها في السورة فسجدوا لتعظيم آلهتهم ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ولا يقين ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا فرفع ملء كفه تراب فسجد وفنتته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا إن محمدا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه فلما بلغ رسول وله الأثنى ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال وإنهن لهن الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى وكان ذلك من سجع الشيطان ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبه وأحزنه ضلالهم فكان يتمنى هداهم فلما أنزل الله سورة النجم قال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى يمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما الشيبى حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أفررناه الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فدر الله الشيطان ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي حدثنا محمد بن إسحاق على لسانه وإن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرائيق العلى فحفظها المشركون وأجرى الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأها فذلت بها ألسنتهم فأنزل رواه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس مرسل أيضا وقال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام إذ نعس فألقى الشيطان أمية بن خالد وهو ثقة مسهور وإنما يروي هذا من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس ثم رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالبيه وعن السدي مرسل وكذا الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى أفرأيتم اللات والعزى وذكر بقيقته ثم قال البزار لا نعلمه يروي متصلا إلا بهذا الإسناد مفرد بوصله البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ورواه ابن جرير عن بدار عن غندر عن شعبة به بنحوه وهو مرسل وقد رواه ترتجى قالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وما أرسلنا من قبلك رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان عليه وسلم بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن من وجه صحيح والله أعلم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله صلى الله ههنا قصة الغرائيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق لها مرسله ولم أرها مسندة قد ذكر كثير من المفسرين

قلوبهم هم المشركون وقال مقاتل بن حيان هم اليهود وإن الظالمين لفي شقاق بعيد أي في ضلال ومخالفة وعناد بعيد أي من الحق والصواب. 53 كالمشركين حين فرحوا بذلك واعتقدوا أنه صحيح من عند الله وإنما كان من الشيطان قال ابن جرير الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون والقاسية أي في تقديره وخلقه وأمره له الحكمة التامة والحجة البالغة ولهذا قال ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض أي شك وشرك وكفر ونفاق الضحاك نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته وقوله والله عليم أي بما يكون من الأمور والحوادث لا تخفى عليه خافية حكيم فينسخ الله ما يلقي الشيطان حقيقة النسخ لغة: الإزالة والرفع قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فيبطل الله سبحانه وتعالى ما ألقى الشيطان وقال عثمان حين قتل: تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر وقال الضحاك إذا تمنى إذا تلا قال ابن جرير هذا القول أشبه بتأويل الكلام وقوله

تفسير ابن كثير

يقرءون ولا يكتبون قال البغوي وأكثر المفسرين قالوا معنى قوله تمنى أي تلا وقرأ كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته قال الشاعر في إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته يقول إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه وقال مجاهد إذا تمنى يعني إذا قال يقال أمنيته قراءته إلا أمانى قال ابن عباس في أمنيته إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في أمنيته هذا فيه تسلية من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أي لا يهيئ لك فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء قال البخاري عن هذا بتقدير صحته وقد تعرض القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفاء لهذا وأجاب بما حاصله أنها كذلك لثبوتها وقوله إلا إذا تمنى ألقى الشيطان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك في نفس الأمر بل إنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الرحمن والله أعلم. وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين من الله تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه ثم حكى أجوبة عن الناس من أطفها أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهما أنه صدر عن البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما بنحو من ذلك ثم سأل ههنا سؤالاً كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة قال وقد رواه عن أبي إسحاق هذه القصة قلت وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا وكلها مراسلات ومنقطعات والله أعلم وقد ساقها بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة فلم يجز به موسى بن عقبة ساقه من مغايزه بنحوه قضاءه وبراه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضاللتهم وعداوتهم المسلمين واشتدوا عليهم وهذا أيضاً مرسل وفي تفسير ابن جرير عن الزهري عن أبي ليعلج ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد فلما بين الله واتباعه ويوفقهم لمخالقة الباطل واجتنابه وفي الآخرة يهديهم الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنات ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات. 54 فتخبت له قلوبهم أي تخضع وتذل له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فيرشدهم إلى الحق أن يختلط به غيره بل هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقوله فيؤمنوا به أي يصدقوه وينقادوا له الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل والمؤمنون بالله ورسوله أن ما أوحينا إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه وحرسه وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به أي وليعلم عنهما هو يوم القيامة لا ليل له وكذا قال الضحاك والحسن البصري وهذا القول هو الصحيح وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به لكن هذا هو المراد. 55 قال مجاهد قال أبي بن كعب هو يوم بدر وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير قال عكرمة ومجاهد في رواية القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وعرثتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون وقوله أو يأتيهم عذاب يوم عقيم جريح واختاره ابن جرير وقال سعيد بن جبيرة وابن زيد أي مما ألقى الشيطان حتى تأتيهم الساعة بغتة قال مجاهد فجأة وقال قتادة بغتة بغتة يقول تعالى مخبراً عن الكفار أنهم لا يزالون في مربة أي في شك من هذا القرآن قاله ابن بالله ورسوله وعملوا بمقتضى ما علموا وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم في جنات النعيم أي لهم النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد. 56 مالك يوم الدين وقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً فالذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنت قلوبهم وصدقوا ولهذا قال الملك يومئذ لله يحكم بينهم كقوله له عذاب مهين أي مقابلة استكبارهم وإبائهم عن الحق كقوله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين. 57 والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي كفرت قلوبهم بالحق وجحدته وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم فأولئك وقع أجره على الله وقوله ليرزقنهم رزقا حسنا أي ليجرين عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم وإن الله لهو خير الرازقين. 58 من غير قتال على فرشهم فقد حصلوا على الأجر الجزيل والثناء الجميل كما قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد ابتغاء مرضاته وطلباً لما عنده وترك الأوطان والأهلين والخلان وفارق بلاده في الله ورسوله ونصرة لدين الله ثم قتلوا أي في الجهاد أو ماتوا أي حتف أنفهم يخبر تعالى من خرج مهاجراً في سبيل الله المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم إن الله لعفو غفور. 59 ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به الآية ذكر مقاتل بن حيان وابن جرير أنها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعا من المشركين في شهر محرم فناشدهم بن شريح عن سلامان بن عامر قال كان فضالة برودس أميراً على الأرباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فذكر نحو ما تقدم. وقوله إذا أدخلت مدخلا ترضاه ورزقت رزقا حسنا والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت. ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب أخبرني عبد الرحمن فقال ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت إن الله يقول والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الآية فما تبغى أيها العبد فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفى فقيل له تركت الشهيد فلم تجلس عنده أيضاً حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة حدثنا سلامان بن عامر الشيباني أن عبد الرحمن بن جحدم الخولاني حدثه أنه حضر في سبيل الله فقال والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اسمعوا كتاب الله والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا حتى بلغ آخر الآية وقال عليه وسلم فمر بجنازتين أحدهما قتيل والأخرى متوفى فمال الناس على القتيلى فقال فضالة ما لي أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا هذا القتيلى

تفسير ابن كثير

حدثنا زيد بن بشر أخبرني همام أنه سمع أبا قبيل وربيعه بن سيف المعافري يقولان كنا برودس ومعنا فضالة بن عبيد الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم وقال أيضا حدثنا أبو زرعة الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات مرابطا أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتانين واقروا إن شئتم والذين هاجروا بن عقبة قال: قال شرحبيل بن السمط: طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم فمر بي سلمان يعني الفارسي رضي الله عنه فقال: إني سمعت رسول أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن شريح عن ابن الحارث يعني عبد الكريم عن ابن عقبة يعني أبا عبيدة من توفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه وعظيم إحسان الله إليه قال ابن فإنه حي عند ربه يرزق كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون والأحاديث في هذا كثيرة كما تقدم وأما يستحق ذلك حليم أي يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه وتوكلهم عليه فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر والرزق وجنة النعيم كما قال ههنا ليرزقهم الله رزقا حسنا ثم قال ليدخلهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم أي بمن يهاجر ويجاهد في سبيله وبمن ليدخلهم مدخلا يرضونه أي الجنة كما قال تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فأخبر أنه يحصل له الراحة

الأرض الميئة وأنبت منها هذه الأنواع إن الذي أحيائها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . 6 وقوله ذلك بأن الله هو الحق أي الخالق المدبر الفعال بما يشاء وأنه يحيي الموتى أي كما أحيأ

المسلمون لنلا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم إن الله لعفو غفور. 60 ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به الآية ذكر مقاتل بن حيان وابن جرير أنها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعا من المشركين في شهر محرم فناشدهم وقوله

بأقوال عباده بصير بهم لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم ولما تبين أنه المتصرف في الوجود الحاكم الذي لا معقب لحكمه. 61 هذا ومن هذا في هذا فتارة يطول الليل ويقصر النهار كما في الشتاء وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما في الصيف وقوله وأن الله سميع بصير أي سميع في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ومعنى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل إدخاله من هذا في مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار يقول تعالى منبها على أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء كما قال قل اللهم

سواه لأنه العظيم الذي لا أعظم منه العلي الذي لا أعلى منه الكبير الذي لا أكبر منه تعالى وتقدس وتنزه وجل عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا. 62 ولا نفعا وقوله وأن الله هو العلي الكبير كما قال هو العلي العظيم وقال وهو الكبير المتعال فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب شيء إليه فقير ذليل لديه وأن ما يدعون من دونه هو الباطل أي من الأصنام والأنداد والأوثان وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل لأنه لا يملك ضرا قال ذلك بأن الله هو الحق أي الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له لأنه ذو السلطان العظيم الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل

في قصيدته: وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رايبا ويخرج منه حبه في رءوسه في رءوسه ففي ذلك آيات لمن كان واعيا 63 يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ولهذا قال أمية بن أبي الصلت أو زيد بن عمرو بن نفيل الخبء في السموات والأرض وقال تعالى وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وقال وما يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتى بها الله إن الله لطيف خبير وقال: ألا يسجدوا لله الذي يخرج أي عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر لا يخفى عليه خافية فيوصل إلى كل منه قسطه من الماء فينبته به كما قال لقمان الأرض مخضرة أي خضراء بعد يباسها ومحوها وقد ذكر عن بعض أهل الحجاز أنها تصبح عقب المطر خضراء فالله أعلم وقوله إن الله لطيف خبير خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة الآية وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل شيئين أربعين يوما ومع هذا هو معقب بالفاء وهكذا ههنا قال فتصبح سوداء ممحلة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وقوله: فتصبح الأرض مخضرة الفاء ههنا للتعقيب وتعقيب كل شيء بحسبه كما قال تعالى ثم وهذا أيضا من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه وأنه يرسل الرياح فتثير سحابا تمطر على الأرض الجزر التي لا نبات فيها وهي جامدة يابسة

وقوله له ما في السموات وما في الأرض أي ملكه جميع الأشياء وهو غني عما سواه وكل شيء فقير إليه عبد لديه. 64

قال إن الله بالناس لرءوف رحيم أي مع ظلمهم كما قال في الآية الأخرى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب . 65 الأرض إلا بإذنه أي لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض فهلك من فيها ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ولهذا بلد وقطر إلى قطر ويأتون بما عند أولئك إلى هؤلاء كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلى أولئك مما يحتاجون إليه ويطلبونه ويريدونه ويمسك السماء أن تقع على وتسيره أي في البحر العجاج وتلاطم الأمواج تجري الفلك بأهلها بريح طيبة ورفق وتؤدة فيحملون فيها ما شاءوا من تجائر وبضائع ومنافع من بلد إلى وثمار كما قال وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه أي من إحسانه وفضله وامتنانه والفلك تجري في البحر بأمره أي بتسخيره وقوله ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض أي من حيوان وجماد وزروع

تفسير ابن كثير

- وهو الذي أحياكم أي خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا يذكر فأوجدكم ثم يميتكم ثم يحييكم أي يوم القيامة إن الإنسان لكفور أي جحود. 66
- فيه وقوله قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ومعنى الكلام كيف تجعلون لله أندادا وتعيدون معه غيره وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون وقوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب وقوله وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور كقوله
- إنك لعلى هدى مستقيم أي طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود وهذه كقوله ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك . 67
- لهم مناسك وطرائق أي هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته فلا تتأثر بمنازعتهم لك ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق ولهذا قال وادع إلى ربك لكل أمة جعلنا منسكا جعلنا قدريا كما قال ولكل وجهة هو موليها ولهذا قال ههنا هم ناسكوه أي فاعلوه فالضمر ههنا عائد على هؤلاء الذين وعكوفهم عليها فإن كان كما قال من أن المراد لكل أمة نبي جعلنا منسكا فيكون المراد بقوله فلا ينازعك في الأمر أي هؤلاء المشركون وإن كان المراد منسكا قال: وأصل المنسك في كلام العرب هو الموضع الذي يعتاده الإنسان ويتردد إليه إما لخير أو شر قال ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس إليها يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكا قال ابن جرير يعني لكل أمة نبي
- أعمل وأنا بريء مما تعملون وقوله الله أعلم بما تعملون تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم. 68
- وقوله وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون كقوله وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما
- القيامة فيما كنتم فيه تاختلفون وهذه كقوله تعالى فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب الآية. 69
- ولهذا قال الله يحكم بينكم يوم
- عن قتادة عن أبي الحجاج عن معاذ بن جبل قال: من علم أن الله هو الحق المبين وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور دخل الجنة. 7
- مجدبة ثم مررت بها مخصبة ؟ قال نعم قال كذلك النشور والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن مرحوم حدثنا بكير بن السميث
- بن موسى عن أبي رزين العقيلي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ قال أمرت بأرض من أرض قومك داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به ثم رواه الإمام أحمد أيضا حدثنا علي بن إسحاق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليمان
- قال أما مررت بوادي أهلك محملا ؟ قال بلى قال ثم مررت به يهتز خضرا قال بلى قال فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه ورواه أبو
- عليه وسلم أليس كلكم ينظر إلى القمر مخليا به ؟ قلنا بلى قال فالله أعظم قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟
- عن عمه أبي رزين العقيلي واسمه لقيط بن عامر أنه قال يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال رسول الله صلى الله
- الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون والآيات في هذا كثيرة وقال الإمام أحمد حدثنا حماد بن سلمة قال أنبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدي
- كما قال تعالى وضرب لنا مثلا وننسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر
- الساعة آتية لا ريب فيها أي كائنة لا شك فيها ولا مرية وأن الله يبعث من في القبور أي يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم ربما ويوجدتهم بعد العدم
- وأن
- يعصي باختياره وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شيء علما وهو سهل عليه يسير لديه ولهذا قال تعالى إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير . 70
- علم الأشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضا فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذي يفعلونه فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره وهذا
- هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة فذلك قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض وهذا من تمام علمه تعالى أنه
- مائة عام وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب فقال القلم وما أكتب قال علمي في خلقي إلى يوم الساعة فجرى القلم بما
- وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن بكير حدثني عطاء بن دينار حدثني سعيد بن جبيرة قال: قال ابن عباس: خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة
- الله صلى الله عليه وسلم قال: أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة
- إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول
- كلها قبل وجودها وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
- علمه بخلقه وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض فلا يعز عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وأنه تعالى علم الكائنات
- يخبر تعالى عن كمال
- سول لهم الشيطان زينهم لهم ولهذا توعدهم تعالى بقوله وما للظالمين من نصير أي من ناصر ينصرهم من الله فيما يحل بهم من العذاب والنكال. 71
- ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم أي ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله مما
- الله ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة وبرهانا كقوله ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ولهذا قال ههنا
- يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا وعبدوا من دون
- تناولون منهم إن نلتهم بزعمكم وإرادتكم وقوله وبئس المصير أي وبئس النار مقبلا ومنزلا ومرجعا وموئلا ومقاما إنها ساءت مستقرا ومقاما . 72

تفسير ابن كثير

الله الذين كفروا أي النار وعذابها ونكالها أشد وألم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما الذين يحتاجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن ويبسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء قل أي يا محمد لهؤلاء أفأنبئكم بشر من ذلك النار وعدها والدلائل الواضحات على توحيد الله وأنه لا إله إلا هو وأن رسله الكرام حق وصدق يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا أي يكادون يبادرون ثم قال وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات أي وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج

قال ابن عباس: الطالب الصنم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق وقال السدي وغيره الطالب العابد والمطلوب الصنم. 73 من الذي عليها من الطيب ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال ضعف الطالب والمطلوب أيضا وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذه منه أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة ثم قال تعالى هريرة مرفوعا قال ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة وأخرجه صاحب الصحيح من طريق عمارة عن أبي زرعة على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك كما قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي به فاستمعوا له أي أنصتوا وتفهموا إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له أي لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها يا أيها الناس ضرب مثل أي لما يعبد الجاهلون بالله المشركون

إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقوله عزيز أي قد عز كل شيء فقهره وغلبه فلا يمانع ولا يغالب لعظمته وسلطانه وهو الواحد القهار. 74 الله لقوي عزيز أي هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد ثم قال ما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها إن الناس لإبلاغ رسالاته إن الله سميع بصير أي سميع لأقوال عباده بصير بهم عليهم بمن يستحيي ذلك منهم كما قال الله أعلم حيث يجعل رسالته. 75 يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره ومن

على ما يقال لهم حافظ لهم ناصر لجنايبهم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس الآية. 76 فلا يخفى عليه شيء من أمورهم كما قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلى قوله وأحصى كل شيء عددا فهو سبحانه رقيب عليهم شهيد وقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور أي يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به

قولين وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدين فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما . 77 اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه السجدة الثانية من سورة الحج هل هو مشروع السجود فيها أم لا ؟ على

وإذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتي فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك رواه ابن أبي حاتم والله أعلم آخر تفسير سورة الحج ولله الحمد والمنة. 78 يعني نعم الولي ونعم الناصر من الأعداء قال وهيب بن الورد يقول الله تعالى: ابن آدم اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت فلا أمحقك فيمن أمحق بالله أي اعتضدوا بالله واستعينوا به وتوكلوا عليه وتأيدوا به هو مولاكم أي حافظكم وناصركم ومظفركم على أعدائكم فنعم المولى ونعم النصير أوجب للفقير على الغني من إخراج جزء نزر من ماله في السنة للضعفاء والمحاويج كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكاة من سورة التوبة وقوله واعتصموا بالقيام بشكرها فادوا حق الله عليكم في أداء ما افترض وطاعة ما أوجب وترك ما حرم ومن أهم ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهو الإحسان إلى خلق الله بما على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وذكرنا حديث نوح وأمته بما أغنى عن إعادته وقوله فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي قابلوا هذه النعمة العظيمة في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها فلماذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة سورة البقرة ولهذا قال ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس أي إنما جعلناكم هكذا أمة وسطا عدولا خيارا مشهودا بعدالتكم عند جميع بها المسلمين المؤمنين عباد الله وقد قدمنا هذ الحديث بطوله عند تقسيم قوله يا أيها الناس اعبدا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون من قال من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثي جهنم قال رجل يا رسول الله وإن صام وصلى قال نعم وإن صام وصلى فادعوا بدعوة الله التي سماكم محمد بن شعيب أنبأنا معارية بن سلام أن أخاه زيد بن سلام أخبره عن أبي سلام أنه أخبره قال أخبرني الحارث الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحبار والرهبان فقال هو سماكم المسلمين من قبل أي من قبل هذا القرآن وفي هذا روى النسائي عند تفسيره هذه الآية أنبأنا هشام بن عمار حدثنا عليه بأنه ملة أبيهم الخليل ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى على قلت وهذا هو الصواب لأنه تعالى قال هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ثم حثهم وأغراهم إلى ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا قال مجاهد: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر وفي هذا يعني القرآن وكذا قال غيره مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال ابن جرير وهذا لا وجه له لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين وقد قال الله تعالى والضحاك والسدي ومقاتل ابن حيان وقتادة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو سماكم المسلمين من قبل يعني إبراهيم وذلك لقوله ربنا واجعلنا

تفسير ابن كثير

قال الإمام عبد الله ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله هو سماكم المسلمين من قبل: قال الله عز وجل وكذا قال مجاهد وعطاء المعنى في هذه الآية كقوله قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا الآية وقوله هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا عليكم في الدين من حرج أي من ضيق بل وسعه عليكم كلمة أبيكم إبراهيم قال ويحتمل أنه منصوب على تقدير الزموا ملة أبيكم إبراهيم قلت وهذا ولهذا قال ابن عباس في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج يعني من ضيق وقوله ملة أبيكم إبراهيم قال ابن جريج نصب على تقدير ما جعل السلام بعثت بالحنيفية السمحة وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثتهما أميرين إلى اليمن بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا والأحاديث في هذا كثيرة يسقط لعذر المرض فيصليها المريض جالسا فإن لم يستطع فعلى جنبه إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات ولهذا قال عليه يصليها بعض الأئمة ركعة كما ورد به الحديث وتصلى رجالا وركبانا مستبلي القبلة وغير مستقبلها وكذا في الناقلة في السفر إلى القبلة وغيرها والقيام فيها يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا فالصلاة التي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربع وفي السفر تقصر إلى اثنتين وفي الخوف على سائر الأُمم وفضلكم وشرفكم وأكرمكم رسول وأكمل شرع وما جعل عليكم في الدين من حرج أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء في الله حق جهاده أي بأموالكم وألستكم وأنفسكم كما قال تعالى اتقوا الله حق تقاته وقوله هو اجتباكم أي يا هذه الأمة الله اصطفاكم واختاركم وقوله وجاهدوا

الكفر والبدع فقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير أي بلا عقل صحيح ولا نقل صريح بل بمجرد الرأي والهوى. 8 الضلال الجهال المقلدين في قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ويتبع كل شيطان مرید ذكر في هذه الدعاة إلى الضلالة من رءوس لما ذكر تعالى حال

كما أنه لما استكبر عن آيات الله لقاه الله المذلة في الدنيا وعاقبه فيها قبل الآخرة لأنها أكبر همه ومبلغ علمه ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق. 9 يكون المراد بها أن هذا الفاعل لهذا إنما جبلناه على هذا الخلق الديني لنجعله ممن يضل عن سبيل الله. ثم قال تعالى له في الدنيا خزي وهو الإهانة والذل وقوله ليضل عن سبيل الله قال بعضهم هذه لام العاقبة لأنه قد لا يقصد ذلك ويحتمل أن تكون لام التعليل ثم إما أن يكون المراد بها المعاندون أو وهم مستكبرون وقال لقمان لابنه ولا تصعر خدك للناس أي تميله عنهم استكبارا عليهم وقال تعالى وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا الآية إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون إليه من الحق ويثني رقبته استكبارا كقوله تعالى وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسطان مبين فتولى بركته الآية وقال تعالى وإذا قيل لهم تعالوا عباس وغيره مستكبر عن الحق إذا دعى إليه وقال مجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم ثاني عطفه أي لاوي عطفه وهي رقبته يعني يعرض عما يدعى وقوله ثاني عطفه قال ابن

سورة 23

نفسه فأولئك هم المفلحون وقوله تعالى قد أفلح المؤمنون أي قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف. 1 ثم قال لها انطقي قالت قد أفلح المؤمنون فقال الله وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح وسلم خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك وحصاؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا يعيش بن حسين عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق فيها أنهارها ثم نزل إليها فقال قد أفلح المؤمنون قال وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن المثنى منجذب بن الحارث حدثنا حماد بن عيسى العباسي عن إسماعيل السدي عن أبي صالح عن ابن عباس يرفعه لما خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون بقية عن الحجازيين ضعيف وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت لا نعلم أحدا رفعه إلى عدي بن الفضل وليس هو بالحافظ وهو شيخ متقدم الموت وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن علي حدثنا هشام بن خالد حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك ثم قال البزار سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك قال البزار ورأيت في موضع آخر في هذا الحديث فقالت طوبى لك منزل الملوك ثم قال وحدتنا بشر بن آدم وحدتنا يونس بن عبيد الله العمري حدثنا عدي بن الفضل حدثنا الجريدي عن أبي نضرة عن أبي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فدخلتها الملائكة الله ذلك في كتابه وقد روي ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعا فقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن مسلمة حدثنا وهيب عن الجريدي خلق الله جنة عدن وغرسها بيده نظر إليها وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون قال كعب الأحبار لما أعد لهم من الكرامة فيها وقال أبو العالية فأنزل والذين هم على صلواتهم يحافظون قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن كعب الأحبار ومجاهد وأبي العالية وغيرهم لما

تفسير ابن كثير

كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فقرأت قد أفلح المؤمنون حتى انتهت إلى يونس بن سليم ويونس لا نعرفه وقال النسائي في تفسيره أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر عن أبي عمران عن يزيد بن بنبوس قال: قلنا لعائشة أم المؤمنين قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر ورواه الترمذي في تفسيره والنسائي في الصلاة من حديث عبد الرزاق به وقال الترمذي منكر لا نعرف أحدا رواه غير ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ يقول كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا أخبرني يونس بن سليم قال أملى علي يونس بن يزيد الأيلي عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق

تعملون وقد قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة بالرومية هي الفردوس وقال بعض السلف لا يسمى البستان الفردوس إلا إذا كان فيه غناب فالله أعلم. 10 عليه وسلم بذلك قال فحلف له قلت وهذه الآية كقوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وكقوله وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم يهوديا أو نصرانيا فيقال هذا فكأكك من النار فاستحلف عمر ابن عبد العزيز أبا بردة بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى وفي لفظ قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم أيضا وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل بل أبلغ من هذا في الجنة وبينه بيته الذي في النار وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له فلما قال ما من عبد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون وقال ابن جريج عن الليث عن مجاهد أولئك الوارثون حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل إذا سألتهم الله الجنة فأسألوهم الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان والأفعال الرشيدة قال أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ولما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة

عذاب غليظ وقوله تعالى إلى يوم يبعثون أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث كما جاء في الحديث فلا يزال معذبا فيها أي في الأرض. 100 وفي قوله تعالى ومن ورائهم برزخ تهديد هؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى من ورائهم جهنم وقال تعالى ومن وراءه الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجاوزون بأعمالهم. وقال أبو صخر: البرزخ المقابر لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون إلى يوم يبعثون. تعالى ومن ورائهم يعني أمامهم. وقال مجاهد: البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة. وقال محمد بن كعب: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون. وقال أبو صالح وغيره في قوله بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ويل لأهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أو دهم حية عند رأسه وحية عند كالمهوش ينام ويفزع تهوى إليه هو أم الأرض وحياتها وعقاربها. وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثني سلمة بن تمام حدثنا علي بن زيد عن سعيد الكافر في قبره فيرى مقعده من النار قال فيقول رب ارجعوني أتوب وأعمل صالحا قال فيقال قد عمرت ما كنت معمرا قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا فضيل يعني ابن عياض عن ليث عن طلحة بن مصرف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: إذا وضع يعني والله ما تمني إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمانة الكافر المفرط فاعملوا بها ولا قوة إلا بالله. وعن محمد بن كعب القرظي نحوه. وقال محمد بن أبي إذا جاء أحدهم الموت قال كان العلاء بن زياد يقول: لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله تعالى. وقال قتادة: هو قائلها وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة: إذا قال الكافر رب ارجعوني لعلي أعمل صالحا يقول الله تعالى كلا كذبت وقال قتادة في قوله تعالى حتى إلى النار وقال محمد بن كعب القرظي حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا إنها كلمة ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب ولو رد لما عمل صالحا وكان يكذب في مقالته هذه كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا ما نهوا عنه وإنهم لكاذبون قال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله كلا أي لأنها كلمة أي سؤال الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه كلا إنها كلمة هو قائلها كلا حرف ردع وزجر أي لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه. وقوله تعالى إنها كلمة هو قائلها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الإحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم في غمرات عذاب الجحيم. وقوله ههنا يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعملكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فذكر تعالى هل إلى مرد من سبيل وقال تعالى قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل والآية بعدها. وقال تعالى وهم ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا إلى قوله وإنهم لكاذبون وقال تعالى وترى الظالمين لم رأوا العذاب يقولون

تفسير ابن كثير

فنعلم غير الذي كنا نعمل وقال تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون وقال تعالى إلى قوله ما لكم من زوال وقال تعالى يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد كما قال تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت إلى قوله والله خبير بما تعملون وقال تعالى وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب في أمر الله تعالى وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ولهذا قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين

إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إلى أحد منهم إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك ومن حديث عمار بن سيف عن إسماعيل عن عبد الله بن عمرو. 101 القيامة إلا نسبي وصهري وروي فيها من طريق عمار بن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا سألت ربي عز وجل أن لا أزوج بن عبد السلام عن إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نسب وصهر ينقطع يوم في ترجمة أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع حدثنا إبراهيم واليزار الهيثم بن كليب والبيهقي والحافظ الضياء في المختارة وذكر أنه أصدقها أربعين ألفا إعظاما وإكراما رضي الله عنه فقد روى الحافظ ابن عساكر قال: أما والله ما بي إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي رواه الطبراني وارتدتم القهقري وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عنه رضي الله عنه أنه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرط لكم إذا جئتم قال رجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان فأقول لهم: أما النسب فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا المنبر ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع قومه؟ بلى والله إن رحمي موصولة ما يريها ويؤذيها ما آذاها وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا زهير عن عبد الله بن محمد عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يغطيني ما يغيطها وينشطني ما ينشطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أم بكر بنت المسور بن مخزومة عن عبد الله بن أبي رافع عن المسور هو ابن مخزومة وإن كان صغيرا ومصدق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون رواه ابن أبي حاتم. وقال الإمام جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيئ فليأخذ حقه قال فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة قال الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه الآية وقال ابن مسعود: إذا كان يوم القيامة ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم أي لا يسأل القريب عن قريبه وهو يبصره ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره وهو كان أعز الناس عليه في الدنيا ما نفخة النشور وقام الناس من القبور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون أي لا تنفع الأنساب يومئذ ولا يرثي والد لولده ولا يلوي عليه قال الله تعالى يخبر تعالى أنه إذا نفخ في الصور

فأولئك هم المفلحون أي الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة وقال ابن عباس: أولئك الذين فازوا بما طلبوا ونجو من شر ما منه هربوا. 102 وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون أي من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة قاله ابن عباس بعدها أبدا إسناده ضعيف فإن داود بن المحبر ضعيف متروك ولهذا قال تعالى في جهنم خالدون أي ما كثون فيها دائمون مقيمون فلا يظعنون. 103 ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان عن أنس بن مالك يرفعه قال: إن لله ملكا موكلا بالميزان فيؤتى بآدم فيوقف بين كفتي الميزان فإن أنفسهم أي خابوا وهلكوا وفازوا بالصفقة الخاسرة وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا داود بن المحبر حدثنا صالح المري ومن خفت موازينه أي ثقلت سيئاته على حسناته فأولئك الذين خسروا

حتى تبلغ وسط رأسه. وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سترته ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك به وقال حسن غريب. 104 يزيد عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وهم فيها كالحوون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا تر إلى الرأس المشييط الذي قد بدا أسنانه وقلصت شفتاه. وقال الإمام أحمد أخبرنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك رحمه الله أخبرنا سعيد بن قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني عابسون وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود وهم فيها كالحوون قال ألم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى تلفح وجوههم النار قال تلفحهم لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم وقوله تعالى وهم فيها كالحوون علي بن يونس القطان حدثنا عمرو بن أبي الحارث بن الخضر القطان حدثنا سعيد بن سعيد المقبري عن أخيه عن أبيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال سيق لها أهلها تلقاهم لبها ثم تلفحهم لفحة فلم يبق لهم لحم إلا سقط على العرقوب وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى القزاز حدثنا الخضر بن حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني عن أبي سنان ضرار بن مرة عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن جهنم لما النار وقال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء تلفح وجوههم النار كما قال تعالى وتغشى وجوههم

تفسير ابن كثير

- وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير إلى قوله فسحقا لأصحاب السعير . 105
- أي قد أرسلت إليكم الرسل وأنزلت عليكم الكتب وأزلت شبهكم ولم يبق لكم حجة كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى الله وتوبيخ لأهل النار على ما ارتكبوه من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم التي أوبقتهم في ذلك فقال تعالى ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون هذا تقرير من
- ولهذا قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين أي قد قامت علينا الحجة ولكن كنا أشقى من أن نقاد لها ونتبعها فضلنا عنها ولم نرزقها. 106
- بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل إلى قوله فالحكم لله العلي الكبير أي لا سبيل إلى الخروج لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون. 107
- ثم قالوا ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون أي ارددنا إلى الدنيا فإن عدنا إلى ما سلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قال فاعترفنا فإذا قال ذلك أطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم أحد ثم قال تعالى مذكرا لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه. 108
- يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرفك قال فعند ذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فعند ذلك يقول الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول يا رب فيقول الله من عرف أحدا فليخرجه فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحدا فيناديه الرجل حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء قال: قال عبدالله بن مسعود إذا أراد الله تعالى أن لا يخرج منهم أحدا يعني من جهنم غير وجوههم وألوانهم في نار جهنم قال فتشبهت أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة وما هو إلا الزفير والشهيق قال هانت دعوتهم والله على مالك ورب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي أيوب عن عبدالله بن عمرو قال: إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم إنكم ماكثون فيها ولا تكلمون قال هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان المروزي حدثنا عبدالله بن المبارك فيها أي امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء ولا تكلمون أي لا تعودوا إلى سؤلكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي. قال العوفي عن ابن عباس: اخسئوا هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار. يقول اخسئوا
- الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون أي يلمزونهم استهزاء ثم أخبر تعالى عما جازى به أوليائه وعباده الصالحين. 109
- وتضرعهم إلي حتى أنسوكم ذكري أي حملكم بغضهم علي أن نسيتهم معاملتي وكنتم منهم تضحكون أي من صنيعهم وعبادتهم كما قال تعالى إن فقال تعالى إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرى أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي
- تعملون وقد قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة بالرومية هي الفردوس وقال بعض السلف لا يسمى البستان الفردوس إلا إذا كان فيه عنب فالله أعلم. 11
- عليه وسلم بذلك قال فحلف له قلت وهذه الآية كقوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وكقوله وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم يهوديا أو نصرانيا فيقال هذا فكاك من النار فاستحلف عمر ابن عبد العزيز أبا بردة بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى وفي لفظ قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم أيضا وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل بل أبلغ من هذا في الجنة ويبني بيته الذي في النار وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له فلما قال ما من عبد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون وقال ابن جريج عن الليث عن مجاهد أولئك الوارثون حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل إذا سألت الله الجنة فأسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان والأفعال الرشيدة قال أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
- ولما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة
- الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون أي يلمزونهم استهزاء ثم أخبر تعالى عما جازى به أوليائه وعباده الصالحين. 110
- وتضرعهم إلي حتى أنسوكم ذكري أي حملكم بغضهم علي أن نسيتهم معاملتي وكنتم منهم تضحكون أي من صنيعهم وعبادتهم كما قال تعالى إن فاتخذتموهم سخرى أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي
- فقال تعالى إني جزيتهم اليوم بما صبروا أي على أذاكم لهم واستهزائكم بهم أنهم هم الفائزون بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة من النار. 111
- وحده ولو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفاضوا كما فاز أوليائه المتقون قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين أي كم كانت إقامتكم في الدنيا. 112
- يقول تعالى منها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته

قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين أي الحاسبين. 113

في الأرض عدد سنين؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فيقول بنس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم ناري وسخطي امكنوا فيها خالدين مخلصين . 114
قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قال لنعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكنوا فيها خالدين مخلصين ثم قال يا أهل النار كم لبثتم
الناس فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟
كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يونس حدثنا الوليد حدثنا صفوان عن أبيه عن عبد الكلاعي أنه سمعه يخطب
الفاني على الباقي ولما تصرفتم لأنفسكم هذا التصرف السيء ولا استحققتكم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة فلو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته
قال إن لبثتم إلا قليلاً أي مدة يسيرة على كل تقدير لو أنكم كنتم تعلمون أي لما آتوكم

وإقامة أوامر الله عز وجل وأنكم إلينا لا ترجعون أي لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالى أychسب الإنسان أن يترك سدى يعني هملاً. 115
أفطنتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقناكم للعبادة
وقوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً أي

والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم . 116
عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا السفينة. بسم الله الملك الحق وما قدروا الله حق قدره
ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي حدثنا أبو المسيب سالم بن سلام حدثنا بكر بن حبيب عن نهشل بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم
الله عليه وسلم في سرية وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون قال فقرأناها فغفمنا وسلمنا. وقال
لزال وروى أبو نعيم من طريق خالد بن نزار عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال: بعثنا رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم بماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق حتى ختم السورة فبرأ فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
بن نصير الخولاني ثنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي هبيرة عن حسن بن عبد الله أن رجلاً مصاباً مر به على عبد الله بن مسعود فقرأ في أذنه هذه الآية
فقير إلى ما قدم فاتقوا الله قبل انقضاء مواليقه ونزول الموت بكم ثم جعل طرف رءاه على وجهه فبكى وأبكى من حوله. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى
وانقضى أجله حتى تغيبه في صدع من الأرض في بطن صدع غير مهمد ولا موسد قد فارق الأحباب وباشر التراب ووجه الحساب مرتين بعمله غني عما ترك
أنكم من أصلاب الهالكين سيكون من بعدكم الباقيين حتى تردون إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه
الله من رحمته وحرم جنة عرضها السموات والأرض ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر هذا اليوم وخافه وباع نافداً بقاء وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان ألا ترون
ثم قال: أما بعد أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم فخاب وخسر وشقي عبد أخرجه
سليمان شيخ من أهل العراق أنبأنا شعيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص قال: كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن حمد الله وأثنى عليه
بهي الشكل كما قال تعالى وأنبئنا فيها من كل زوج كريم . قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا إسحاق بن
شينا عبثاً فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك لا إله إلا هو رب العرش الكريم فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم أي حسن المنظر
وقوله فتعالى الله الملك الحق أي تقدس أن يخلق

مرسل من هذا الوجه وقد روى أبو عيسى الترمذي في جامعه مسنداً عن عمران بن الحصين عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك. 117
عليه قال: أردت شكره بعبادة هؤلاء معه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون ولا يعلمون فقال الرجل بعد ما أسلم لقيت رجلاً خصمني، هذا
قال: الله عز وجل. قال فأيهما إذا كانت لك حاجة فدعوته أعطاكها؟ قال: الله عز وجل. قال فما يحملك على أن تعبد هؤلاء معه أم حسبت أن تغلب
وسلم قال لرجل ما تعبد؟ قال أعبد الله وكذا وكذا حتى عد أصناماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيهما إذا أصابك ضر فدعوتك كشفه عنك؟
عند ربه أي الله يحاسبه على ذلك ثم أخبر أنه لا يفلح الكافرون أي لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجا. قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه
بالله لا برهان له أي لا دليل له على قوله فقال تعالى ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به وهذه جملة معترضة وجواب الشرط في قوله فإنما حسابه
يقول تعالى متوعداً من أشرك به غيره وعبد معه سواء ومخبراً أن من أشرك

هذا الدعاء فالغفر إذا أطلق معناه محو الذنب وستره عن الناس والرحمة معناها أن يسدده ويوفقه في الأقوال والأفعال. آخر تفسير سورة المؤمنون. 118
وقوله تعالى وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين هذا إرشاد من الله تعالى إلى

والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك وقد رواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به نحوه وقال الترمذي حسن صحيح. 12
عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على ظهر الأرض جاء منهم الأحمر
مخلوق من التراب كما قال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا أسامة بن زهير
وقال قتادة استل آدم من الطين وهذا أظهر في المعنى وأقرب إلى السياق فإن آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحم المسنون وذلك

تفسير ابن كثير

يحيى عن ابن عباس من سلالة من طين قال من صفوة الماء وقال مجاهد من سلالة أي من من آدم وقال ابن جرير: إنما سمي آدم طين لأنه مخلوق منه مخبرا عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون وقال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي يقول تعالى

له إلى قدر معلوم فقد رنا فنعم القادرون أي المدة معلومة وأجل معين حتى استحکم ونقل من حال. إلى حال وصفة إلى صفة ولهذا قال ههنا. 13 من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين أي ضعيف كما قال ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين يعني الرحم معد لذلك مهياً ثم جعلناه نطفة هذا الضمير عائد على جنس الإنسان كما قال في الآية الأخرى وبدأ خلق الإنسان هذا نكارة شديدة وذلك أن هذه السورة مكية وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً فآله أعلم. 14 عليه وسلم فقال له معاذ مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال بها ختمت فتبارك الله أحسن الخالقين وفي إسناده جابر بن زيد الجعفي ضعيف جدا وفي خبره الله هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله خلقنا آخر فقال معاذ فتبارك الله أحسن الخالقين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ؟ فقال بها ختمت فتبارك الله أحسن الخالقين وفي إسناده جابر بن زيد الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد بن ثابت الأنصاري: قال أُملى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربع نزلت هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن أنس قال قال عمر يعني ابن الخطاب رضي الله في خلق هذه النطفة من حال إلى حال. وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل الخلق قال فتبارك الله أحسن الخالقين ؟ قال فذلك يكتب في بطن أمه أخرجه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين يعني حين ذكر قدرته ولطفه إن الله وكل بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله خلقها قال أي رب ذكر أو أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق والأجل والله أعلم وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبيد الله بن أبي بكر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حديث سفيان بن عيينة عن عمرو هو ابن دينار به نحوه. ومن طريق أخرى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد عن ابن شريحة الغفاري بنحوه أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله فيكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد على ما فيها ولا ينقص وقد رواه مسلم في صحيحه من الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يا رب ماذا ؟ شقي أو سعيد نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدّم فقال هكذا كان يقول من قبله وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عمرو عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد فقال يا محمد مم يخلق الإنسان ؟ فقال يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال لأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي قال فجاءه حتى جلس وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا حسن بن الحسن حدثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: مر يهودي برسول أبي خيثمة قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر وظفر فتمكث أربعين يوماً ثم تعود في الرحم فتكون علقة له يعمل أهل الجنة فيدخلها أخرجه من حديث سليمان بن مهران الأعمش وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا وسلم وهو الصادق المصدق إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ الإمام أحمد في مسنده حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صار شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرمًا وعن قتادة والضحاك نحو ذلك ولا منافاة فإنه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع في هذه التنقلات والأحوال والله أعلم قال والسدي وابن زيد واختاره ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس خلقا آخر يعني فنقله من حال إلى حال إلى أن خرج طفلاً ثم نشأ صغيراً ثم احتلم ثم نفخ الروح قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقاً آخر يعني نفخنا فيه الروح وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحاك والربيع بن أنس أربعة أشهر بعث الله إليها ملكاً فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث فذلك قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر يعني نفخنا فيه الروح وروى عن أبي سعيد الخدري أنه حدثنا يحيى بن حسان حدثنا النضر يعني ابن كثير مولى بني هاشم حدثنا زيد بن علي عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إذا أتت على النطفة وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب فتبارك الله أحسن الخالقين وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا جعفر بن مسافر الذنب منه خلق ومنه يركب فكسونا العظام لحماً أي جعلنا على ذلك ما يستتره ويشده ويقويه ثم ثم أنشأناه خلقاً آخر أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وهو عظم الصلب في الصحيح من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جسد ابن آدم يبلى إلا عجب ولا تخطيط فخلقنا المضغة عظماً يعني شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين عظامها وعصها وعروقها وقرأ آخرون فخلقنا المضغة عظماً قال ابن عباس الترقوة إلى السرة فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة قال عكرمة وهي دم فخلقنا العلقة مضغة وهي قطعة كالضعة من اللحم لا شكل فيها ثم خلقنا النطفة علقة أي ثم صيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المرأة وهي عظام صدري ما بين وقوله ثم إنكم بعد ذلك لميتون يعني بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت. 15

تفسير ابن كثير

الآخرة ثم الله ينشئ النشأة الآخرة يعني يوم المعاد وقيام الأرواح إلى الأجساد فيحاسب الخلائق ويوافي كل عامل عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 16
ثم إنكم يوم القيامة تبعثون يعني النشأة

الجبال والتلال والرمال والبحار والقفار والأشجار وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين . 17
كنتم والله بما تعلمون بصير وهو سبحانه لا يحجب عنه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا جبل إلا يعلم ما في وعده ولا بحر إلا يعلم ما في قعره يعلم عدد ما في
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين أي ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما
الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وهكذا قال ههنا
طرائق قال مجاهد يعني السموات السبع وهذه كقوله تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
صبيحة يوم الجمعة في أولها خلق السموات والأرض ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين وفيها أمر المعاد والجزاء وغير ذلك من المقاصد. وقوله سبع
الإنسان كما قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وهكذا في أول آلم السجدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها
لما ذكر تعالى خلق الإنسان عطف بذكر خلق السموات السبع وكثيرا ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق

الأرض فيفتح العيون والأنهار ويسقي به الزروع والثمار تشربون منه ودوابكم وأنعامكم وتغتسلون منه وتتنظفون منه وتتنظفون فله الحمد والمنة. 18
يغور إلى مدى لا تصلون إليه ولا ينتفعون به لفعلنا ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبا فرائتا زلالا فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في
لفعلنا ولو شئنا لجعلناه أجاجا لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفعلنا ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض بل ينجر على وجهها لفعلنا ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها
به ما فيها من الحب والنوى. وقوله وإنا على ذهاب به لقادرون أي لو شئنا أن لا تمطر لفعلنا ولو شئنا أذى لصرفناه عنكم إلى السباح والبراري والقفار
اللطيف الخبير الرحيم الغفور وقوله فأسكناه في الأرض أي جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض وجعلنا في الأرض قابلية له وتشربه ويتغذى
الحبشة في زمان أمطارها فيأتي الماء يحمل طينا أحمر فيسقي أرض مصر ويقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه لأن أرضهم سباح يغلب عليها الرمال فسبحان
دمنتها إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر ويقال لها الأرض الجرزي يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد
والعمران ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرا لزرعها ولا تحتل
يذكر تعالى نعمه على عبده التي لا تعد ولا تحصى في إنزاله القطر من السماء بقدر أي بحسب الحاجة لا كثيرا فيفسد الأرض

والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات وقوله ومنها تأكلون أنه معطوف على شيء مقدر تقديره تنظرون إلى حسنه ونضجه ومنه تأكلون. 19
من الثمار من نعمة الله عليهم ما يعجزون عن القيام بشكره. وقوله لكم فيها فواكه كثيرة أي من جميع الثمار كما قال ينبئ لكم به الزرع والزيتون
وقوله من نخيل وأعنان أي فيها نخيل وأعنان وهذا ما كان يألف أهل الحجاز ولا فرق بين الشيء وبين نظيره وكذلك في حق كل أهل أقليم عندهم
وقوله فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعنان يعني فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء جنات أي بساتين وحدائق ذات بهجة أي ذات منظر حسن.
يا جارية اثنتي بوضوء لعلي أصلي فأستريح فرأنا أنكرنا عليه ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قم يا بلال فأرحنا بالصلاة . 2
بن مهدي ثنا إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن سالم ابن أبي الجعد أن محمد بن الحنفية قال: دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار فحضرت الصلاة فقال
بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا بلال أرحنا بالصلاة وقال الإمام أحمد أيضا ثنا عبد الرحمن
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حبيب إلي الطيب والنساء وجعلت قرعة عيني في الصلاة. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن عمرو
بها عما عداها وأثرها على غيرها وحينئذ تكون راحة له وقرعة عين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن أبي
جرير عنه وعن عطاء بن أبي رباح أيضا مرسل أن رسول الله كان يفعل ذلك حتى نزلت هذه الآية والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل
إلى موضع سجودهم قال محمد بن سيرين وكانوا يقولون لا يجاوز بصره صلاة فإن كان قد اعتاد النظر فليغمض رواه ابن جرير وابن حاتم ثم روى ابن
صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزلت هذه الآية قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون خفضوا أبصارهم
قال إبراهيم النخعي وقال الحسن البصري كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح وقال محمد بن سيرين كان أصحاب رسول الله
طلحة عن ابن عباس خاشعون خائفون ساكنون وكذا روي عن مجاهد والحسن وقتادة والزهري وعن علي بن أبي طالب الخشوع خشوع القلب وكذا
الذين هم في صلاتهم خاشعون قال علي بن أبي

بن الخطاب رضي الله عنه ليلة عاشوراء فأطعمني من رأس بعير بارد وأطعمنا زيتا وقال هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم. 20
الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة حدثني الصعب بن حكيم بن شريك بن نميلة عن أبيه عن جده قال: ضفت عمر
الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن عبد الرزاق. قال الترمذي ولا يعرف إلا من حديثه وكان يضطرب فيه فربا ذكر فيه عمر وربما لم يذكره. قال أبو القاسم
عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتمدوا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة ورواه
رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة وقال عبد بن حميد في مسنده وتفسيره حدثنا
به من الدهن والاصطباغ كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن عبد الله ابن عيسى عن عطاء الشامي عن أبي أسيد واسمه مالك بن ربيعة الساعدي الأنصاري

تفسير ابن كثير

فلان بيده أي يده وأما على قول من يضمن الفعل فتقديره تخرج بالدهن أو تأتي بالدهن ولهذا قال وصيغ أي أدم قاله قتادة للأكليين أي فيها ما ينتفع عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون وقوله تنبت بالدهن قال بعضهم الباء زائدة وتقديره تنبت الدهن كما في قول العرب ألقى بعضهم إنما يسمى طورا إذا كان فيه شجر فإن عري عنها سمي جبلا لا طورا والله أعلم وطور سيناء هو طور سينين وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن وقوله وشجرة تخرج من طور سيناء يعني الزيتون والطور هو الجبل وقال

أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللتناها لهم فمناها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون . 21
ويحملونها الأحمال الثقال إلى البلاد النائية عنهم كما قال تعالى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم وقال تعالى الأنعام من المنافع وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم ويأكلون من حملاتها ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها ويركبون ظهورها وقوله وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون يذكر تعالى ما جعل لخلقه في

أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللتناها لهم فمناها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون . 22
ويحملونها الأحمال الثقال إلى البلاد النائية عنهم كما قال تعالى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم وقال تعالى الأنعام من المنافع وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم ويأكلون من حملاتها ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها ويركبون ظهورها وقوله وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون يذكر تعالى ما جعل لخلقه في وانتقامه ممن أشرك به وخالف أمره وكذب رسله فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون أي ألا تخافون من الله في إشراككم به؟ 23
يخبر تعالى عن نوح حين بعثه إلى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد

أن يبعث نبيا لبعث ملكا من عنده ولم يكن بشرا ما سمعنا بهذا أي ببعثة البشر في آبائنا الأولين يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم في الدهور الماضية. 24
يريد أن يتفضل عليكم يعنون يترفع عليكم ويتعاضم بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف أوحى إليه دونكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة أي لو أراد فقال الملائكة وهم السادة والأكابر منهم ما هذا إلا بشر مثلكم

يزعمه من أن الله أرسله إليكم واختصه من بينكم بالوحي فتربصوا حتى حين أي انتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه. 25
وقوله إن هو إلا رجل به جنة أي مجنون فيما

أنه دعا ربه ليستنصره على قومه كما قال تعالى مخبرا عنه في الآية الأخرى فدعا ربه أني مغلوب فانتصر وقال ههنا رب انصرني بما كذبون . 26
يخبر تعالى عن نوح عليه السلام

يؤمنون فإنني قد قضيت أنهم مغروقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان وقد تقدمت القصة مبسطة في سورة هود بما يغني عن إعادة ذلك ههنا. 27
ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغروقون أي عند معاينة إنزال المطر العظيم لا تأخذنك رافة بقومك وشفقة عليهم وطمع في تأخيرهم لعلمهم يحمل فيها أهله إلا من سبق عليه القول منهم أي من سبق عليه القول من الله بالهلاك وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كابنه وزوجته والله أعلم. وقوله الله تعالى بصنعة السفينة وإحكامها وإتقانها وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين أي ذكرا وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وأن فعند ذلك أمره

وقد امتثل نوح عليه السلام هذا كما قال تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه. 28
والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإننا إلى ربنا لمنقلبون وقوله فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كما قال وجعل لكم من الفلك

جاءوا به عن الله تعالى وأنه تعالى فاعل لما يشاء قادر على كل شيء عليم بكل شيء وقوله وإن كنا لمبتلين أي لمختبرين للعباد بإرسال المرسلين. 29
وقوله إن في ذلك لآيات أي إن في هذا الصنيع وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لآيات أي لحجج ودلالات واضحات علي صدق الأنبياء فيما وقال تعالى وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين

قاله آخرون وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال كما قال تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما قال قتادة: أتاهم والله من أمر الله ما وقفهم عن ذلك. 3
وقوله والذين هم عن اللغو معرضون أي عن الباطل وهو يشتمل الشرك كما قاله بعضهم والمعاصي

جاءوا به عن الله تعالى وأنه تعالى فاعل لما يشاء قادر على كل شيء عليم بكل شيء وقوله وإن كنا لمبتلين أي لمختبرين للعباد بإرسال المرسلين. 30
وقوله إن في ذلك لآيات أي إن في هذا الصنيع وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لآيات أي لحجج ودلالات واضحات علي صدق الأنبياء فيما وقال تعالى وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين

أنه أنشأ بعد قوم نوح قرنا آخرين قيل المراد بهم عاد فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم وقيل المراد بهؤلاء ثمود لقوله فأخذتهم الصيحة بالحق . 31

يخبر تعالى

تفسير ابن كثير

وأنه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. 32

فكذبوه وخالفوه وأبوا عن اتباعه لكونه بشرا مثلهم واستنكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا بقاء الله في القيامة وأنكروا المعاد الجثماني. 33

فكذبوه وخالفوه وأبوا عن اتباعه لكونه بشرا مثلهم واستنكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا بقاء الله في القيامة وأنكروا المعاد الجثماني. 34

وقالوا أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون أي بعد بعد ذلك. 35

وقالوا أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون أي بعد بعد ذلك. 36

وقالوا أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون أي بعد بعد ذلك. 37

إن هو إلا رجل افتري على الله كذا أي فيما جاءكم به من الرسالة والندارة والإخبار بالمعاد وما نحن له بمؤمنين . 38

قال رب انصرني بما كذبون أي استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم فأجاب دعاء. 39

يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادا وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال قاله من جملة زكاة النفس والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا وهذا والله أعلم وقوله. 4

من الشرك والدنس كقوله قد أفلح من زكاه وقد خاب من دساها وكقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة على أحد القولين في تفسيرهما وقد

أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية وآتوا حقه يوم حصاده وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس

هذه الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة وإلا فالظاهر

وقوله والذين هم للزكاة فاعلون الأكثرون على أن المراد بالزكاة ههنا زكاة الأموال مع أن

قال عما قليل ليصبحن نادمين أي بمخالفتك وعنادك فيما جئتهم به. 40

للقوم الظالمين كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين أي بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم. 41

فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم وقوله فجعلناهم غثاء أي صرعى هلكى كغثاء السيل وهو الشيء الحقيقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه فبعدا

أي وكانوا يستحقون ذلك من الله بكفرهم وطغيانهم والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي البارد تدمر كل شيء بأمر ربها

فأخذتهم الصيحة بالحق

يقول تعالى ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين أي أمما وخلائق. 42

يعني بل يؤخذون على حسب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وخلفا بعد سلف. 43

ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون

وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وقوله وجعلناهم أحاديث أي أخبارا وأحاديث للناس كقوله فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق . 44

يعني جمهورهم وأكثرهم كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون وقوله فأتبعنا بعضهم بعضا أي أهلكناهم كقوله

ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقوله كلما جاء أمة رسولها كذبوه

ثم أرسلنا رسلنا تترى قال ابن عباس يعني يتبع بعضهم بعضا وهذا كقوله تعالى

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى وأخاه هارون إلى فرعون وملئه بالآيات والحجج والبراهين القاطعات. 45

وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما والانقياد لأمرهما. 46

لكونهما بشريين كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر تشابهت قلوبهم. 47

فأهلك الله فرعون وملئه وأغرقهم في يوم واحد أجمعين. 48

أمر المؤمنين بقتال الكافرين كما قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون . 49

وهو التوراة فيها أحكامه وأوامره ونواهيه وذلك بعد أن قصم الله فرعون والقبط وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أما بعامه بل

وأنزل على موسى الكتاب

والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليته جاره هذا حديث غريب وإسناده فيه من لا يعرف لجهالته والله أعلم. 5

ولا يزيكهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده والفاعل والمفعول به ومدمن الخمر

علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن حسان بن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة

وقد قال الله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حيث قال: حدثني

تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين

أول سورة المائدة وهو ههنا أليق وإنما حرمها على الرجال معاملة لها بنقيض قصدها والله أعلم وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على

تفسير ابن كثير

آية من كتاب الله عز وجل على غير وجهها قال فضرب العبد وجز رأسه وقال أنت بعده حرام على كل مسلم هذا أثر غريب منقطع ذكره ابن جرير في تفسيره وقالت تأولت آية من كتاب الله أو ما ملكت أيمانهم فأتى بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له ناس أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: تأولت الأزواج والإماء فأولئك هم العادون أي المعتدون وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد بن قتادة: أن امرأة اتخذت مملوكها الله لهم أو ما ملكت أيمانهم من السراري ومن تعاطي ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك أي غير وراء ذلك فأولئك هم العادون أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط لا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى

المقدس فهذا والله أعلم هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى والقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا أولى ما يفسر به ثم الأحاديث الصحيحة ثم الآثار. 50 قال المعين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وكذا قال الضحاك وقتادة إلى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت تموت بالربوة فمات بالرملة وهذا حديث غريب جدا وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين بن عباد الخواص أبو عتبة حدثنا الشيباني عن ابن وعله عن كريب السحولي عن مرة البهزي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل إنك قرار ومعين قال هي الرملة من فلسطين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي حدثنا رواد بن الجراح حدثنا عبد الله غوطه دمشق وما حولها وقال عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله بن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول: في قول الله تعالى إلى ربوة ذات قرار ومعين قال: أنهار دمشق وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد وأويناهما إلى ربوة قال عيسى ابن مريم وأمه حين أوبا إلى عبد الله بن سلام والحسن وزيد بن أسلم وخاله بن معدان نحو ذلك. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة بن منه بن عبد الله بن سعيد بن أسلم: ليس الربي إلا بمصر والماء حين يسيل يكون الربي عليها القرى ولولا الربي غرقت القرى وروي عن وهب وقال سعيد بن جبيرة ذات قرار ومعين استوى الماء فيها وقال مجاهد وقتادة ومعين الماء الجاري. ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة ابن عباس: وقوله ذات قرار يقول ذات خصب ومعين يعني ماء ظاهرا وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة وقال مجاهد ربوة مستوية ومعين قال الضحاك عن ابن عباس: الربوة المكان المرتفع من الأرض وهو أحسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتاده قال خلق آدم من غير أب ولا أم وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى وقوله وأويناهما إلى ربوة ذات قرار يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء فإنه

حرام وغذي بالحرام يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب فأنى يستجاب لذلك وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق. 51 إني بما تعملون عليم وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه الله عليه وسلم يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا الترمذي ومسنده الإمام أحمد واللفظ له من حديث فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى من طول النهار وشدة الحر فرددت إلي الرسول فيه فقال لها بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل إلا طيبا ولا تعمل إلا صالحا وقد ثبت في صحيح مسلم وجامع رسولها أنى كانت لك الشاة؟ فقالت اشتريتها من مالي فشرب منه فلما كان من الغد أتته أم عبد الله بنت شداد فقالت يا رسول الله بعثت إليك بلبن مرثية لك حبيب أن أم عبد الله بنت شداد بن أوس قالت بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقدر لبن عند فطره وهو صائم وذلك في أول النهار وشدة الحر فرد إليها سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن كان يأكل من كسب يده وفي الصحيحين إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب القيام إلى الله قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام الصحيح وما من نبي إلا رعى الغنم قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال نعم وأنا كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة وفي الصحيح إن داود عليه السلام جبيرة والضحاك كلوا من الطيبات يعني الحلال وقال أبو إسحاق السبعي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه وفي قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات قال أما والله ما أمركم بأصفركم ولا أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكن قال انتهوا إلى الحلال منه وقال سعيد بن العمل الصالح فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً ودلالة ونصحا فجزاهم الله عن العباد خيرا. قال الحسن البصري في يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال والقيام بالصالح من الأعمال فدل هذا على أن الحلال عون على

الله وحده لا شريك له ولهذا قال وأنا ربكم فاتقون وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأنبياء وإن قوله أمة واحدة منصوب على الحال. 52

وقوله وإن هذه أمتكم أمة واحدة أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة

بعثت إليهم الأنبياء كل حزب بما لديهم فرحون أي يفرحون بما هم فيه من الضلال لأنهم يحسبون أنهم مهتدون ولهذا قال متهددا لهم ومتواعدا. 53 وقوله فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا أي الأمم الذين

أي إلى حين حينهم وهلاكهم كما قال تعالى فمهل الكافرين أمهلهم رويدا وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون . 54

تفسير ابن كثير

فذرهم في غمرتهم أي في غيهم وضلالهم حتى حين

به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث . 55
ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا رسول الله؟ قال غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينق منه فيبارك فيه ولا يتصدق
يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه
الهمداني حدثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله
الناس بأموالهم وأولادهم ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح. وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة
في قوله أychسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قال مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم يا ابن آدم فلا تعتبر
إلى قوله عنيدا وقال تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا الآية. والآيات في هذا كثيرة قال قتادة
نملي لهم ليزدادوا إثما وقال تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم الآية وقال ذرني ومن خلقت وحيدا.
وإملاء ولهذا قال بل لا يشعرون كما قال تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا الآية. وقال تعالى إنما
ليس الأمر كما يزعمون في قولهم نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين لقد أخطئوا في ذلك وخاب رجاؤهم بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجا وإنظارا
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون يعني أychن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيههم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلا
وقوله أychسبون أنما نمدهم

به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث . 56
ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا رسول الله؟ قال غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينق منه فيبارك فيه ولا يتصدق
يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه
الهمداني حدثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله
الناس بأموالهم وأولادهم ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح. وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة
في قوله أychسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قال مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم يا ابن آدم فلا تعتبر
إلى قوله عنيدا وقال تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا الآية. والآيات في هذا كثيرة قال قتادة
نملي لهم ليزدادوا إثما وقال تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم الآية وقال ذرني ومن خلقت وحيدا.
وإملاء ولهذا قال بل لا يشعرون كما قال تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا الآية. وقال تعالى إنما
ليس الأمر كما يزعمون في قولهم نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين لقد أخطئوا في ذلك وخاب رجاؤهم بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجا وإنظارا
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون يعني أychن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيههم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلا
وقوله أychسبون أنما نمدهم

الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكره بهم كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة وإن الكافر جمع إساءة وأما. 57
يقول تعالى إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون أي هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم
أن ما كان إنما هو عن قدر الله وقضائه وما شرعه الله فهو إن كان أمرا فمما يحبه ويرضاه وإن كان نهيا فهو مما يكرهه ويأباه وإن كان خيرا فهو حق. 58
والذين هم بآيات ربهم يؤمنون أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية كقوله تعالى إخبارا عن مريم وصدقت بكلمات ربها وكتبه أي أيقنت
بربهم لا يشركون أي لا يعبدون معه غيره بل يوحّدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه لا نظير له ولا كفه له. 59
كما قال الله والذين هم

والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليلة جاره هذا حديث غريب وإسناده فيه من لا يعرف لجهالته والله أعلم. 6
ولا يزكّهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده والفاعل والمفعول به ومدمن الخمر
علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن حسان بن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة
وقد قال الله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حيث قال: حدثني
تحريم الاستمنا باليد بهذه الآية الكريمة والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين
أول سورة المائدة وهو ههنا أليق وإنما حرّمها على الرجال معاملة لها بنقيض قصدها والله أعلم وقد استدلل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على
آية من كتاب الله عز وجل على غير وجهها قال فضرب العبد وجز رأسه وقال أنت بعده حرام على كل مسلم هذا أثر غريب منقطع ذكره ابن جرير في تفسير
وقالت تأولت آية من كتاب الله أو ما ملكت أيمانهم فأتى بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له ناس أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: تأولت
الأزواج والإماء فأولئك هم العادون أي المعتدون وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد بن قتادة: أن امرأة اتخذت مملوكها

تفسير ابن كثير

- الله لهم أو ما ملكت أيماهم من السراي ومن تعاطي ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك أي غير وراء ذلك فأولئك هم العادون أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط لا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى
- أبي حاتم من حديث مالك بن مغول به بنحوه وقال لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم . 60 ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي وابن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء وهذا من باب الإشفاق والاحتياط كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى وقوله والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أي يعطون العطاء وهم
- لها سابقون فجعلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المقتصدين أو المقصرين والله أعلم. 61 إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف والمعنى على القراءة الأولى وهي قراءة الجمهور السبعة وغيرهم أظهر لأنه قال أولئك يسارعون في الخيرات وهم فيها قالت وما هي؟ فقلت الذين يأتون ما أتوا فقالت أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرؤها وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف. فيه قال الذين يؤتون ما أتوا والذين يأتون ما أتوا فقالت أيتهما أحب إليك؟ فقلت والذي نفسي بيده لأحدهما أحب إلي من الدنيا جميعا أو الدنيا وما فقال أخشى أن أملل فقالت: ما كنت لتفعل؟ قال جئت لأسألك عن آية من كتاب الله عز وجل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها؟ قالت آية آية؟ إسماعيل المكي حدثنا أبو خلف مولى بني جمح أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقالت مرحبا بأبي عاصم ما يمنعك أن تزورنا أو تلم بنا؟ يفعلون ما يفعلون وهم خائفون وروي هذا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها كذلك قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا صخر بن جويرية حدثنا وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري في تفسير هذه الآية وقد قرأ آخرون هذه الآية والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أي في الخيرات وقال الترمذي وروى هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا أولئك يسارعون
- لا يظلمون أي لا يبخسون من الخير شيئا وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين ثم قال منكرا على الكفار والمشركين من قريش. 62 يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء ولهذا قال ولدينا كتاب ينطق بالحق يعني كتاب الأعمال وهم يقول تعالى مخبرا عن عدله في شرعه على عبادة في الدنيا أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها أي إلا ما تطيق حمله والقيام به وأنه
- فوالذي لا إله غيره إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . 63 لتحق عليهم كلمة العذاب وروي نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ظاهر قوي حسن وقد قدمنا في حديث ابن مسعود مجاهد والحسن وغير واحد وقال آخرون ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أي قد كتبت عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ولهم أعمال أي سيئة من دون ذلك يعني الشرك هم لها عاملون قال لا بد أن يعملوها كذا روي عن بل قلوبهم في غمرة أي في غفلة وضلالة من هذا أي القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وذري والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا أنكالا وجحيما الآية وقال تعالى وكما أهلكتنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص . 64 يجأرون يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم إذا هم يجأرون أي يصرخون ويستغيثون كما قال تعالى وقوله حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم
- إنكم منا لا تنصرون أي لا يجيركم أحد مما حل بكم سواء جأرتكم أو سكتكم لا محيد ولا مناص ولا وزر لزم الأمر ووجب العذاب ثم ذكر أكبر ذنوبهم. 65 وقوله لا تجأروا اليوم
- على أعقابكم تنكصون أي إذا دعيتم أبيتم إن طلبتم امتنعتم ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير. 66 فقال قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم
- فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهله سامرا قال كانوا يتكبرون ويسمرون فيه ولا يعمرونه وقد أطنب ابن أبي حاتم ههنا بما هذا حاصله. 67 عبدالله عن إسرائيل عن عبد الأعلى أنه سمع سعيد بن جبيرة يحدث عن ابن عباس أنه قال: إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية مستكبرين به سامرا تهجرون المراد بقوله مستكبرين به أي بالبيت يفتخرون به معتقدون أنهم أولياؤه وليسوا به كما قال النسائي في التفسير من سننه أخبرنا أحمد بن سليمان أخبرنا من أنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون فكل ذلك باطل بل هو عبدالله ورسوله الذي أظهره الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء وقيل كهانة إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة. والثالث: أنه محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة ويضربون له الأمثال الباطلة أي مكة ذموا لأنهم كانوا يسمرون فيه بالهجر من الكلام. الثاني: أنه ضمير للقرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام: إنه سحر إنه شعر إنه أن مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق وإبانهم إياه استكبارا عليه واحتقارا له ولأهله فعلى هذا الضمير في به فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه الحرم

تفسير ابن كثير

وقوله مستكبرين به سامرا تهجرون في تفسيره قولان أحدهما

قتادة أفلم يدبروا القول إذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه ولكنهم أخذوا بما تشابه به فهلوكا عند ذلك. 68 والقيام بشكرها وتفهمها والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم. وقال ولا أشرف لا سيما أبائهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير فكان اللائق هؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله عليهم بقبولها تعالى منكرا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له وإعراضهم عنه مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه يقول

سأله وأصحابه عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وصدقه وأمانته وكانوا بعد كفارا لم يسلموا ومع هذا لم يمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك. 69 فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وهكذا قال المغيرة بن شعبة لثائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل حين التي نشأ بها فيهم أي أفيقدرون على إنكار ذلك والمباهة فيه ولهذا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك إن الله بعث ثم قال منكرا على الكافرين من قريش أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أي أفهم لا يعرفون محمدا وصدقه وأمانته وصيائنه والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليته جاره هذا حديث غريب وإسناده فيه من لا يعرف لجهالته والله أعلم. 7 ولا يزيههم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده والفاعل والمفعول به ومدمن الخمر علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن حسان بن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة وقد قال الله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حيث قال: حدثني تحريم الاستمنا باليد بهذه الآية الكريمة والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين أول سورة المائدة وهو ههنا أليق وإنما حرمها على الرجال معاملة لها بنقيض قصدها والله أعلم وقد استدلل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على آية من كتاب الله عز وجل على غير وجهها قال فضرب العبد وجز رأسه وقال أنت بعده حرام على كل مسلم هذا أثر غريب منقطع ذكره ابن جرير في تفسير وقالت تأولت آية من كتاب الله أو ما ملكت أيمانهم فأتى بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له ناس أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: تأولت الأزواج والإماء فأولئك هم العادون أي المعتدون وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد بن قتادة: أن امرأة اتخذت مملوكها الله لهم أو ما ملكت أيمانهم من السراي ومن تعاطي ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك أي غير وراء ذلك فأولئك هم العادون أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط لا يقرّبون سوى أزواجهم التي أحلها والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى

كذلك وإذا ائتمنته خانك؟ قال بل فتاتي الذي إذا حدثني صدقني وإذا ائتمنته أدى إلي فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم كذاكم أنتم عند ربكم. 70 ذلك فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم أرأيت لو كان لك فتية أحدهما إذا حدثك صدقك وإذا ائتمنته أدى إليك وهو أحب إليك أم فتاك الذي إذا حدثك من ذلك الطريق لو قد كنت عليه وإنني لأدعوك لأسهل من ذلك لو دعيت إليه وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلا فقال له أسلم فتصعده طريق وعر وعت فلقيت رجلا تعرف وجهه وتعرف نسبه فدعاك إلى طريق واسع سهل أكنت تتبعه؟ قال نعم: قال فوالذي نفس محمد بيده إنك لفي أوعر عليه وسلم وإن كنت كارها وذكر لنا أنه لقي رجلا فقال له أسلم فتصعده ذلك وكبر عليه فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم أرأيت لو كنت في أعلم. وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلا فقال له أسلم فقال الرجل إنك لتدعوني إلى أمر أنا له كاره فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم قال بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون يحتمل أن تكون هذه جملة حالية أي في حالة كراهة أكثرهم للحق ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة والله يقولونه في القرآن فإنه أتاهم من كلام الله ما لا يطاق ولا يدافع وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله إن استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين ولهذا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تقول القرآن أي افتراه من عنده أو أن به جنونا لا يدري ما يقول وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به وهم يعلمون بطلان ما وقوله أم يقولون به جنة يحكي قول المشركين

وشرعه وقدره وتدبيره لخلقه تعالى وتقدس فلا إله غيره ولا رب سواه ولهذا قال بل أتيناهم بذكرهم أي القرآن فهم عن ذكرهم معرضون. 71 نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا ففي هذا كله تبين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله القريتين عظيم ثم قال أنهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذ لا مسكتكم خشية الإنفاق الآية وقال أم لهم وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السموات والأرض ومن فيهن أي لفساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن قال مجاهد وأبو صالح والسدي: الحق هو الله عز وجل والمراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وقوله ولو اتبع الحق

قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقال وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا. 72 عند الله جزيل ثوابه كما قال قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وقال قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وقال

تفسير ابن كثير

قال الحسن أجرا وقال قتادة جعلا فخراج ربك خير أي أنت لا تسألهم أجره ولا جعلنا ولا شيئا على دعوتك إياهم إلى الهدى بل أنت في ذلك تحتسب وقوله أم تسألهم خرجا

غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي. قلت بل قد روى عنه أيضا أشعث بن إسحاق وقال فيه يحيى بن معين: صالح ووثقه النسائي وابن حبان. 73
أدم ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت وقال علي بن المديني هذا حديث حسن الإسناد إلا أن حفص بن حميد مجهول لا أعلم روى عنه أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسا لها حممة فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقاء من لا أملك لك من الله شيئا قد بلغت ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيرا له رغاء ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت ولأعرفن لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم كانوا يمشون بعدك القهقري على أعقابهم فلأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي يا محمد يا محمد فأقول كما يعرف الرجل الغريب من الإبل في إبله فيذهب بكم ذات اليمين وذات الشمال فأناشد فيكم رب العالمين أي رب قومي أي رب أمتي فيقال يا محمد إنك وتغلبونني تتفاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب فأوشك أن أرسل حجزكم وأنا فرطكم على الحوض فتزدون علي معا وأشتاتا أعرفكم بسيماكم وأسماكم عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني ممسك بحجزكم هلم عن النار هلم عن النار طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري حدثنا حفص بن حميد رواء أن تتبعوني؟ قالوا بلى قال فإن بين أيديكم رياضا أعشب من هذه وحياضا هي أروى من هذه فاتبعوني قال فقالت طائفة صدق والله لتتبعه وقالت فانطلق بهم وأوردتهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم ألحكم على تلك الحال فجعلت لي إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا به المفازة ولا ما يرجعون به فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال رأيتم إن أوردتكم رياضا معشبة وحياضا رواء تتبعوني؟ فقالوا نعم قال الذي عند رجله للذي عند رأسه: اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكا ففقد أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه فقال وقوله وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد

وقوله وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون أي لعادلون جائرون منحرفون تقول العرب نكب فلان إذا زاغ عنها. 74
إلى قوله بمبعوثين فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف يكون قال الضحاك عن ابن عباس: كل ما فيه لو فهو مما لا يكون أبدا. 75
وقال ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه القرآن لما أنقادوا له ولا استمروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أراح عنهم الضر وأفهمهم يتضرعون قال وصام وهب ثلاثا متواصلة فقليل له ما هذا الصوم يا أبا عبد الله؟ قال أحدث لنا فأحدثنا: يعني أحدث لنا الحبس فأحدثنا زيادة عبادة. 76
رجل من الأبناء ألا أنشدك بيتا من شعر يا أبا عبد الله؟ فقال وهب: نحن في طرف من عذاب الله والله يقول ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما حدثنا علي بن الحسين حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الله بن إبراهيم عن عمر بن كيسان حدثني وهب بن عمر بن كيسان قال: حبس وهب بن منبه فقال له وأصله في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف. وقال ابن أبي حاتم العلهز يعني الوبر والدم فأنزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الآية وكذا رواه النسائي عن محمد بن عجيل عن علي بن الحسين عن أبيه به عن يزيد يعني النحوي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبي عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة بل استمروا على غيهم وضلالهم فما استكانوا أي ما خشعوا وما يتضرعون أي ما دعوا كما قال تعالى فلولوا إذا يقول تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد فما استكانوا لربهم وما يتضرعون أي فما ردهم ذلك

وجاءتهم الساعة بغتة فأخذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحتسبون فعند ذلك أبلسوا من كل خير وأيسوا من كل راحة وانقطعت آمالهم ورجاؤهم. 77
وقوله حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون أي حتى إذا جاءهم أمر الله
الفاعل المختار لما يشاء. وقوله قليلا ما تشكرون أي ما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . 78
عباده أن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة وهي العقول والفهوم التي يذكرون بها الأشياء ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله وأنه ثم ذكر تعالى نعمه على

ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم. معلوم فلا يترك مهم صغيرا ولا كبيرا ولا ذكرا ولا أنثى ولا جليلا ولا حقيرا إلا أعاده كما بدأه. 79
ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في برئه الخليقة وذرئه لهم في سائر أقطار الأرض على اختلاف أناسهم ولغاتهم وصفاتهم
بذلك لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان . 8
وقوله والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أي إذا أؤتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها إلى أهلها وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا

تفسير ابن كثير

تدلكم على العزيز العليم الذي قد قهر كل شيء وعز كل شيء وخضع له كل شيء ثم قال مخبرا عن منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين. 80 لا يفتران ولا يفترقان بزمان غيرهما كقوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار الآية. وقوله أفلا تعقلون أي أفليس لكم عقول يحيي ويميت أي يحيي الرمم ويميت الأمم وله اختلاف الليل والنهار أي وعن أمره تسخير الليل والنهار كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا يتعاقبان ولهذا قال وهو الذي

بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى. 81

بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى. 82

فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الآيات. 83 إخبارا عنهم إذا كنا عظاما نخره قالوا تلك إذا كرة خاسرة فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة وقال تعالى أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة وأبأنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين يعنون إعادة محال إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلافهم وهذا الإنكار التكذيب منهم كقوله لقد وعدنا نحن

قل لمن الأرض ومن فيها أي من مالكةا الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وسائر صنوف المخلوقات إن كنتم تعلمون. 84 أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئا ولا يملكون شيئا ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فقال وسلم أن يقول للمشركين العابدین معه غيره المعترفین به بالربوبية وأنه لا شريك له فيها مع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه يقرر تعالى وحدانيته

سيقولون لله أي فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له فإذا كان ذلك قل أفلا تذكرون أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره. 85 في الاتساع والعلو والحسن الباهر ولهذا قال من قال إنه من ياقوتة حمراء وقال ابن مسعود: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه. 86 ياقوتة حمراء ولهذا قال ههنا ورب العرش العظيم أي الكبير وقال في آخر السورة رب العرش الكريم أي الحسن البهي فقد جمع العرش بين العظمة عن عمار الذهبي عن مسلم البطيين عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: العرش لا يقدر قدره أحد. وفي رواية: إلا الله عز وجل وقال بعض السلف: العرش من الأرض وقال مجاهد: ما السموات والأرض في العرش إلا كحلقة في أرض فلاة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا العلاء بن سالم حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري ألف سنة وقال الضحاك عن ابن عباس: إنما سمي عرشا لارتفاعه. وقال الأعمش عن كعب الأبحار: إن السموات والأرض في العرش كالقنديل المعلق بين السماء الفلاة. ولهذا قال بعض السلف: إن مسافة ما بين قطري العرش من جانب إلى جانب مسيره خمسين ألف سنة وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهما وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كذلك الحلقة في تلك أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال شأن الله أعظم من ذلك إن عرشه على سمواته هكذا وأشار بيده مثل القبة وفي الحديث الآخر النيرات والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات ومن هو رب العرش العظيم يعني الذي هو سقف المخلوقات كما جاء في الحديث الذي رواه قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم أي من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب

بن دينار كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا بهذا الحديث قلت في إسناده عبيد الله بن جعفر المديني والد الإمام علي بن المديني وقد تكلموا فيه فالله أعلم. 87 قالت: الله قال فإني أسمع لله شأنًا ثم ألقى نفسه من الجبل فتقطع. قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدثنا هذا الحديث قال عبد الله قال فمن خلقتني؟ قالت: الله قال فمن خلق السموات؟ قالت: الله قال فمن خلق الأرض؟ قالت: الله قال فمن خلق الجبل؟ قالت: الله قال فمن خلق هذه الغنم؟ كثيرا ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية على رأس جبل معها ابن لها يرعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقتك؟ قالت: الله قال فمن خلق أبي؟ قالت الله كتاب التفكير والاعتبار: حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبيد الله بن جعفر أخبرني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به. قال أبو بكر عبد الله ابن محمد بن أبي الدنيا القرشي في وقوله سيقولون لله قل أفلا تتقون أي إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات

لعظمته وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعدله فالخلق كلهم يسألون عن أعمالهم كما قال تعالى فوريك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون. 88 الخلق والأمر ولا معقب لحكمه الذي لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وقال الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أي لا يسأل عما يفعل يخفر في جواره وليس لمن دونه أن يجبر عليه لئلا يفتات عليه ولهذا قال الله وهو يجبر ولا يجار عليه أي وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه الذي له قال لا ومقلب القلوب فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف وهو يجبر ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدا لا الملك ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها أي متصرف فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا والذي نفسي بيده وكان إذا اجتهد في اليمين قل من بيده ملكوت كل شيء أي بيده

ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له قل فأني تسحرون أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك. 89